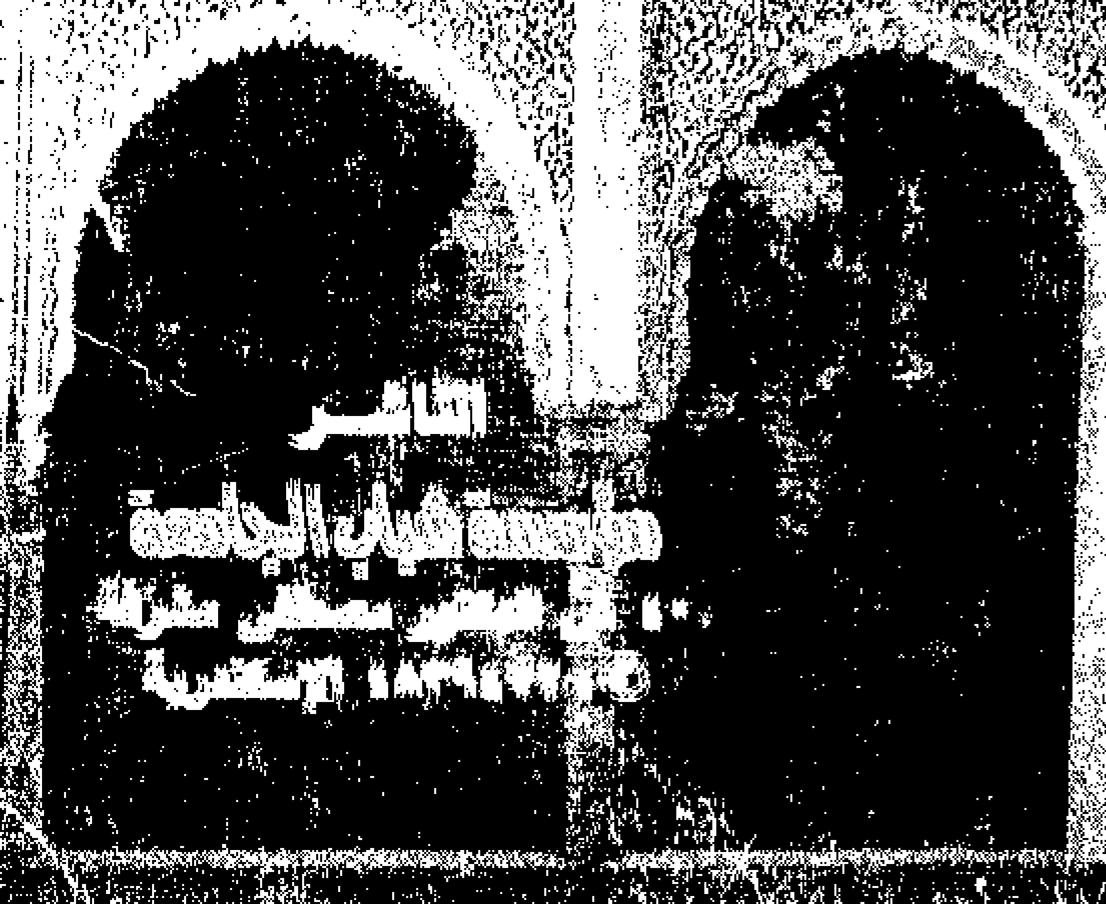
مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر

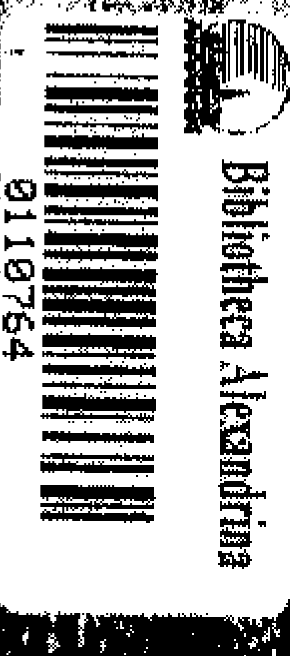
تأليف

أ.د. أحمد محمد الطوخي

تقديم

أ.د. أحمد مختار العبادي





مظاهر الحضارة في الأندلس
في عصر بني الأحمر

تأليف

أ . د . أحمد محمد الطوخي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

وعميد كلية الآداب بسوهاج

تقديم

أ . د . أحمد مختار العبادى

أستاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلا

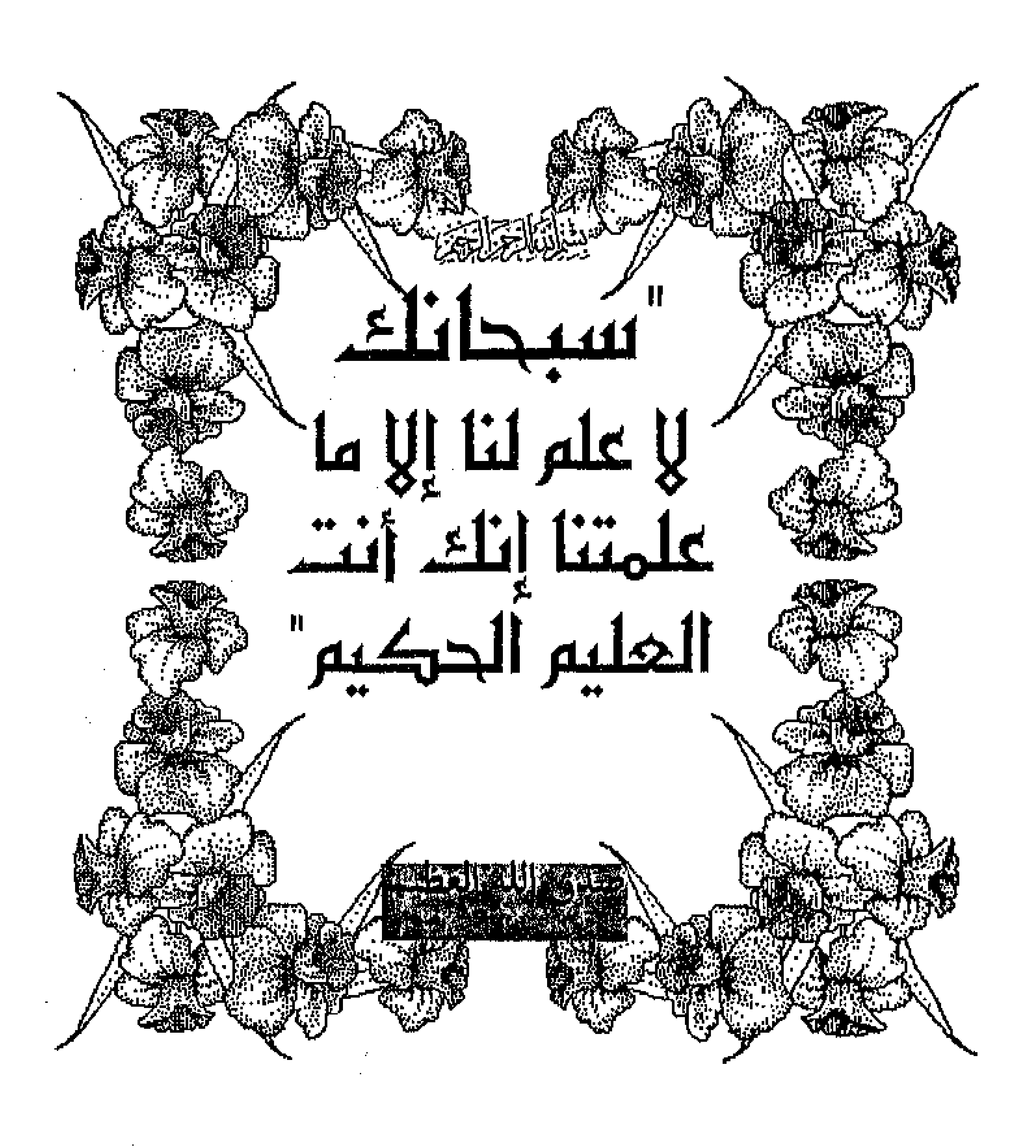
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٧

الناشر مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

ت : ٤٨٣٩٤٧٢ اسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم
"سبحانك
لا علم لنا إلا ما
علمتنا إنك أنت
العليم الحكيم"
صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير بقلم ..

الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى

قليلة جداً هى الممالك والدول التى حظيت بحب واهتمام البشرية فى العالم أجمع على مدى التاريخ . وأعتقد أن مملكة غرناطة الإسلامية فى شبه جزيرة ايبيريا ، كانت واحدة من تلك الدول التى استأثرت بعطف الناس وحبهم فى كل زمان ومكان.

فإذا ذكر اسم غرناطة ، يسرح الخيال فى الحمراء La Alhambra بقصورها ، وأبهائها وحدائقها ، وما روى عنها من قصص وحكايات تناقلتها الأجيال واختلط فيها الواقع بالخيال ، واشتهر من وحى إلهامها شعراء وأدباء وفنانون فى كل زمان ومكـــــان .

وحسبى أن أشير إلى كتابات الوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب ، وإلى تلميذه وخليفته شاعر الحمراء عبد الله بن زمرك (ق ١٤ م) وإلى الأديب الأسبانى بريث دى هيتـــا Perez de Hita (ق ١٦ م) فى كتابه عن الحروب الأهلية فى غرناطة، والأديب الفرنسى شاتوبريان Chateaubriand (ق ١٩ م) فى قصته عن مغامرات آخر بنى سراج ، والأديب الأمريكى واشنطون ايرفنج فى قصصه عن الحمراء، والموسيقار الأسبانى إسحاق ألبنث Isac Albéniz فى مقطوعاته الرائعة عن غرناطة وحى البيازين .. وكثيرين غيرهم .

وما أظن أن هناك دولة تمتعت بمثل هذه الشهرة والفن والإبداع مثل هذه الدولة الإسلامية الصغيرة ، دولة بنى الأحمر أو بنى نصر فى غرناطة فى الركن الجنوبى الشرقى الأسبانى .

وإذا طرحنا الخيال جانباً وانتقلنا إلى الواقع التاريخي ، نجد أن مملكة غرناطة تمثل الفصل الختامي للتاريخ الحضاري الإسلامي في أسبانيا الذي دام حوالي ثمانية قرون .. وهذا ما قام به الأخ الكريم والمؤرخ النابه الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطوخي - عميد كلية الآداب بسوهاج - بتقديمه لهذا العمل العلمي القيم " مظاهر الحضارة في مملكة غرناطة " ، بعد دراسة مستوعبة ومستفيضة للمصادر العربية والأسبانية التي تناولت تاريخ وحضارة مملكة غرناطة .

ولا يسعني بمناسبة تقديم هذا الكتاب إلى الأمة العربية والإسلامية إلا أن أوجه خالص الشكر إلى مؤلفه الصديق العزيز الأستاذ الدكتور/ أحمد الطوخي على ما بذله من جهد طويل في سبيل إخراج هذا العمل العلمي المبتكر بهذه الصورة المشرفة المشرقة .

الأسكندرية في : ٢٠/ ١١/ ١٩٩٦ .

الأستاذ الدكتور

أحمد مختار العبادي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا يذكر تاريخ إسبانيا المسلمة ، إلا ويقفز الى الأذهان اسم غرناطة ، ويسرح الخيال في الحمراء وعظمتها ، وما حيك حولها من أساطير وروايات تؤسر العقل وتخلب اللب .

ويقصد بالأندلس في هذا العصر مملكة غرناطة التي تمثل آخر عهد المسلمين بالأندلس بعد أن تمزقت دولتهم هناك ، وسقطت مدنهم في أيدي المسيحيين . وقد انحصر ملكها في الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة أيبيريا ، حيث جبال البشرات وجبال شلير أو جبال الثلج التي كونت منها قلعة حصينة يسهل الدفاع عنها . لهذا كانت غرناطة هي الملجأ الطبيعي لمعظم المهاجرين الأندلسيين الذين فروا أو طردوا من بلادهم بعد سقوطها في أيدي الاسبان .

ولا شك أن هذه العناصر المهاجرة قد أعطت لهذا الوطن الجديد كل خبراتها وسواعدها ، مما كان له أثر كبير في ازدهار مملكة غرناطة ، وبقائها في مواجهة الإسبان أكثر من قرنين ونصف من الزمان .

ولقد قدر لغرناطة أن تحمل مشعل العلم والفن والمعرفة ، وهاجا ساطعا قويا ، بعد أن سقطت قواعد الأندلس التالدة مثل سر قسطة وطليطلة وقرطبة واشبيلية في يد اعدائها من الإسبان وانطفأ منها نور العلم ، وخبت أضواء المعرفة ، بعد ان كانت مركز اشعاع لهما لا في شبه الجزيرة الأيبيرية فحسب بل وفي كل القارة الأوربية ، يأتي اليها طلاب العلم من كل فج عميق ينهلون على يد فقهائها وعلمائها شتى انواع العلم وكل صنوف المعرفة .

ولقد واجهتني العديد من المشكلات منذ بدأت البحث في تاريخ غرناطة

الاسلامية وحضارتها في عهد بني نصر (أو بني الاحمر) وكانت أولى تلك المشكلات وأهمهما قلة المصادر العربية التي تتناول هذه الفترة المتأخرة من التاريخ الأندلسي . وعليه فقد كان لابد لي من الاعتماد بقدر الامكان على المصادر الاسبانية التي تعينني في هذا البحث .

وقدر لي ان أقوم بزيارة أسبانيا خمس مرات ، تمكنت خلالها أن أقوم بجمع المادة العلمية من مصادرها الإسبانية والمخطوطات العربية التي تزخر بها المكتبات الإسبانية ، والاتصال بالمستشرقين الذين يعملون في هذا الحقل ، واتيحت لي الفرصة ان أقوم بزيارة المدن والمواقع التي كانت مسرحا لمظاهر هذه الحضارة الغرناطية ، كما حصلت على دبلومين في اللغة الاسبانية الأول من حلقة الدراسات الصيفية للغة الأسبانية التي عقدت بمدريد صيف عام ١٩٧٣. والثاني من جامعة غرناطة عام ١٩٧٥ الى جانب حصولي على دبلوم في تلك اللغة من المركز الثقافي الاسباني بالاسكندرية .

هذا وقد قسمت البحث الى مقدمة سياسية وأبواب أربعة .....

اما المقدمة السياسية فقد بدأتها بالحديث عن الموقف في الاندلس بعد الهزيمة التي لقيها الموحدون في موقعة العقاب والتي أدت الى انهيار سلطانهم في الأندلس وكيف وجدت الأندلس نفسها في ظروف عصيبة : حرب أهلية طاحنة ضروس كادت تقضي على البقية الباقية من الأندلس بعد ان أصبحت شيعا وأحزابا متعادية متضاربة ، وسط عدو إسباني مدجج بالسلاح ، فغر فاه لالتهام ما شاء له ان يلتهم من أراضي المسلمين في الأندلس ، ثم تحدثت عن قيام الدولة النصرية وتوطيد أركانها على يد محمد الأول ومحمد الثاني الفقيه وكيف استطاعا التغلب على العقبات الداخلية والخارجية مثل مشكلة أصهارهما من بني أشقيلولة الذين كانت تربطهم بالبيت الحاكم صلة النسب ثم ما لبثوا ان انقلبوا عليه وثاروا ضده، ومشكلة المهاجرين الذين كانوا يفدون على غرناطة في أعداد كبيرة من كل مدينة أندلسية

كانت تسقط في يد الاسبان ، حتى ضاقت الأرض بهم على ما رحبت مما زاد من أعباء هذه المملكة الناشئة . وفي المجال الخارجي كانت هناك مشكلة الاسبان الذين وجدوا في هذه الدولة الناشئة قوة يجب القضاء عليها ومن ثم دارت بينهما الحروب والمنازعات ، كانت غرناطة تستعين خلالها ببني مرين ملوك فاس ليشدوا من ازرها ثم تحدثت عن العصر الذهبي لمملكة غرناطة في عهد أبي الحجاج يوسف الأول ومحمد الخامس ، والمنشآت المدنية والحربية التي قاما بها مثل تأسيس المدرسة النصرية وتشييد الحصون والقلاع والكثير من التشييدات في قصر الحمراء ، على انه بدأت بعد وفاة السلطان محمد الخامس في عام ٧٩٣هـ/ ١٣٩٣ م فترة من الضعف والاضمحلال حفلت بالحروب الأهلية . ولقد بلغ من اضطراب الأوضاع الداخلية في مملكة غرناطة أنه قد تعاقب على عرشها خلال القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى اثنا عشر سلطانا ، ونتيجة للثورات المتكررة والانقلابات السياسية شهدت غرناطة اعتلاء هؤلاء السلاطين عشرين مرة بسبب عودة بعضهم الى العرش أكثر من مرة في الوقت الذى عرفت فيه أسبانيا المسيحية نهضة حربية وسياسية كبرى ، وتوجت تلك النهضة بزواج الملك فرناندو الرابع ملك أراجون بايسابيل ملكة قشتالة عام ١٤٦٩ ، واتحدت الدولتان بعد ان ظلتا في نزاع وحروب مستمرة ، وكان هذا يعني بداية النهاية لملكة غرناطة الإسلامية ، التي كان بقاؤها يعود في الواقع الى حد كبير إلى استغلالها لهذا النزاع بين المملكتين . وسقطت غرناطة في يد الملكين الكاثوليكيين في عام ٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢م .

أما الباب الأول فقد تحدثت فيه عن غرناطة : أرضها وشعبها . . وقسمته الى فصلين تحدثت في الأول عن وصف الملكة وعن الأراء المختلفة حول اسم غرناطة وموقعها الجغرافي وأقسامها الإدارية وأنهارها وجبالها ومناخها ، ثم تحدثت عن غرناطة العاصمة وأبوابها وأرباضها وأحيائها والعمارة الدينية ثم العمارة المدنية مثل قصر الحمراء وقصر جنة العريف وقصر شنيل ، ثم تحدثت عن أهم مقابر غرناطة .

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحياة الاجتماعية فى مملكة غرناطة ، تحدثت فيه عن الشعب الغرناطى وعناصره وكيف أنه لم يكن سوى استمرار للعنصر الأندلسى فى العصور الاسلامية السابقة ، وورث الأبناء عن الآباء حب الإنتماء الى القبائل العربية الارستقراطية حتى أننا نجد بنى نصر أنفسهم يرجعون نسبهم الى سعد بن عبادة سيد الخروج وأحد أنصار النبى عليه الصلاة والسلام فى دار الهجرة. ولم يكن هذا شيئا غريبا فقد كان يتكرر فى كل الممالك التى كان يصيبها الضعف والوهن والانحلال .

غير اننا نلاحظ من دراسة الوثائق الأندلسية المتأخرة أن الشعب الغرناطى فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) كان شعبا أندلسيا أصيلا ، فأسماء كثير من الأشخاص التى تظهر فى تلك الوثائق لا تنم عن أصل عربى من قريب أو بعيد كذلك لا تدل ألقابهم على أصول مشرقية ، فلم يكن الغرناطى فى هذا العصر يحافظ على نسبه العربى ليثبت انه يرجع الى قريش او آية قبيلة عربية عريقة ، وانما كان يقرر صراحة أنه يرجع الى أصل أندلسى . وهكذا نجد ألقابا أندلسية تنسب الى المدن والأقاليم فى تلك البلاد مثل المالقى نسبة الى مالقة ، والحامى نسبة الى الحامة .. وهكذا ثم تحدثت عن ملابس أهل غرناطة وكيف أنهم كانوا يميلون الى الأناقة فى الملبس ويستهجنون الابتذال فيه ، وقد تأثرت ملابسهم فى البداية بملابس البلاد المسيحية المجاورة ، ويحدثنا البسطى أنه قد شاهد محمد الأول بن الأحمر يوم دخوله غرناطة فى ٦٣٥ /١٢٣٨ وهو يرتدى ملابس تشبه تلك التى كان يرتديها فلاحو قشتاله . ولما بدأت قوات الغزاة المغاربة فى العبور الى الأندلس تأثرت طرق الزى فى غرناطة بالأثر المغربى ثم ظهر التأثير المسيحى فى غرناطة من جديد فى خلال النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى (١٥م) . ولما كانت المصادر العربية لم تترك لنا وصفا شافيا لملابس الشعب الغرناطى ، فقط كان علينا الإستعانة بالمصادر الاسبانية وكتب الرحالة والرسوم الجدارية المعاصرة لمحاولة رسم صورة لتلك الملابس .

من هؤلاء الكتاب والرحالة نذكر الايطالى أندريا نافاجيرو ، والرحالة الألمانى كريستوف فييدز والرحالة الألمانى خيرونيمو مونزر .

ثم تحدثت عن الحلى وأدوات الجمال والزينة واهتمام الغرناطيين بها ، وتقدمهم فى هذا المضمار ، حتى أننا نجد أن الأدب الاسبانى فى القرن السادس عشر الميلادى كان يصور المواطن المسلم بشعر معصوب بإكليل من اللؤلؤ ، ونحر مزين بقلادة من الذهب وأصابع تحمل الخواتم ، ومعصم مزين بدمالج من الذهب .

ثم تحدثت عن الأطعمة والأشربة فى مملكة غرناطة ، وكيف أن الطعام الغرناطى كان مستمداً من التقاليد الخاصة بالطعام الأندلسى .

أما المرأة الغرناطية فقد تأثرت حياتها الاجتماعية بدرجة كبيرة بالشعوب الاسبانية المسيحية بحكم الجوار والاتصال . فنرى أن كثيراً من العادات والتقاليد المسيحية قد انتقلت الى غرناطة فعلى سبيل المثال ، نجد أن المرأة الغرناطية قد تمتعت بالحرية الى حد ما ، فكان يسمح لها بالحضور الى الحمامات العامة ، وزيارة الصديقات والخروج الى الأسواق دون أن يصحبها أحد ، كما لم يكن لهن اهتمام كبير بارتداء الحجاب وتمتعت المرأة الغرناطية بمركز مرموق فى الوسط الأدبى والعلمى والاجتماعى .

ثم تناولت الحديث عن أهم العادات والتقاليد لدى الشعب الغرناطى ، مثل تعصب الغرناطى لبلده ، ومحافظته على العادات الموروثة ، واهتمامهم بتطبيق احكام الشرع والتزام مبادئه ، واحتياطهم وتدبيرهم فى المعاش ، وتعاطيهم الخمور والحشيش ثم اهتمامهم بالنظافة ، وإقامة الحمامات .

ثم تحدثت عن المنزل الغرناطى ، وصغر حجمة ،حتى أن الرحالة الألمانى خيرونيمو مونزر يشبه منازل غرناطة ، بأعشاش الطيور ، ويذكر انها كانت مهدمة من الخارج جميلة نظيفة من الداخل ، تتميز بالبساطة فى الأثاث .

ثم تحدثت عن اللهجة الغرناطية ، وذكرت أنه كان يوجد الى جانب اللغة العربية الفصحى التى كانت تستعمل فى تحرير المراسلات الرسمية والظهائر السلطانية وفى قرض الشعر وصياغة النثر لهجة عربية تأثرت باللغات المستخدمة فى شبه الجزيرة الأيبيرية واللهجات المغربية .

ثم تحدثت عن الأعياد الدينية والدنيوية فى مملكة غرناطة التى كانوا يحتفلون بها بطرق مختلفة تذكر منها الفروسية والخروج الى الحدائق ومصارعة الثيران والصيد والموسيقى والرقص والغناء ، وتعاطى الحشيش والخمر .

ثم تحدثت عن أهل الذمة من اليهود والمسيحيين ووضعهم فى غرناطة .

اما الباب الثاني فقد خصصته لنظم الحكم والادارة فى مملكة غرناطة ، تحدثت فيه عن السلطان وتنصيبه ، وشارات الملك وألقابه وعلاماته ، ومهام السلطان وحياته الخاصة وأوضاعه المالية . ثم الوزير ، وطريقة اختياره، ومهامه ، واختصاصاته . والكاتب وأهميته فى مملكة غرناطة . والدواوين . والقضاء الذى كان يجرى على المذهب المالكى ، وقاضى الجماعة ، والشهود العدول . والحسبة وأهميتها وانتقالها الى الجانب الاسبانى باسمها ومدلولها ، والشرطة ومهامها وانواع العقاب ونظام الإدارة فى الأقاليم . ثم تحدثت عن الحياة الحربية فى مملكة غرناطة ، وبينت كيف كان لوقوع المملكة بين ثلاث دول مسيحية هى : قشتالة وأراجون والبرتغال ، أثر كبير فى جعل الشعب الغرناطى شعبا محاربا ، بالدرجة الأولى . حتى أن الأطفال – على حد قول ابن الخطيب – "كانت تدرب على العمل بالسلاح وتعلم المثاقفة ، كما يعلم القرآن فى الألواح " . ثم تحدثت عن التحصينات والمنشأت الدفاعية والجيش وعناصره، والغزاة المغاربة ، وفرق الجيش المساعدة مثل الشعراء والوعاظ والجواسيس والأدلاء ، وملابس الجند وأسلحتهم وخططهم الحربية.والبحرية واهميتها فى مملكة غرناطة للدفاع ونقل الجنود والذخيرة والسلع ، وأهم أسلحة الأسطول وملابس رجاله وقادته وحركة الرباط الساحلى للجهاد فى سبيل الله ضد الاعداء.

اما الباب الثالث فقد خصصته للحياة الاقتصادية في مملكة غرناطة ، وبدأته بغلاء المعيشه في تلك المملكة وأسبابه ، ثم عرضت لمستوى المعيشه والأسعار وبينت كيف كانت هذه الأسعار تزيد يوما بعد يوم نظرا لوعورة أراضى المملكة وامتلائها بالمهاجرين الذين كانوا يلجأون اليها من المدن والقواعد الأندلسية الأخرى التى كانت تسقط في يد الإسبان ، ونتيجة للصراع المحتدم بين غرناطة وإسبانيا المسيحية وما كان يمثله من عبء كبير على المملكة ، بالاضافة الى التزامها بدفع جزية ثقيلة الى قشتالة ، تذكر بعض المصادر أنها كانت تمثل نصف دخل المملكة .

ثم تحدثت عن الادارة المالية ، وكيف كان بعض السلاطين يباشرون الأوضاع المالية بأنفسهم . ثم ذكرت صاحب الأشغال الخراجية ، والوكيل ، وكاتب الزمام أو كاتب الجهبذة ومتولى الخفارة والمشرف وخدام الجباية ، كما أنه باستقراء الأحداث التاريخية ودراستها في غرناطة . نجد أن الوزراء العظام كان لهم اشراف على الشئون المالية واختصاص بمعرفتها .

اما بخصوص الضرائب فقد قسمتها الى ضرائب شرعية نص عليها فى القرآن او ورد ذكرها فى السنة مثل الزكاه والضريبة على الأراضى الزراعية والعشور . وضرائب غير شرعية كانت تفرضها ظروف الحياة فى المملكة فقد أدرك الشعب أنه لابد من وجود أموال كافية لدى الدولة لتكوين جيش يزود عن حياضه واقامة تنظيمات ادارية ودفع رواتب الموظفين وأداء الجزية الى قشتالة . ومن هذا المنطلقة كان سلاطين غرناطة يمكنهم إقناع الفقهاء بوضع الفتاوى التى تحلل جباية هذه الضرائب غير الشرعية من الشعب . غير أنه وأن كانت المصادر الاسلامية للأسف لم تحتفظ لنا بأسماء الكثير من تلك الضرائب وقيمتها فقد احتفظ الملكان الكاثوليكيان بعد سقوط غرناطة بنفس تلك الضرائب التى كانت معروفة فى غرناطة الإسلامية . كما ابقوا على اسمائها مع تحريف بسيط . من هنا فقد أمكننا الاستعانة بهذه المسميات لرسم صورة للضرائب فى غرناطة .

ثم تناولت الحديث عن سكة غرناطة ، وذكرت أنه كان لديهم الدرهم الفضي الذى كان يضرب على النمط الموحدى المربع ، والدينار الذهبي . وفي القرن التاسع الهجرى (١٥م) يظهر الدينار الغرناطى فى أشكال ثلاثة . الدينار الذهبي والدينار الفضى والدينار العينى من النحاس . وتختلف قيمة كل واحد منها عن الآخر وقد قام السلطان أبو الحسن على فى هذا القرن بضرب دنانير من الفضة ،والنحاس والبرونز لها قيمة الدنانير الذهبية مما دفع بالبعض الى الاعتقاد بأنها كانت دنانير مزيفة ضربت من هذه المعادن ثم تغطس فى حمام من الذهب إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أنها كانت دنانير صحيحة كانت تتداول بقيم شرعية ، وأن كانت تعتبر دون الذهبية فى القدر ، كما هو الحال الأن فى عملتنا الورقية . وقد أجاز الفقهاء ذلك . وفى الأيام الأخيرة من المملكة النصرية كان الغرناطيون يتداولون العملات الاسبانية بصفة عادية .

ثم تحدثت عن الحركة التجارية الداخلية والخارجية فى مملكة غرناطة وعوامل أزدهارها وتقدمها وكيف أشتهر أهل غرناطة بحسن معاملتهم حتى صار أهلها موضع ثقة جميع تجار البلاد التى كانت تتعامل معهم ، حتى قيل فى هذا الصدد ان كلمة الغرناطى كانت أكثر ضمانا من عقد مكتوب . وعرضت لدور التجار المسيحيين فى الحركة التجارية فى المملكة والعلاقات التجارية بين غرناطة والدول المعاصرة مثل أراجون وقشتالة والمدن الايطالية التى لعب تجارها دورا مؤثرا ومهما فى الإقتصاد الغرناطى .

اما الزراعة فقد أحرز فيها الشعب الغرناطى تقدما هائلا وساعد على ذلك خصوبة التربة وملائمة المناخ ووفرة مياه الأنهار والأمطار ونشاط الشعب وذكائه وتوصله الى معرفة أحوال الطقس وتمكنهم من وضع الكثير من المؤلفات والتقاويم عن الزراعة ومواعيدها . ثم تحدثت عن أنواع الملكية الزراعية وأهم المنتجات الزراعية . والرعى وتربية الحيوان سواء بغرض الحصول على اللحوم والألبان مثل البقر والضأن والطيور المنزلية . أو لنقل الاثقال ، وخدمة الحركة التجارية مثل البغال

. ثم كانت هناك تربية النحل و دود القز وصيد السمك من سواحل المملكة الطويلة الغنية بالأسماك حتى تذكر المصادر أنه في بعض المناطق كان " حوت هذا السواحل أغزر من رمله ".

اما الصناعة فقد احتفظت غرناطة بالكثير من الصناعات الأندلسية التقليدية القديمة وساعدها على ذلك توفر المواد الخام من معادن وأخشاب ونباتات وأعشاب طبية وحرير. وكانت أهم الصناعات في المملكة صناعة النسيج التى ظلت مزدهرة بها حتى القرن التاسع الهجرى (١٥م) . وانتقلت منها الى الممالك الأسبانية المسيحية والدولة البيزنطية . وصناعة الأبسطة والسجاد ، والصناعات الجلدية والأوانى الفخارية والخزف والزجاج وصناعة الأسلحة والتطعيم والصناعات المعدنية والغذائية .

اما الباب الرابع والأخير فقد خصصته للحياة الفكرية فى مملكة غرناطة فبدأته بالحديث عن إهتمام أهل الأندلس بالعلم . ونظام التعليم ومناهج الدراسة وبرامجها . وأوردت نصا طريفا ورد فى مقدمة ابن خلدون يشير الى أن غرناطة قد عرفت الطريقة التربوية التى يطلق عليها علماء التربية " الجشتالت " وهى التى يبدأ فيها فى الهجاء برسم الكلمات والجمل قبل الحروف ، أى الإنتقال من الكل الى الجزء .

ثم تحدثت عن أثر غلاء المعيشة فى غرناطة فى انصراف الناس الى معايشهم وكيف دفع هذا الغلاء الى هجرة العلماء والطلبة الى البلاد الآخرى ولا سيما مصر حيث المساجد الكثير المزودة بالأروقة لاقامة الطلبة الغرباء ، علاوة على الجرايات والمنح التى كانت تصرف لهم لمساعدتهم بالاضافة الى رخص المعيشة فى مصر المملوكية التى أخذت تتبوأ مركز الصدارة فى العالم الاسلامى آنذاك بعد انتصارها على الخطر الصليبى ممثلا فى حملة لويس التاسع على دمياط عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م

وكذلك على الخطر المغولى فى موقعة عين جالوت فى عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وذكرت أهم العلماء الذين رحلوا الى مصر فى هذا العصر .

كما عرضت للعلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس والأثر الغرناطى فى الحضارة المرينية ، والعلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة الحفصية فى تونس والدولة الزيانية فى تلمسان ، واهم العلماء فى كل فرع منها مثل علوم الدين وعلوم اللغة والادب والعلوم الاجتماعية والعقلية .

وفى النهاية لا يسعنى الا ان أتوجه بعظيم الشكر والعرفان الى أستاذى الجليل الدكتور أحمد مختار العبادى ، فقد كان لسيادته الفضل الاكبر فى تشجيعى ، كما فتح لى سيادته باب مكتبته العامرة وأمدنى بما احتاجه منها ، كما زودنى سيادته بنصائحه وتوجيهاته ومؤلفاته الخاصة ، ولم يبخل على بوقت أو جهد على الرغم من كثرة مشاغل سيادته يعيننى على فهم نص غمض على معناه أو ترجمة أخر صعب على فهمه . فجزاه الله عنى وعن العلم خير الجزاء .

دراسة حول مصادر ومراجع البحث

تعددت مصادر البحث ومراجعها ما بين معاصر او شبه معاصر ومراجع حديثة . وفيما يلى عرض لاهم المصادر والمراجع التى رجعت اليها مرتبة بحسب اهمية ما ورد بها من اخبار خاصة بهذا البحث .

١- الوثائق الرسمية :

تعتبر الوثائق الرسمية من أهم مصادر دراسة التاريخ وقد رجعت الى عدد كبير منها مثل كتاب " الوثائق العربية الدبلوماسية في ارشيف تاج أراجون " (١) التى جمعها ألاركون ولينارس . و " تاج أراجون وغرناطة " (٢) التى جمعها اندرس خيمنيث سولر . وكتاب " وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع (٣) للمستشرق الاسباني الراحل لويس سيكودى لوثينا . وكتاب " المراسلات الدبلوماسية بين غرناطة وفاس في القرن الرابع عشر (٤) لجسباريميرو وقد جمعها من مخطوطة ويحانه الكتاب ونجعة المنتاب لابن الخطيب (٥) ، وتتناول العلاقات بين الدولتين فى هذه الفترة المهمة من حياة مملكة غرناطة . وكتاب " وثائق عربية من البلاط النصرى الغرناطى "(٦) لجسبارريميرو كذلك . و" وثائق عربية زناتية " من ق١٢-١٥ لانخل جونثالث بالنثيا(٧) وكتاب " احباس مساجد مدينة غرناطة

---

(١) Alarcon y linares :Los Documentos arabes diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragon (Madrid - Granada 1940 .

(٢) Gimenes Soler, Andres : La Corona de Aragon y Granada (B. A. B. L. B.) 1905 - 1908 .

(٣) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطة من القرن التاسع (مدريد ١٩٦١).

(٤) Gaspar R emiro, M. : C orrespondencia diplomatica entre Granada Y Fez en el Siglo XIV (Granada 1916).

(٥) مخطوط الاسكوريال رقم ١٨٢٥ .

(٦) انظر: Gaspar Remiro, M .: Documentos Arabes de Ia Corte Nazari De: Granada (Madrid 1911) .

(٧) Ángel Gonzales Palencia : Documentos Árabes Del Cenete siglos XII-XV (Al Andalus Vol V 1940 fasc 2, pp 301-382.

وقراها (١) بالإضافة الى بعض الوثائق التى نشرت كملاحق فى نهاية بعض الكتب والابحاث نذكر منها : تلك الوثائق التى ألحقتها ايزابيل الباريث دى ثينفويجوس كامبوس فى دراستها " حول الاقتصاد فى مملكة غرناطة النصرية "(٢)

لدينا كذلك الكتب التى اهتمت بجمع النقوش الجدارية وشواهد القبور وقد رجعت الى بعض منها مثل : جسبار ريميرو " نقوش الحمراء (٣) وليفى بروفنسال «النقوش العربية فى أسبانيا» (٤).

بالاضافة الى الزيارات الميدانية للآثار الباقية من عهد بنى نصر فى غرناطة وما حولها.

٢ - كتب الرحلة :

كذلك فقد افدت فائدة كبرى من كتب الرحالة الذين قاموا بزيارة غرناطة ورأوا عن كثب شعبها وتركوا لنا اوصافا جميلة لملابسه واعياده واحتفالاته وعاداته وتقاليده. من هؤلاء الرحالة نذكر ابن بطوطة (٧٧٩هـ/١٣٧٨م) (٥)، الذى قام

---

(١) Ma de Carem Villanueva Rico: Habices de las Mezquitas de la Cuidad de Granada y sus Alquerias (Madrid 1961).

(٢) Isabel Alvarez de Cienfeigos Campos: Sobre la economia en el Reino Nasri Granadino (M. E. A. H.) Vol. VII, 1058 fasc I.

(٣) Gaspar Remiro, M.: Las Inscripciones de la Alhambra (Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino ano I, núm I, Granada 1911.

(٤) E. Levi Provencal: Inscriptions Arabes D'Espagne (Leyde - Paris 1931) .

(٥) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار نشر وترجمة: Defremery et San- guientti (Paris 1922).

بزيارة غرناطة عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م وقضى بها ما يقرب من عام وترك لنا وصفا قيما لزوايا المدينة وأربطة الصوفية بها كما وصف فاكهة المملكة وصناعاتها والظروف السياسية التى كانت تعيشها مملكة غرناطة فى ذلك العصر. وهناك الرحالة المصرى عبد الباسط (١) والرحالة الالمانى خيرونيمو مونزر Münzer (٢) الذى زار غرناطة عام ١٤٩٤م بعد سقوطها بعامين فى يد الملكين الكاثوليكيين. والرحالة الايطالى اندريا نافاجيرو (٣) الذى زار اسبانيا عام ١٥٢٦.

والرحالة الالمانى كريستوف فيبتز الذى زار غرناطة عام ١٥٢٩ (٤)، وغيرهم .

٣- المصادر المعاصرة وشبه المعاصرة :

مما لا شك فيه ان اعظم المصادر لدراسة تاريخ مملكة غرناطة فى تلك الحقبة المتأخرة من تاريخ الاندلس هى المؤلفات والاشعار والمنظومات والاراجيز المتعددة التى كتبها الوزير والمؤرخ الغرناطى لسان الدين بن الخطيب (٧١٣-٧٧٦هـ / ١٣١٣-١٣٧٤م) فهذه المؤلفات لاهميتها العلمية ولقلة المصادر الاخرى المعاصرة تعتبر مصدرا اساسيا لكل ما نعرفه عن تاريخ وحضارة المغرب والاندلس فى تلك

---

(١) انظر رحلته في : G. Levi Della Vida: Il Regno Di Granata Mel 1465-66 Nei Ricordi Di un Viaggiatore Egiziano. (A. Andalus Vol. I, fasc 2 1933 pp 307.

(٢) انظر : Jeronimo Münzer: Viaje por Espana y Portugal (B. R. A. H.) t. LXXXIV, 1924.

(٣) Andrea Navagero: Viaje a Espana Del Magnifico Senor Andres Navagero (1524-1526) Trad. José María Alonso Gamo (Valencia 1951).

(٤) انظر : Christoph Weiditz: Das Trachtenbuch von Seinen Reisen nach Spanien (1529).

الفترة. كذلك كان لتولى ابن الخطيب منصب الوزارة فى عهد ابى الحجاج يوسف الاول وابنه محمد الخامس الغنى بالله اعظم الاثر فيما وضعه من مؤلفات . كذلك اتاح له منصبه كوزير فرصة الاطلاع على الوثائق والمراسلات الرسمية المحفوظة بقصر الحمراء واستخدام مادتها فى مؤلفاته التاريخية .

ومن اهم هذه المؤلفات كتابه المعروف باسم الاحاطة فى اخبار غرناطة (١) وهو عبارة عن تراجم للملوك وامراء وعلماء غرناطة وجميع الذين وفدوا عليها من المغرب والمشرق. ويذكر ابن الخطيب ان حبه لوطنه غرناطة هو الذى دفعه الى تأليف كتاب الاحاطة فى اخبار غرناطة، كما فعل ابن عساكر فى تاريخ دمشق، والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ، وابن عبد الحكم فى تاريخ مصر.

وقد افادنى هذا الكتاب فائدة كبيرة نظرا لما يحتويه من معلومات وسير وأخبار مهمة لا ترد فى الكتب الاخرى. فقد ذكر ابن الخطيب موقع غرناطة ووصفها وميزاتها وسبب تسميتها بهذا الاسم، ثم لمع من اخبارها وتاريخها وتراجم لرجالها ، ومن وفد عليها ، مما امدنى بمادة غزيرة سواء فى الجانب السياسى او الجانب الحضارى.

ومن مؤلفات لسان الدين بن الخطيب التى افادتنى فى موضوع رسالتى أيضا نذكر كتاب «اللمحة البدرية» الذى يتحدث فيه عن مملكة غرناطة وصفات اهلها وعاداتهم وتاريخ ملوكها ، ومن عاصرهم من ملوك الدول المجاورة وأهم الأحداث فى عهودهم ، وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة عام ١٣٤٧هـ .

وهناك ايضا كتاب «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس» وهو عنوان اطلقه ناشره الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادى على

---

(١) نشره الأستاذ محمد عبد الله عنان في أربعة أجزاء (القاهرة ١٩٧٣ ، ١٩٧٤، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧).

مجموعة من رسائل ابن الخطيب وهي :

١- خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف .

٢- مفاخرات مالقة وسلا .

٣- معيار الاختبار فى ذكر المعاهد والديار .

٤- رحلة ابن الخطيب فى بلاد المغرب من كتاب نفاضة الجراب فى غلالة الاغتراب وقد افادنى هذا الكتاب كثيرا فى دراسة الاحوال الاقتصادية فى مملكة غرناطة . ولابن الخطيب ايضا كتاب «الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه من شعراء المائة الثامنة» نشره الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٦٤) وقد افادنى كثيرا فى دراسة الحياة الفكرية فى غرناطة .

وهناك ايضا «اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام» وهو تاريخ عام للاسلام ويتضمن ثلاثة اقسام: قسم خاص بتاريخ المشرق الاسلامى لا يزال مخطوطا، وقسم خاص بتاريخ اسبانيا الاسلامية والمسيحية نشره المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال، وقسم ثالث خاص بتاريخ المغرب نشره الاستاذان الدكتور احمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى. وقد افادنى هذا الكتاب وخاصة القسم الخاص بتاريخ اسبانيا. وهو عبارة عن تاريخ عام للاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى عصر المؤلف فى ق ٨ الهجرى كما أنه يحتوى على مختصر لتاريخ الممالك الاسبانية المسيحية المعاصرة مثل قشتالة واراجون والبرتغال .

ومن مؤلفات ابن الخطيب التى رجعت اليها ايضا كتاب «نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب» وهو يصور حياة ابن الخطيب فى فترة نفيه الى المغرب وقد ذكر فيه مشاهداته فى تلك البلاد ، واحداثها السياسية. وقد قام الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادى بنشره (القاهرة ١٩٦٧) حيث زوده بالكثير من الحواشى والتحقيقات

والدراسات القيمة التى أفدت منها كثيرا فى هذه الرسالة وخاصة فى دراسة العلاقات بين غرناطة وفاس .

وهناك أيضا كتاب «كناسة الدكان بعد انتقال السكان» ويشتمل على مجموعة من الرسائل السلطانية على لسان سلطان غرناطة موجهة الى سلطان فاس، من املاء لسان الدين بن الخطيب ، ومنها يستطيع المؤرخ ان يتتبع التغيرات الدبلوماسية للسياسة الغرناطية وتطور العلاقات بين غرناطة وفاس، وقد نشره الدكتور محمد كمال شبانة (القاهرة ١٩٦٦).

كذلك فقد اصدر الدكتور محمد الشريف قاهر ديوان ابن الخطيب المسمى «الصيب والجهام والماضى والكهام» وقد افدت منه كثيرا فى دراسة بعض جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبيه فى المملكة .

واخيرا نذكر لابن الخطيب الرجز المسمى «برقم الحلل فى نظم الدول» ويتناول تاريخ الدول الاسلامية ومن بينها مملكة غرناطة ، وهذا الكتاب طبع فى تونس، وكثير من المؤرخين يخلطون بينه وبين كتاب الحلل المرقومة فى اللمع المنظومة وهو كتاب اخر لابن الخطيب عبارة عن ارجوزة من الف بيت فى اصول الفقه [1].

ومن المصادر التى افادتنى فائدة كبرى فى هذه الرسالة الكتب التى وضعها عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ-١٣٣٢-١٤٠٦م) وان كان ابن خلدون قد ولد فى تونس فانه يعود الى اصل أندلسى ، وترجع اهمية كتاباته الى انه كان شاهد عيان لاحداث ذلك العصر فقد سافر الى الأندلس فى عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م فى مهمة رسمية تتعلق بالعلاقات بين المغرب وقشتالة حيث التقى بملكها بدرو القاسى فى اشبيلية مقر اجداده وعرض عليه الملك الأسبانى ان يبقى هناك وان يرد عليه كل

---

(١) راجع : د. احمد مختار العبادي : مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في المغرب في مجلة Hes-péris 3-4 Trimestres Anée 1959.

املاك اسرته، ولكنه اعتذر – ورحل الى غرناطة وبقى هناك فترة التقى خلالها بصديقه ابن الخطيب. ومن اهم الكتب التى صنفها ابن خلدون كتاب : «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر (طبع هذا الكتاب فى سبعة اجزاء بالقاهرة (عام ١٢٨٤هـ) وقد افدت كثيرا منه وخاصة فى الجزء الاول المعروف بالمقدمة ، (قام بنشرها الاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى فى أربعة اجزاء)، واستفدت كثيرا من هذه المقدمة فى دراسة خطط غرناطة من وزارة وقضاء وشرطة وحسبة ... الخ. اما الجزءان الرابع والسابع فقد خصص فيهما ابن خلدون اجزاء طويلة للحديث عن تاريخ اسرة بنى نصر وعلاقتها بدول المغرب.

هذا وقد ترجم المستشرف الفرنسى Guadefroy - Demombynes الجزء الخاص ببنى الاحمر الى الفرنسية واسماه «تاريخ بنى الاحمر ملوك غرناطة (١) ولابن خلدون كذلك كتاب بعنوان «التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا» يتضمن اخباره ورحلاته الى المشرق والمغرب. نشره الاستاذ محمد بن تاويت الطنجى (القاهرة ١٩٥١) وقد افادنى فائدة كبيرة فى ربط الاحداث التاريخية فى العالم الاسلامى شرقا وغربا فضلا عن معلوماته المفيدة عن المدن الغرناطية وتحديد مواقعها .

كذلك نشير الى اخيه يحيى بن خلدون الذى عاش فى كنف بنى عبد الواد بتلمسان والف فى تاريخهم كتاباً بعنوان «بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد» نشره الفريد بل. وقد افادنى هذا الكتاب فى دراسة العلاقات السياسية والادبية بين غرناطة وتلمسان فى عهد بنى عبد الواد .

كما افدت كثيرا من مؤلفات الامير النصرى اسماعيل بن الاحمر

---

(١) M. Gaudefroy - demonbynes : Histoire des Benou L'Ahmar, rois de Grenade, (Journal Asiatique, 9e serie, t. XII Paris 1898).

(ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) نذكر منها «نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان» الذى ضمنه اشعارا لبعض سلاطين بنى الاحمر ووزرائهم فى جزء منه. وقد نشره د. محمد رضوان الداية (بيروت ١٩٦٧). وكتاب «مستودع العلامة» الذى رجعت اليه فى الفصل الخاص بنظم الحكم.

ثم هناك كتاب «نزهة البصائر والابصار» (١) للقاضى ابى الحسن النباهى يتناول فيه تاريخ اسرة بنى نصر، وقد نشره المستشرق الالمانى جوزيف موللر فى كتابه المعروف باسم «نخب من تاريخ المغرب»(٢) . وله ايضا «كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» المعروف بتاريخ قضاة الاندلس، نشره المستشرق الفرنسى بروفنسال (القاهرة ١٩٤٨) وقد أفادنى كثيرا وخاصة فى الفصول الخاصة بالقضاء والحسبة والحياة الاجتماعية والاقتصادية .

كما رجعت الى كتاب الحلة السيراء لابن الابار (ت٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) والحلة السيراء تعنى الثوب المخطط كناية عما به من ادب وشعر وتاريخ. وقد تناول فيه اخبار المغرب والاندلس منذ عهد الفتح الاسلامى الى منتصف القرن السابع الهجرى. وقد رجعت الى الطبعة التى حققها الدكتور حسين مؤنس فى جزأين (القاهرة ١٩٦٣) وهى مزودة بكثير من الدراسات والتحقيقات التى أفدت منها فى الاحداث التى سبقت قيام مملكة غرناطة.

كذلك كان من الكتب التى استخدمت مادتها فى هذه الرسالة كتاب «الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» المنسوب الى ابى العباس احمد بن ابى زرع (ت فى النصف الاول من ق ٨هـ/١٤م) والكتاب

---

(١) مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٥٣ .

(٢) انظر: Beitrage Zur geschichte Der Westlichen Araber (Munchen 1866).

يتناول تاريخ المغرب الاقصى من سنة ١٤٥هـ الى سنة ٧٢٦هـ اى أنه يشتمل على تاريخ الأدارسة ودولة زناتة ثم دولتى المرابطين والموحدين ، واخيرا دولة بنى مرين ، وقد رجعت الى طبعة فاس سنة ١٣٠٥هـ واستفدت من الكتاب فى دراسة العلاقات بين مملكتى ، غرناطة وفاس وتطورها .

ومن المصادر المهمة التى رجعت اليها ايضا كتاب «البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب» لأبى العباس احمد بن عذارى المراكشى (كان حيا سنة ٧١٢هـ) وهو تاريخ عام للمغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى بداية عصر بنى مرين ويقع فى عدة اجزاء رجعت الى الجزء الثالث منها الذى نشره امبروسى اويشى ميراندا ومحمد بن تاويت الطنجى ومحمد ابراهيم الكتانى (تطوان ١٩٦٠) ويتحدث عن تاريخ الموحدين وقد اسهب المؤلف فى ذكر دولة الموحدين والدويلات التى قامت على انقاضها بعد هزيمة العقاب ومنها دولة بنى الاحمر فى غرناطة.

ثم هناك كتاب «المغرب فى حلى المغرب» لابن سعيد المغربى (ت٦٨٥هـ/١٢٧٤م) وهو كتاب تضافرت على كتابته اسرة غرناطية من المؤرخين هى اسرة بنى سعيد فى مدة استغرقت مايزيد عن مائة عام وكان ابو الحسن على هذا هو اخر افراد هذه الاسرة الذى اكمل هذا الكتاب واخرجه فى صورته النهائية وقد نشر الدكتور شوقى ضيف بعض اجزاء من المغرب فى حلى المغرب بنفس العنوان فى مجموعة «ذخائر العرب»، وترجع اهمية كتب ابن سعيد الى انه كان معاصراً للاحداث، وقد استفدت منه كثيرا فى وصف مدن مملكة غرناطة وفى تراجم رجالها من سياسيين وادباء وغيرهم.

ولابن سعيد كذلك كتاب يسمى اختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى».

اختصره ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل وقام الاستاذ ابراهيم الابيارى بتحقيقه (القاهرة ١٩٥٩) وقد افادنى هذا الكتاب فى الجانب السياسى.

(٤) الموسوعات :

ومن الموسوعات المهمة التى امدتنى بالكثير من المعلومات كتاب «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» لاحمد المقرى (ت١٠٤١هـ ١٦٣١م) وعلى الرغم من ان الكتاب غير منظم فى سرد المعلومات الا أنه يعتبر من أهم المصادر فى تاريخ المغرب والاندلس اذ احتفظ لنا بالكثير من النصوص التى فقدت اصولها. وقد رجعت الى طبعة الشيخ محى الدين عبد الحميد فى عشرة اجزاء وقد افادنى كثيرا فى كل فصول الرسالة.

ومن الكتب التى وضعها المقرى ايضا وافدت منها كثيرا كتاب «ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض» وقد توفى القاضى عياض موضوع هذا الكتاب (عام ٥٤٤هـ) وكان قاضيا لمدينة سبتة على عهد المرابطين . غير ان المقرى لم يقصر الكتاب على اخبار القاضى عياض فقط بل تناول احداثا مهمة فى الاندلس لم ترد فى كتابه الآخر نفح الطيب.

ومن الموسوعات العامة التى رجعت اليها كذلك كتاب «صبح الاعشى فى صناعة الانشا» لابى العباس احمد القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، والكتاب كما هو واضح من عنوانه يتحدث عن صناعة الانشا والمراسلات السلطانية ، وقد تضمن اخبارا مهمة عن غرناطة نقل معظمها عن العمرى كما وصف لنا الطريقة التى كانت تتبع فى ديوان الانشاء فى غرناطة، والكتاب يقع فى اربعة عشر جزءا (مجموعة تراثنا بالقاهرة).

٥- الكتب الجغرافية :

من الكتب الجغرافية التى افادتنى كثيرا فى هذه الرسالة كتاب «المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس» عن «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» للشريف الادريسى (ت٥٤٨هـ/١١٥٤م) وعلى الرغم من ان هذا الكتاب يرجع الى فترة

متقدمة عن موضوع دراستى الا انه قد احتفظ لنا بالكثير من المادة الجغرافية الخاصة بغرناطة وقد نشره دوزى ودى خوية (ليدن ١٨٦٦). وكتاب «معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر فى كل مكان» لياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) وهو مرتب على حروف المعجم ويقع فى ثمانية اجزاء فى اربعة مجلدات (القاهرة ١٩٠٦) و «مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع» للبغدادى (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) القاهرة ١٩٥٤، وكتاب مسالك الأبصار فى ممالك الامصار» لابن فضل الله العمرى «ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م» وقد احتفظ لنا بالكثير من اخبار الزراعة والصناعة والمعلومات الجغرافية عن مملكة غرناطة. وقد نشر الجزء الخاص بافريقية والمغرب والاندلس الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب بتونس[1]. وكذلك كتاب «الروض المعطار فى خبر الاقطار» للحميرى (ت فى اواخر القرن التاسع الهجرى» وقد امدنا بالكثير من المعلومات عن غرناطة العاصمة ومدن المملكة وقراها. (نشر المستشرق ليفى بروفنسال - القاهرة ١٩٣٧).

٦- المراجع العربية الحديثة :

اما المراجع العربية الحديثة فهى كثيرة ومتنوعة ويأتى فى مقدمتها بلا شك الكتب والبحوث القيمة التى وضعها اساتذتى الذين تخصصوا فى هذا الميدان امثال: الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادى والاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد والاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم وغيرهم، وقد اوردت ثبتا باسمائها فى اخر الرسالة .

---

(١) ترجم الكتاب الي الفرنسية المستشرق الفرنسي
Gaudefroy - Demombynes : Masalik al Absar Fi Mamalik Al Amsar (Paris 1927).

٧- المصادر والمراجع الاسبانية والاجنبية:

اما بخصوص المراجع الاسبانية والاجنبية، فقد رجعت الى الكثير منها ، نذكر من اهمها المدونات التاريخية لملوك اسبانيا مثل المدونه العامة الأولى لتاريخ إسبانيا [١] الذى كتب فى عهد الملك الفونسو العاشر (العالم El Sabio) وتحت اشرافه. وكذلك مجموعة المدونات المعاصرة لملوك قشتالة التى ارخت لعهودهم على طريقة السنوات حتى عهد الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيلا [٢] ، ومجموعة المدونات الاسبانية التى نشرها J. de Mata Carriazo فى ثمانية اجزاء،[٣] وحوليات مملكة أراجون للمؤرخ المعاصر ثوريتا[٤] واستطعت عن طريق الدراسة المقارنة بينها وبين المصادر الاندلسية المعاصرة ان اخرج بحقائق تاريخية ثابتة.

اما المراجع الاسبانية الحديثة فهى ايضا كثيرة واثبتها فى قائمة المراجع وحسبى ان اشير هنا الى كتاب استاذى الدكتور احمد مختار العبادى : مملكة غرناطة فى عصر محمد الخامس [٥] ومختصر تاريخ اسبانيا لاجوادوبيليه [٦] وتلك الابحاث والدراسات القيمة التى قام بها لويس سيكو دى لوثينا وليوبولدو توريس بالباس

---

(١) Primera Cronica General, Publicada por Ramon Menendez Pidal (Madrid 1906).

(٢) Cronica de los Reyes de Castilla desde don Al Fonso El Sabio hasta los Reyes Catolicos don Fernando y Dona Isabel. (Biblioteca de Autores espanoles, edicion Don Cayetano Rosell. (Madrid 1955).

(٣) Coleccion de Cronicas espanolas ed J. de Mata Carriazo, 8 Vol 1940-1946.

(٤) Zurita "Jeronimo": Los Anales de la Corona de Aragon (Zaragoza 1688).

(٥) Dr. Ahmad Mujtar El Abbadi: El Reino de Granada en la época de Muhammad V (Madrid 1973).

(٦) Aguado Bleye: Manual de historia de Espana (Ladrid 1947).

وجومث مورينو وماريا خيسوس روبييرا وغيرهم والى، نشرت فى المجلات العلمية المتخصصة مثل الاندلس Al Andalus وأرابيكا Arabica وهيسبريس Hesperis وغيرها والتى أدرجتها فى ثبت المصادر والمراجع .

ومن الكتب الفرنسية نذكر «كتاب اسبانيا الاسلامية على عهد النصريين» لراشيل اريبه وقد قسمته الى جزء سياسى وآخر حضارى والتى أفدت منه فائدة عظيمة [1] الى جانب أبحاثها المختلفه عن غرناطة فى عصر بنى نصر.

---

(١) Rachel Arée : L'Espagne Musulmane Au Temps des Nasrides (Paris 1973)

مملكة بني نصر في غرناطة
٦٢٩-٨٩٧ هـ / ١٢٣٢ - ١٤٩٢ م

مقدمة سياسية

قيام الدولة وتوطيد اركانها :

اهتز عرش الموحدين بعنف من تحت سادته من بني عبد المؤمن على عهد الخليفة الناصر بعد الهزيمة التي منوا بها في العقاب [1] Las Navas de tolosa أمام الجيوش الاسبانية والاوربية المتحالفة في (١٥ صفر ٦٠٩هـ/١٦ يوليو ١٢١٢م) "فضعفوا واختلفوا، فثارت الثوار وكثرت الغوار ، واشتعلت للفتن النار ، وطوت البلاد طيّ برود الكفار" [2] . وبدأ نجمهم في الافول ، وضعفت سيطرتهم على ممتلكاتهم الواسعة ، فلم يكن عجيبا ازاء كل هذا أن ينفرط عقد الاندلس ، وان ينتهز بعض أصحاب المطامع هناك هذه الفرصة ، ويعلنوا استقلالهم عن السلطة الموحدية في مراكش . وسارت الامور في الاندلس من سيء الى اسوأ، وأخذت قواعده تخرج من قبضة الموحدين واحدة بعد الأخرى ، ينتزع بعضها ابن هود [3]، وينتزع النصارى البعض الآخر.

---

(١) عن تلك الموقعة انظر على سبيل المثال :

ابن عذاري: البيان المغرب ، نشر امبروسي ويثى ميرانده الرباط ١٩٦٢ جـ٣ ص ٢٤٠-٢٤٣ ، كذلك الحميري: صفة جزيرة الاندلس نشر ليفي بروفنسال (القاهرة ١٩٣٧) ص ١٣٧-١٣٨ ، ابن ابي زرع : روض القرطاس (فاس ١٣٠٥) هـ ص ١٧٢ ؛

A. Huici Miranda : De Alarcos a las Navas de Tolosa, en las grandas batallas de la Reconquista pp 217-327, Aguado Bleye: Manual de Historia de Espana, tomo 1, p 645, The Encyclopaedia of Islam. Art: Navas de Tolosa by : Lévi Provencal.

(٢) ابن الخطيب: اعمال الاعلام (القسم الثاني) بيروت ١٩٥٦ ص ٢٧٠ نشر ليفي بروفنسال .

(٣) عن ابن هود وثورته انظر ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب (نشر شوقي ضيف (القاهرة ١٩٦٤) جـ٢ ص ٢٥١-٢٥٢؛ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص ٢٥٥ وما بعدها ، ابن خلدون العبر جـ٤ ص ١٦٨ ، ابن الخطيب: الاحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) جـ٢ ص ٩٠ ، اعمال الاعلام ص ٢٧٨ .

وأخذت حوادث الاندلس آنذاك تقدم لذوى الطموح من القادة والزعماء كثيرا من فص الظهور والمغامرة .

فى تلك الاثناء ظهرمحمد بن يوسف بن نصر وكان من أولئك القادة الشجعان ، أشاد المؤرخون بشجاعته وجهاده فى مغاورة [1] العدو، وقالوا بان هذه الصفات عند الاندلسيين كانت هى الاساس عند اختيار حكامهم وملوكهم فى هذه الفترة العصيبة[2].

نشأ محمد بن يوسف هذا فى وقت تفاقمت فيه الاحوال فى الاندلس ، واشتدت الفتن ، فتزعم الأمر ، وانعقدت عليه الآمال فى جمع الشمل ورأب الصدع، والتف حوله الاصحاب والانصار، أولا فى أرجونة موطن أسرته ، حيث بويع له بعد صلاة الجمعة يوم ٢٦ رمضان عام ٦٢٩هـ / ١٢٣١ م ثم مالبثت دعوته ، أن سرت فى الجهات المجاورة لأرجونة [3] .

وفى اول رمضان ٦٣٤هـ /٢٩ ابريل ١٢٣٧ م هاجم اهل غرناطة - بقيادة ابن خالد - عتبة بن يحيى المغيلى والى ابن هود على المدينة ، واقتحموا عليه القصبة والقصر وقتلوه [4] . ثم دخلوا فى طاعة ابن الاحمر وبعثوا اليه ببيعتهم [5] . ولبى ابن الاحمر دعوتهم وتوجه الى المدينة فدخلها عند مغيب شمس يوم من أيام شهر رمضان عام ٦٣٥ هـ / ابريل ١٢٣٨ م ، والمؤذن يؤذن لصلاة المغرب . ونزل بجامع القصبة ثم أمّ الناس لصلاة المغرب ، وبعد الصلاة توجه الى قصر باديس والشموع

---

(١) انتقلت كلمة مغاور بمعناها ولفظها الى اللغة الاسبانية باسم: Almogavar وتعنى المحارب الذى يغير على الحدود أو قرصان البحر انظر : د. احمد مختار العبادى " دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس (الاسكندرية ١٩٦٨) ص ٢٧١ ح١ وكذلك :

Corminas: Diccionario Critico etimologico de la lengua Castillana, Vol. 1, Berne 1954, Leopoldo de Eguilaz: Glosario etimologico de las palabras espanolas p 233.

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ٢٠١ .

(٣) ابن خلدون : العبرجـ٤ ص ١٦٩-١٧٠ .

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ٣ ص ٣٣٦ ، مؤلف مجهول : الذخيرة السنية ص ٦٠ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٦٥ اللمحة البدرية ص ٣٥ .

بين يديه ونزل به ، ومنذ تلك اللحظة أصبحت غرناطة ، عاصمة دولته ، ومقر حكومته [١]. وأختار لمقره برجازيريا قائما على ضفة نهر حدره Darro اليسرى فوق تل تربته حمراء شديدة الشبه بتربة رباط شالة [٢]، أو مدينة مراكش، التى لها لون صدأ الحديد الأحمر . ولهذا كان هذا الحصن يعرف من قديم بالقلعة الحمراء أو بالحمراء دون تحديد .... وليس ثمة علاقة بين اسمى ابن الأحمر والحمراء ، والامر لايعدو أن يكون مجرد مصادفة وتشابه اسماء .... فالأول يرجع الى لون شعر جده ، والثانى الى لون تربة أرضه ، ولكن لم يلبث الاسمان ان ارتبط كلاهما بالآخر بعد ذلك حتى صار بنو الأحمر والحمراء قلبا وقالبا فاتخذوا من اللون الأحمر شعارا لهم فى كل حياتهم [٣].

لم يكد ابن الاحمر يستقر فى عاصمته الجديدة ، حتى توجه الى المرية ليفتتحها من يد حاكمها ابى عبد الله محمد بن الرميمى [٤] . وقام بحصار المدينة فلما طال أمده ، اتفق الطرفان على عقد الصلح بينهما على ان يسلم ابن الرميمى المدينة لابن الاحمر ويسمح له بركوب البحر بأمواله وأهله وولده وقد تولى عقد هذا الصلح محمد بن مفضل بن مهيب اللخمى ، الذى منحه الغالب بالله امتيازا باعفائه من دفع الضرائب على ممتلكاته فى ١٠ شوال عام ٦٣٥هـ/٢٥ مايو ١٢٣٨جزاءً له على دوره الايجابى فى حل هذه المشكلة [٥] .

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٦٥ ، اللمحة البدرية ص ٣٥ .

(٢) شالة: هى الجبانة الملكية لبنى مرين وتقع بجوار مدينة سلا على وادى ابى الرقراق خارج مدينة الرباط عاصمة المغرب حاليا .

(٣) انظر الفصل الخاص بالسلطان .

(٤) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى الرميمى ، وأصل بنى الرميمى من بنى أمية أمراء الاندلس وخلفائه ، وينتسبون الى رميمة من أعمال قرطبة ، وكان ابن الرميمى قد وفد على ابن هود بمرسيه - أحد ثوار الاندلس بعد هزيمة العقاب - فاستوزره ولقبه بذى الوزارتين وصرف اليه سياسته ، وآل أمره معه الى ان اغراه ، بأن يحصن قلعة المرية ويجعلها له عدة ، وهو يبغى ذلك لنفسه " ، وانتهى الامر بينهما الى قيامه بقتل سيده بسبب النزاع على جارية رومية فى ٢٤-جمادى الأولى عام ٦٣٥/٢١ يناير ١٢٣٧ انظر :ابن سعيد : المغرب جـ٢ ص ١٩٨ -١٩٩ ترجمة رقم ٤٨٣ ، ابن عذرى : البيان المغرب جـ٣ ص ٣٣٥ و ٣٣٧ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦٩ ، مؤلف مجهول : الذخيرة السنية ص ٦٠ ، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ٤٢٢ ، جـ٥ ص ٧٧ ، جـ٦ ص ٢٠٨ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة رقم ٤٠-٤١ .

وفى مالقة حاول عبد الله بن ذنون الاستقلال بالمدينة بعد موت ابن هود. ولكن الاهالى بحكم جوارهم لابن الاحمر ثاروا ضده ، ومنعوه من القيام بهذا الأمر ، وبعثوا بسفارة الى ابن الاحمر فى عام ١٢٣٩/٦٣٦ المبايعته ، أما ابن ذنون فانه بعد ان قبض عليه وسجن وصودرت أمواله وعذب ، انتحر فى السجن [١] .

وكان استيلاء محمد بن الاحمر على هذين الميناءين الهامين : المرية ومالقة من اكبر العوامل التى ساعدت على تدعيم قيام هذه الدولة الناشئة لما لهما من أهمية عظمى فى المجالين التجاري والبحري .

ولقد واجهت ابن الاحمر الذى لقب بالشيخ العديد من العقبات الداخلية - والخارجية التى هددت دولته وهى ما تزال فى دور التكوين . ففى الداخل كانت هناك مشكلة اصهاره من بنى اشقيلولة [٢] ، الذين عاونوه فى ارساء دعائم دولته ثم مالبثوا ان انقلبوا عليه وثاروا ضده . وكذلك مشكلة نقص المال الذى كان فى حاجة ماسة اليه لتوطيد اركان دولته وتقوية دعائمها . فقد كان هناك سيل عارم من المهاجرين الى مملكة غرناطة من القواعد والمدن الاندلسية التى كانت تسقط فى يد الاسبان ، وكان لابد له ان يقوم بالكثير من المشروعات الاقتصادية التى تفى بحاجة السكان الذين اصبحت غرناطة تكتظ بهم ، كما انه كان بحاجة الى المال ليتمكن من دفع رواتب الموظفين فى الجهاز الاداري الذى كان ضروريا لتنسيق الاحوال فى مملكته الناشئة . كذلك كان لابد لتلك المملكة من جيش قوى يحمى حدودها من هجمات الاعداء ، وما كان يستتبع ذلك من اقامة القلاع والحصون والأسوار .

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ج٣ ص ٣٤٥ ، النباهى : المرقبة العليا: ص ١١٣-١١٤.

(٢) اختلف المؤرخون فى أصل بنى اشقيلولة، فبينما تشير بعض المصادر إلى انهم اسرة من اصل عربى تنتسب الى قبيلة تجيب (الاحاطة(مخطوط الاسكوريال) لوحة ٢١٤) احدى بطون القبيلة العربية كندة، نجد ان بعض المصادر الاخرى تشير الى ان بنى اشقيلولة اسرة من المولدين من أهل أرجونة ويذكرون أن اشقيلولة Ashkilula ليس اسما عربيا ، وانما من أصل اسبانى . كذلك اختلفت المصادر فى كتابة اسم اشقيلولة فالبعض يكتبها بكسر الالف والبعض يفتحها ، وهناك من يكتبها بدون الف ، أنظر :
ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، نشر د. احمد مختار العبادى ص ٣٣١ ج٧ ، اعمال الاعلام، ص ٢٨٧-٢٩١ .

ولكي يحصل ابن الأحمر على الاموال اللازمة لكل هذا ، لجأ الى عدة وسائل منها مصادرة اموال المشرفين وممتلكاتهم مبتدئا بمحمد بن عروس المشرف على المرية[1]. كذلك لجأ الى ملوك المسلمين فى الدول المجاورة مثل ملوك الدولة الحفصية فى ترنس يبايعهم فى مقابل الحصول على مساعداتهم المالية [2]. وربما كانت حاجته الى المال هى التى دفعته الى محاولته الفاشلة لاحتلال مدينة سبتة سنة ٦٥٩/ ١٢٦٠ التى كانت تشتهر بغناها نظرا لكونها ميناء الحرير والكتان ومقصد السفن والتجار من جميع انحاء العالم [3] .

وفى الميدان الخارجي كانت هناك مشكلة الاسبان الذين وجدوا فى محمد بن الاحمر قوة لها خطرها ومن ثم قرروا القضاء على حركته ، ولجأ هو امام هذا الخطر الداهم الى الاستعانة ببنى مرين فى المغرب ، ليعضدوه فى صراعه مع مملكة قشتالة. ولما تبين له أنه لن يستطيع أن يصمد امام عداء هذه المملكة آثر مهادنتها وعقد السلم معها فى عام ٦٤٣/ ١٢٤٥ لمدة عشرين عاما، على أن يحكم ابن الاحمر مملكته وأراضيه باسم ملك قشتالة فرناندو الثالث ، وأن يؤدى له جزية سنوية مرتفعة، وأن يعاونه فى حروبه ضد اعدائه من المسلمين والمسيحيين ، فيقدم له عدداً من الجنود كلما طلب منه ذلك ، وان يشهد اجتماع مجلس البلاط القشتالى بوصفه: اميرا تابعا للعرش القشتالى [4] . ووضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ حينما شارك ابن الاحمر ملك قشتالة فى حصاره لا شبيلية حتى سقطت فى ٣ شعبان ٦٤٦/نوفمبر ١٢٤٨ [5] .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص ٣٤٥ وحول المشرف انظر الفصل الخاص بالحكم المحلى فى الاقاليم .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطه (القاهرة) جـ٢ ص ٦٢ ، اللمحة ص ٣١ .

(٣) انظر Antonio Ballesteros: Sevilla en le siglo XIII PP 105-106.

(٤) انظر Prieto y Vives: De Como debio nacir el rieno d Granada p 14. La formacion del rieno de Granada p 13., Aguado Bleye: Manual de Historia de Espana t. 1, p 592.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب جـ٣ ص ٣٨٥ .

وفى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٧٢/٦٧١ توفى محمد الاول بن الاحمر على أثر سقطة من جواده، وكان قد عاد من فوره بعد موقعة استطاع فيها ان يرد جمعا من الخوارج الذين حاولوا القيام ضده [١] .

وكان محمد بن الاحمر (الشيخ) قد أخذ البيعة لولده محمدا قبل وفاته فأضفى بذلك على اسرته مبدأ الملكية الوراثية [٢] .

اعتلى محمد الثانى العرش (جمادى الثانية ٦٧١/ديسمبر ١٢٧٢ - شعبان ٧٠١/مايو ١٣٠٢) وعرف باسم الفقيه لانتحاله طلب العلم أيام أبيه [٣]، ولاشتغاله بالفقه زمنا فى صباه [٤] . ولانه كان يقرأ الكتاب بين أهل بيته ويطالع كتب العلم [٥] . وهو الذى رتب رسوم الملك للدولة ووضع ألقاب خدمتها، ونظم دواوينها وجبايتها ، هذا الى جانب اعتنائه بالجيش وخاصة فرق الفرسان [٦] . - وكان قوى العزم واسع الافق بعيد الهمة ، سياسيا بارزا ، موفور الدهاء طويل الحنكة . أديبا عالما ، يقرض الشعور ويجالس العلماء والادباء والأطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء (٧) .

وواجهت الفقيه ثلاث مشكلات معضلات: الخطر الاسبانى الذى فغرفاه لالتهام مابقى من بلاد الاندلس . ولكنه تمكن من الانتصار عليهم فى عدد من المواقع، وأنتهز فرصة وفاة ملكهم سانشو الرابع (١٢٩٥-١٣١٢م) وتوليـة ابنه فرنانـدو الرابع الذى تصفه المصادر بعدم الجدارة لصغر سنه ، ونازل مدينة قيجاطة Quesada

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطه (القاهرة(جـ٢ ص ٦٦ ، اللمحة ص ٣٦ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطه (القاهرة) جـ٢ ص ٦٥ ، اللمحة ص ٣٦ .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ١٩١ .

(٤) الزركلى : الاعلام جـ٣ ص ٩٧٤ .

(٥) ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٧٢ .

(٦) النباهى : نزهة البصائر والابصار فى:

Muller: Beitrage zer Geschiche der Westlichen araber (Munchen 1866) p 117.

(٧) الصفدى: الوافى بالوفيات جـ١ ص ٢٠٦ ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٨ ، الاحاطة : عنان) جـ١ ص ٥٦٥ .

من أعمال جيان Jaen واستولى عليها عنوة مع كثير من الحصون ،واسكن بها جيشا من المسلمين [١] .

وفى عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩ م نازل مدينة القبداق Alcaudete من أعمال قرطبة وتمكن من افتتاحها بعد حصار وقتال شديدين ، وباشر العمل فى خندقها بيده فنزل الناس عن دوابهم وشاركوه العمل [٢] .

ثم كانت هناك مشكلة المرينيين الذين استعان بهم الفقيه تنفيذا لنصيحة والده ليشدوا من أزره فى جهاده ضد المسيحيين ، فاذا بهم يطمعون فى الأندلس بدورهم . ولكى يدفع هذا الخطر الداهم نجده يتحالف تارة مع اراجون او قشتالة ضد بنى مرين ثم لاتلبث أن تعود المياه الى مجاريها بين غرناطة وفاس . ولكن سرعان ما تعاود الفقيه الشكوك فيدير ظهره لبنى مرين ويتحالف مرة آخرى مع دول اسبانيا المسيحية وهكذا [٣] .

وأخيرا كانت هناك فتنة اقربائه من بنى اشقيلولة التى بدأت فى عهد أبيه واشتدت فى عصره ، وانتهى الأمر بهجرتهم فى عام ٦٨٧ هـ الى مدينة القصر الكبير فى شمال المغرب جنوب سبتة بأموالهم ورجالهم وأولادهم [٤] .

وتوفى محمد الفقيه فى شهر شعبان عام ٧٠١هـ / مايو ١٣٠٢ أثناء الصلاة بعد أن تمكن من تدعيم دولته داخليا وخارجيا [٥] . خلف الفقيه ولده أبو عبد الله محمد (شعبان ٧٠١/مايو ١٣٠٢ - شوال ٧٠٨ - اوائل ١٣٠٨) وقد تمرس على

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ٤٩-٥٦ وكذلك :
Melchor'Antuna: Conquista de Quesada y Alcaudete por Muhammad II de Granada, en Religion, Cultura 1932 XIX pp 338-351, XX, pp 61-70, 386-395., Aguado Bleye: Op. cit p 706, Dr. A.M. Al Abbady. El Reino de Granada en la epoca de Muhammad V, p 9.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطه (عنان) جـ١ ص ٥٧٠ ، اللمحة ص ٤١-٤٢ .

(٣) انظر التفصيلات فى: ابن خلدون : العبر جـ٤ص ١٧٢ ، جـ٧ص ٨٩ ، ١٩١ ، ٢١٦ ، ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٤ مؤلف مجهول : الذخيرة السنية ص ١٥٩-١٧٠ .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (القسم الثانى) ص ٢٩٠-٢٩١ ، ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٢١٦ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٥ .

شئون الحكم فى عهد ابيه ، وباشر الامور بين يديه ، وأصيب بالعمى نظرا «لمواصلة السهر ومباشرة انوار ضخام الشمع ، اذ كانت تتخذ له من جذوع الشجر فى اجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل ومضى الهزيع» [١] .

وفى عام ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥ م افتتح مدينة سبتة من يد اصحابها من بنى العزفى وبعث بهم الى غرناطة مما أدى الى تدهور العلاقات بين غرناطة وفاس [٢] ، وفى عهده تحالف كل من فرناند والرابع ملك قشتالة وخايمى الثانى ملك اراجون لغزو مملكة غرناطة فى وقت واحد ، على أن تقوم الجيوش القشتالية بمهاجمة مدينة الجزيرة الخضراء من الجنوب ، بينما تهاجم الاساطيل الاراجونية مدينة المرية من الشرق ثم يتقابل الجيشان فى غرناطة العاصمة [٣] .

وحينما علمت غرناطة بهذا العدوان المشترك على اراضيها ثارت ثائرة شعبها وسرعان ما اشتعلت نار الفتنة فى عيد الفطر عام ٧٠٨ هـ بقيادة ابى الجيوش نصر بن محمد الفقيه ، ووثبوا بالوزير ابن الحكيم الرندى فقتلوه ونهبوا داره ، واعتقلوا السلطان محمدا وأجبروه على التنازل عن العرش ثم قاموا بنفيه الى المنكب Almunecar ، وتربع ابو الجيوش نصر على عرض غرناطة، وفى المنكب اصيب السلطان المخلوع بالمرض فأعيد الى غرناطة حيث توفى عام ٧١٣هـ [٤] .

يصف لنا ابن الخطيب فترة حكم ابى الجيوش نصر فيقول " كانت ايامه كما شاء الله ايام نحس مستمر شملت المسلمين فيها الازمة» [٥] . اذ سرعان ما سخط عليه الشعب ، واضطربت الامور فى غرناطة ، فانتهز فرناندو الرابع ملك قشتالة هذه الفرصة وقام باحتلال الجزيرة الخضراء فى ٢١صفر ٧٠٩ هـ ثم حاصر جبل الفتح حتى ارغمه على التسليم فى اواخر عام ٧٠٩هـ / ١٣١٠ م ، وفى نفس الوقت الذى كان

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٧-٤٨ .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٣ ، ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٢٢٨-٢٢٩ ، النباهى: نزهة البصائر والابصار فى
Muller : op. cit., p 119-122.

(٣) د. احمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٠٨ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ص٥٥٢-٥٦٤، اللمحة ص ٥٤-٥٥.

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٧ .

يحاصر فيه ملك قشتالة جبل الفتح ، كان خايمى الثانى ملك أرجوان يحاصر ثغر المرية فى أول ربيع الأول من هذا العام ، باشارة من ملك قشتالة حتى يشغل القوات الغرناطية . وتمكنت المرية التي تعرضت لأقسى هجوم عرفته فى تاريخها ، من الصمود ومن هزيمة جيش أراجون بقيادة شيخ الغزاة عثمان بن ابى العلاء [1]. "وما كاد أهل الاندلس يتنشقون ريح العافية حتى نجم شهاب الفتنة ونشأت ريح الخلاف " حينما أعلن الرئيس ابو سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة الثورة والعصيان على السلطة المركزية ، عندما بلغه ان السلطان ابا الجيوش نصر قد عقد السلم مع ملك قشتالة ، والتزم له بدفع الجزية . وقدم ابو سعيد ولده ابا الوليد اسماعيل للملك. وبعد فترة وجيزة تمكن ابو سعيد من الاستيلاء على المرية وبلش وبعض القواعد الجنوبية . وبلغت هذه الانباء الى العاصمة وكان أهلها ساخطين على ابى الجيوش نصر ، فثاروا عليه فى ٢٥ رمضان ٧٠٩ هـ ولكن خانهم التدبير ، وبرز السلطان الى باب القلعة فلاذ الناس بديارهم وفر الداعون الى الثورة الى مالقة حيث حرضوا الرئيس ابا سعيد على السير الى العاصمة فأجابهم الى مطلبهم ، وفى الطريق اطاعته المدن والحصون التى مر بها ، والتقى مع ابى الجيوش نصر ، ودارت الدائرة على الأخير . فتوجه أبو الجيوش الى وادى آش مع أهله، وولده ، واستمر الحال بين حرب وهدنة الى ان توفى الاخير فى عام ٧٢٢هـ - وورى مقبرة السبيكة [1] .

---

(١)ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥٥٢-٥٦٤ ، اللمحة ص ٦٢ ، ابن القاضى : درة الحجال جـ١ ص ٧١ وما بعدها ، د . احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٠٩-٤١١ . ولمزيد من التفصيلات انظر:

Geronimo Zurita: Los anales de la Corona de Aragon I, p 435, Cronica de D. Fernando IV, Cap. XVII, Gimenez Soler: El Sitio de Almeria (1309) pp 386-392, Sanchez Albornez: La Espana Musulmana, II, p 386, Levi Provencal: Un Zagal hispanique sur l'expedition aragonaise de 1309 Contra Almeria, Al Andalus, Vol. VI, fasc 2, 1941.

حيث أورد بروفنسال زجلا شعبيا اندلسيا لشاعر يدعى القيسى، ورد فى مخطوط بعنوان "مفتاح الدين فى المجادله بين النصارى والمسلمين " وكذلك

I.S. Allouche: La relation du Siege d'Almeria en 709, dans Hesperis (1933) t. XVI, p 122-138.

ولي ابو الوليد اسماعيل بن فرج (٧١٣-٧٢٥هـ / ١٣١٤ - ١٣٢٥ م) مقاليد الأمور في غرناطة خلفا لابي الجيوش نصر ، وكان كما تصفه المصادر على سيرة حسنة اشتد في اقامة الحدود ، وإراقة المسكرات ، واعتنى بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحظر تجلي القينات للرجال في الولائم والاحتفالات وقصر طربهن على جنسهن ، وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم ليقضوا حقهم في المعاملة وهي شواشي صفر [٢] . وفي عهده قام القشتاليون بهجوم ضخم على غرناطة نفسها بجيش تحت قيادة دون بدرو Don Pedro ودون خوان Don Juan الوصيان على عرش الفونسو الحادي عشر ، ولكن هذا الهجوم انتهى بمقتل الاميرين القشتاليين في مروج غرناطة عام ٧١٩ هـ / ١٣١٩ م . وتذكر المصادر الاسبانية ان هذين الأميرين ماتا ميتة طبيعية في هذه المعركة ، حيث أن بدرو مات بالسكتة القلبية بينما توفي خوان متأثرا بالحر والعطش ، وهو ما يخالف الواقع [٣] . ويطلق على هذه المعركة اسم موقعة المرج [٤] .

ثم ماليثت ان توفيت الملكة ماريا دي مولينا Maria de Molina جدة الملك القاصر الفونسو الحادي عشر والوصية على العرش ، وأدى موتها الى قيام منازعات بين أمراء قشتالة مثل دون خوان مانويل Don Juan Manuel ودون فيليب [٥] . فانتهز ابو الوليد اسماعيل الفرصة وقام بالاستيلاء على بعض المدن القشتالية مثل بسطة Baza ، وأشكر Huescar حيث استخدم الغرناطيون المدفع لأول مرة عند منازلتهم لهذه المدينة الاخيرة [٦] .

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٧ - ٦٤ ، النباهي : نزهة البصائر في : Muller Op; Cit., p 123-125.
(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧١ ، النباهي : نزهة البصائر في Muller : Op. Cit. p 128
(٣) د. العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ٤١١-٤١٢ وكذلك: Gimenez Soler: La expedicion a Granada de los infantes, Don Juan y DOn Pedro en 1319, R.A.B.M., 1904, PP 24-36 & DR. A.M. Al Abbadi :Op. Cit. p12.
(٤) يقول ابن الخطيب :

لله يوم المرج لابعدت به ، أيدى الزمان وشفعته بثان

(ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٥٩١)
(٥) انظر Cronica de D. Alfonso XI Cap XXVII, XXIX ,
(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٧ ، ابن خلدون : العبر جـ٧ص ١٨٨ وكذلك
J. Zurita: Anales 11, P 31, 99.
وانظر كذلك التعليق القيم الذي كتبه استاذنا الدكتور احمد مختار العبادي عن الاسلحة النارية في:
Hesperis 1959, 3-4, trimestres p 264 .

وبعد عودة السلطان اسماعيل منتصرا فى تلك المعارك قتل بباب قصره عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م بيد ابن عمه محمد بن اسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة لنزاع بينهما(١) .

تربع على عرش غرناطة أبو عبد الله محمد الرابع بن اسماعيل (٧٢٥-٧٣٢ هـ /١٣٢٥ - ١٣٣٣ م) وتصفه المصادر بانه كان عذب الشمائل ، حلوا ، شجاعا ، فارسا ، مقداما ، مغرما بالصيد ، يحب الادب ،الشعر (٢) . وفى عهده قامت الفتنة بين وزيره محمد بن احمد بن المحروق ، وشيخ الغزاة أبى سعيد عثمان بن ابى العلاء مما دفع هذا الاخير الى أن يخرج غاضبا الى ساحل المرية ، وجمع حوله الانصار "فاعضل الداء وغامت سماء المحنة" واستدعى محمد بن فرج بن اسماعيل عم السلطان من تلمسان حيث كان لاجئا هناك ، وقام بدعوته فى صفر ٧٢٧ هـ (٣) وانتهز القشتاليون هذه الفرصة ونازلوا ثغر بيرة Vera على حدود غرناطة الشمالية الشرقية ، واستولوا على عدد من الحصون التى تجاوره. فقد تمكن الفونسو الحادى عشر ملك قشتالة فى حملته عام ١٣٢٧ م من الاستيلاء على Olvera , Ay-amonte, Alhaquin , Torre, Pruna(٤).

ومن ناحية البحر استطاع اسطول قشتالى يقوده الفونسو خوفريه Alfonso Jofre de Tenorio ان يحرز النصر على الاسطول الغرناطى فى مياه المرية ومالقة(٥) .

ورأى السلطان الغرناطى ان من الأفضل التفاهم مع الخارجين عليه ، وانتهى الأمر الى عقد هدنة مع شيخ الغزاة ابى سعيد الذى استقر بوادى آش باسم السلطان

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٤ ، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٣٩٥-٤٠١ .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٧، الاحاطة جـ١ص ٤٥٠ ، النباهى : نزهة البصائر فى. Muller: p 132

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٠، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥٤٣-٥٤٤ ، اعمال الاعلام ص ٢٩٦-٢٩٨ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٧٤حيث يذكر ان محمد بن فرج استدعى من شلوبانية وليس من تلمسان وقد أورد القلقشندى فى صبح الأعشى(جـ٥ ص ١٨) نقلا عن العمرى ان شلوبانية كانت "معدة لارسال من يغضب عليه السلطان من اقاربه" .

(٤) انظر Cronica de D. Alfonso XI, Cap LVII y LVIII, PP 207-208

(٥) انظر Cronica de D. Alfonso XI, Cap LIX, p 209

وتحت طاعته ، وعاد الامير محمد بن فرج الى العدرة . ثم عبر السلطان البحر بنفسه في ١٤ ذي الحجة ٧٣٢ هـ الى المغرب ليستصرخ بني مرين واجتمع مع سلطانهم في فاس حيث استقبله أحسن استقبال ، وأكرم وفادته ، وأجابه الى ماطلب، وأرسل ولداه الى الاندلس " وحباه بما لم يحب به ملك تقدمه من مقربات الخيل ، وخطير الذخيرة ، ومستجاد العدة " ونازل الجميع جبل الفتح بقيادة الامير المريني ابي مالك، ونجحوا في الاستيلاء عليه في ١٢ ذي الحجة عام ٧٣٣/١٣٣٣[1] وبعدها هذا الفتح العظيم اعتزم السلطان محمد الرابع العودة بجنده الى غرناطة ولكن سرعان ما اغتاله في الطريق جماعة من المتآمرين عليه، بتحريض بني العلاء ، الذين توجسوا منه خيفة ، فقرروا التخلص منه ، وخلفه على عرش غرناطة ابو الحجاج يوسف الاول[2] .

عصر القوة والازدهار :

بدأ بتولية ابي الحجاج يوسف الاول (٧٣٢-٧٥٥ هـ / ١٣٣٣ - ١٣٥٤م) عصرا ذهبيا في مملكة غرناطة ، فعلى عهده أسست المدرسة اليوسفية أو النصرية على يد حاجبه ابي النعيم رضوان عام ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م ، واهتم بانشاء المصانع[3] ، وتحصين البلاد فاقام الحصون نذكر منها على سبيل المثال حصن البيول Boul [4] ، وجدد حصن جبل فارة بمالقة [5]، وبأمر منه ادار ابو النعيم رضوان السور العظيم حول ربض البيازين[6]. كما اضاف كثيرا من التشييدات الى قصر

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٠-٨١، أعمال الاعلام من ٢٩٥-٣٠٤ ، رقم الحلل ص ١١٨، وابن بطوطة : الرحلة ، جـ٤ ، ص ٣٥٦ .

(٢) ابن الخطيب: اللمحة ص ٨٣ ، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥٤٨-٥٤٩ ، ابن خلدون : العبر-جـ٧ ص ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٧٢، النباهي : نزهة البصائر في Muller p 133

(٣) يقول ابن الخطيب في رثاء يوسف الاول:

تبكي عليك مصانع شيدتها ... بيض كما تبكي الهديل حمام

- ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) نسخة جايانجوس لوحات ٣٨٧-٣٨٩ .

(٤) ابن الخطيب : خطرة الطيف في : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والاندلس تحقيق د.مختار العبادي، الاسكندرية ١٩٥٨، ص٣١ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩٦ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥١٧ .

الحمراء نذكر منها باب الشريعة وبرج قمارش والحمامات السلطانية وقصر متشوكة وبرج الشريعة ومصلى البرطل [١] .

واهتم السلطان ابو الحجاج يوسف الاول بأحوال شعبه، فكان يقوم برحلات لتفقد احواله [٢] .

ومن الاحداث الجسام فى عهد هذا السلطان ذلك الخطب العظيم والنكبة الفادحة التى اجتاحت المشرق والمغرب على حد سواء، وهو الوباء العظيم أو الوباء الاسود الذى تفشى فى حوض البحر المتوسط عام ٧٤٩-٧٥٠/١٣٤٧-١٣٤٨ وراح ضحيته عدد عظيم من علماء الاندلس ورجال الدين والسياسة والأدب نذكر منهم الرئيس ابا الحسن بن الجياب استاذ ابن الخطيب. وقد اعطانا لسان الدين فى رسالة اسماها " مقنعة السائل عن المرض الهائل[٣] " وصفا لظهور هذا المرض وملابساته واعراضه، وانتشاره بصورة سريعة ، ثم تحدث عن كيفية علاجه والوقاية منه. كذلك تحدث شاعر المرية الكبير ابن خاتمة (٧٢٤-٧٧٠هـ) عن هذا المرض فى رسالة اسماها " تحصيل غرض القاصد، فى تفصيل المرض الوافد" [٤].

وقد تمكن ابو الحجاج يوسف من عقد اتفاق سلام مع قشتالة فى عام ١٣٣٤/٧٣٤[٥] لكن هذا الاتفاق سرعان ما تحطم وبدأ الصراع بين غرناطة ؛ والمغرب من ناحية ، وقشتالة تساندها اراجون والبرتغال من ناحية أخرى حول السيطرة على جبل طارق . وبدأت المعارك فى ربيع ٧٤٠ هـ/ ١٣٤٠ م وعلى الرغم من انتصار المسلمين فى بداية الأمر الا ان الموقف الجلى عن هزيمتهم فى ساحة طريف

---

(١) د. السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور بالاندلس ص ١١٠-١١١ .

(٢) انظر : ابن الخطيب : خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والاندلس ص ٢٥-٣٥ .

(٣) ترجمت هذه الرسالة الى الالمانية مع تحليل لنصوصها فى مجلة اكاديمية العلوم البافارية :
Bayeri sche Academie der Wessenschaft 1863 .

(٤) ابن خاتمة : مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥ (فهرس الغزيرى) .

(٥) انظر العشاسبيل فى : Gimenez Soler: La Corona de Aragon y Granada, (1907) p 200 .

فى ٧ جمادى الاولى عام ٧٤١/ اكتوبر ١٣٤٠، وتسمى هذه الموقعة فى المصادر العربية باسم موقعة طريف اما المصادر الاسبانية فتطلق عليها اسم موقعة نهر سلادو La batalla del rio salado نسبة الى نهر مجاور لمدينة طريف كما يطلق عليها ايضا اسم موقعة الملوك الأربعة La batalla de los Cuatro reyes[١] .

واتبع ملك قشتالة هذا النصر بالاستيلاء على قلعة يحصب وياغو كما حاصر الجزيرة الخضراء التى سقطت فى يده عام ٧٤٤هـ/١٣٤٤م . ثم عقدت معاهدة سلام بين قشتالة وغرناطة والمغرب مدتها عشر سنوات [٢] .

وتوفى يوسف الاول قتيلا بيد رجل ممرور فى أول شوال ٧٥٥/اكتوبر ١٣٥٤[٣] وخلف يوسف الاول ولده محـــمـــد الغنى بالله (٧٥٥-٧٦٠، ٧٦٣-٧٩٣ هـ/ ١٣٥٤-١٣٥٩، ١٣٦٢-١٣٩١م) وفى عهده توطدت العلاقة بين غرناطة وفاس: ولكن لم يلبث ان راودت أبا عنان فارس سلطان المغرب فكرة غزو الاندلس والسيطرة على مضيق جبل طارق ، فرأى ان يتحالف مع بدرو الرابع ملك أراجون لتنفيذ ذلك[٤] لكن وفاة السلطان ابى عنان الفجائية فى عام ٧٥٩ هـ/ديسمبر ١٣٥٨ [٥] اوقفت كل هذه المشاريع وقام سلطان المغرب الجديد ابو سالم بالتحالف مع قشتالة وغرناطة ، وكانت الحرب بين قشتالة وأراجوان فى تلك الفترة على اشدها. وقام

---

(١) انظر: د. احمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤١٨-٤١٩ وكذلك
Cronica de Alfonso onceno, ed. Rosell p 323 & Canellas: Aragon y la empresa del Estrecho. pp 28-32, Miguel Cuartero: El Salado, revista" Ejercito" num. 13, Febrero 1941, Creasy: Las batallas decisivas en la historia del mundo p 287.

(٢) انظر : A. Canellas: Op. cit., documento n. 17.

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩٧ .

(٤) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٣٠٤، د. احمد مختار العبادى : دراسات ف تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٢٤ وكذلك :
Capmany: Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principes de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el siglo XV p 18, Capmany: Memorias sobre la marina, Comercio y artes de Barcelona, tomo III, p 202, t. IV p 121.

(٥) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٢٩٩ .

محمد الخامس بمساعدة حليفه ملك قشتالة باسطول حربي عبارة عن عشر شواني بجميع بحارتها واسلحتها، وسمح له باستخدام القواعد البحرية الغرناطية [١]. وفي تلك الاثناء وقع انقلاب في مملكة غرناطة انتهى بخلع محمد الخامس وتولية اخيه ابي الوليد اسماعيل الثاني مكانه في رمضان ٧٦٠هـ/١٣٥٩م[٢]، واستطاع محمد الخامس ان يفر الى المغرب وأن يلجأ الى سلطانه أبي سالم المريني [٣] .

ولكن سرعان ما قام انقلاب آخر في غرناطة أودى بالسلطان ابي الوليد اسماعيل الثاني في شعبان ٧٦١هـ/يونيو ١٣٦٠ م وخلفه زوج أخته وابن عمه وقاتله ابو سعيد محمد البرميخو El Bermejo الذي تحالف مع ارجوان ضد قشتالة التي كانت تربطها علاقة طيبة مع محمد الخامس[٤] . فقام بدرو الاول ملك قشتالة بعقد الصلح مع اراجون ليتفرغ لقتال غرناطة [٥] . وارسل في طلب محمد الخامس ليساعده في استرداد عرشه، فعبر السلطان الغرناطي المخلوع الى رندة التابعة لبني مرين [٦] . وانتهى الامر باسترجاع محمد الخامس لمملكته بمساعدة حليفه بدرو القاسي بعد حروب ومعارك ايده فيها الملك القشتالي [٧] .

---

(١) انظر: Lopez de Ayala: Cronicas de los Reyes de Castilla I, p 286., Zurita: Los anales de la Corona de Aragon II, p 244 .

(٢) انظر التفصيلات في: د. احمد مختار العبادي: فترة مضطربة في تاريخ غرناطة . صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد المجلد السابع ١٩٥٩ .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٣٠٦، ٣٠٩ . المقري : نفح الطيب جـ٧ ص ٢٣-٢٥، ازهار الرياض جـ١ ص ٢٠٣-٢٠٧ .

(٤) انظر: Bleda: Cronica de los Moros de Espana, p 537, Ayala: Op. cit., I p 326 .

(٥) انظر : Ayala : Ibid., I p 326.

(٦) ابن الخطيب : نفاضة الجراب : ص ١٨٤ ، ٢٨٥ .

(٧) ابن الخطيب : اللمحة ص ١١٧ وكذلك Bleda: Op. cit., p 538, Ayala : Op. cit., I p. 340.

وانتهز محمد الخامس فرصة اشتعال الحرب الاهلية فى قشتالة وقام بعقد حلف مع ملك البرتغال فرناندو الاول ، وسلطان المغرب عبد العزيز بن ابى الحسن المرينى(٧٦٨-٧٤٤هـ / ١٣٦٦-١٣٧٢م) على ان يقوم ملك المغرب بالهجوم على قشتالة من جهة غاليسيا شمالا [١] . بينما يهاجم سلطان غرناطة مدينة الجزيرة الخضراء جنوبا بمعاونة اسطول المغرب [٢] ، ونجحت الخطة وسقطت الجزيرة الخضراء فى ايدى المسلمين عام ٧٧٠ هـ/١٣٦٩ ، وقام السلطان محمد الخامس بتدمير حصونها واسوارها خوفا من سقوطها فى يد العدو مرة أخرى [٣] .

وانتهت تلك الاحداث بعقد صلح دائم بين قشتالة وأرجوان وغرناطة والمغرب فى عام ٧٧١هـ/١٣٦٩-١٣٧٠ م حيث تبودلت السفارات الودية والهدايا بينهم [٤]

عصر الاضمحلال والسقوط:

بعد وفاة السلطان محمد الخامس فى عام ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م تعاقب على عرش غرناطة عدد من السلاطين الضعاف، وقاست المملكة الكثير من الدسائس والفتن والمؤامرات حول العرش . وفى عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م ثار الامير محمد التاسع بن نصر المعروف بالأيسر على سلطان غرناطة الشرعى محمد الثامن بن يوسف الثالث الملقب بالصغير واستطاع ان ينتزع العرش منه بمساعدة بنى السراج [٥] ، ولكن محمد الصغير خلعه واستعاد منه الملك عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م. ثم مالبث ان ثار الايسر مرة أخرى وتمكن من هزيمة الصغير واستعادة العرش منه عام ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م

---

(١) انـظـر : Ayala: Op. cit., 11 p 7-10

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٥٦-٥٨ .

(٣) ابن خلدون: العبر جـ٧ ص ٣٢٧-٣٢٨ .

(٤) د. احمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ٤٤٦-٤٤٧ .

(٥) بنو السراج ينسبون فى الاصل الى قبيلة قضاعة اليمنية . وقد عهد اليهم الامويون حراسة سواحل اقليم بجانة Pechina فى شرق الاندلس . وظهر اسم هذه الاسرة بوضوح حينما لعبت دورا بارزا فى السياسة الغرناطية فى القرن التاسع الهجرى (١٥ م) انظرا : الحميرى: الروض المعطار ص ٣٧، د. احمد مختار العبادى: فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٥٩ .

بمؤازرة ملك قشتالة خوان الثاني، وسلطان تونس ابى فارس الحفصي . وكان خوان الثاني منذ عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م - حين توجه اليه سفراء السلطانين المتنازعين : الأيسر والصغير لكسب تأييده - قد عزم على شن الحرب ضد غرناطة لانتزاعها نهائيا من ايدى المسلمين ، ولكن نزاعه مع أرجوان ونافارا اضطره الى ارجاء خطته[1] على انه انتهى اخيرا الى عقد الهدنة مع اراجون ونافارا وساءه، ان سلطان غرناطة محمد الأيسر لم يف بوعوده له من اعلان الخضوع لقشتالة بعد انتصاره على غريمه محمد الصغير ، وكان خوان الثاني قد بعث بسفيره-لوبى الفونسو Lope Al-fonso الى بلاط غرناطة كي يستحث سلطانها على اعلان تبعته لقشتالة ، وتسليم بعض الحصون والقلاع اليه [2] . ولما رفض الأيسر هذا الأمر وقعت بعض الحروب بين الجانبين. ولم تمض بضعة اعوام اخرى حتى دبرت مؤامرة جديدة انتهت بتولى امير يدعى أبا الحجاج يوسف بن المول العرش، وتسميه المصادر الاسبانية Abenalmao . وكان أميرا وافر الثراء، أرسل الى ملك قشتالة خوان الثاني يطلب مساعدته فى تولى العرش ، ويتعهد له بأن يحكم باسمه ، وتحت طاعته ، وان يحارب معه ضد اعدائه، وان يؤدى له جزية سنوية، وان يشهد اجتماعات مجلس البلاط القشتالي، فأجابه خوان الى دعوته وعقدت معاهدة بين الجانبين تحمل هذه الشروط [3] .

ولم يستمر يوسف فى الحكم طويلا اذ ان هذه التبعية الاقطاعية التى عقدها مع المسيحيين جعلته غير محبوب لدى أهل غرناطة ، فقاموا بالثورة ضده، ووضعوا محمد التاسع على العرش للمرة الثالثة . وقد طالت هذه الفترة من حكم محمد

---

(١) انظر: Luis Seco de Lucena: Las Campanas de Castilla Contra Granada: en el ano 1431 pp 79-120 .

صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الرابع - العددان ١-٢ ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

(٢) انظر : Ibid., Alvar-Garcia de Santamaria: Cronica de don Juan II de Castilla. Vol. C. pp 163-164 .

(٣) محمد عبد الله عنان: وثيقة اندلسية ؛ لقشتالية من القرن التاسع الهجرى . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد العددان ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ٣٨-٤٥ .

التاسع حتى الشهور الاولى من عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥، نعم الغرناطيون خلالها بنوع من السلام اكثر من عشر سنوات . ثم مالبث ان عزل محمد التاسع على يد محمد الأحنف . وفي بداية عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨ عاد محمد التاسع الى الحكم للمرة الرابعة ولقد بلغ من اضطراب الاوضاع الداخلية في مملكة غرناطة انه قد تعاقب على عرشها خلال القرن التاسع الهجري (١٥م) اثنا عشر سلطانا ، ونتيجة للثورات المتكررة والانقلابات السياسية شهدت غرناطة اعتلاء هؤلاء السلاطين عشرين مرة بسبب عودة بعضهم الى العرش اكثر من مرة [١].

وفي الوقت الذي كانت تحاك فيه تلك المؤمرات وهذه الدسائس ، وتذكي هذه الصراعات نار الحرب الاهلية بين أمراء غرناطة الذين كان يناصر كل فريق منهم مجموعة من مراكز القوى (ان جاز التعبير) من أمثال بني السراج الذين كانوا يؤيدون مغتصبي العرش وبنيغاش حماة السلطان الشرعي [٢] . في هذا الوقت عرفت اسبانيا المسيحية نهضة حربية وسياسية كبرى ، وتوجت تلك النهضة بزواج الملك فرناندوالثالث ملك ارجوان بايسابيل ملكة قشتالة عام ١٤٦٩ ، وبهذا اتحدت الدولتان بعد ان ظلتا في نزاع وحروب مستمرة . وكان هذا يعني بداية النهاية لمملكة غرناطة الاسلامية، فقد كان بقاء هذه المملكة في الواقع يعود إلي حد كبير إلي استغلالها لهذا النزاع بين المملكتين . وبدأ هذان الملكان يعملان على انهاء الوجود الاسلامي من شبه الجزيرة نهائيا ، ولما شعر سلطان غرناطة يومئذ ابو الحسن علي (٦٦٦هـ - ٩٨٠ / ١٤٦١-١٤٨٥ م) بهذا الأمر امتنع عن دفع الجزية لقشتالة [٣] .

وبدأت المناوشات بين الجانبين واستطاع القشتاليون الاستيلاء على الحمة Al-hama[٤] في فبراير عام ١٤٨٢ م . وزاد من سوء موقف غرناطة اشتعال الحرب

---

(١) انظر التفصيلات في:

L.S. de Lucena: Panorama Politico del Islam granadino durante el siglo XV (M.E.A.H.) vol IX, 1960, fasc 1, p 7-18.

(٢) انظر Luis Seco de Lucena : Ibid. p 6

(٣) د. احمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٦٢-٤٦٣ .

(٤) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٦ وما بعدها ، وانظر كذلك :

Perez de Hita: Guerras Civiles de Granada I, p 252 (Madrid 1913).

الاهلية بين ابنائها ،فقد كان للسلطان ابى الحسن ولدان من ابنة عمه وزرجته عائشة، هما ابو عبد الله محمد (Boabdil) ويوسف . ولكنه اتخذ رومية زوجة عليها كانت تدعى ايسابيل دى سوليس Isabel de Solis اعتنقت الاسلام واتخذت ثريا اسما لها . وملكت هذه الرومية على السلطان حياته فصار لايرى الا بعينها ولا يفكر الا برأيها . واغضب هذا الأمر زوجه وأم اولاده - عائشة ، فغادرت الحمراء الى ربض البيازين ، وأقامت هناك بصحبة ولديها ثم قام الاميران بعد ذلك بالفرار الى وادى آش وأعلنا الثورة ضد والدهما . وقامت بين الفريقين حروب وخطوب راح ضحيتها الامير يوسف . وما لبثت غرناطة العاصمة ان انضمت الى الأبن الآخرأبى عبد الله (Boabdil) وطردت ابا الحسن منها فلجأ الى مدينة بسطة (١) .

وفى عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م وقع السلطان ابو عبد الله محمد أسيرا فى يد الإسبان بعد هزيمته فى موقعة اللسانة Lucena ثم اطلقوا سراحه وعاد الى غرناطة بعد ان أملوا عليه كل شروطهم ، وهناك قام بمواصلة الحرب ضد والده ابى الحسن الذى سرعان ما توفى ، وخلفه اخوه أبو عبد الله محمد بن سعد الملقب بالزغل عام (٨٩٠ / ١٤٨٥) (٢)

وانتهز الاسبان فرصة هذه الفتن التى اشتغلت بين الزغل وابن اخيه وقاموا بالاستيلاء على بعض المدن مثل رندة ولوشة ومالقة . ووجد زعماء المسلمين انه درءا للاخطار المحدقة ببلادهم ، فانه من الافضل اقتسام مابقى من غرناطة بين العم وابن اخيه . وبعث الاسبان الى الزغل يعرضون عليه وعلى قادته مالاجما مقابل تسليم ما تحت يده من أراض، فضعفت نفسه ، ووافقهم على رأيهم ، ورحل الى فاس، وهناك قام سلطان المغرب محمد الشيخ بوضعه فى السجن ثم صادر امواله وسمل عينيه. وهكذا اصبح ابو عبد الله محمد وحيدا فى الميدان ، وبعث اليه فرناندو يطالبه بتسليم غرناطة ، ولكنه رفض وصمم على القتال (٣) .

---

(١) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ١٢ ، المقرى : نفح الطيب جـ٦ ص ٢٦٢ وكذلك
Luis del Marmol : Historia de la rebelion y Castigo de los Moriscos del reino de Granada 2c ed (Madrid 1798) Vol. 1, Cap XII.

(٢) مؤلف مجهول، نبذة العصر ص ١٠ وما بعدها ، عبد الحميد العبادى : المجمل فى تاريخ الاندلس ص ١٩٢ ، د. العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٦٥-٤٦٦ .

(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص٣٧ وما بعدها ، على مظهر : محاكم التفتيش ص ١٤-١٥ .

وفي عام ٧٩٦هـ/ ١٤٩١م قام فرناندو بحصار غرناطة وافساد زراعتها ، واقام امامها مدينة اسماها Santa Fé (شنتفي) وتعني الايمان المقدس ، ليتخذها قاعدة لعملياته العسكرية [١] .

ونلاحظ ان غرناطة في الفترة الاخيرة من وجودها قد لجأت الي طلب المساعدة من مصر ففي عام ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠ م بعث سلطان غرناطة محمد الايسر بسفارة الي سلطان مصر الظاهر جقمق. كذلك وصلت الي القاهرة سفارة غرناطية علي رأسها الفقيه الاندلسي ابو علي بن محمد بن الازرق ، الذي حاول ان يقنع الاشرف قايتباي (٧٣هـ/ ١٤٦٨م - ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م) بضرورة العمل علي نجدة الاندلس [٢].لكن مصر المملوكية لم يكن في مقدورها الاقدام علي مثل هذا العمل وذلك : لحيلولة البحر مع بعد المسافة، والاحتياج الي كثرة المراكب ، ولم يكن لملوك مصر عناية بأمور البحر لأنهم اصحاب خيل ، فقوتهم برية وليست بحرية [٣] .

ومع ذلك نلاحظ ان الاشرف قايتباي قد بعث بسفارة الي الملكين الكاثوليكيين في عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م يهددهما فيها باضطهاد مسيحي المشرق اذا لم يوقفا اعمالهما العدائية ضد غرناطة . ولكن هذه السفارة لم تؤت الثمار المرجوة منها ، وسقطت غرناطة في يد الملكين الكاثوليكيين في عام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢ م ، ونظرا لتوتر العلاقات الاسبانية المصرية في هذه الآونة حرص هذان الملكان علي ارسال سفارة الي مصر حيث قابلت السلطان قنصوة الغوري عام ٩٠٧هـ / ١٥٠١م ، وكان علي رأسها السفير Pedro Martir de Angleria الذي نجح في ازالة هذا التوتر السياسي [٤] .

---

(١) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٣٨ .

(٢) د. عبد العزيز الاهواني: سفارة سياسية من غرناطة الي القاهرة سنة ٨٤٤ هـ - مجلة كلية الاداب - جامعة القاهرة - المجلد السادس عشر مايو ١٩٥٤ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر: Dr. A.M. Al Abbady : Algunos aspectos de las relaciones historicas hispano - Egypcias, Boletin de la embajada de Egipto en

الباب الأول

غرناطة : أرضها وشعبها

الفصل الأول

وصف مملكة غرناطة

الوصف الجغرافى ، أنهار غرناطة ،الجبال فى مملكة غرناطة ، مناخ غرناطة ، غرناطة العاصمة ، أرباض غرناطة وأحياؤها ، العمارة الدينية فى غرناطة ، العمارة المدنية فى غرناطة ، مقابر غرناطة .

الباب الاول

أرضها وشعبها

الفصل الاول

وصف مملكة غرناطة

الوصف الجغرافي:

شهد حوالى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) مولددولة اسلامية صغيرة فتية فى جنوب الاندلس ، قدر لها ان تحمل راية الكفاح ضد اسبانيا المسيحية قرابة قرنين ونصف من الزمان ، هذه الدولة هى مملكة غرناطة .

وغرناطة أو اغرناطة (بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون وألف وطاء مهمله وهاء فى الاخر) [١]، اسم قديم يرجع الى ماقبل الفتح العربى وقد اختلف المؤرخون فى اصله ، فبينما ذهب فريق منهم الى انه مشتق من الكلمة الرومانية Granata أي الرمانة [٢] ، وانها سميت كذلك لكثرة حدائق الرمان بها [٣] . او انها انشئت على البقعة التى زرع فيها الرمان لأول مرة فى اسبانيا أو لان المدينة كانت تقع على تلين فتشبه بهذا الرمانة المشقوقة [٤] ، او ان البلد سمى

---

(١) البغدادى، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع جـ٢ ص ٩٩٠ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٣.

(٢) المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ١٤١

(٣) انظر : Encyclopaedia Britannica: Art Granada, By L.S.F.

(٤) انظر: Prescott: Ferdinand and Isabella, p 169, note.

هذا وهناك رواية مؤداها ان ابا الحسن على سلطان غرناطة (٨٦٦-٨٩٠هـ/١٤٦١-١٤٨٥م) عندما علم بتآمر القوى المسيحية الاسبانية ضد مملكته ، امتنع عن دفع الاتاوة التى كانت غرناطة تؤديها لملوك اسبانيا فى كل عام وقال لرسول الملك فرناندو" قل لمولاك ان سلاطين غرناطة الذين اعتادوا اداء الاتاوات قد ماتوا ، وان دار الضرب بغرناطة لاتطبع الان ذهبا أوفضة ، وانما سيوفا ورماحا . وقد أثارت هذه الاجابة غضب الملك فرناندو، فصاح قائلا: Granada, le arranare los granos uno a uno. أى غرناطة ، غرناطة ، سوف انتزع حباتك واحدة واحدة

ويلاحظ ان هذا المعنى هنا مجازى لان كلمة Granada تعنى بالاسبانية الرمانة ، ولهذا فهو يقصد بانتزاع حباتها اى حصونها واحدا بعد الاخر . انظر : د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٦٣ وكذلك Miguel Lafuente Alcantara: Historia de Granada, t. 111 p. 357 (Granada 1845) & Prescott: Op. Cit. p 182 .

كذلك لحسنه [١] ذهب عدد آخر من المؤرخين الى ان اسم غرناطة يرجع الى اصل قوطي وانه مؤلف من كلمتين "ناطة" [٢] ، وهو اسم لربض قديم كان يقع على مقربة من البيرة Elvira و"غار" وهو المقطع الذي اضافه المسلمون اليها ويعني كهفا أو واديا عميقا ، فصارت "غرناطة"، وذكروا ان كلمة "غار" بالعبرية معناها " الغريب" ويفسر ذلك الهجرة اليهودية القديمة الى تلك المنطقة [٣] . او ربما كانت كلمة "غرناطة" تتكون من مقطعين " Kurn " قرن بمعنى تل ، " nattah " بمعنى الغريب فيصبح اسم المدينة " تل الغرباء" [٤] .

كذلك كان يطلق على غرناطة ايضا اسم "دمشق الاندلس" وذلك لان أهل دمشق قد نزلوا بها وسموها باسمها "لشبهها في القصر والنهر والدوح والزهر والغوطة الفيحاء ، وغزارة وكثرة الأشجار " [٥] .

كما عرفت غرناطة في بعض الاحيان باسم "غرناطة اليهود" أو "اغرناطة اليهود " وذلك لأن طارق بن زياد عندما تم له فتح غرناطة وجد بها يهودا فضمهم الى قصبتها فاصبحت تعرف بهذا الاسم [٦] .

---

(١) ياقوت الحموي؛ معجم البلدان ، المجلد الثالث جـ٦ ص ٢٧٩ (القاهرة ١٩٠٦)

(٢) يذهب الكاتب الاسباني القديم Hurtado de Mendoza الى ان كلمة "ناطة" قد تعني اسم ابنة الكونت " برليان" التي لجأت الى هذا الغار فعرف ب"غرناطة" كذلك قيل ان كلمة "ناطة" Naath كانت اسما لزوجة باديس بن حبوس ثالث ملوك غرناطة من الاسرة الزيريه . انظر:

Luis Seco de Lucena:Guide to Granada p 102-103.

(٣) انظر: Simonent: Descripcion del Reino de Granada p 40

(٤) انظر: Encyclopaedia Britannica, Art Granada by L.S.F.

(٥) انظر على سبيل المثال: الحميري ؛ الروض المعطار ص ٢٣، المقري : نفح الطيب : جـ١ ص ٢٥، ٢٦، ١١٨، ١٤١، ١٤٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، جـ٣ ص ١٥١ وكذلك: Leopoldo Torres Balbas: Damasco y Granada (Al Andalus Vol IV 1941) FASC. 2 PP 461-469.

وفي هذا يقول المقري؛ (نفح الطيب جـ١ ص ٢٥-٢٦)

لاسيما غرناطة الغراء رائعة الوسامة
وهي التي دعيت دمشق وحسبها هذا فخامة
لنزول اهلها بها اذ أظهر الكفر انهزامه
رأت جيوش الشام باب نفى الفتح انبهامه
فسلوا بها عن جلق اذا شبهتها في الفخامة

(٦) ابن الخطيب: اللمحة ص ١٦ ، الحميري ؛ الروض المعطار ص ٢٣ .

كانت مملكة غرناطة عند نشأتها تشمل القسم الجنوبى الشرقى من الاندلس فيما وراء نهر الوادى الكبير الى الجنوب حتى شاطئ البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ، ويحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة واشبيلية ، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر المتوسط ومن الغرب ولاية قادس وأرض الفرنيترة [1] ، وكانت تضم بين جنباتها ثلاث ولايات كبيرة هى :

غرناطة: فى الوسط ممتدة نحو البحر وأهم مدنها غرناطة العاصمة ، ووادى آش Guadix ويسطة Baza، وحصن اللوز Iznalloz ولوشة Loja والحامة Alhama وأرجبة Orgiva والمنكب Almunecar وشلوبانية Salobrena وأشكر Huescar

المرية : وكانت تقع فيما بين مرسية والبحر واهم مدنها ثغر المرية Almeria وبيرة Vera ، والمنصورة Almanzora وبرشان . Purchena وبرجة Berja ودلاية Dalias وأندرش Andarax

مالقة: إلى الشرق من غرناطة واهم مدنها ثغر مالقة Malag وبلش مالقة Velez Malaga، وقمارش Comares وأرشدونة Archidona وانتقيرة Antequera ورندة Ronda ومربلة Marabella وكان ينضم اليها جبل طارق Gibraltar والجزيرة الخضراء Algeciras وطريف Tarifa

انهار غرناطة:

حبت الطبيعة مملكة غرناطة بعدد من الانهار التى كانت تفيض على بسائطها فتزيد من خصوبتها وتساعد فى قيام الزراعة وأهمها :

نهر شنيل: Genil أو Xenil وكان أهل الاندلس يطلقون عليه اسم نهر سنجيل اشتقاقا من اسمه اللاتينى Singilis ويبلغ طوله نحو ٢١١ ك.م ، وهو احد فروع نهر الوادى الكبير ، ينبع بكميات كبيرة من المياه صيفا عندما تذوب الثلوج .

---

(١) الفرنتيرة هى بسيط قرطبة واشبيلية وطليطلة وجيان آخذة من جوف (شمال) الجزيرة من الغرب الى الشرق والفرنتيرة معناها بالاسبانية الحدود الفاصلة بين دولتين .

انظر: ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٧٩ .

وقد ولع الشعراء بوصف هذا النهر وتغالوا فى هذا الى ابعد الحدود ومثال ذلك:

كأنما النهر صفحـــة كتبت   أسطرها والنسيـــم منشئها

لما أبانت عن حسن منظره   مالت عليه الغصون تقرؤها [١]

بل وفضلوه على النيل بزيادة حرف الشين على حروف النيل ، وتعنى ألفا فى العدد ، فكأنهم قدروه بالف نيل [٢]. وكان لأهل غرناطة شغف عظيم بالجلوس على ضفاف هذا النهر، يقضون الأمسيات فى أنس وسمر خاصة فى الربيع والصيف . كما كان موضع مدح الرحالة الاجانب [٣] .

نهر حدرة : Darro (١١ك.م) كان يشق غرناطة آتيا من الشرق ويلتقى بنهر شنيل خارج المدينة ثم يمر بالفحص بين بسـاتين ومزارع وكرمات الى ان ينتهى الى غرناطة فيدخلها من باب الدفاف [٤] ، وكانت تقع عليه خمس قناطر هى : قنطرة ابن رشيق ، وقنطرة حمام جاش ، والقنطرة الجديدة ، وقنطرة الفود ، وقنطرة القاضى [٥] التى مازالت اثارها باقية الى اليوم [٦] .

نهر وادى المنصورة: Rio de Almanzora, Guadal manzor

وكان يسمى ايضا وادى بيرة لأن مياهه كانت تصب فى البحر المتوسط عند بلدة بيرة Vera [٧] .

---

(١) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب جـ٢ ص ١٠٣ ، اختصار القدح المعلى ص٢.

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة(عنان) جـ١ ص ١٢٤ ، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ١٤٢ ، د، العبادى: دراسات ص ٢٢٥ . وفى هذا يقول ابن الخطيب : "وما لمصر تفخر بنيلها ، وألف منه فى شنيلها" ويقول ابن زمرك (المقرى: نفح الطيب جـ١٠ ص ١٠٥ ، أزهار الرياض جـ٢ ص ١٨١) شنيلها مد منه نيل   والشين ألف لمستنيل

(٣) انـظـر: G. Levi Della Vida: Il Regno di Granata p 315

(٤) العمرى: مسالك الابصار ص ٣٧ .

(٥) القلشندى : صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٥ .

(٦) انـظـر: Leopoldo Torres Balbas : El Puente de Cadi y la Puerta de los Panderos en Granada (Al Andalus 1934, vol II, fasc 2 p 357)

(٧) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣٤ ح وكذلك: Simonet: Discripcion del Reino de Granada, p 111.

الجبال في مملكة غرناطة:

كانت الجبال الوعرة تخترق مملكة غرناطة من كل صوب ، وبالاضافة إلى ميزة هذه الجبال الدفاعية فانها كانت تحتوى على الكثير من المعادن ومن بينها الذهب والفضة والرصاص والحديد والتوتيا والمرقشيتا[1] واللازورد[2] وأهم هذه الجبال:

جبل شلير: وهو تحريف للاسم اللاتيني القديم Mons Solarius, Solorius أى جبال الشمس و ذلك لشدة لمعانه لانعكاس الشمس على قممه المغطاة بالثلوج الناصعة صيفاً وشتاء، ويجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد[3]، تتفجر منه العيون وتتعدد على سفحه الجنات والبساتين[4]، ولقربه من غرناطة كان يؤثر فى بردها ، ويعرف هذا الجبل اليوم باسم سييرانيفادا Sierra Nevada أى الجبال المثلجة[5]، ويبلغ ارتفاعه

---

(١) المرقشيتا او المرقشيطا: حجر ذو خواص طبية يغلب على الظن انه البزموت ، وذكر ابن سينا انه يوجد على انواع مختلفة ذهبى وفضى ونحاسى وحديدى ، وكل صنف يشبه الجوهر الذى ينسب اليه فى لونه. انظر: ابو الحسن على بن يوسف الحكيم: اللوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ص ٢٦ ح ٩ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٠٤ ، اللمحة البدرية ص ١٣ .

(٣) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ١٤ ، ابن سعيد : بسط الارض ص ١٠٠، الحميرى : الروض المعطار ص ٢٤، ١١٢ . المقرى: نفح الطيب : جـ١ ص ١٤٢، ١٦٦ .

(٤) ابن الخطيب: الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٠٣ .

(٥) د. العبادى: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٨٠ح٢ وكذلك ؛ Simonet: Op. Cit p. 47

هذا ويقول الشاعر عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله الأزدى (ت ٧٥٠هـ) فى وصف جبل شلير وقد كساه الثلج (ابن الخطيب:الاحاطة: الاسكوريال) لوحة ٢٢٧).

وشيخ جليل القدر قد طال عمره ... وما عنده علم بطول ولاقصر

عليه لباس ابيض باهر السنا ... وليس بثوب احكمته يد البشر

وطورا تراه كله كاسيا به ... وكسوته فيها لأهل النهى عبر

وطورا تراه عاريا ليس يشتكى ... حر ولابرد من الشمس والقمر

وكم مرت الايام وهو كما ترى ... على حاله لم يشك ضعفا ولاكبر

فذاك شلير شيخ غرناطة التى ... لبهجتها فى الأرض ذكر قد انتشر

بها مليك تسامى المراقى أطاعه ... كبار ملوك الأرض فى حالة الصغر

تولا ، رب العرش منه بعصمة ... تقيه مدى الايام من كل ما ضرر

ويقول ايضا: (المقرى: نفح الطيب جـ١٠ ص ٢٠٢)

شلير لعمرى أساء الجوار ... وسد على رحيب الفضا

هو الشيخ أبرد شئ يرى ... إذا لبس البرنس الأبيضا

٣٤٨١ متراً وتسمى قمته حتى الآن مولاى ابى الحسن Cerro de Mullacen[1].

جبل طارق : يمثل هذا الجبل موقعاً استراتيجياً مهماً، فهو همزة الوصل بين عدوتى المغرب والأندلس، ويتحكم فى مضيق المجاز حيث كانت ترد إلى الأندلس، عبره، المعدات والجنود للمشاركة فى الجهاد ضد العدو، ولهذا قام صراع طويل بين الجانبين الاسلامى والمسيحى حول هذا الجبل[2].

وينسب هذا الجبل إلى طارق بن زياد " اذ كان أول ما حل به من المسلمين من بلاد الأندلس عند الفتح " وإذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة فى البحر بان كأنه سرج قال أبو الحسن على بن موسى بن سعيد : أقبلت عليه مرة مع والدى فنظرنا إليه على تلك الصفة، فقال والدى أجز : انظر إلى جبل الفتح راكبا متن لج.
فقلت :

وقد تفتح مثل الأفنان فى شكل سرج[3].

ويعرف هذا الجبل ايضا باسم جبل الفتح نسبة إلى مدينة الفتح التى انشأها الموحدون على سفحه لتكون مركزاً لعملياتهم الحربية فى الأندلس. وكان يطلق عليه قبل الفتح الإسلامى الاسم الفنيقى Mons Calpe ومعناه تجويف،اذ كان هذا الاسم يطلق أصلاً على مغارة كبيرة فى هذا الجبل عرفت فيما بعد باسم مغارة القديس ميخائيل San Miguel أما اليوم فيطلق عليه اسم Gilbraltar[4].

جبل الفخار : وهو أحد شعب جبال سييرانيفادا. ويسمى اليوم Monte Alfacar[5]

---

(١) العمرى، مسالك الابصار ص ٣٥ ج١

(٢) انظر تفاصيل ذلك فى العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٠٣-٤٧٠ .

(٣) المقرى، نفح الطيب ج١ ص ١٥١-١٥٢ .

(٤) انظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح (نشر ماريا خيسوس بيجيرا) الجزائر ١٩٧٥ ص ٢٦٣-٢٦٤ ، ابن بطوطة : الرحلة ج٤ ص ٣٥٥ ، ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٢٣٤ ج٥ .

(٥) ابن الخطيب ، الاحاطة (عنان) ج١ ص ١٢٧ ج٥ .

جبال البشرات: وتعرف أيضا باسم جبال الشارات[1] ويطلق عليها اسم جبال Alpuarras.

مناخ غرناطة :

يصف المؤرخون غرناطة بأنها « شامية فى أكثر أحوالها ، قريبة إلى الاعتدال»[2] إلا أنها كانت شديدة البرودة شتاء، مما كان يؤدى إلى تجمد المياه وتراكم الثلوج[3].

ويشير ابن الخطيب إلى ذلك قائلاً :

"ولكنها والله بردها يطفئ حر الحياة، ويمنع الشفاة عن رد التحيات"[4].

غرناطة العاصمة :

كانت غرناطة مدينة مستديرة تقع على سفح جبل شلير Sierra Nevada، ويخترقها نهر شنيل Genil أحد فروع الوادى الكبير، وكانت عبارة عن مساحة غاصة كلها بالأبنية ومحاطة بسور فتحت فيه عدة أبواب عند الطرق التى تبدأ من المدينة وتصلها بغيرها، وكانت هذه الأبواب عادة تسمى باسم المنطقة أو المدينة التى يؤدى

---

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١١٧ .

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق ص ١٠٢، اللمحة ص ١٢.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق ص ١٠٣ وفى برد غرناطة يقول القاضى ابو بكر بن شبرين (الاحاطة جـ١ ص ١٠٤ ، ابن بطوطة: الرحلة جـ٤ ص ٣٦٩) :

رعى الله من غرناطة متبوأ ... يسر كئيبا او يجير طريدا
تبرم منها صاحبى عندما رأى ... مسارحها بالبرد عدن جليدا
هى الثغر صان من أهلت به ... وما خير ثغر لايكون برودا

ويقول ابن صدرة:

أحل لنا ترك الصلاة بأرضكم ... وشرب الحميا وهو شئ محرم
فرارا الى نار الجحيم لانها ... أرق علنا من شلير وأرحم
لئن كنت ربى مدخلى فى جهنم ... ففى مل هذا اليوم طابت جهنم

انظر : الحميرى: الروض المعطار ص ١١٢، القلقشندى: صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٥ ، د. العبادى : الاعياد فى مملكة غرناطة : صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد المجلد ١٥/ (١٩٧٠).

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٩١ .

إليها الطريق ومنها باب البيرة وباب الكحل وباب الرخاء وباب المرضى وباب المصرع وباب الرملة[١] وباب الدباغين وباب الطوابين وباب الفخارين وباب الخندق وباب الدفاف وباب الأسدر[٢] وباب مورور[٣]، وكانت شوارع المدينة متعرجة وملتوية، تعرف باسم الدروب[٤]، أو الزنقات[٥]، مثل زنقة الفرن[٦] ورنقة المحرب[٧] وزنقة المريسنى[٨]. وكانت الأسواق في العادة تقع إلى جوار مسجد المدينة الجامع، وخصصت احدي هذه الأسواق لتجارة الأقمشة وأدوات الترف، وتسمى القيسارية[٩]. وهى عبارة عن شوارع ضيقة مسقوفة فتحت فيها أبواب الدكاكين فى ظل بوائك محمولة على أعمدة رخامية رشيقة، وكان هناك سوق يقع بالقرب من باب الرملة الذى يطل على الساحة المسماة بالرملة حيث كانت تقام الاعياد الشعبية[١٠]

أرباض غرناطة واحياؤها :

يذكر العمرى (ق ٨ هـ / ١٤ م) انه كان بغرناطة أربعة أرباض رئيسية هى[١١] : ربض البيازين، إلى الشمال من المدينة، قرب باب الدفاف وكان أكثر الإرباض أهمية وتكدساً بالسكان، مما كمدينة كبيرة مستقلة لها مسجدها الأعظم وإداراتها حيث

---

(١) كان هذا الباب قد تهدم بين عامى ١٨٧٣-١٨٨٤ ثم اعيد بناؤه فى عام ١٩٣٥ انظر:
Leopoldo Torres Balbas: La Peuerta de Bibrambla de Granada (Al Andalus Vol IV 1936, fasc 1, p 195-198.

(٢) القلقشندى: صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٤ ولمزيد من التفاصيل انظر:
Luis Seco de Lucena : Las Puertas de la Cerca de Granada en el siglo XIV (Al Andalus Vol VII, 1942, fasc 2 pp 438-458.

(٣) المراكشى: الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الأول ص ٢٢٤ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٤٩١ .

(٥) انظر: Luis Seco de Lucena: Documentos Arabes Granadinos I, (Al Andalus Vol VIII, 1943, fasc 2 pp 415-429.

(٦) لويس سيكودى لوثينا: وثائق عربية غرناطية ص ٩٧ .

(٧) لويس سيكودى لوثينا : نفسه ص ١٠٧ .

(٨) لويس سيكودى لوثينا : نفسه : ص ٦٩، ٧٢.

(٩) القيسارية: وجمعها قياسر، هى السوق التجارية العامة ، انظر Dozy, II, p 432

(١٠) بروفنسال: محاضرات فى ادب الاندلس وتاريخها ص ٦٧ .

(١١) العمرى: مسالك الابصار (نشر حسن حسنى عبد الوهاب) ص ٤١ .

كان له قضاته وحكامه، وقد ذكر الرحالة الإيطالى اندريا نافاجيرو Andrea Navagero إن هذا الربض قد أخذ اسمه من أهل بياسة الذين لجأوا إليه بعد سقوط مدينتهم فى ايدى المسيحيين[1]. بينما يرى بعض المؤرخين أن كلمة البيازين جاءت بسبب اشتغال بعض سكان هذا الحى بتربية البزاة التى كانت تستخدم فى الصيد، وقد امتدح الرحالة المصرى عبدالباسط هذا الربض عند مروره به[2] ويعرف هذا الربض فى الاسبانية باسم Albaicin ثم كان هناك ربض الفخارين، ويقع إلى الجنوب الشرقى خارج الأسوار قرب نهر شنيل وبجانب باب بنفس الأسم[3]. وربض باب الرملة وربض نجد قرب نهر شنيل إلى الشرق من غرناطة بالقرب من جبل السبيكة،وكان به كثير من الحدائق، ويطلق ابن بطوطة على هذا الربض اسم ربض الأجل[4].

وكانت هناك أرباض أخرى فى غرناطة لكنها تقل فى الأهمية عن هذه الأرباض الأربعة التى ذكرها العمرى، وبعض منها كان جزءاً من الأرباض المذكورة. وقد ورد ذكرها فى الوثائق الرسمية التى صدرت بعد الاسترداد، وجاء اسمها الاسبانى فى هذه الوثائق محرفاً عن أصله العربى، نذكر منها : ربض أبو العاصى Abulaci الذى كان يقع بين المسجد الأعظم وشارع البيرة فى وسط المدينة، ويشير ابن الخطيب إلى ان هذا الربض أخذ اسمه من رجل قام بتأسيس مسجد وحمام فيه[5].

---

(١) انظر، Simonet: Deseripcion de Reino de Granada p 238

(٢) انظر: G. Levi Della Vida: Il Regno di Granata Nel 1465-66 Nei Ricordi di Un Viaggiatore Egiziano p. 314

(٣) انظر: Luis Seco de Lucena: Documentos arabes granadinos 11 Al Andalus IX 1944 p 136 .

(٤) انظر: ابن بطوطة: الرحلة جـ١ ص ٣٧٣ (الطبعة الفرنسية)، وكذلك Luis Seco de Lucena: De Toponimia granadina (Al Andalus XVI 1951 pp 49-64 .

ويذكرنا اسم هذا الربض باقليم نجد الشهير فى شبه الجزيرة العربية ؛ انظر Emilio Garcia Gomez: Elogio del Islam Espanol (Madrid 1934), p 108 n. 155.

(٥) انظر: J.F. Riano: La Alhambra (Rev. de Espana, XCVII, (Madrid 1884), pp 189-190, Manuel Gomez Moreno: Guia de Granada (Granada 1892) p 322, Leopoldo Torres Balbas: Estructura de las Ciudades hispanomusulmanas : La Medina, Los Arrabales y los Barrios, Al Andalus Vol XVIII, 1953 fasc J. P 148-177.

ثم يقابلنا ربض البيضاء[١]، وربض مورور[٢]، وربض اخشارش[٣]، وربض اليعفور[٤]، وربض القراقين[٥].

ونلاحظ أن الناس كانوا يتجمعون فى الأرباض والأحياء أما بحسب عقيدتهم الدينية فكانت هناك احياء لليهود وأخرى للمستعربين. وأما بحسب اصلهم كأحياء غمارة وزناتة فى غرناطة. ولكن الأكثر شيوعاً كان الخضوع للنشاط التجارى أو الصناعى للسكان، كمثل ربض الفخارين وربض القراقين وهكذا. وكانت هناك أرباض أخرى تأخذ اسمها من الموقع الجغرافى مثل ربض العقبة وفحص اللوز. وأحيانا أخرى كان الربض يأخذ اسمه من احدى المنشآت القريبة مثل ربض باب الرملة. كما كان بغرناطة ربض آخر يدعى ربض المصلى أو الشريعة، الذى كانت تقوم فيه الصلوات فى الهواء الطلق[٦].

العمارة الدينية فى غرناطة :

لم يكن المسجد الجامع فى غرناطة، كغيرها من البلاد الاسلامية، بيت عبادة فحسب، ولكنه كان المركز الذى تدور حوله الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية فى المدينة، وتتركز حوله الحياة الاقتصادية، وتعقد فيه الاجتماعات العامة الكبيرة وتنظر فيه القضايا وتعطى الدروس وتبارك الاعلام قبل الذهاب إلى الحرب، ومن فوق منبره كانت تقرأ النشرات الرسمية والخطابات التى تتضمن أخباراً هامة، كالانتصارات الحربية، ولم تكن فى العادة تقام منازل ملاصقة للمسجد[٧]. ويصف العمرى مسجد غرناطة الجامع بانه كان " من ابدع الجوامع وأحسنها منظراً، وهو

---

(١) انظر : Ibid.

(٢) لويس سيكودى لوثينا: وثائق عربية غرناطية ص ٤٧، ٤٨ .

(٣) لويس سيكودى لوثينا : نفسه ص ١١ .

(٤) لويس سيكودى لوثينا : نفسه ص ٦٩ .

(٥) لويس سيكودى لوثينا : نفسه ص ١٠٧ .

(٦) انظر : Leopoldo Torres Balbas : Op. Cit., p 152-153.

(٧) ليوبولدوتوريس بلباس: الابنية الاسبانية الاسلامية ص ٩٩-١٠٠ .

محكم البناء لايلاصقه بناء، تحف به دكاكين الشهود والعطارين، قد قام سقفه على أعمدة حسان والماء يجرى داخله"[1].

وفضلاً عن المسجد الجامع كان بغرناطة عدد آخر من المساجد مثل مسجد الحمراء الأعظم الذى بنى فى حوالى عام ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٥[2] وعدد من المساجد الصغيرة فى الأحياء المختلفة وعدد كبير من المصليات[3]، نذكر منها مسجد ابى العاصى[4] ومسجد ربض البيازين[5]، ومسجد القيسارية[6]، ومسجد ابن جرج[7]، ومسجد حمزة[8]، ومسجد الجوزة[9]، ومسجد الفخارين[10]، ومسجد ابن عذرة[11]، ومسجد المنصورة[12]، ومسجد المرابطين[13]،ومسجددار القضاء[14]،ومسجد القاضى[15]، ومسجد ابن سحنون[16]، ومسجد التائبين[17]،وجامع شيشون بربض البيازين[18].

---

(١) القلقشندى: صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٤ وانظر: Leopoldo Torres Balbas

La Mezquita Mayor de Granada (Al Andalus Vol. X, 1945 fasc 2 pp 409-432.

(٢) انظر: Leopldo Torres Balbas : La Mezquita Real de la Alhambra y el Bano Frontero,Al Andalus Vol x (1945) fasc I PP 196-214.

(٣) ليوبولدوتوريس بلباس : المرجع السابق ٩٩-١٠٠ .

(٤)ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٤٩١ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٦٥ ، ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ١٨٨-١٨٩.

(٦) المقرى: نفح الطيب جـ٣ ص ٤٥٠ .

(٧) ابن الابار: التكملة السفر الاول ص ٣١٧

(٨) ابن الابار: المصدر السابق ص ١٤٩ ، المراكشى : الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثانى ص ٥٨٨ .

(٩) انظر: Luis Seco de Lucena : Escrituras de donacion Arabigogranadinas.

صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد المجلد الخامس العددان ١-٢ ١٣٧٧-١٩٥٧ ، الوثيقة رقم ٤ ص ٧٧.

(١٠) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٠٧ .

(١١) ابن الخطيب : نفسة لوحة ١٠٧.

(١٢) ابن فرحون: الديباج ص ٢٩٧ .

(١٣) المراكشى: الذيل، السفر السادس ص ٤٢٩ .

(١٤) المراكشى : الذيل ، السفر السادس ص ٣٦٩ .

(١٥) نفسه ص ٣٦٩.

(١٦) لويس سيكودى دى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٨٢ .

(١٧) لويس سيكودى دى لوثينا: نفسه ص ١٠٨.

(١٨) لويس سيكودى لوثينا: نفسه ص ٨٦، ١٠١

وجامع الجرف بربض البيازين[1] ومسجد زاهر[2].وفى عهد بنى نصر اشتهر أهل غرناطة باستخدام الرخام، فأخذوا فى تشييد مصليات ترتكز على أعمدة كما هو الحال فى مسجدى البيازين والحمراء، ومن الميزات التى أنفردت بها صحون المساجد الأندلسية تجميل صحونها بالجنان وحدائق الفاكهة[3].

وكانت مآذن المساجد عبارة عن ابراج مربعة بسيطة تتكون من طابقين، الأسفل ينتهى اعلاه بشرفة والأعلى اصغر حجماً وأقل ارتفاعاً من الأول ويتوجه كذلك سور محيط بالمئذنة أعلاه مزخرف بكرات معدنية مختلفة، ويستقل المسجد عن المئذنة دائماً ويفصل بينهما صحن[4].

هذا وقد بقيت من عصر سلاطين بنى نصر مئذنتان : الأولى مئذنة مسجد تحول إلى كنيسة سان خوان دى لوس رييس San Juan de los Reyes بغرناطة والأخرى مئذنة مسجد ببلدة رندة تحول إلى كنيسة باسم سان سباستيان، أما مئذنة غرناطة فتتكون من برج مربع الشكل بداخله نواة مربعة صماء. ويدور بين هذه النواة الوسطى والجدار الخارجى للمئذنة أحدور صاعد يماثل أحدور الخير الدأ. وتزدان أوجهها الأربعة من الخارج بعقود صماء تتداخل فيها الخطوط المستقيمة بالمنحنيات أقيمت من الآجر، وتمتد خواصر هذه العقود من رؤوسها فتتقاطع فيما بينها مؤلفة شبكات من المعينات يختلف رسمها فى كل وجه عن الآخر ويدور بأعلى الشبكات أفريزان بارزان أحدهما يعلو الآخر يحصران بينهما شريطاً عريضاً تكسوه شبكة من أشكال متعددة الضلوع

---

(١) لويس سيكودى لوثينا ؛ نفسه ص ٦٣

(٢) لويس سيكودى لوثينا ؛ نفسه ص ٤٤

وانظر: Luis Seco de Lucena : El barrio del Cenete, las alacazbas y las Mezquitas de Granada (Cuadernos de la Alhambra Vol 2, 1966, pp 43-51.

(٣) بالباس؛ الابنية الاسبانية الاسلامية ص ١٠٣ . هذا وقد اباح الامام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى (ت ١٥٧هـ) غرس الاشجار فى صحون المساجد ومذهب الاوزاعى الشامى هو أول مذهب انتشر فى الاندلس ، وقد، انتشرت معه عادة غرس اشجار النارنج والليمون فى صحون المساجد . وظلت هذه العادة قائمة بعد انتشار المذهب المالكى فى هذه البلاد . انظر : د. احمد مختار العبادى؛ دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٩٤ ح ٣ .

(٤) بالباس؛ المرجع السابق ص ١٠٤.

نجمية الشكل ذات ١٦ رأساً أما المئذنة الأخرى بمدينة رندة فمقاييسها متواضعة، وهى على شكل مربع أيضاً[١].

العمارة المدينة فى غرناطة

قصر الحمراء

كما أن قصر الفاتيكان جزء لايتجزأ من تاريخ البابوية فان قصر الحمراء جزء لايتجزأ من تاريخ بنى الأحمر فى غرناطة، بل هو قطعة من هذا التاريخ يدل بمايحويه من بدائع الصنع والفن على مدى تقدم الحضارة فى فترة من فترات التاريخ الأندلسى كما أنه يعد بلامنازع من أهم بل من أعظم آثار المسلمين بالأندلس وقد دارت حوله القصص ونسجت حوله الأساطير، كما شهدت قاعاته ألواناً من الترف والنعمة والجمال إلى جانب الحوادث والأحداث الجسام.

كانت الحمراء فى القرن الرابع الهجرى (١٠ م) قلعة متواضعة تقع على الجانب الأيسر لنهر حدرة، وقد جاء ذكرها فى الحروب الأهلية التى قامت فى إقليم غرناطة بين العرب والمولدين فى عهد ابى محمد بن عبدالله بن محمد سابع الأمراء الأمويين بالاندلس (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) إذ اتخذها سوار ابن حمدون القيسى قاعدة وحصناً وملاذاً له ولرجاله بعد أن انضم إليه عرب المناطق المجاورة، وقد تمكن العرب فى "وقعة المدينة" من وضع السيف فى رقاب المولدين وقتلوا منهم أحد عشر ألفاً[٢]. وعندما تولى باديس بن حبوس زعيم البربر حكم غرناطة في أوائل القرن الخامس الهجرى - أتخذ هذه القلعة قاعدة لملكه، وأنشأ سوراً ضخماً حول التل الذى تقع عليه تلك القلعة وانشأ فى داخله قصبة اتخذها مقراً له ومركزاً

---

(١) د. السيد عبد العزيز سالم: العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر - المجلد الثامن - العدد الاول - ابريل - مايو - يونيو ١٩٧٧ ص ١٢٨ وكذلك:

Torres Balbas: Ars Hispniae, t. IV, P 144.

(٢) ابـن الأبار: الحلة السيـراء، جـ١ من ١٤٧ وما بعـدها (تحقيـق د. حسـين مؤنس)، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص٢٠٢.

لحكمه، ثم تطورت بمرور الزمن واصبحت قصبة غرناطة وحصنها المنيع[1].

ولما دخل محمد بن الأحمر غرناطة في عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨م لم يتوان لحظة عن العمل بهمة ونشاط، على تدعيم مركزه وتثبيت سلطانه، وحماية نفسه وأسرته فاستقر رأيه على إنشاء حصن يحتمي به ويلوذ إليه، فركب من المدينة إلى الاطلال المحيطة بها والمرتفعات القريبة منها، يستكشف طبيعة أرضها، ويختبر قوة مناعتها، عله يجد من بينها مكاناً يصلح لهذا الغرض فاستقر به المطاف فى نهاية الامر إلى موقع الحمراء فى منطقة "السبيكة" فى الجانب الشمالى الشرقى من مدينة غرناطة، ووضع ابن الاحمر فى هذا الموضع المرتفع اساس حصنه الجديد "قصبة الحمراء" ثم أمر بإقامة البناء والعمل على اقامه بسرعة. ولم يغب عن ذهنه توفير الماء اللازم لقصره[2]. فأمر بعمل سد على نهر حدرة الذى كان يجرى فى الجهة الشمالية تحت أقدام التل الذى شيدت عليه القلعة لتؤخذ منه المياه وترفع إلى الحصن بواسطة سواقى[3]. وكان ابن الأحمر أثناء إقامة الحمراء يقف بين العمال يشجع جهودهم ويباشر أعمالهم ويكافىء اجتهادهم[4].

واتخذ ابن الأحمر من هذا القصر قاعدة الملكه، وانشأ فيه عدداً من الابراج المنيعة منها برج الطليعة Torre de la Vela وبرج التكريم Torre de Homenage ، وأنشأ له سوراً ضخماً يمتد حتى مستوى الهضبة وفى عهد محمد الثانى المعروف بالفقيه استكمل الحصن والقصر الملكى واتم جزءاً من أسوار الحمراء فى أواخر القرن السابع. ولما تولى محمد الثالث قام ببناء المسجد الجامع بالقصر. على أن العصر الذهبى لعمليات الإنشاء والتشييد فى قصر الحمراء كان فى عهد السلطان يوسف

---

(١) انظر: Leopoldo Torres Balbas : La Alhambra de Granada antes del siglo XIII (Al Andalus Vol. V, 1940) p 173 .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣١.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ٣ ص ٢٤٥، د. بلبع: غرناطة وقصر الحمرا ص ٧٩ .

(٤) انظر: S.P. Scott: History of the moorish empire in Europe V. 2P (1904).

الأول وولده محمد الخامس، فالى الأول ينسب إقامة السور الذى يحيط بالحمراء، بأبراجه وبوابته العظمى المعروفة بباب الشريعة أو باب العدل، وقصر البرطل، وبرج الأسيرة، وبرج الشرفات أو الأسنة وبرج مخدع الملكة، وقصر الريحان، وبرج قمارش، وقصر السلطان، والحمامات السلطانية، وعندما تولى محمد الخامس الغنى بالله، أتم وأصلح ماكان قد انشىء فى عصر أبيه، ثم قام بتشييد مجموعة قصر السباع وقاعة الملوك أو العدل، وقاعة بنى سراج ، وقاعة الأختين[1].

هذا وتختلف أراء المؤرخين حول اسم الحمراء فقيل ان الأسم جاء من اسم قلعة الحمراء القديمة التى بنى فوقها قصر ابن الأحمر، وقيل كذلك ان اطلاق اسم الحمراء على قصر غرناطة الملكى يرجع إلى إحمرار ابراجه الشاهقة أو الى لون الآجر الذى بنيت منه الأسوار الخارجية أو إلى لون التربة التى بنيت عليها والتى تميل إلى الاحمرار بسبب كثرة أكسيد الحديد بها[2]. وقد سميت لهذا السبب بتل السبيكة Monte de la Asabica وفى ذلك يقول الشاعر الغرناطى ابن مالك الرعينى :

تر الأرض منها فضة فإذا اكتست بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب [3]

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر:

د. السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور بالاندلس (اقرأ العدد ١٩٠ اكتوبر ١٩٥٨ ص ١٠٦-١٢٦)، د. محمد عبد العزيز مرزوق: قصر الحمراء المكتبة الثقافية العدد ٩١، د. عبد الرحمن زكى: غرناطة وآثارها الفاتنة المكتبة الثقافية - العدد ٢٧٦ وكذلك:

Leopoldo Torres Balbas: Ars Hispaniae Vol. IV, La Alhambra (Madrid 1953), G. Marcais : L'architecture musulmane d'Occident, E. Lambert: Art musulman d'Occident des origines a la fin du XV[e] siecle (Paris 1966) pp 142-147.

(٢) د. محمد عبد العزيز مرزوق : قصر الحمراء ص ٣٢ .

(٣) المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ١٦٥ .

كذلك يقول ابو جعفر الالبيرى عند رحيله من غرناطة:

ولما وقفنا للوداع وقد بدت قباب بنجد قلت علت ذلك الوادى

نظرت فألفيت السبيكة فضة لحسن بياض الزهر فى ذلك النادى

فلما كستها الشمس عاد لجينها لها ذهبا فاعجب لاكسيرها البادى

(المقرى : نفح الطيب جـ٣ ص ٤٣١)

ومن هنا نرى إنه ليست هناك صلة بين اسم الحمراء وبنى الأحمر، فالأمر لايعدو ان يكون مجرد مصادفة وتشابه اسماء، فالأول يرجع إلى لون تربة أرضه، والثانى إلى لون شعر جدهم، ولكن لم يلبث الاسمان إن ارتبط كلاهما بالآخر بعد ذلك حتى صار بنو الأحمر والحمراء قلباً وقالباً فاتخذوا اللون الأحمر شعاراً لهم فى كل حياتهم[1].

قصر جنة العريف :

شيد هذا القصر فى أواخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)، ثم جدد على يد السلطان أبى الوليد اسماعيل (٧١٤ هـ - ١٣١٤ / ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥ م)، ويقع على ربوة عالية على مقربة من قصر الحمراء فى ركن منعزل فى شمال شرقى الهضبة ويطل على قصر الحمراء، وتبدو من ورائه قمم جبال سييرا نيفادا. وقصر جنة العريف عبارة عن قصر صغير جميل اختلطت أصوله الإسلامية بما أنشأه الاسبان بعد سقوط غرناطة، ونجوز إلى هذا القصر من مدخل متواضع يؤدى إلى ساحة فسيحة قد أقيم على جانبيها رواقان طويلان ضيقان، وفى وسطها بركة ماء وقد غرست حولها الرياحين والزهور الساحرة، حتى كانت "المثل المضروب فى الظل الممدود، والماء المسكوب، والنسيم العليل". وقد اتخذ ملوك غرناطة من هذا القصر مصيفاً أو متنزهاً يرتادونه للراحة والاستجمام[2].

قصر شنيل : Alcazar Genil

ويعرف أيضا بقصر السيد، يقع على الضفة اليسرى لنهر شنيل ويرجع تاريخ بنائه

---

(١) انظر الفصل الخاص بالسلطان.

(٢) انظر: المقرى: ازهار الرياض جـ١ ص ١٩٥ ، د. السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور بالاندلس ص ١٢٤-١٢٥ ، محمد عبد الله عنان : نهاية الاندلس ص ٢٩٩، د. زكى محمد حسن: فنون الاسلام ص ١١٩ وكذلك Emilio Lafuente Y Alcantara: Inscrip ciones arabes de Granada (Madrid 1859) pp 189-191 & Antonio Almagro Cardenas. Inscrip ciones arabes de Granada y apuntes arqueologicos sobre su Madraza (Granada 1879) p 170

إلى الأمير الموحدى ابى اسحاق بن الخليفة ابى يعقوب يوسف (٦١٥ هـ / ١٢١٨م)، ويفهم من النصوص أن هذا القصر كان يستخدم كقصر للضيافة فى عهد الدولة النصرية، وقد نزل به "الانفانت" فيليب Don Felipe أخو الملك الفونسو العاشر ملك قشتالة عندما ثار عليه واضطر إلى اللجوء إلى غرناطة[١].

كما أقام سلاطين بنى نصر فى غرناطة العاصمة وإنحاء أخرى من المملكة عدداً آخر من القصور مازال أثر من بعضها باقياً إلى اليوم. ففى عهد محمد الثانى الفقيه، أقيم فى ربض البيازين قصر فخم كان يحتوى على نافورة رخامية وصالة مربعة جميلة من سبعة امتار مليئة بالزخارف الجميلة[٢].

وغير بعيد عن هذا القصر، يوجد منزل Los Girones الذى يعود إلى القرن السابع الهجرى (الثالث عشرالميلادى)، ويتكون من صالة مزخرفة بخليط من المرمر والكلس بألوان لامعة متعددة[٣].

وفى حى القصبة القديمة فى البيازين توجد اطلال قصر نصرى يرجع إلى منتصف القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) هو قصر دار الحرة، عبارة عن صحن محاط بالأروقة تنفتح عليها الصالات، تحتفظ واحدة منها إلى اليوم ببقايا زخرفية حائطية. كذلك يوجد فى نفس الحى أطلال منزل آخر جدد فى القرن الخامس عشر الميلادى فى داخل دير Santa Catalina de Zafra [٤]. كما توجد على بعد كيلومترين من غرناطة على طريق Zubia اطلال أحد المنازل الريفية التى تسمى اليوم Cortigo de Cobertizo وإلى الجنوب من نفس الطريق توجد Darabenaz التى كانت تقع فى داخل Cortigo de la Marquesa وهى ليست إلا

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٢٥ متن وحاشية ٢وص ٣٢٤ وكذلك:
Emilio Lafuente y Alcantara : Op. Cit., p 101-102.

(٢) انظر: M. Gomez Moreno: Granada en le siglo XIII (Cuadernos de la Alhambra N° 2 (Granada 1966) pp 26-33.

(٣) انظر : M. Gomez Moreno: Op. Cit. pp 34-35.

(٤) انظر: Leopoldo Torres Balbas: Ars Hispaniae IV, PP 150-155.

تلك المزرعة الجميلة التى أهداها السلطان محمد الثانى إلى النبيل القشتالى دون نونيوجو ثالث دى لارا الذى ثار ضد الملك الفونسو العالم[1].

مقابر غرناطة :

كان يطلق فى غرناطة على المقبرة اسم الروضة وكانت غرناطة - كغيرها من المدن الأندلسية - تمتاز بوجود المقابر خارجها أى خارج أسوارها فى الغالب بينما كان سكان المدن الأوربية المسيحية يدفنون موتاهم داخل الأسوار فى ذلك الحين [2]. وكانت توضع أعلى المقبرة شواهد جنائزية تبين اسم المتوفى وتاريخ وفاته[3]. وكانت أهم المقابر فى غرناطة : مقبرة الفقيه سهل بن مالك .

كانت هذه المقبرة أكثر مقابر المدينة أهمية، وقد تأسست فى ق٧ هـ / ١٣ م[4]، ويطلق ابن الخطيب على هذه المقبرة : مقبرة البيرة، وجبانة باب البيرة، وروضة الفقيه سهل بن مالك[5].

كانت هذه المقبرة تقع فى ضواحى باب البيرة، وفى القرن التاسع الهجرى (الخامس

---

(١) انظر: R. Mangano Martos: Darabenaz, una alqueria nazari en la vega de Granada, Al Andalus Vol XXVI, 1961, Fasc 1 pp 201-218, De nuevo sobre Darabenaz, Al Andalus, Vol XXVI, 1961, fasc 2 pp

(٢) انظر: Leopoldo Torres Balbas: Aspectos de las Ciudades Hispanomusulmanas.
صحيفة المعهد المصرى الاسلامية بمدريد، المجلد الثانى، العددان ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ٧٧-٩٨.

(٣) انظر: R. Revilla Vielva : Catálogo de las antiguedades que se conservan en el patio árabe del Museo Arqueologico nacional, (Madrid 1932) , pp 152-157, E. Lévi - Provencal : Inscriptions arabes d'Espagne, M. Ocana jimenez : Repertorio de inscripciones árabes de Almería (Madrid 1964) introd. y nos 111 - 112 - 113.

(٤) Leopoldo Torres Balbás : Cementarios Hispan omusulmanes (Al Andalus Vol XXII 1957 fasc 1, pp. 183 .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ١ ص ٢٩٤ ، جـ ٢ ص ١٨٢ ، ١٩٥ ، ٢٥٠ ، (عنان) جـ١ ص ٢٩٤ ، ٤٥٢ ، ٥٠٨ ، الحميري : الروض المعطار ص ٢٤ ، المقري : نفح الطيب جـ ٨ ص ٣٧٥ .

عشر الميلادى) كان جزء منها مزروعاً بأشجار الزيتون، أما الباقى فكان خالياً من الاشجار، وقد أعجب الرحالة الألمانى منزر بهذه المقبرة بسبب اتساعها، وذكر إنها كانت أكبر مرتين من كل نورمبرج Nuremberg ، وإنها كانت موزعة فى سهول مختلفة [١]، وقد عثر فى هذا المكان فى عام ١٦٣٠ على مقابر كثيرة للمسلمين عند حفر بعض الأساسات[٢].

مقبـــرة البيـــــازين [٣]:

كانت هذه المقبرة تشغل الجانب الشرقى، داخل أسوار ربض البيازين، وكانت تشمل حسب ماذكره "مونزر" جزءاً كبيراً من سفح الجبل فوق المدينة ... وعلى القمة كان يوجد برج شديد الارتفاع، كانت توجد فيه مقابر ملوك غرناطة[٤]. وقد أطلق على هذه المقبرة بعد ذلك اسم الروضة، ذكرى لبعض الأضرحة الخاصة ببعض العظماء[٥]. ويفهم من الوثائق القريبة من حركة الاسترداد، إنه كان يوجد مسجد بنفس الأسم "مسجد الروضة"[٦].

مقبــرة السـبيكـة :

يحدد لنا مونزر موقع هذه المقبرة الواسعة فيقول : " نصعد إلى الحمراء عن طريق جبل عال جداً، وعلى سفحه تظهر لنا على الطريق، مقبرة كبيرة، أكبر ست مرات من ميدان نورمبرج، نصعد مسافة طيبة، ثم ندخل فى مكان كان مخصصاً للأسرى المسيحيين[٧].

---

(١) انظر : Munzer : Viaje por Espana y Protugal p 20

(٢) انظر : M. Lafuente Alcántara : El libro del viajero en Granada (Granada 1943) , p. 26.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٥٩ .

(٤) انظر : Munzer : Op. cit., p 91

(٥) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Op. cit., p 185

(٦) انظر : M. Gómez Moreno : Guía de Granada p 488 .

(٧) : Munzer :Op. cit ., p 87 .

كانت المقبرة تشغل سفح السبيكة، بين السجن وباب الرمان حالياً. وفى أحد أضرحة مقبرة السبيكة دفن محمد الأول ومحمد الثالث ونصر، كما دفن على منحدرات هذا التل الحاجب رضوان الذى اغتيل عام ٧٦١ هـ / ١٣٥٩م (١).

مقبـــرة الغـــرباء :

يشير ابن الخطيب إلى دفن أحد الفقهاء فى هذه المقبرة فى عام ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧م وذكر إنها تقع أمام ربض نجد(٢).

مقبـــرة بـــاب الفخــــارين :

يذكـر ابن الخطيب أن شـخصـاً قد دفن فى هذه المقبـرة فى شهـر ذى الحـجـة عـام ١٣٤٩/٧٥٠ - ١٣٥٠م، التى كانت تقع فى أسفل سفح الربوة(٣).

مقبـــرة العســال : (٤)

من العـقود الخاصة ببيع قطعة أرض بها بستان فى غرناطة عام ٨٩٦ / ١٤٩١ ذكرت مقبرة العسال كحد شرقى لهذا البستان(٥).

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥٦٢ وكذلك Luis Seco de Lucena : El Há^yib Ridwan (Al Andalus, XXI, 1956, p 294) & Leopoldo Torres Balbás : El Cementario Real de Los Nazaries en Mondujar (Al Andalus 1942, Vol VII fasc 2 pp. 269 - 281 .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٢٩٢ وكذلك E. Lévi - Provencal : Le Voyage d'Ibn Battuta dans le royaume de Grenade , en Mélanges Marcais (Paris 1950) p. 221, luis Seco de Lucena : De Topoinia granadina (Al Andalus Vol XVI, p. 51)

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٢٠١ وكذلك
Luis Seco de Lucena : De Toponimia Granadina (Al Andalus XVI, 1951 , p. 62 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) المجلد الثالث ص ٢٧٢ .

(٥) انظر : Luis Seco de Lucena : De Toponimia Granadina pp. 69 - 71 .

مقبــــــــرة Socaster :

تبعاً لما ذكره Gomez - Moreno يذكر ابن الخطيب إن هذه المقــبرة كانــت تقع في غرناطة بجانب ســـور القصبة القديــمة بالقــرب من البــاب الجديد أو Arco de Los Pesos وقد بقيت من هذه المقبرة بعض البساتين[1]. وإن كنت لم أعثر على ذكر لهذه المقبرة بين مؤلفات ابن الخطيب.

---

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Cementarios Hispanomusulmanes p. 184 .

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة

الشعب الغرناطي - ملابس أهل غرناطة - الحلي وأدوات الجمال والزينة - الأطعمة والأشربة في مملكة غرناطة - المرأة الغرناطية - العادات والتقاليد - النظافة والحمامات - المنزل الغرناطي - أثاث المنزل الغرناطي - اللهجة الغرناطية - الأعياد والاحتفالات - أهل الذمة في غرناطة ...

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية فى مملكة غرناطة

الشعب الغرناطى - ملابس أهل غرناطة - الحلى وأدوات الجمال والزينة والاطعمة والأشربة فى مملكة غرناطة - المرأة الغرناطية - العادات والتقاليد - النظافة والحمامات - المنزل الغرناطى - أثاث المنزل الغرناطى - اللهجة الغرناطية - الاعياد والاحتفالات فى مملكة غرناطة - أهل الذمة فى غرناطة

الشعب الغرناطى :

ازداد عدد السكان فى مملكة غرناطة ازدياداً كبيراً بسبب سيل المهاجرين اليها من مسلمى بلنسية ومرسية وجيان واشبيلية وقرطبة وغيرهم من قواعد الاندلس التى كانت تسقط فى يد الاسبان[1]. وكذلك بسبب هجرة مدجنى[2] قشتالة واراجون إلى غرناطة، بعد أن انزل عليهم فقهاؤها وأدباؤها جام غضبهم وانتقدوا بقاءهم فى البلاد التى سقطت فى يد الاسبان[3]. مثال ذلك أبو بكر بن الفخار الجذامى (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م) الذى كتب كتاباً بعنوان "الجواب المختصر المروم، فى تحريم سكنى المسلمين فى بلاد الروم[4]. كما ان ابن خلدون يوجه تهمة الخيانة إلى الذين يفضلون العيش كمدجنين بدلاً من هجرتهم إلى البلاد الاسلامية[5].

وقد حرص سلاطين بنى نصر على أن يحصلوا من ملوك قشتالة واراجون فى كثير من المعاهدات والاتفاقيات بينهما على السماح للمدجنين بالهجرة إلى

---

(١) ابن الخطيب: اللمحة ص ٢٧، المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ٢٥٧.

(٢) المدجنون وبالاسبانية Mudéjares هم سكان المدن والقواعد الاندلسية التى كانت تسقط فى يد الاسبان، ويظلون تحت الحكم المسيحى الجديد.

(٣) انظر على سبيل المثال :

J. Ribera y M. Asin: Manuscritos Arabes y Aljamiados de la Biblioteca de la Junta (Madrid 1912) pp. 259-260.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١١٦ - ١١٧ وكذلك :

Fernandez y Gonzales: Mudéjares de Castilla P 154.

(٥) انظر A. Vives : Formacion del reino de Granada P. 11.

غرناطة مع عائلاتهم، وإلا يمنعوا من اراد منهم ذلك "مرفوعاً عنهم الاعتراض من غير شيء يلزمهم إلا الغرم المعتاد على ماجرت به العادة من غير زيادة[1]".

بجانب هؤلاء كان هناك البربر، وقد اخذوا يتوافدون منذ ذلك العهد على غرناطة لمعاونتها في حروبها ضد اسبانيا المسيحية[2].

كما يحدثنا ابن الخطيب عن وجود عناصر سودانية كانت لهم رابطة خارج مالقة[3] كذلك يروى ابن بطوطة الذى زار غرناطة في أواسط القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادي) انه التقى هناك بجالية من المتصوفة الذين وفدوا من الهند وبلاد الفرس وخراسان للمرابطة في سبيل الله[4].

كذلك يفهم من النصوص انه كانت هناك أيضا جماعات من الأفارقة السود وكان هؤلاء قد عبروا إلى الاندلس رفقة الجيش الاسلامي منذ حركة الفتوح الاولى، ويبدو أن هجراتهم قد توالت بعد ذلك على الاندلس من مناطق مالي وماحولها[5].

أما فيما يتعلق بتعداد السكان في المملكة فمن الصعب تحديد ذلك بصورة محددة، وإن كانت بعض هذه المصادر تعطي رقماً مبالغاً فيه يتراوح مابين أربعة إلى خمسة ملايين نسمة[6].

كذلك نلاحظ ان هناك تبايناً واضحاً بين تقدير تعداد هؤلاء السكان - على أساس الناحية الدينية - بين المصادر المسيحية والاسلامية. فبينما تتحدث المدونات

---

(١) انظر
M. Alarcón: Los Documentos Árabes P. 146 &
A.J. Soler: La Corona de Aragón y Granada (B.R.A.B.L.B.) (1907) N° 27 pp 151-153

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٧ - ٢٨، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٢.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٢٣.

(٤) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٧٢ - ٣٧٣، د. العبادي : الاعياد في مملكة غرناطة ص ١٤٧، وكذلك
L. Lévi Provençal: Le Voyage d'Ibn Battúta dans le royaume de Granade P. 216.

(٥) يقول ابن الخطيب : (ديوان الصيب والجهام ص ٢٣٨) ح ٧
وحبيش كلامهم يشبه القطا   ل عند التجار خط الضياء

(٦) انظر M. Lafuente Alcántara: Historia de Granada t 111 p. 99.

الاسبانية انه عندما عقد المجمع الديني في بلنسية في عام ١٣١١م فان السفراء الاسبان أكدوا للبابا كليمنت الخامس Clemente V أن عشر سكان غرناطة فقط كانوا مسلمين من الأصل، وإنه بين مائتي ألف من سكان غرناطة، لم يكن يوجد سوى خمسمائة من أصل عربي خالص أما الباقي فقد كانوا من نسل الذين تحولوا عن المسيحية إلى الإسلام(١).

وعلى العكس من ذلك يؤكد ابن الخطيب أن سكان غرناطة كانت انسابهم عربية، ثم يعدد لنا اسماء القبائل التي ينتسبون إليها(٢).

كذلك نجد أن السيدات الغرناطيات كن يحتفظن بالعادات العربية، فيذكر ابن سعيد انه كان يطلق على سيدات غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات، لمحافظتهن على العادات العربية(٣). كما اننا نلاحظ ان الشاعر الغرناطي الشهير ابو البركات بن الحاج (ت ٧٧٣/١٣٧١-١٣٧٢)عندما أوقع الطلاق على زوجته أم العباس بنت أبي عبدالله محمد بن ابراهيم الكناني يصفها بالعربية الحرة(٤).

ولكن مما لاشك فيه أن كلا الجانبين يبالغ في دعواه، فبالنسبة للجانب الأول نرى أنه ربما اراد السفراء أن يوضحوا أن العنصر المسيحي قد أصبح هو الغلبة الغالبة في غرناطة وذكروا اجبار الاسرى المسيحيين على اعتناق الاسلام، هذا الموقف ربما أراد به السفراء دفع البابا والمسيحيين للوقوف ضد الاسلام والمسلمين. كذلك يبالغ ابن الخطيب كثيراً في أن الشعب الغرناطي كانت غالبيته العظمى من أصل عربي(٥).

ولكن يمكن القول بأن العنصر الغرناطي في هذا العصر لم يكن سوى استمرار للعنصر الاندلسي في العصور الاسلامية السابقة، ومع ذلك فان حب الانتماء إلى

القبائل العربية الارستقراطية قد تغلغل بين الاندلسيين، وورثه الأبناء عن

(١) انظر: Soler : Op. Cit., p 353 & F. Simonte : Hist. de los Mozárabes de Espana ; P788.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤١.

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ٢٥.

(٤) المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٥) انظر: Dr. M. Al Abbady: El Reino de Granada en la Época de Muhammad V. p: 140.

الآباء. فملوك بنى نصر أنفسهم يرجعون نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج وأحد انصار النبى عليه الصلاة والسلام فى دار الهجرة[١].

كذلك نجد ابن الخطيب يتفاخر بانتسابه إلى الأصل العربى، وأجداده الذين ينحدرون من العرب القحطانية واليمنية[٢]. كما نلاحظ أن اسرة "المفرج" وكان رجالها يعملون فى البلاد النصرى فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)، يفتخرون كذلك بانتمائهم إلى الأصل العربى[٣]. ولم يكن هذا شيئاً غريباً، ولكنه يتكرر دائماً فى كل الدول والممالك، التى كان يصيبها الضعف والوهن والانحلال. وقد ادرك ذلك ابن خلدون فقال "وأهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية فى مواطنهم منذ اعصار بعيدة بفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة أهل العصبيات من البربر فبقيت انسابهم العربية محفوظة والذريعة إلى العز من العصبية والتناصر مفقودة[٤].

غير اننا نلاحظ من دراسة الوثائق الغرناطية المتأخرة إن الشعب الغرناطى فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)، كان شعباً اندلسياً أصيلاً، فأسماء كثير من الأشخاص الذين يظهرون فى تلك الوثائق لاتنم عن أصل عربى من قريب أو بعيد، وكذلك القابهم لاتدل على أصول مشرقية، وبهذا كان الغرناطى فى هذا العصر لايحافظ على نسبه ليثبت أنه يرجع إلى قريش أو أى قبيلة عربية عريقة أخرى، وإنما كان يقرر صراحة أنه وأسلافه يرجعون إلى أصل أندلسى، وكان يفخر قبل كل شيء بانه اندلسى مسلم. وهكذا نجد ألقاباً اندلسية تنسب إلى المدن والأقاليم فى تلك البلاد مثل الانجرونى نسبة إلى الانجرون Lanjarón والدلائى نسبة إلى دلاية Daliás، والحامى نسبة إلى الحامة Alhama

---

(١) انظر الفصل الخاص بالسلطان.

(٢) انظر ترجمة ابن الخطيب لنفسه فى الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ٤٢٥-٤٩٩.

(٣) انظر :

Luis Seco de Lucena: Notas para el estudio de Granada bajo la dominación musulmana. Acerca de algunas familias ilustres arábigo - granadinos, los Mufarrig. Cortesanos de la dimastia nasri en (M. E.A.H.) Vol I (1952) PP. 27-49.

(٤) ابن خلدون : المقدمة (طبعة بيروت) ص ٣١

والمالقى نسبة إلى مالقة Malaga وهكذا[١].

ويصف لنا ابن الخطيب الشعب الغرناطى بان "صورهم حسنة، معتدلة انوفهم، بيض الوانهم، مسودة غالبا شعورهم، متوسطة قدودهم، فصيحة السنتهم، عربية لغاتهم يتخللها غرب كثير وتغلب عليها الإمالة[٢].

ملابس أهل غرناطة :

كان أهل غرناطة يميلون إلى الأناقة فى الملابس، ويستهجنون الإبتذال فيه[٣]. وقد تأثرت ملابسهم فى البداية بملابس البلاد المسيحية المجاورة، فيحدثنا أبو محمد البسطى انه قد شاهد محمد الأول بن الأحمر يوم دخوله غرناطة (فى عام ١٢٣٨/٦٣٥م) و"عليه شاية ملف[٤] مضلعة"[٥] تشبه هذه التى كان يرتديها فلاحو قشتالة[٦]. كذلك يذكر ابن سعيد الذى كان معاصراً لمحمد الأول عند حديثه عن غرناطة وأهلها انه "كثيراً مايتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزى النصارى المجاورين لهم"[٧]. وقد لاحظ ذلك ابن خلدون وعلله بأن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده فيقول : "كما هو الحال فى الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة فانك تجدهم يتشبهون بهم فى ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى فى رسم التماثيل فى الجدران والمصانع والبيوت

---

(١) لويس سيكردى لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية. صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد. المجلد السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ٨٥-١٠٨، وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى (مدريد ١٣٨٠/١٩٦١) ص٩م

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٧، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٠.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٢٥٢، ابن خاتمة ص ١٣٦ حيث يقول :

تخير من الاثواب ارفعها تنسل ... أعز محل ترتقى لالتماسه

ولاتبغ فى أمر اللباس تواضعاً ... فعنوان نبل المرء حسن لباسه

(٤) جوخ

(٥) مؤلف مجهول : الذخيرة السنية ص ٦٠، ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٥، الإحاطة جـ ٢ (القاهرة) ص ٦٥ وعن الشاية أنظر : Dozy: Vétements pp. 212-213

(٦) انظر : Rachel Arfe ; Quelques Remarques sur le Costume des Musulmans d'Espagne au temps de Nasrids P. 245.

(٧) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٧.

حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء» [١] .

ويمكننا الاستعانة بالمصادر المسيحية لرسم صورة لملابس الشعب الغرناطي في تلك الفترة ، ففي داخل جماعة المدجنين بقشتالة ، استمرت عناصر الملابس التقليدية الاسلامية ، يقدمها لنا كتاب الشطرنج Libro del Ajedrez وهو عبارة عن مخطوط من عصر الملك الفونسو العاشر [٢] . نرى فيه ان اتباعه من المسلمين كانوا يرتدون الجبة ، وهي عبارة عن جلباب واسع بأكمام طويلة ، غنية بالوشي (وعرف مسيحيو اسبانيا هذا الطراز من الملابس تحت اسم Aljuba) [٣] .

اما العامة فقد قنعوا بجبة من الصوف أو القطن في المدن ، أو شاية بسيطة من الصوف الخشن في الريف ، وكانت ملابس السفر هي " البرنس " (انتقلت هذه الكلمة الي الاسبانية فصارت Albornoz) وهي عبارة عن معطف من الصوف مزود بغطاء للرأس . وفي حالة ارتداء جبة من الحرير كان المسلمون يضيفون اليها " ياقة " وأكمام مزودة بشرائط من قصب أو حرير [٤] .

ولما بدأت قوات الغزاة المغاربة في العبور الى الاندلس تأثرت طرق الزي في غرناطة بالزي المغربي ، ففي الشتاء كانوا يرتدون الملف المصبوغ شتاء ، وكان يختلف باختلاف الدرجة الاجتماعية والثروة (٥) . أما في الصيف فكانوا يرتدون

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٤٧ (طبعة بيروت)

(٢) تحتفظ مكتبة ديـر الاسكوريال بهذا المخطوط الذي وضع في اشبيلية عام ١٢٨٣م ويتكون من ٩٧ ورقة)
" Juegos de ajedrez, dados y tablas, ويشتمل علي ١٥٠ صورة واسمه بالكامل Cote No (- I - 6)
ordenados por mandados de D. Alfonso el Sabio .
J. Guerrero Lovillo : Miniatura gotica - castellana siglos XIII y XIV, Madrid 1956 pp 23-24 & Rachel Aríe : Le costume de Musulmans de Castille au XIIIe siecle d'apres les miniatures du libro del Ajedrez, dans Mélanges de la Casa de Velázquez, t. II, p 61 n I.

(٣) انظر " D. JuanManuel " El Conde Lucanor ed . E. Julia (Madrid 1933) p 126.

(٤) انظر : Rachel Aríe : op. Cit.., pp 62-63

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٠ ، اللمحة ص ٢٧ .

اقمشة من " الكتان والحرير والقطن والمرعزى [١] وا... بة الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة .... فتبصرهم فى المساجد ايام الجمع كأنهم الازهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الاهوية المعتدلة » [٢] .

ونلتقى بابن زمرك يتغنى فى شعره بهدية قدمها له السلطان محمد الخامس عبارة عن : رداء صنهاجى من لون احمر قان موشى بزخارف من الطيور [٣] .

وكانت مصانع المملكة تنتج الاقمشة المختلفة منها : الموشى المذهب " فى المرية ومالقة ، و " الملبد المختم " فى غرناطة وبسطة [٤] . كما كانوا يتخذون الفراء من حيوان بحرى يسمى " السمور " وحيوان آخر يسمى " القنلية " وهى عن الاسبانية Conejo بمعنى الارنب [٥] .

وتظهر لنا بعض رسوم قصر الحمراء التى ترجع الى القرن الثامن الهجرى - (١٤م) نماذج لاسلوب الملابس فى مملكة غرناطة ، فكان رجال الطبقة العالية يرتدون علاوة على القميص - الدراعة ، وهى قميص مستوى غير مشقوق ، مزود بأكمام طويلة . كما ان الفقهاء الذين يبدو انهم يعقدون اجتماعا فى رسوم سقف صالة التريبونال فى الحمراء يرتدون دراعات من ألوان خضراء وحمراء. وفى داخل احدى القباب الجانبية لصالة الملوك نجد فارسا مسلما وعلى رمحه تظهر فريسة يرتدى جلبابا بقلنسوة بأكمام قصيرة وواسعة ، وفى رسوم البرطل تظهر بعض الشخصيات التى ترتدى برنسا [٦] من صوف ابيض [٧] .

---

(١) المرعزي من جلد الماعز ، وقد كان مسموحا للغرناطيين بارتداء ملابس من جلد الحيوانات ماعدا ... انظر ،
Mudejares de castilla p 394, Dr. Al Abbadi El Reino de Granada p 142 n. 4.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٠ - ١٤١ ، اللمحة ص ٢٧ .

(٣) المقري : ازهار الرياض جـ ٢ ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٤) المقري : نفح جـ ١ ص ١٨٧ .

(٥) المقري نفح جـ ١ ص ١٨٤ - ١٨٥ ، Dozy : Supp aux Dic II p. 414

(٦) عن البرنس انظر Dozy : Vêtements pp 79-80،

(٧) د. جمال محرز : الرسوم الجدارية الاسلامية في البرطل بالحمراء ص ٣٤ (مدريد ١٩٥١) .

وافراد العامة الذين يظهرون فى الحرس وحملة القسى على الحائط الشرقى من منزل البرطل ، يرتدون شاية بأكمام طويلة يأتى جانب منها فوق الزنار ، وسراويل[1] من لون ابيض تصل الى الكعب [2] .

كذلك كانت هناك الحلل الديباجية والجلابيب [3] ، والمسوح والدلوق وكانتا من ملابس الشيوخ [4] والقميجة (القميص) وقميجة شقة (قميص من الكتان) [5] ، والطيلسان الذى كانوا يلقونه على الكتف أو الكتفين مطويا طيا ظريفا [6] .

وكان لاصحاب الحرف ملابس خاصة بهم فالازدى في مقامة العيد يصف لنا ملابس القصاب فيقول : " الى ان مررت بقصاب ، مجزرة ، قد شد فى وسطه مجزرة مبزرة ، وقصر اثوابه حتى كشف عن ساقيه ، وشمر عن ساعديه ، حتى أبدى مرفقيه " [7] .

ثم ظهر التأثير المسيحى من جديد فى أردية الرجال والنساء فى غرناطة فى خلال النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى (١٥م) فتقابلنا الملوطة [8] Malluta التى يكثر ذكرها فى الوثائق الغرناطية والمدونات الاسبانية . وهى عبارة عن صدار يشبه

---

(١) انتقلت كلمة سروال أو سراويل الي اللغة الاسبانية فأصبحت Zaraguelles والي البرتغالية فاصبحتCereulas عن سروال انظر : Dozy : op. Cit. p 203.

(٢) أنظر : Rachel Arie : L'Espagne Muaulmane Au Temps Des Nasrides (1232-1492) (Paris 1973) p 384-385 .

(٣) ابن الخطيب : مفاخرة مالقة وسلاقي مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٦١ .

(٤) الأزدي : تحفة المغترب ص ١٠١ .

(٥) لويس دي سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٢١م .

(٦) العمري : مسالك الابصار ص ٤٢ ، القلقشندي : صبح الاعشي جـ ٥ ص ٢٧١ .

(٧) الازدي : مقامة العيد ، تحقيق د. أحمد مختار العبادي : صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثاني : العددان ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ١٦٩ .

(٨) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٤٣ ، والملوطة : كلمة مأخوذة عن الاغريقية وانتقل رسمها الي الاسبانية Marlota انظر : وثائق عربية غرناطية لم تنشر ص ١٧٧ ،
Dozy : vêtements pp 349-351 & Robert Ricard : Espagnol et portugais " marlota" , Recherches sur le vocabulaire hospanomauresque, dans bulletin hispanique, t. LIII, 1951

الجلباب بغير أكمام ومن المحتمل أن تكون مزودة بغطاء للرأس . هذا وقد ورد فى الوثائق ان ملوطة من الديباج صنعت فى قشتالة فى عام ١٤٨٥م لأبى عبد الله بن الاحمر الاخير أسير الملكين الكاثوليكيين (١) .

ويبدو ان مسلمى غرناطة قد احتفظوا بملابسهم بعد سقوط بلادهم فى يد الاسبان ، ويظهر هذا واضحا فى الرسوم البارزة على جدران المصلى الملكى فى كاتدرائية غرناطة ، حيث نرى الرجال فى دراعاتهم الواسعة ذات الاكمام الطويلة وسراويلهم التى تصل الى رسغ الساق وتوصل بالاخفاف الجلدية وعلى رؤسهم عمائم ذات اشكال شتى (٢) .

غطـــاء الـــرأس :

أما عن لباس الرأس فيحدثنا ابن سعيد انه لاحظ فى عصره ان من النادر ان يرى اندلسى بعمامة فى المشرق والمغرب (٣). اما ابن الخطيب فيذكر ان بعض السلاطين كانوا يلبسون العمائم (٤) ، وانها " كانت نقل فى زى أهل هذه الحضرة " غرناطة " الا ما شذ فى شيوخهم وقضاتهم والجند الغربى منهم (٥) "

---

(١)انظر: Cuentas de Gonzalo de Baeza : Tesorero de Isabel la Católica t. I, : (1477-1491) Madrid 1951, ed. A. de la Torre P. 88

(٢) انظر: Rachel Arfe : Acerca del Traje Musulmán en Espa´na desde la Caída de: Granada hasta la expulsión de los moriscos, Revista del Instituto de Estudios Islamicos en Madrid (1965-1966) vol XIII, 103-117.

(٣) المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٧ .

(٤)ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٤٠٠ مثال ذلك ان السلطان اسماعيل بن فرج كان يضع العمامة علي رأسه عندما وقع تحت طعنات قاتله .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٢ . ويذكر ان الكرسوطي انشده وهو يحاول لبث العمامة ، ويستعين علي اصلاح العمل واحكام اللياثة :

أمعمما قمرا تكامل حسنه   أربي علي الشمس المنيره في البها

لا تلتمس عن لديك زيادة   فالبدر لا يختار من نور السها

(ابن الخطيب : الاحاطة (المجلد الثالث) عنان ص ١٣٠-١٣٤) .

وعندما صحب لسان الدين بن الخطيب سلطانه يوسف الاول فى زيارته لمدينة قنتورية Cantoria [(١)] ، فان قاضى المدينة ابن ابى خالد كان يضع العمامة على رأسه عند استقباله للضيف الملكى [(٢)] .

وتوضح لنا رسوم البرطل ورسوم صالة التريبونال فى الحمراء الاشكال المختلفة للعمامة الغرناطية فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) ، فمن بينها عمائم تغطى الكتف وتدور حول الرقبة على الطريقة المغربية ، وعمائم لا تغطى الا الرأس،ويمكن وضعها بطريقة القبعة ، وعمائم كروية [(٣)] . كما كانت هناك عمائم موشاة[(٤)] .

ولم تكن العمائم الخاصة برجال المشرق معروفة للاندلسيين " وان رأوا فى رأس مشرقى داخل الى بلادهم شكلا منها اظهروا التعجب والاستظراف ، ولا يأخذون انفسهم بتعليمها ، لأنهم لم يتعادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم وكذلك فى تفصيل الثياب " [(٥)] .

ومن أغطية الرأس كان هناك ايضا الطيلسان [(٦)] ، الذى يكان لا يضعه على رأسه الا الاشياخ المعظمون [(٧)] من ذلك نرى ان ابن مالك الازدى (ت ٧٣٠ هـ)

---

(١) قنتورية بلدة صغيرة من اعمال المرية تقع على نهر المنصورة قريبا من برشانة .

(٢) ابن الخطيب : خطرة الطيف فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٣٦-٣٧ .

(٣) انظر : Arie : Quelques Remarques sur le Costume des Musulmans d'Espagne au temps de Nasrids p 253-254 .

(٤) ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، المقرى : نفح جـ ١٠ ص ٨٩ ، ازهار الرياض جـ ٢ ص ١٣٤ حيث يقول ابن زمرك فى وصف عمامة مطرزة :

وعمامة التقوى التى	من لوثها شمس الهدى
يا حسنها اذا ارسلت	من كفه غيث الندى
وكأن وشى رقومها	بالبرق طرز عسجدا
وبطرزه لون السماء	وجهه قمر بدا

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٦) انظر صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٧١ ، Dozy : Vêtments p 278-280.

(٧) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٨

كان " لا يتعمم بل كان يتطليس على طاقية [١] . " والطاشور " وهو نوع يشبه الغفارة ، وفى الغالب ان يكون متصلابه غطاء للرأس [٢] .

اما لباس الرأس الأكثر شيوعا فى غرناطة فكان عبارة عن قلنسوة من الصوف تسمى " غفارة " [٣] من لون احمر أو اخضر ، وكان اللون الاصفر مخصصاً لليهود الذين لم يكن يسمح لهم اطلاقا بوضع العمامة على رؤسهم . ومع ذلك فقد كان بعض الناس يتخذون اللون الاصفر على الرغم من استنكار ذلك [٤] .

كذلك نلاحظ ان المسلمين من ابناء الطبقة الراقية الذين تقدموا نحو فرناندو الكاثوليكى يوم تسليم غرناطة ، كانوا يغطون رؤسهم بقلنسوات عالية لها حرف أو مشققة [٥] .

وكان المدجنون فى قشتالة يفضلون - كما يظهر فى كتاب الشطرنج - كأبناء دينهم الغرناطيين ارتداء الطيلسان الذى كان يضعه علماء الدين على الرأس ، كما ظلوا محافظين على العمامة [٦] .

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الدرر ، السفر الرابع ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٢٥٤ . Dozy : Suppl. II, p 18

(٣) غفارة أو غفيرة وجمعها غفائر ، لباس يغطي العنق والقفا ، وتطلق الغفارة كذلك علي لباس علي قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ويتدلي منه شيء علي القفا انظر : Dozy : Vêtments p 312-317

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (لوحة ٢٤٤ - ٢٤٩ (مخطوط الاسكوريال) .

(٥) انظر : Arfe : op. cit. p. 258

(٦) انظر : Rachel Arfe : Le Costume de Musulmans de Castille auXIIIe siécle d'aprés les miniatures du libro del Ajedrez p 74

مـــلابس السيــدات : ـ

لا تعطينا المصادر العربية تفصيلات واسعة عن ملابس السيدات فى غرناطة وتذكر ان من بين ملابسهن كان هناك السروال [١] الازار [٢] والعمامة [٣] .

ولكننا من ناحية أخرى نجد ان بعض الكتاب والرحالة الاوربيين المتأخرين يضعون لنا صورا سريعة للملابس المدجنات فى غرناطة بعد سقوطها بفترة قصيرة ، ويمكننا ان تستشف منها عرض سريع لتلك الملابس التى تستطيع القول انها كانت تشبه الى حد كبير ملابس مسلمى غرناطة بنى نصر ، وقصر المدة لا ينبئ بحدوث تطور كبير فى تلك الملابس .

من هؤلاء الكتاب والرحالة نذكر Gines Pérez de Hita [٤] ، و Luis de Marmol [٥] والرحالة الايطالى Andrea Navagero [٦] الذى زار غرناطة فى عام ١٥٢٦ ، والرحالة الالمانى Christoph weiditz [٧] الذى زار غرناطة فى

---

(١) يحكي ان ابا البركات بن الحاج كان جالسا في دهليز بيته مع بعض الاصحاب ، فدخلت زوجته من الحمام وهي بغير سروال لقرب الحمام من البيت فانكشف ساقها ، فدخل خلفها وغاب ساعة ثم خرج وانشد :

كشفت عن ساق لها فرأيتــه ... متلألأ كالجوهر البــــراق

لا تعجبوا ان قام منه قيامتي ... ان القيامة يوم كشف الساق

(المقري : نفح الطيب جـ ٧ ص ٤٠٨) .

(٢) الازدي : مقامة العيد ص ١٦٩ .

(٣) يقول ابن خاتمة في وصف ملابس سيدة (ديوان ابن خاتمة ص ١٠٢)

ريحانة كساها العنبر قد اطلعت ... كأنها الغصن في خضر من الورق

تكللت عمه حمراء وانتقبت ... فحكي الهلال كسته حمرة الشفق

(٤) انظر : Guerras civiles de Granada I, pp LXXX - LXXXIII, II, pp 181 y sigs .

(٥) انظر : Historia de la rebelión y Castigo de los Moriscos, pp. 189-202

(٦) انـــظــــر : Viaje a Espana del magnffico senôr Andrés Navajero, embajador de la República de venecia ante el Emperdor carlos v, traducciốn de José Ma- Alonso gamo

(٧) انـــظــــر : Christoph weiditz : Das Trachtenbuch von seinen Reisen nach Spanien (1529) Láms LXXIX-LXXXVI .

عام ١٥٢٩- . والرحالة الالمانى الطبيب خيرونيمو مونزر [١] .

وعندما زار الاخير غرناطة (عام ١٤٩٤) بعد سقوطها بعامين فى يد الملكين الكاثوليكيين ، لاحظ ان السيدات الغرناطيات كن يلبسن جميعا سراويل من الكتان ، والسروال مسترسل به طيات تربط بزنار (حزام) عند السرة . ومن أعلى كن يلبسن قميصا طويلا من الكتان ثم ثوبا من الصوف أو الحرير حسب مكانتهن الاجتماعية . أما ملابسهن الخاصة بالخروج فكانت تتكون من قماش ابيض من الكتان أو القطن أو الحرير الذى يغطى الوجه والرأس ولا يسمح بظهور أى جزء منه سوى العينين [٢] .

وفى عام ١٥٢٦ ذكر الرحالة الالمانىJohanne Lange ان السيدات والفتيات فى غرناطة كن يرتدين وشاحا من لون ابيض ، يغطى الجسم والرأس من جوخ يصل الى بطن الساق وحجابا للوجه [٣] .

كذلك يذكر الرحالة الايطالى اندريا نافاجيرو الذى زار غرناطة عام ١٥٢٦ ان السيدات المسلمات كن يلبس قمصانا اطول قليلا عن السرة وبعد ذلك السراويل التى كانت عبارة عن قماش مكبوس يدخل فيها القميص قليلا وفوق القميص كن يلبسن معطفا قصيراً مطرزاً هو وأكمامه بالحرير ، وكانت غالبا ماتكون من لونين ويلبسن فوقها عباءة بيضاء من القماش ، كانت تغطيهن حتى الأرض بطريقة تخفى شخصياتهن . كما كانت رقبة القميص موشاة ، وخاصة لدى سيدات الطبقة الراقية ، بزخارف من الذهب ، واحيانا كانت العباءات البيضاء اللاتى يلتففن بها تحمل زخارف هندسية من الذهب فى كل نواحيها ، كما كن جميعا يضعن قبعات سوداء على رؤوسهن [٤] .

(١) Múnzer, jeronimo : viaje por Espa´na y Portugal (1494 -1495) Troducción de josé López Toro .

(٢) انـظـر : Mun zer : op. p 107

(٣) Christoph weiditz : op. cit. , p 146 & Dr. Ahmad Mujtar Al Abbady : Op. cit. p 145 &Rachel Aríe : Acerca del traje Musulmán en Espa´na desde la Caídn de Granada hasta la expulsión de los moriscos p 103-117

(٤) أنـظـر : Andrea Navagero : Op. cit. p 73-74

غطاء القدم : -

تحدثنا الوثائق والمدونات الخاصة بهذا العصر ان سيدات غرناطة كن يضعن فى أرجلهن " الموق " وهو خف غليظ يلبس فوق خف أدق منه (وجمعه أمواق) [١] ، كما كان أهل الاندلس يتخذون نعلا من الحلفاء يسمونها " البلغة [٢] " .

ويظهر النساء والرجال فى كتاب الشطرنج وهم يضعون فى ارجلهم حذاء مكشوفا اسود كان استخدامه شائعا فى قشتالة [٣] . كما يظهر الفرسان والنبلاء ورجال العامة فى صور البرطل بالحمراء وهم يلبسون الاخفاف [٤] .

وقد لاحظ الرحالة الالمانى لانج Johanne Lange ان سيدات غرناطة كن يلبسن فى ارجلهن جوارب سميكة كثيرة التجاعيد [٥] .

كذلك يذكر الرحالة الايطالى اندريا نافاجيرو Andrea Navagero ان النسوة فى غرناطة كن يلبسن فى القدم أمداساً صغيرة مطرزة بالحرير وجوارب مجعدة تجعل الركبة ضخمة جداً [٦] .

وتحدثنا الوثائق المتعلقة بتسليم غرناطة للملكين الكاثوليكيين ان الرؤساء العرب كانوا يلبسون فى ارجلهم احذية طويلة من الجلد ، كما ان المقاتلين الذين تركوا المدينة كانوا يلبسون احذية من الجلد تسمى ريحية التى كان استخدامها شائعاً خلال العصور الوسطى المتأخرة [٧] .

---

(١) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٩٦ .

(٢) المراكشي : الذيل السفر السادس ص ٤٤٩ .

(٣) انظر : Rachel Arie : le Costume de Musulman de Castille au XIIIe siécle d'apres les miniatures du libro del Ajdrez p 63- 64 .

(٤) د. جمال محرز : الرسوم الجدارية الاسلامية في البرطل بالحمراء ص ٣٤ .

(٥) أنظر : Rachel Arie : Acerca del traje Musulmán en Espa´na desde la Caída de Granada hasta la expulsion de los moris cos pp 103 - 117 .

(٦) انظر : Andrea Navagero : Op. cit. p 73 .

(٧) انظر : Dozy Suppl. I, p 567 & R. Brunschvig : Berberie , t. II, p 282

وعند الخروج كان الرجال والنساء يضعون فى ارجلهم نعالا سميكة من الفلين (قـرق) [١] ، أو أحذية غير مرتفعة بدون كعب ، كانت تترك رقبة القدم مكشوفة تماماً وتسمى سباط [٢] .

وفى داخل المنزل أكتفى الغرناطيون بأحذية بيتية مصنوعة من الجلد [٣] واخفاف رشيقة من الجلد الناعم من الوان مختلفة ، وأحيانا تكون مطرزة بالفضة والذهب ، كما كانت تبطن بالحرير وتسمى شاربيل [٤] .

وفى الحمام كانت هناك " القباقيب " التى كانت تصنع من خشب الجوز [٥] .

وكما تأثرت الملابس فى مملكة غرناطة فى بعض عصورها بالاثر الاسبانى ، نجد انه فى بعض الاحيان كانت الملابس الاسلامية محط اعجاب المسيحيين الاسبان ، ففى رسالة بعث بها السلطان محمد الثامن (فى ٣٠ مايو ١٤١٨) الى الملك الاراجونى الفونسو الخامس ، يعدد بين الهدايا القيمة التى بعث بها اليه جبة موشاة، جلبابا من الحرير ، دراعه ، برنساً قلانس موشاة بالحرير ، ومالوطة موشاة بالذهب [٦] . كذلك فانه يقابلنا فى قائمة جرد محتويات خزانة الملابس الخاصة بهذا

---

(١) انظر : J. Oliver Ásin : Quercus en la Espa^na musulmana (Al Andalus vol XXIV , 1959, fasc I pp 125 - 181 .

وقرق بضم القاف الاولي – اوردها دوزي في معجمه وقال انها :

تشبه الصندل ، وكان في غرناطة ربض يسمي ربض القراقين انظر : Simonet p 131 , Dozy II , p 334 .

(٢) انظر : Dozy : Suppl, t. I, p 625

(٣) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية لم تنشر ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الرابع ، العددان ١–٢ ١٣٧٥/١٩٥٦ ص ١٧٧ .

(٤) حول هذا الاسم الذي اشتق الي الاسبانية فأصبح : Servillas, Serbillas, Xerbillas, Xervillas

انظر : Dozy : v^etements p 224, suppl. t. l, p 742

(٥) المقري : نفح جـ ٨ ص ٢٣٦ ، Dozy : Suppl. t. l p 303

(٦) انظر : A. Jimenez Soler : La corona de Argón y Granada pp 340-341 .

الملك الاراجونى اسماء لبعض الملابس الاسلامية [١] . كما ان الرحالة التشيكى البارون ليون دى روزميتال Leon de Rosmithal الذى زار اسبانيا عام ١٤٦٦ ، يقرر انه استقبل فى برجس فى قصر لاحد السادة وهناك كانت نساء هذا القصر وانساته مرتديات الملابس " على الطريقة الاسلامية " [٢] .

الحلى وأدوات الجمال والزينة :

تجمع المصادر على اهتمام الشعب الاندلسى بالحلى وتقديره لها ، فيذكر ابن الخطيب ان السلطان ابا الحجاج يوسف الاول كان " جماعة للحلى " [٣] ، كما ان هذا الملك اهدى الامير المرينى عبد الحق بن على " مركوبين ثقيلى الحلية " [٤] كذلك يذكر ان الاحجار الكريمة من ياقوت ، وزبرجد ، وزمرد ، ولؤلؤ كانت كثيرة لدى العائلة المالكة وأبناء الطبقات العالية [٥] .

ويحدثنا ابن الخطيب عن اهتمام النساء فى عصره بالزينة فيقول : وقد بلغن من التفنن فى الزينة لهذا العهد ، والمظاهر بين المصبغات ، والتنافس فى الذهبيات والديباجيات والتماجن فى اشكال الحلى الى غاية بعيدة "و كانت الحلى لديهن هى القلائد والدمالج والخلاخيل والشنوف من الذهب الخالص عند سيدات الطبقة الراقية، ومن الفضة عند سواهم [٦] .

وكانت المدجنات فى قشتالة لهن غرام واضح بالحلى وتذوق لها ، فيظهرن فى

---

(١) انظر : C. Bermis Madrazo : Modas moriscas en la sociedad Cristiana espanola del siglo XV y principios de XVI en (B. R. A. H.) t. CXLIV (1959) pp 199- 226 .

(٢) انظر : A.M. Fabié : viajes por Espa^na de jorge de Einghen, de Baron Leon de Rosmithal de Blatna, de Francis co Guicciardini y de Andres Navajero (Madrid 1877) pp. 157 y sigs .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٩ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٦٠ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٩
I.S. Allouche : La Vie économique et sociale á Grenade au XIVe Siecle p II

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٩ .

كتاب الشطرنج وهن يتزين بالقلائد والخواتم والدمالج [١].

ولقد بلغ من اتقان المسلمين في الاندلس لصناعة الحلى اننا نجد بعضهم يعمل لدى ملوك اسبانيا ، وقد احتفظت لنا الوثائق المعاصرة باسماء ثلاثة من المدجنين كانوا يعملون بتفويض من الملك الفونسو العالم هم Mahomat و Abrahem و Hamet[٢].

وقد عثر على مجموعتين من الحلي الذهبية في اقليم المرية ، ومندوجر في اقليم غرناطة في المدافن الملكية لبني نصر ، وتم عرضهما في متحف مدريد الاثرى ، وكلا المجموعتين تشهدان على المهارة الفائقة التي كان يتمتع بها صناع الحلى الغرناطيين [٣] .

ويشير ابن الخطيب الى مدى ثراء سيدات غرناطة لا متلاكهن الحلى والمجوهرات ويقارنهن بسيدات مكناس اللاتى كن يضطرون الى استئجار الحلى في احتفالات الزواج أو الاعياد والمناسبات [٤] .

وفي عقود الزواج في الفترة الاخيرة لدولة بني نصر يأتي ذكر الحلى الذهبية والفضية التي كانت تملأ صناديق الطبقة المتوسطة [٥] .

وبعد سقوط غرناطة سمح للمسلمين الذين هاجروا الى المغرب بحمل جواهرهم وحليهم من الذهب والفضة [٦] .وفي القرن السادس عشر كان الأدب الاسباني يصور

---

(١) انظر : Libro del Ajedrez, fol. 18r. , 54 r , R. Arie : le costume de Musulman de Castille p 65 .

(٢) انظر : A. Ballesteros y Baretta : Los joyeros moros de Alfonso el Sabio (Al Andalus Vol VII (1942) fasc 2 pp 475 -477 .

(٣) انظر : F. Janer : De las joyas arabes de oro que se conservan en el Museo Arqueológico Nacional, en Museo Espanol de Antigudades, t. IV, pp 525-536, M. Gomez Moreno , El Cementario real de los Nazaries en Mondujar (Al Andalus Vol VII (1942) fasc 2 p 281 .

(٤) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٣٢ - ٣٢٥ .

(٥) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية وثيقة رقم ٦٦ ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(٦) انظر : M. Gaspar Remiro , Emigración de los moros granadions allende el Estrecho , Revista del centro de Estudies Historicos de Granada y su reino t. II, (1912) pp 1-13

المواطن المورسكي بشعر معصب باكليل من اللؤلؤ ونحر مزين بقلادة من الذهب ، واصابع تحمل الخواتم ، ومعصم مزين بدمالج من الذهب [1] .

وتظهر الوثائق ان السيدات المدجنات في قشتالة كن يصبغن الاظافر بالحناء[2]. ولقد ظلت هذه العادة متبعة لدى المسلمات حتى القرن السادس عشر عند زيارة السفير الفنيسي Andrea Navagero لدى بلاط الملك كارلوس الخامس ، لغرناطة عام ١٥٢٤ م [3] .

وكانت الغرناطيات تتمتعن بالشعر المرسل الاسود [4] كما كان اهل الاندلس يتعهدون شعورهم بصباغته بالحناء أو السواد عندما يغزوه المشيب [5] . وفي كتاب الشطرنج تظهر السيدات وهن يمسكن شعورهن بواسطة " وقاية " [6] بسيطة أو " منديل " مخطط [7] .

وكانت الذؤابة لا يرخيها الا العالم ، ولا يصرفونها بين الاكتاف ، وانما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى [8] .

وكان السلطان اسماعيل الثاني يرسل شعره على شكل ضفائر يدخل بينها خيوطا من الحرير تصل الى الوسط [9] .

---

(١) انظر : G. pérez de Hita : Guerras Civiles de Granada
(Biblioteca de Autores espanoles, Madrid 1944) , t. III
P 679 , j. Martinez Ruiz : La Indumentaria de los moris cos según pérez de Hita y los documetos de la Alhambra, en cuadernos de la Alhambra, 3, Granada1967, pp 55-124 .

(٢) libro del Ajedrez, fol 18 r y 54 r & R. Arfe ,l'Espagne Musulman au Temps de Nasrides p 390 .

(٣) انظر : Andrea navagero : op. cit. , p. 74 ويلاحظ الاسبان قد حرموا علي الموريسكيات الصباغة بالحناء عندما تشددوا في معاملتهم للموريسكيين انظر : J. Caro Baroja : Los Moriscos del reino de Granada (Madrid 1957) p 129 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة(عنان) جـ ١ ص ١٤٥ ، اللمحة ص ٢٩ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٣٥٣ ، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٤٦ .

(٦) كان اهل غرناطة يقولون لما تجعله المرأة علي رأسها تحت مقنعتها من حرير كان أو شعر، كنبرش ، ويقال له ايضا الغفارة أو الرقابة أو الرقبة وهي في الاسبانية Cambuj انظر الاهواني : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ص ٥٥ وكذلك : Simonet. p 80 y Dozy II, p 491 .

(٧) انظر : Arie : Op. cit. p. 65 .

(٨) المقري : نفح الطيب : جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٩) ابن الخطيب : اللمحة ص ١١٧ .

نفاضة الاغتراب ص ١٠٣ .

ونجد ان كثيراً من الغرناطيين كانوا يطلقون ذقونهم ويحدثنا ابن الخطيب ان من أشد العقوبات التى كانت توقع على الجنود عند خيانتهم او اتهامهم بالتولى يوم الزحف هو قص ذقونهم [١] .

كذلك فان بين الاشخاص العشرة الذين يظهرون فى سقف صالة التريبونال فى الحمراء ، ثمانية لهم ذقون . وكان السلطان ابو الوليد اسماعيل " كبير اللحية عظيمها" [٢] ، كما كان السلطان ابو الحجاج يوسف الاول " كث اللحية [٣] " .

وكان الغرناطيون يتعهدون ذقونهم بالصباغة والاهتمام ، فنجد ان خالد ابن ابى خالد البلوى قاضى قنتورية Cantoria ، المعاصر لابن الخطيب كانت له ذقن مصبوغة بالحناء والكتم [٤] .

الاطعمة والاشربة فى مملكة غرناطة :

كان الطعام الغرناطى مستمداً من التقاليد الخاصة بالطعام الاندلسى الاسلامى[٥] . وكان القمح هو الغذاء الاساسى فى غرناطة [٦] . ولهذه اضطر السلاطين الى استيراده فى بعض السنوات ، وقبول الهدايا منه من الدول الاجنبية فى سنوات اخرى [٧] . ويضيف ابن الخطيب ان الفقراء وأهل البادية والعمال كانوا يقتاتون الذرة وخاصة فى فصل الشتاء [٨] . وقد امتدح ابن خلدون ذلك قائلا : "

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٣ .

(٢) النباهي : نزهة البصائر والابصار في Muller : p 128

(٣) النباهي : نزهة البصائر والابصار في Muller : p 131

(٤) د. العبادي : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ٣٦ .

(٥) انظر علي سبيل المثال ، مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ في المغرب والاندلس في عصر الموحدين تحقيق امبروزيو أويثي ميراند (مدريد ١٩٦٥) وكذلك رسالة لمؤلف مجهول ترجمت الي الاسبانية بعنوان :
Sobre la cocina hispano Magrebi
Madrid 1966, & F.de la Granja : la cocina arábigoandaluza, Madrid 1960وهي رسالة غير مطبوعة توجد في مكتبة مدرسة الدراسات العربية بمدريد (note 1/ caja 14) عبارة من ترجمة للاسبانية لكتاب فضلات الخوان فى طيبات الطعام والالوان لابي الحسن علي بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن ابي بكر بن رزين التجيبي الاندلسي الذي يرجع الي اصل مرسى ، وكان معاصرا للسلطان محمد الاول بن الاحمر .

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ .

(٧) يحيي بن خلدون : بغية الرواد جـ ٢ ص ١٧٤ ، القلقشندي : صبح الاعشي جـ ٥ ص ٢١٧ .

(٨) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٣ ، ٣٦٩ .

وأهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان أخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ماتنال من أولئك ، ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر[1] .

بعد القمح والشعير يأتي الارز ، وقد أحبه الاندلسيون مطبوخا باللبن [2] . كذلك عرف أهل الاندلس نوعا من الشعرية كانوا يطلقون عليه اسم " الفدوش "[3].

ثم نجد أن القاضي الغرناطي ابا عبد الله بن الأزرق الذي لجأ الى مصر في نهاية القرن التاسع الهجري (١٥م) قد أثاره الحنين الى غرناطة وطعامها وشرابها فوضع قصيدة حول هذا الموضوع [4] . تحدث فيها عن بعض انواع الأطعمة الغرناطية مثل العدس ، طوابق الكبش، والبيض المقلو بالزيت ، والفراريج المشوية ، والثريد [5]وهي عبارة عن خبز مفتت ومغموس في حساء اللحم، والخضروات ، والارز باللبن ، والرقاق ، والكسكس ، وهو عبارة عن برغل يطبخ على البخار ثم يسقى بالحساء على اختلاف انواعه ، وقد عرف الكسكس في الاندلس منذ وقت طويل [6] .

كذلك كان هناك طبق مفضل يسمى " المروزية " كان يتكون من الدجاج والخل والزيت والعناب واللوز والكمثرى ويضاف اليه اللوز المقشر المدقوق [7]. وطبق آخر اساسه اللحم يسمى " تفايا " كان لونه اخضر أو ابيض تبعا لما يوضع فيه من الكزبر الطازج أو الجاف [8]وطبخة متبلة اساسها اللحم والخل والفلفل والكزبر اليابس والبصل والملح والثوم والبيض تعرف باسم " سكباج " [9] . ثم كانت هناك الامعاء المحشوة التي كانت تسمى باسم " مركاس" [10] .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة (طبعة بيروت) ص ٨٨ .
(٢) المقري : نفح جـ ٤ ص ٢٧٩ .
(٣) انظر : Dozy, II, p 245
(٤) المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٧٧ – ٢٨١
(٥) انظر : مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ ص ١٨١ – ١٨٣ ، المقري : ازهار الرياض جـ ٢ ص ١٢٩ .
(٦) انظر وصفه في مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ في المغرب والاندلس ص ١٨٤
(٧) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص٢٧ .
(٨) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٨٥ – ٨٧ .
(٩) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٩٤ .
(١٠) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٢١ .

"والعصبان " وهى نوع من الطعام يصنع ايضا من الامعاء التى تقطع الى أجزاء صغيرة وتحشى باللحم والارز والتوابل [١] .

ومن الاطعمة فى غرناطة جاء ايضا ذكر " اللحم المعروف بالمبرد " [٢] وهو اللحم المعالج بالتوابل والحلوى . و " بيضا مقلوا مجعولا فى خل " و " شريحة " و " جوزا" و " قسطلا فى النار مشوطا " و " دجاجة محمرة ببيض [٣] ، والفسول [٤] والفسول المقلو المملح الذى كانوا يطلقون عليه اسم زرياب ، نسبة الى المغنى زرياب الموصلى [٥] . و " الجشيشة الملوكية " وهى ان يؤخذ القمح فينقى ويطحن فى طاحونة اليد ثم ينفض من نخالته ويؤخذ منه قدر فيجعل فى برمة ، ويصب عليه الماء ثم يطبخ . فاذا نقص الماء عنه يعاد بلبن حليب مرة بعد مرة ، فاذا نضج عدل بلحم قليل ، وصب عليها من دسم الدجاج المطبوخة ثم يعاد عليها الدسم ، وتكون رقيقة بحيث يمكن تناولها [٦] ، وكان هناك طبق يعرف بـ " الهريسة " وكان يتكون من الارز ولحم صدور الدجاج أو لحم الغنم وشحم الغنم المذاب والقرفة [٧] كذلك عرفوا الباذنجان المحشو [٨] .

كما كانوا يأكلون نوعا من الارانب يطلقون عليه اسم " قنلية " وهى كلمة لاتينية كانت تطلق على حيوان أدق من الارنب المعتاد وأطيب طعما [٩] . وكان هناك كذلك الارنب البرى المطبوخ بالفرن ويتبل بالتوابل والزيت والخل والبصل والبيض[١٠] .

---

(١) ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٢٥٤ ، Dozy : II, 133

(٢) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٦٥١ .

(٣) الازدى : تحفة المغترب ص ١١٠ .

(٤) الازدى : تحفة المغترب ص ١١٠ .

(٥) المقرى : نفح الطيب : جـ ٢ ص ٨٨ ، د. عبد العزيز الاهوانى : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة ص ٣٥ وكذلك : Dozy : Suppl. I, p 590

(٦) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٧) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٨) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٥١ .

(٩) الازدى : تحفة المغترب ص ١٦٤ ، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٨٤ ، Dozy : II, p 414

(١٠) مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ ص ٤٣ .

ثم كانت هناك الطيور مثل الدجاج ، واليمام وطائر يسمى شفنين [١]، والعصافير[٢] وكانت تضاف الى الفروج نوعا من الصلصلة مكون من الثوم والملح والفلفل والقرفة وغيرها تسمى المثومات أو الثومية [٣] .

وعرف الغرناطيون الاسماك المختلفة التي كانوا يطلقون عليها اسم " الحوت " وكانوا يقدمون منها اطباقا مختلفة [٤] .

كذلك كان لديهم نوع من القطائف يضاف اليها الجبن في عجينها ثم تقلى في زيت الزيتون ، وكانت تعرف باسم المجبنات [٥] .

وعرف عن أهل غرناطة تناولهم للفاكهة والخضروات بكميات كبيرة، وتذكر المصادر ان اسعارهما كانت رخيصة في بلاد المملكة [٦] . وفي تقويم غرناطي مجهول المؤلف من القرن التاسع الهجري (١٥م)[٧] ، نجده يوصي بأكل الثوم كل صباح في يناير ثم شرب الماء بعد ذلك [٨] وفي ابريل يؤكل الفجل والزيتون والخيار الذي كان موجودا على اصناف [٩] . وكان الغرناطيون ينعمون بالفاكهة الطازجة التي كانت المملكة تنتجها بوفرة . ففي الربيع والصيف كان هناك البطيخ [١٠]

---

(١) انظر : Dozy , I, p 771

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٤٢ .

(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٤٦ ، المقري نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٧٠ وكذلك Dozy : I, p 167

(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ١٧٢ وما بعدها

(٥) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٢٠٠ وما بعدها ، نفح جـ ١ ص ١٧٢ .

ويقول ابو البركات بن الحاج البلفيقي (ت ٧٧٣ هـ) في المجبنات (النباهي : المرقبة العليا ص ١٦٤ - ١٦٧) :

ومصفرة الخدين مطوية الحشا | على الجبن والمصفر يؤذن بالخوف
لها بهجة كالشمس عند طلوعها | ولكنها في الحين تغرب في الجوف

ويقول ابن الازرق في المجبنات ايضا (المقري : نفح الطيب : جـ ٣ ص ٤٥٥ ، ازهار الرياض جـ ٣ ص ٣١٩) .

ورب محبوبة تبـــــدت | كأنها الشمس في حلاها
فاعجب لحال الأنام من قد | أحبها منهم قلاهـــــا

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٤ .

(٧) انظر : J. Vázquez Ruiz : Un calendario anónimo granadino del siglo XV في صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد العددان (٩ - ١٠) (١٩٦١-١٩٦٢)ص ٢٣- ٦٤ ،

(٨) انظر : IBID. p 40

(٩) انظر : IBID. p 58

(١٠) انظر : IBID. p 58.457

والبرقوق (العين) [١] والمشمش [٢] ، والرمان ثم كان هناك تين مالقة الشهير [٣] .

ويذكر ابن الخطيب انهم كانوا " يدخرون العنب سليما من الفساد الى ثلثى العام الى غيره من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز الى غير ذلك مما لا ينقطع مدده الا بفصل يزهد فى استعماله " [٤] .

ومن انواع الحلوى لدى الشعب الغرناطى نذكر : عجينا من الدقيق والماء يقلى فى زيت كثير ويسمى اسفانج [٥] أوزلابية [٦] . ونوعا آخر عبارة عن خبز مفتت وبندق وعسل يسمى زبزين [٧] ، والعصيدة التى كانت تتكون من العسل والزيت والسمن ولباب الخبز واللوز المقشر المدقوق ومح البيض ثم يرش عليها مسحوق السكر وانواع الدسم والادهان [٨] . والقرص (جمع قرصة وقد انتقلت الى الاسبانية فصارت Alcorza والى البرتغالية فصارت Alcorca [٩] .

كذلك كانوا يعدون انواعا مختلفة من المربى مثل السفرجل والتفاح [١٠] والبنفسج والنارنج وغيرها [١١] .

أما عن المشروبات التى كان يتناولها الغرناطيون فكانت اللبن ، والماء المعطر بخلاصة زهر الورد أو البرتقال وشراب السفرجل والتفاح [١٢] والتمر هندى والجزر والعناب وغيرها [١٣] .

---

(١) انظر : IBID. p 61

(٢) انظر : IBID. p 63

(٣) المقرى : نفح الطيب : جـ ٤ ص ٢٠٥ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ – ٢٩ .

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٨٠ .

(٦) مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ ص ٢١٦ وكذلك Dozy : I, p 598

(٧) المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٨٠ وكـــذلك Dozy : I, p 579

(٨) مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ ص ١٩٤ .

(٩) مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ ص ٢٠٦ وكذلك Dozy : 11, p 328

(١٠) انظر : J. Vázquez : Op. cit. pp 23-64

(١١) مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ ص ٢٤٨ وما بعدها

(١٢) انظر : J. Vazquez : Op. cit. p 36, p 60

(١٣) انظر امثلة اخرى فى : مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ ص ٢٣٥ وما بعدها .

كما كان البعض يتناول الخمور على الرغم من تحريمها دينيا [1] .

المـــرأة الغرنـــاطية :

يصف ابن الخطيب المرأة الغرناطية فيقول : " وحريمهم حريم جميل موصوف باعتدال السمن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة الا ان الطول يندر فيهن " [2] .

ولقد تأثرت الحياة الاجتماعية للمرأة الغرناطية بدرجة كبيرة بالشعوب الاسبانية المسيحية ، بحكم الجوار وكنتيجة للاتصال المتبادل بين كلا الجانبين [3] . فنرى ان كثيرا من العادات والتقاليد المسيحية قد انتقلت الى غرناطة ، فى الوقت الذى كانت فيه تلك العادات مجهولة تماما فى بقية ارجاء العالم الاسلامى يومئذ فعلى سبيل المثال نجد ان الحرية التى تمتعت بها المرأة الغرناطية كانت تسمح لهابالحضور الى الحمامات العامة ، وزيارة الصديقات ، والخروج للشراء دون ان يصحبها أحد . وكانت حمامات النساء فى غرناطة مكانا للاجتماع والتسامر ، وكان بائعوا ادوات الزينة والعطور والمساحيق يستفيدون كثيرا من ترددهن الى هناك [4] . وكثير من النصوص تذكر انه فى الاحياء الشعبية كان الرجال والنساء يلتقين فى الاماكن

---

(١) راجع الفصل الخاص بالعادات والتقاليد .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٩ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) من ذلك ما يذكره أسقف هيتا Arcipreste de Hita فى كتابه : Libro del buen Amor من ان Garci Fernández de Garena قد أفتتن بامرأة مسلمة فهرب معها الى غرناطة واعتنق الاسلام تاركا ديانته المسيحية الكاثوليكية ليتزوج منها . انظر : Ménendez Pidal : poesía Juglaresca y Juglares p 168 & Fernandez y Gonzalez : Mudéjares de Castilla p 229.

كذلك يحدثنا ابن الخطيب كيف ان شريفا غرناطيا يدعى ابا بكر عتيق بن مول كان يعمل فى البلاط القشتالى اعجب بابنه احد الزعماء هناك فهربت معه الى غرناطة (الاحاطة الاسكوريال) لوحات ٢٩٢ - ٢٩٣) .

من هاتين الروايتين نستنتج مدى سهولة الاتصال بين الجانبين الغرناطى والاسبانى مما يساعد على انتقال مظاهر الحضارة بينهما انظر : Al Abbodi : el Reino de Granada en la epoca de Muhammed V, p. 145,n. 3.

(٤) انظر : Dr. Ahmad M. Al Abbaday : Op. cit,. P 146

العامة وفى اماكن الصلاة وحفلات العرس منذ العصر المرابطـــى [1] .

أما بخصوص الحجاب فيبدو ان النسوة لم يكن لديهن اهتمام كبير فى ارتدائه منذ وقت طويل . فنجد ان المحتسب ابن عبد الرؤوف يلوم بشدة السماح للزوجة بالسفور فى وجود رجال ليسوا من المحارم [2] . وكانت النسوة فى الاحياء الشعبية يقفن على ابواب المنازل سافرات الوجه [3] . وفى عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م صحب لسان الدين بن الخطيب السلطان ابا الحجاج يوسف الاول فى رحلة تفتيشية زارا خلالها وادى آش ، وهناك ترك النساء النقاب وتزاحموا لمشاهدة الركب السلطانى عند مروره بالمدينة " واختلط النساء بالرجال ، والتف ارباب الحجا بربات الحجال ، فلم نفرق بين السلاح والعيون الملاح ، ولا بين حمر البنود وحمر الخدود " [4] ، وفى المرية تزاحم النساء لاستقبال السلطان [5] ، وفى رندة كانت النسوة " يسفرن عن الخد المعشوق " [6] ، وكانت برشانة " على وجوه نسوانها طلاقة وفى السنتهن زلاقة" [7] . كذلك فقد فتن الشاعر الغرناطى ابو الحسن على العبدرى (ت ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) ازاء جمال صديقته عندما رفعت حجاب الحرير الذى كان يخفى وجهها [8] كما اننا نلاحظ انه قد جاء فى قانون يوسف الاول ما يفهم منه سفور النساء واختلاطهن بالرجال فى مملكة غرناطة عندما يقول : " ان الحفلات التى تعقد

---

(١) رسالة ابن عبد الرؤوف فى ثلاث رسائل اندلسية ص ٧٤ وكذلك :

Hist. Esp. mus. t. III, pp 402 - 403

(٢) رسالة ابن عبد الرؤوف ص ٨٣ .

(٣) نفسه ص ١١٣ .

(٤) ابن الخطيب : خطرة الطيف فى مشاهدات ص ٥٠ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٤٤ .

(٦) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٩٦ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٦ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٣١ ، ابن الاحمر ، نثير الفرائد الجمان ص ٣٢٤ - ٢٥ وفى هذا يقول :

أسافرة القناع سنحرت لما	امطت الخز عن بدر التمـــام
وتيمت القلوب بفتح طرف	كحيل ، كما يفيق من المنام
لعمرو ابيك ما بالنوم بعد	عين الجفن المكحل بالظـلام

بمناسبة عيدى الفطر والاضحى ، كثيرا ما كانت سببا فى احداث فوضى واضطراب ، الامر الذى كدر أمن الكبار وسرورهم ، حتى استحالت هذه الاضطرابات الى حماقات دنيوية ، كأن تكون جماعات من الرجال والنساء يتجولون فى الشوارع وتصادفهم القاذورات ، نتيجة تقاذف الشباب بالبرتقال والليمون الحلو ، وباقات من الزهور ، بينما افواج الراقصين والراقصات والمغنين تعكر صفو الآمنين برنين القيثارات والاعواد " [١] .

ولكن على الرغم من كل هذا ، لم تختف من غرناطة كلية التقاليد الاسلامية التى كانت تفرض العزلة على المرأة ، فكثير من نساء العائلات المتدينة كن يستخدمن الحجاب ، ويبتعدن عن الحياة العامة . يروى لنا ابن الخطيب كيف ان الفقية ابو البركات بن الفخار الجذامى (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) " كان يتخذ رومية مملوكة ، لا يشتمل منزله على أحد سواها ، فاذا انس منها الضجر للحصر وتمادى الحجاب ، اعتقها ، وأصحبها الى أرضها " [٢] .

كذلك لقد جاء فى قانون يوسف الاول انه " محافظة على قدسية المساجد ، فانه يمنع اختلاط الاشخاص من الجنسين من مختلف الاعمار : فالشيوخ لهم الصفوف الاولى من المسجد ، يتلوهم الاطفال ، وفى الصف الاخير يكون النساء ، أما الكهول والشبان فعليهم ان يمكثوا فى اماكنهم حتى يغادر النساء جميعهن المسجد ، وسيخصص مكان منزو للفتيات الشابات ، واللاتى يلزمهن وضع الخمار على وجوههن ، وأن يرتدين الملابس المناسبة " [٣] .

ولقد تمتعت المرأة الغرناطية بمركز مرموق فى الوسط الادبى والعلمى ، وتلقت نصيبا عاليا من العلم ونبغت منهن بعض الشخصيات فى ميادين العلوم المختلفة ويصفهن ابن سعيد بقوله " يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات

---

(١) انظر : M. Lafuente Alcantra : Historia de Granada, t. III pp 166 - 167 .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) المجلد الثالث ٩١ – ٩٥

(٣) انظر : M. Lafuente Alcantra : Op. cit. pp 166 - 167

لمحافظتهن على المعانى العربية " [١] .

من بين هذه السيدات تقابلنا ام السعد بنت عصام بن أحمد الحميرية القرطبية (ت بمالقة سنة ٦٤٠ هـ) التى كانت اديبة شاعرة [٢] . وزينب بنت مكى التى سمع عنها العلم الكثير من أهل ذلك الزمان [٣] . وأم العلا سيدة بنت عبد الغنى العبدرية (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م) التى لجأت الى تونس مع والدها ، واعتنى والدها بتربيتها وتنشئتها وتعليمها ، واخيرا انقطعت لتدريس البنات ، وكانت آية فى حفظ القرآن ، مليحة الخط ، نسخت مرارا بخطها " احياء علوم الدين للغزالى " ، وقد خصصت جميع ما تتقاضاه من اجر لفقراء أسارى المسلمين وفك عراهم من قيد النصارى [٤] .

تقابلنا كذلك أم الحسن بنت القاضى ابى جعفر الطنجالى (ت ٧٥٠ /١٣٤٩) - اصلها من لوشة ، وكانت تجيد قراءة القرآن ، وتشارك فى الطب وتنظم ابياتا من الشعر [٥] .

ويذكر ابن الخطيب ان احد قضاة لوشة كان له زوجة فاقت العلماء فى معرفة الاحكام والنوازل ، وكان زوجها يستشيرها فى مجلس قضائه فيما استشكل عليه فتشير عليه بما يحكم به [٦] .

كذلك حصلت المرأة في مملكة غرناطة علي مركز اجتماعى مرموق، فكانت منهن

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ٢٥ ، جـ ص ٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٢) ابن الابار : التكلمة لكتاب الصلة ، المجلد الثانى ، ترجمة رقم ١٢١٨ ص ٧٤٨ (مدريد ١٨٨٧)

(٣) ابن حجر : الدرر ، السفر الاول ص ٦٦ ترجمة رقم ١٧٥ .

(٤) ابن الابار : المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٤٨ ترجمة رقم ١٢١٩ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٣٢٤ ، حسن حسنى عبد الوهاب : شهيرات التونسيات (تونس ١٣٥٣ هـ) ص ٧٣ - ٧٤ . وكذلك R. Brunscvig : Berberie t. II, 175 .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر ، السفر الاول ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ترجمة رقم ٤٧٣ .

(٦) نفح جـ ٦ ص ٣٠ وقد كتب اليه أحد اصحابه مداعبا بقوله :

بلوشة قاض له زوجة   واحكامها فى الورى ماضية

فياليته لم يكن قاضيا   وياليتها كانت القاضيـــة

فاطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت : ناولنى القلم ، فناولها ، فكتبت بديهة :

هو شيخ سوء مزدرى   له شيوب عاصية .

كلا لئن لم ينتـــه   لنسفعا بالناصية

الزوجات المفضلات للسلاطين أو المحظيات المدللات اللاتى كن يستطعن توجيه سياسة الدولة. مثال ذلك تلك المؤامرات التى كانت تحاك على يد مريم أم اسماعيل والزوجة المفضلة للسلطان يوسف الاول فى عام ٧٦٠/١٣٥٦ ضد السلطان الشرعى محمد الخامس الغنى بالله [١] وكذلك الدور المهم الذى لعبته فاطمة ،، زوجة السلطان ابى الحسن على وأم ابى عبد الله محمد الاخير ، لتحصل على حرية ابنائها بعد هزيمة اللسانة [٢] .

العـــــادات والتقــــاليد :

كان الغرناطى يعشق بلده ويتغنى بمحاسنها وجمالها الى درجة التعصب والمغالاة فى اظهار فضائلها ومميزاتها حتى انه لا يتحرج عن المساس بالبلاد الاخرى ، وهذا الاستعلاء من جانبهم وعدم مراعاتهم لشعور الغير كان من بعض خصائصهم . وكم من مؤلفات ورسائل وضعها ادباء غرناطة وشعراؤها يشيدون فيها بمآثرها ومفاخرها. من ذلك هذه الرسالة التى وضعها ابن الخطيب بعنوان " مفاخرة مالقة وسلا " واستخدم فيها اسلوب الحوار فى المقارنة بين المدينتين ، وفيها يظهر انحيازه الى وطنه [٣] . كما وضع محمد بن ابراهيم بن عبد الله الانصارى المعروف بابن السراج (ت ٧٣٠ هـ) كتابا اسماه " السر المذاع فى تفضيل غرناطة على كثير من البقاع [٤] " . وعن مدن المملكة الاخرى نذكر كتاب أحمد بن خاتمة (ت بعد سنة ٧٧٠ / ١٣٦٩م) " مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية " [٥] .

وكان الغرناطيون يحرصون على المحافظة على عاداتهم الموروثة فيروى " ان الرئيس ابا عبد الله بن زمرك دخل على الشيخ ذى الوزارتين ابى عبد الله بن الخطيب يستأذنه فى جملة مسائل ، مما يتوقف عادة على اذن الوزير ، وكان معظمها

(١) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٣ - ١٥ ، ١١٤ .

(٢) انظر : . A. de la Torre : Los Reyes Catolicos y Granada p 156 - 159

(٣) نشر مولر هذه الرسالة فى كتاب Muller : (Marcus Joseph) : Beitragezer Geschiche der westlichen araber (munchen 1866)

ثم اعاد نشرها الاستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادى فى كتابه " مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى المغرب والاندلس ص ٥٧ - ٦٦ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٤٠ - ١٤١ ، Pons Boigues : Ensayo Bio - Biblio-grafico sobre los Historiadores Geografos arabigo - espanoles (Madrid 1898) p 319

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٩١ ، الزركلى : الاعلام جـ ١ ص ١٧١ - ١٧٢ .

فيما يرجع الى مصلحة الرئيس ابى عبد الله فقال الشريف [١] : فامضاها كلها له ، عدا واحدة منها تضمنت نقص عادة مستمرة ، فقال له ذي الوزارتين(لسان الدين ابن الخطيب) : لا والله يارئيس ابا عبد الله ، لا اذن لك في هذا لأنّا ما استقمنا في هذا الدار الا بحفظ العوائد " [٢] .

ويصف ابن الخطيب اهل غرناطة بأن " طاعتهم للأمراء محكمة ، واخلاقهم فى احتمال المعاون الجبائية جميلة .... وأخلاقهم أبية فى معانى المنازعات"[٣] كذلك يذكر الرحالة المصرى عبد الباسط انه رغم ذلك فانهم " من شاؤوا سلطنته ابقوا ، ومن أبوه أخرجوه " [٤] . كذلك كان العامة فى الاندلس " يشورون بالقاضى ان جانب العدل ، وبالحاكم ان ولج فى معصية ظاهرة ، حتى انهم يدخلون عليه قصره .... حتى يخرجوه من بلدهم " [٥] .

وكان بعض اهل غرناطة يتشبهون بالمشارقة فى ذلك العهد ، مثال ذلك خالد بن عيسى البلوى قاضى قنتورية ، والمعاصر لابن الخطيب الذى كان يتشبه بالمشارقة " شكلا ولسانا . [٦] .

كذلك كان البعض يتشبه بالروم ، من هؤلاء نذكر الوزير ابن الحاج المهندس (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤) الذى نقم عليه العامة التشبه بالروم فى الاكل والحديث وكثير من الاحوال والهيئات وتطريز المجالس بأمثالهم وحكمهم [٧] .

وانتقلت بعض العادات المسيحية الاسبانية الى غرناطة مثال ذلك انه عند وفاة نصر بن ابراهيم بن ابى الفتح الفهرى ، " حمل سريره الجملة من فرسانه وابناء

(١) هو ابو يحيى بن عاصم صاحب كتاب الروض الاريض فى ترجمة شموس العصر ، من ملوك بنى نصر .

(٢) المقرى : ازهار الرياض جـ ١ ص ٥٩ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٧ .

(٤) انظر : G. Levi Della Vida : Il Regno Di Granata Nel 1465-1466 Nei Ricordi Di Un Viaggiatore Egiziano (Al Andalus Vol. I Fasc 2 (1933) P 314)

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٦) ابن الخطيب : خطرة الطيف فى مشاهدات ص ٣٦ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١١٦ - ١٢١ ، أحمد بابا التنبكتى : نيل الابتهاج ص ١١٥ ، الحسن السائح : البلوى : الرحالة الاندلسى المجهول بمجلة دعوة الحق العدد العاشر - السنة الخامسة صفر ١٣٨٢ / يوليو ١٩٦٢ ص ٣٨ - ٤٠ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ٢ ص ١٣٩ - ١٤١ .

نعمته " [1] .

وكان الرجال يطلقون لحاهم [2] ، ويتعهدونها بالحناء والكتم [3] . فعند زيارة السلطان ابى الحجاج يوسف الاول لمدينة قنتورية خرج قاضيها ابن ابى خالد المذكور لاستقباله وهو يرتدى احسن ملابسه و " رمى من البياض طيلسانا وصبغ لحيته بالحناء والكتم ، ولاث عمامته واختتم " [4] .

وكان مسلمو غرناطة على صلة وثيقة بأحكام الشرع ، يحرصون على تطبيقها والتزام مبادئها ، يحدوهم حماس بالغ فى نصر الاسلام وظهوره على اعدائه ، فان الحروب المتوالية مع نصارى الاندلس بعثت فى نفوسهم الحمية جيلا بعد جيل ، وادركوا ان بقاءهم فى تلك البلاد غدا رهنا ببقاء الاسلام والتزام احكامه ، وكانوا يميلون الى العطف على آل البيت عطفا شديدا ، نذكر من ذلك السلطان اسماعيل ابن فرج الذى " اعتنى بأهل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبذل فى فداء بعض اعلامهم ما يعز بذله ، ونقل منهم بعضا من حرف خبيثة " [5] .

وكان أهل غرناطة سنيين على مذهب الامام مالك بن انس امام دار الهجرة وكانت الأهواء والنحل فيهم معدومة " [6] .

وكانت طريقة الفقراء على مذهب أهل المشرق فى الدورة التى " تكسل عن الكد وتخرج الوجوه للطلب فى الاسواق فمستقبحة عندهم الى النهاية ، واذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب ، سبوه وأهانوه ، فضلا عن ان يتصدقوا عليه ، فلا تجد بالاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر " [7] .

---

(1) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ٣ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(2) انظر على سبيل المثال النباهى : نزهة البصائر والابصار فى Muller : pp 119 , 128,

(3) ابن الخطيب : خطرة الطيف فى مشاهدات ص ٣٦ - ٣٧ والكتم نبات يخضب به .

(4) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٣٦ - ٣٧ .

(5) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧١ .

(6) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٧ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٠ .

(7) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٥ .

وكان لأهل غرناطة احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في ايديهم خوف ذل السؤال وقد ينسبون الى البخل بسبب ذلك [1] .

وانتشرت في المجتمع الغرناطي في هذا العصر عادة اهداء بواكير [2] الفاكهة والزهور التي اشتهرت بها الأندلس مثل الرمان وحب الملوك (الكرز) والعنب والبنفسج وغيرها ، الى بعضهم البعض [3]. كما انتشرت طريقة الالغاز في تعبيرات ذلك العصر فيروى ابن الخطيب كيف انه قد أهدى باكورة رمان الى أستاذه أبي الحسن بن الجياب فقال له" نعم بالهدنة زمانك " أي " نعمت الهدية رمانك"[4]

وذاعت في غرناطة في هذا العصر رسائل كانت تبعث الى المقام النبوي الشريف ينشئها الكتاب عن سلاطينهم ويحملها ركب الحجيج الى المدينة المنورة [5] .

وكان الناس يؤمنون بالاولياء والصالحين وأهل التصوف وأصحاب الكرامات إيمانا راسخا ، حتى أن السلطان محمد الاول بن الأحمر توجه الى المتصوف ابي مروان اليحانسي في وادي آش في لحظة حرجة في صراعه مع نصارى شبه الجزيرة طالبا منه ان يعينه بدعواته المجابة [6]. كذلك كان السلطان محمد الخامس يعتقد في الصالحين وكراماتهم [7] ، كما كلف الناس بقبر الولي محمد بن أحمد الانصاري (ت قبل عام ٧٥٠ ببيسير) ، " فأولوا حجارته من التعظيم ، وجلب أواني المياه

---

(١) المقرى : نفح الطيب : جـ ١ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ حيث يروى نقلا عن ابن سعيد ان الاخير قد مر مع والده على قرية من قرى الاندلس في ليلة زاد بردها وهطل مطرها . فنزلا في بيت شيخ من اهلها من غير معرفة سابقة وانه قد رحب بهما وأمر ولده ان يعطي ابن سعيد كساء ثقيلا يدفع عنه البرد ، ولما أصبح ابن سعيد وجد الغلام متنبها ويده في الكساء حرصا منه وخوفا من ان يهرب الضيف بهذا الكساء .

كذلك يؤثر عن أبي حيان الغرناطي انه اوصى بعض تلاميذه قائلا : " احفظ دراهمك ودع يقال عنك بخيل وتحتج الى الاراذل " .

انظر : سعيد اعراب : أبي حيان الغرناطي . مجلة البحث العلمي . السنة الاولى - العدد الثالث جمادي الثانية / رمضان ١٣٨٤ ، سبتمبر / يناير ١٩٦٤ ص ٢٤١ - ٢٤٧ .

(٢) انتقلت كلمة باكورة الى الاسبانية فصارت Albacor

انظر : Dozy : 1, p. 106

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣١٦ ، المقرى : ازهار الرياض جـ ٢ ص ١٢٩ ، نفح الطيب : جـ ٩ ص ١٧٢ ، جـ ١٠ ص ٨٥ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣١٦ .

(٥) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب:ديوان الصيب والجهام ص ٣٢٠ - ٣٢٥، المقرى :نفح الطيب جـ٩ ص ٥٨ - ٨٣

(٦) الازدى : تحفة المغترب ص ٦٨ - ٦٩ .

(٧) المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ١٢٦ .

للمداواة ، ما لم يولوه معشاره أيام حياته " [١] .

ولما كانت غرناطة معروفة بكثرة انتاجها من العنب [٢] ، من أنواع مختلفة وخاصة هذا الذى كان بلا بذور [٣] ، فقد اعتادوا على حفظه في عصير دون تخمير لاستعماله بقية العام [٤] . غير ان هذا لم يكن ليمنع الكثير من الغرناطيين من القيام بتخمير هذا العصير وتحويله الى نبيذ . ويفهم من النصوص والقصائد الشعرية المعاصرة ان تعاطى الخمور كان أمرا منتشرا فى غرناطة على الرغم من كل التحريمات [٥] .

وفى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) نجد ان الشاعر ابا الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى يتغنى فى رسالته عن فضائل الاندلس بنبيذ مالقة الذى كان موضع اعجاب اهل الأندلس منذ اجيال بعيدة [٦] ، حتى " صار يضرب المثل بالشراب المالقى " ، وقيل لأحد الخلعاء وقد أشرف على الموت : اسأل ربك المغفرة ، فرفع يده وقال : يارب اسألك من جميع ما فى الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية [٧] .

كذلك يروى ابن الخطيب فى احاطته أن طبيبا غرناطيا يدعى محمد الخزرجى المعروف " بلا أسلّم) [٨] " (ت بعد ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩) كانت له خمر مخبأة فى كرم كان له بالمرية ، فسرقها جماعة من اللصوص فعمد الى الجرة وملأها بخمر آخر وجعل فيها شيئا من العقاقير المسهلات واشاع بان الخمر العتيقة التى كانت له لم تسرق وانما هى باقية بموضع كذا فعمد اليها اولئك اللصوص وأخذوا فى تناولها

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) المجلد الثالث ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ .

(٣) انظر : F. Simonet : Descripción del Reino de Granada p 186 .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ - ٢٩ .

(٥) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢١ - ٢٥ ، ١٥٢ .

(٦) المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٥ .

(٧) المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٦ وكذلك : E. García Gomez : Elogio del Islam Espanol, III

(٨) عرف بهذا الاسم لانه كان دائما يعارض تشخيص زملاءه من الاطباء قائلا لهم لا أسلم . (ابن الخطيب الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٢ وكذلك : Dr. A. Mujtar Al Abbady : Op. cit. p 155 n. 6.

فعادت اليهم بالاستطلاق القبيح المهلك فقصدوا اليه وعرضوا عليه ما أصابهم فاشترط عليهم ان يردوا له ثمن ما أخذوه ثم يبدأ في علاجهم فجمعوا له اضعاف ما كان يساويه خمره وسلموه له فشرع في هذا العلاج حتى تم شفاؤهم " [1] . كما اننا نجد ان ابن الخطيب عند حديثه عن بعض الشخصيات من عليه القوم وترجمته لهم فانه يمتدحهم بالصفات الطيبة بالاضافة الى اعجابهم بالنبيذ وتعاطيهم له [2] .
مثال ذلك القاضي ابو بكر محمد بن الاشبرون (على عهد محمد الفقيه) الذى " لقي سكران من الجند قد افرط في القحة ، واشتد في العربدة ، وحمل على الناس فأفرجوا عنه ، فاعترضه بنفسه وقبض عليه واستبصر في حده وبالغ في نكاله [3].
وجاء في الاحاطة ان محمد بن محمد الانصاري (احد كتبة الفقية ، ت في حدود ٦٩٠هـ) كان معاقرا للخمر حتى زعموا انه قاء يوما بين يديه فأخر عن الرتبة " [4] كذلك أقام القاضي ابو الحسن الصغير الحد على سفير غرناطي شرب الخمر ، وأعرض عن شفاعة الشافعين " [5] .

ويبدوا ان تعاطي الخمور قد تفشى في هذا العصر بين سكان المملكة لدرجة ان السلطان محمد الخامس أصدر قرارا هاجم بشدة هذا الامر ، ودعا الغرناطيين الى ضرورة الابلاغ عن اماكن بيع الخمور فقال :" ومن اتخذت بجواره خمر فاشية ، أو نشأت في جهته للمنكر ناشية ، فنحن نقلده العهدة ، ونطوقه القلادة ، ووراء تنبيهنا على ما خفي عنان الشكر لمن اهداه ، واخماد سعي من ابلغه وأداه ، ما نرجوا ثواب الله عليه ، والتقرب به اليه ، فمن اهدانا شيئا من ذلك فهو شريك في أجره ، ومقاسم في مثوبته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " [6] .. ولم يكتف محمد الخامس بهذا وانما كان يشتد " في اقامة الحدود ، واراقة العسكرات " [7] .

كذلك نجد المحتسب عمر الغرسيفي (في نهاية ق ٩ م / ١٥ هـ) يوصي

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٢ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢١ - ٢٥ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٠ - ٤١ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٣٧٠ .

(٥) السلاوي : الاستقصا جـ ٣ ص ١٠١ .

(٦) انظر : M. Gaspar Remiro : Correspondencia p 391

(٧) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧١ .

بتأديب السكارى والمخمورين الذين يمشون فى الاسواق [1] ، بل ويحـــرم على المسلمين نقل آلات الخمر الخاصة بأهل الذمة [2] .

ثم كانت هناك آفة أخرى بدأ انتشارها فى غرناطة خلال هذه الفترة وهى آفة تعاطى الحشيش [3] . وتؤيد المساجلات الشعرية التى دارت بين شعراء غرناطة فى ذلك العهد حول تفضيل الحشيش على الخمر هذا الرأى [4] . ولاشك ان الحشيش قد بدأ انتشاره فى المشرق ، ثم انتقل الى غرناطة بعد ذلك فى بداية القرن الثامن الهجرى ، ويبدو ان المغرب الاسلامى والاندلس كانا فى مأمن من تلك الآفة حتى القرن السابع الهجرى والدليل على ذلك تلك الملاحظة التى ابداها الرحالة الغرناطى

---

(١) ثلاث رسائل اندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب ص ١٢٣ والترجمة ص ٣٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٢ .

(٣) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٨٣ ، العبادى فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان .

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩-١٩٥٩ ص ٥١-٥٢ .

(٤) من ذلك قول الشاعر الغرناطى ابن الوحيد (ت ٧١١هـ / ١٣١١ م) :

وخضراء ، بل لا تفعل الخمر فعلها   لها وثبات فى الحشا وثبات

تؤجج نارا فى الحشا وهى جنة   وتهدى للنهد العيش وهى نبات

انظر : ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٢٠ ، ابن القاضى : درة الحجال جـ ١ ص ٣٠٥-٣١٦

وهناك ابيات اخرى قيلت فى هذا المضمار تنسبها المراجع المغربية الى الشاعر الغرناطى محمد الحجر الرعينى المعروف بابن خميس وكان أحد رجال الوزير ابن الحكيم الرندى جاء فيها :

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر   معنقة خضراء لون الزبرجـــــد

هى البكر لم تنكح بماء سحابـــة   ولا عصرت بالرجل يوما ولا باليد

ولا عبث القسيس يوما بكأسها   ولا قربوا من دنها نفس ملحـــد

ولا قول فى تحريمها عند مالك   ولاحد عن الشافعى واحمـــــد

ولا اثبت النعمان تنجيس عينها   فخذها بحد مشرفى مهنـــــد

وفيها معان ليس للخمر مثلهـــا   فلا تسمع فيها كلام المفنـــــد

(ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالاخبار من لـــم تزود)

(ابن القاضى : درة الحجال جـ ١ ص ١٦٣-١٦٤)

ويقول ابن الخطيب يعرض بمن يتناول الحشيش : (ديوان الصيب والجهام ص ٣١٥)

أتى ابن سليمن ولى الفكرة فترة   يخبر ان العقل جد مذهـــــب

فقلت أظن السهد اهتم هتبـــه   ولكنها فى الاصل من كنية الاب

ابن سعيد المغربي حينما زار مصر خلال القرن السابع الهجري اد عاب على المصريين أكلهم للحشيشة مبينا أن امثال هذه العادات القبيحه لا توجد في بلاده[1].

ويروى لنا ابن الخطيب رواية طريفة تبين مدى انتشار الحشيش في غرناطة بين ابناء الطبقة الارستقراطية في عصره فيذكر انه في عصر السلطان ابى سعيد البرميخو " حدث صاحب شرطته ، وهو لا بأس به ، قال : اطريته باجتناب الناس الخمر في ايامه ، وتحت استنداده ، وطهارة بلده من قاذوراتها ، فقال لي في الملأ المشهود ، والحشيش كيف حالها ؟ قلت ما عثرت على شئ منه . فقال هيهات ، انزل الى بيت فلان وفلان وفلان، وعد كثيراً من الساسة والاوغاد والصفاعين [2] ، رسم مكانهم وينسبهم نسبة الاصمعي افخاد العرب وبطونهم ، ويصف الناصح والغاش منهم بصفته ، وربما دعا بعض مشيختهم بالعمومة قال وانصرفت الى ما ذكر فو الله ما أخطأت شيئا مما رسمه ، ولا فقدت شيئا مما ذكره لغشيانه بيوتهم وانخراطه في جملة منتابيهم ، يقول فهو والله استاذى في الشرطة [3] " .

وكانت رسائل الحسبة المعاصرة تحرص على شن الحرب على تلك الأفة ، وتنص على ان المحتسب كان " يجب عليه ان يمنع أهل الاذاية جملة ، كالحشاشين ، المنتحلين لذوات السموم لاختلاف انواعها " [4] .

هكذا كانت الحياة في غرناطة كغيرها .... مسجد وحانة ، وقارئ وزامر ، ومتهجد يرتقب الفجر ومضطجع في الحدائق ، وساهر في تهجد وساهر في طرب ، وتخمة من غنى ومسكنة من املاق .... وشك في دين ، وايمان في يقين .

وتميزت طقوس الجنازة في غرناطة بالبساطة كما كان في غيرها من بلاد العالم الاسلامي . وعند الوفاة كانت السيدات يلطمن الخدود ويشققن الجيوب ويلطخن

---

(١) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٢١ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٣ ص ١١١

(٢) الصفاعين : جمع صفعان ومصفعانى وهو المهرج الذى يصفع كثيرا

(٣) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٨٣ وكذلك : Dr. A. Mujtar Al Abbady Op. cit p 157

(٤) بروفنسال : ثلاث رسائل اندلسية ص ١٢٣

الوجه بالسواد . ولهذا فاننا نلاحظ ان الفقهاء قد قاموا بتحريم السيدات من اتباع مواكب الجنازة [1] لتلافى السرقات التى كانت تحدث اثناء سيرهن فى الاسواق

ونلاحظ ان اللون الابيض كان لون ثياب الحزن فى العصر الاموى [2] . ولكن هذه العادة قد اختفت بمرور الزمن فيذكر ابن عذارى ان اللون الازرق كان لون الحداد فى عصر الموحدين [3] . أما تحت حكم بنى نصر فكان الاندلسيين يرتدون اللون القاتم مثل الازرق [4] والاسود [5] تعبيرا عن الحزن ولكن يبدو ان اتخاذ اللون الابيض قد عاد مرة أخرى فقد ذكر الرحالة الالمانى خيرونيمو مونزر الذى زار غرناطة فى عام ١٤٩٤ بعد سقوطها فى يد الملكين الكاثوليكيين ، انه قد اتيح له ان يشهد احتفالا بدفن مسلم فى مقبرة البيرة ، فذكر ان السيدات كن يرتدين الملابس البيضاء كما لاحظ عادة غريبة هى القاء فروع من الرياحين ذات رائحة عطرية على المقابر [6]

وكانت المقابر تقام بطريقة متقشفة ، حيث كان الدفن يتم فى حفرة ضيقة توضع فيها الجثة ، ويوجه الرأس الى مكة ، ويقرأ المقرؤن ما تيسر من آى الذكر الحكيم [7]

---

(١) المصدر السابق ص ١٢١

(٢) عند وفاة عبد الرحمن الثالث ارتدى مماليكه ملابس بيضاء حدادا عليه (نفح جـ ١ ص ٣٦٤).

(٣) ابن عذارى : البيان جـ٣ ص ٢٠٥

(٤) ابن الخطيب - الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ١١٣ المقرى - نفح الطيب جـ ٧ ص ٣ ٤

ويقول الشاعر ابو البركات بن الحاج :

حزنت عليك العين يامغنى الهوى   فالدمع منها بعد بعدك مارقا

ولذاك ما ظهرت بلـــــون ازرق   او ماترى ثوب المآتم ازرقا

(٥) ابن الخطيب الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٤٥ ، المقرى ازهار جـ ٢ ص١٥٥ ، Dr. Ahmad Mujtar Al Abbady Op cit. p 143

ويقول ابن زمرك

لأندلس ثكل عليك مردود   له لبست سود المسرح نواحيها

(٦) انظر Munzer Viaje por Espana y Portugal (B.R.A.H.) t. LXXXIV p.91

(٧) ابن الزبير صلة الصلة ص ١

النظافة والحمامات :

كان الغرناطيون " أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغيرذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم من لا يكون عنده ، الا ما يقوت يومه ، فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها[(١)] .

وفي القرن التاسع الهجرى (١٥م) عندما زار الرحالة الالمانى خيرونيمو مونزر غرناطة دهش لنظافة الغرناطيين الشديدة [(٢)] .

ولقد اهتم الاندلسيون باقامة الحمامات ، وزود الامراء وابناء الطبقة الارستقراطية مساكنهم الفاخرة بالحمامات الخاصة ، بينما كانت هناك حمامات عامة للطبقات الرقيقة الحال ، مثال ذلك الحمام الذى انشأه السلطان محمد الثالث واوقفه على مسجد الحمراء [(٣)] .

وعندما زار غرناطة الرحالة المصرى عبد الباسط فى عهد السلطان ابى الحسن على دهش لتنظيم الحمامات فى الحامة على الطريق بين مالقة وغرناطة ، وذكر انها كانت تدر عليها دخلا كبيرا وقد خصّصَ حمام للنساء وآخر للرجال حيث " يدخل الداخل اليهما للاغتسال من غير اجرة [(٤)] . وكان المرضى والمعلون يقصدون اليها من كل فج فيلزمون المقام بها الى ان تستقل عللهم ويشفوا من امراضهم " [(٥)] .

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٢) انظر : Munzer : Op. cit. pp 84, 95 .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٠ .

(٤) انظر : G. Levi Della Vida : Il Regno di Granata Nei Ricordi di Un Viaggiatore Egiziano, (Al Anadalus Vol. I, (1933) p 313 .

(٥) الادريس : نزهة المشتاق ص ٢٠٠ ، هذا ومدينة الحامة هذه ، التى اشتهرت بمياهها المعدنية وحماماتها . احتلها ماركيز قادس غدرا ورثاها الكثيرون بمقطوعات شعرية ، واورد المؤرخون الاسبان امثلة من هذا الشعر مثل المقطوعة التى قيلت على لسان ملك غرناطة وفيها يقول فى مطلعها :

Ay de mi Alhama أى " ويلى على الحامة " راجع :

Perez de Hita : Guerras Civiles de Granada I, p 252 (Madrid 1913) & Prescott : History of the reign of Ferdinand and Isabella (London 1895) p 186 .

انظر كذلك : مؤلف مجهول : نبذة العصر فى اخبار ملوك بنى نصر ص ٦ وما بعدها (العرائش ١٩٤٠) نشر الفريد البستانى وكارلوس كيروس ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٦٤ حاشية (١) .

هذا وعن حمامات الحامة انظر :

R. Manzano Martos : El bano termal de Alhama de Granada (Al Andalus, Vol. XXIII (1958) Fasc 2 pp 408-417 & L. Torres Balbás : Ars Hispaniae Vol. Iv p 156, p 158 .

ومن حمامات غرناطة نذكر ايضا حمام أبى العاصى [1]، وحمام باب الفخارين[2]. وتروى المصادر انه كان فى كل مدينة أو قرية فى المملكة حمامات عامة [3].

وكان الحمام يتكون من : مدخل ثم ثلاث أو أربع حجرات ، ويتم الدخول الى الحمام من باب منخفض يؤدى الى ممر ضيق متعرج ويلى ذلك فى كثير من الاحيان صحن صغير يلحق به مرحاض ، ويلى هذا الممر حجرة ضيقة طويلة مغطاة بقبو دائرى تسمى " البيت البارد " يتم فيها خلع الملابس ، ويلى " البيت البارد " قاعة وسطى أعظم منها حجما واهمية فى وسطها فضاء مربع مغطى بقبة ويسمى " البيت الوسطانى " ثم نصل الى " البيت الساخن " وهى حجرة ضيقة طويلة ، وفى الحائط الذى يقع فى صدر هذه الحجرة قدر كبير من النحاس الاحمر ، تخرج منه انابيب رصاصية تحمل الماء الساخن الى احواض من الرخام أو الحجر أو الطوب الاحمر تسمى صهاريج [4] . وتستخدم الشموع لاضاءة الحمامات ليلا أما نهارا فكانت هناك فتحات تسمح بدخول الضوء تقفل بزجاج ملون [5] .

وفى اسبانيا المسيحية حُرم على المدجنين الذهاب الى الحمامات ايام الجمع وفى الاعياد الاسلامية [6] . بل اننا نجد ان فى قشتالة فى عهد الفونسو العالم ، أبطل المسيحيون الحمامات العامة ، حتى انه كان يرى فى العصور الوسطى المتأخرة فى كثرة الحمامات سببا فى ضعف الاخلاق والتخنث [7] .

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٤٩١ .

(٢) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٣١،١٣٠ .

(٣) الادريسى : نزهة المشتاق ص ١٧٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، الحميرى : الروض المعطار ص ٤٤ ، ٧٤ ، ١٢٧ ، ١٩٢ .

(٤) ليوبولدو توريس بالباس : الابنية الاسبانية الاسلامية . تعريب عليه ابراهيم العنانى - مجلد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ، العدد الاول ، السنة الاولى ١٣٧٢ - ١٩٥٣ ص ١٠٨ - ١١١ وعن مزيد من التفصيلات حول حمامات غرناطة الاسلامية انظر :

Leopoldo Torres Balbás : La acrópolis musumana de Ronda,

Al Andalus Vol. IX (1944) fasc 2 pp 475-477 & Leopoldo Torres Balbás : Gibraltar, llave y guarda de Espana, Al Andalus Vol VII (1942) fasc I pp 206-210.

(٥) ليوبولدو توريس بالباس : المرجع السابق ص ١١١ .

(٦) انظر : J. Ma-Sanz Artibucilla : Los Banos moros de Taragona

Al Andalus Vol IX (1944) pp 218-226

(٧) انظر : Pulgar : Crónica de los reyes Católicos Vol. II Cap CXXVII, p 11 .

بيد انه ما لبث ان انتقلت عادة اقامة الحمامات الى اسبانيا المسيحية ، وأن دراسة خرائط القرى القشتالية التى فيها حمامات لتدل اقوى دلالة على انتقال هذا التقليد الاسلامى اليها ، وكانت حمامات بعض هذه القرى فيها ماء ساخن ، ونصت اللوائح البلدية فى تلك القرى على انه يجب على صاحب الحمام ان يقدم لرواده الماء الساخن والصابون والمناشف [1] . وكانت الحمامات هناك بصفه عامة ملكا للملك ، وان كانت هناك بعض الحمامات التى كانت ملكا للافراد [2] .

المنـــزل الغـرنـاطـى : –

يذكر ابن الخطيب ان مبانى غرناطة كانت متوسطة [3] . وقد اشار الرحالة الاجانب الذين قاموا بزيارة غرناطة فى نهاية القرن الخامس عشر واوائل السادس عشر ، الى ضيق شوارع المدينة ، وصغر حجم منازل المسلمين بها . ويذكر خيرنيمو مونزر ان هذه المنازل كانت تحتوى على غرف صغيرة ، يشبهها باعشاش العصافير ، بينما كان المنزل المسيحى يشغل أكثر من أربع أو خمس غرف [4] .

كما ابدى الرحالة البلجيكى انطوان لالانج Antoine Lalang صاحب Montigny الذى زار اسبانيا عام ١٥٠٢م ، دهشته من حجم منازل غرناطة الصغير [5].

كذلك فان اندريا نافاجيرو Andrea Navagero السفير الفينيسى لدى الملك كارلوس الخامس ، قام بجولة فى ارجاء اسبانيا عام ١٥٢٤م ولاحظ ان المسلمين لديهم عادة الحياة المكدسة [6] .

---

(١) د. لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ص ٩٢ وكذلك :

Americo Castro : Espana en su historia pp 83-91

(٢) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Los Banos publicos en los fueros municipales espanoles, Al Andalus Vol XI (1946) fasc 2, pp 443-445.

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ .

(٤) انظر : Munzer : Op. cit. p 95 .

(٥) انظر : Vayages des Souverains des pays - Bas dans collection des chronique belges publieés par Gachard, Bruxelles 1876, t. I, p 208.

(٦) انظر : Andrea Navagero : Op. cit. : p 73-74 (valencia 1951).

هذا وقد قام ليوبولدو توريس بالباس باعادة ترتيب تسع منازل من قصبة غرناطة فوجد ان أياً من هذه المنازل لم تكن مساحته تزيد عن أكثر من خمسين متراً مربعا [١]

وقد لاحظ مونزر ان المنازل الاسلامية فى غرناطة كانت مهدمة من الخارج جميلة نظيفة من الداخل [٢] .

وكانت واجهة المنزل تتكون من حائط مرتفع به باب بسيط يغلق بمصراعين من الخشب مزود بطرقة ، ونوافذ صغيرة . وكانت منازل الاغنياء تتكون فى اغلب الاحوال من طابقين . وكانت النسوة يستطعن مشاهدة الشارع دون ان يلمحهن أحد من الفضوليين بفضل الشماسات (Ajimez) وهو نظام دخل الى الاندلس فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) [٣] .

وكانت هذه الشماسات تزيد من ضيق الشوارع الصغيرة وظلامها ونجد انه فى عام ١٤٩٨ أزيلت بعض الشماسات لتوسيع الشوارع عند مرور الملكين الكاثوليكيين كما حدث فى شارع البيرة [٤] .

وكان يوجد فى الغالب فى وسط المنزل صحن مربع Patio ، كان يسمح بدخول الضوء والهواء الى حجرات المنزل ، وتقوم النسوة بالجلوس فيه فى مأمن من نظرات الفضوليين [٥] ، اما اذا كان المنزل يطل على منظر ريفى او على الحدائق مثلما كان الحال فى منازل البرطل بالحمراء ، لم يكن هناك داع لوجود الصحن أصلا [٦] .

---

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Plantas de Casas árabes en la Alhambra (Al Andalus Vol II, 1934 pp 380-387.

(٢) انظر : Munzer : Op. cit. p 95.

(٣) انظر : Leopoldo Torres Balbas : Ajimeces (Al Andalus Vol . XII, 1947, fasc I, pp 415-427 .

(٤) ليوبولدو توريس بالباس : الابنية الاسبانية الاسلامية ص ١٢٤ .

(٥) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Los edificios hispano-musulmanes p. 121.

(٦) انظر : Leopoldo Torres Balbas : Las Casas del Partal de La Alhambra de Granada (Al Andalus Vol. XIV, 1949, pp 180-197 & Leopoldo Torres Ballás: Plantas de Casas Árabes en la Alhambra (Al Andalus Vol II 1934, fasc 2, p 381 .

وكان الصحن يحاط من ناحيتين فقط بالاروقة ذات الاعمدة من الرخام أو القرميد كانت تحمل السقف [١] ، يتوسطه حوض مربع أو مستطيل ونافورة ترطب الحرارة فى ايام الصيف [٢] . وتحت الاروقة كانت تفتح حجرات وصالة ضيقة مستطيلة تشتمل على حجرتين للنوم عند نهاياتها [٣] .

ويذكر ابن سعيد (ق ٧ هـ / ١٣) ان البلاط القاشانى الكثير الالوان والزخرفة حل محل الرخام الكثير الالوان الذى كان المشارقة يزخرفون به منازلهم [٤] .

ويفهم من النصوص ان بعض البيوت فى غرناطة كان يدخلها الماء المعد للشرب ، ففى عقد بيع منزل ذكر " ومن حق الدار ان الماء المشروب يدخلها [٥] كذلك كان السقاؤون يتولون تزويد المنازل بالماء [٦] .

هذا وقد انتقلت الى اللغة الاسبانية بعض اسماء اقسام المنزل نذكر منها : الغرفة Algorfa والسطح Azotea والطابق Tabique والاسطوان بمعنى الدهليز Zaguan

اثاث المنزل الغرناطى :

تميزت المنازل الغرناطية ، كغيرها من بلاد العالم الاسلامى بالبساطة فى التأثيث وتلقى الوثائق الغرناطية ، وقوائم الممتلكات الموريسكية التى نشرت حديثا [٧] ، كثيرا من الضوء على مظاهر الحياة اليومية والمنزلية فى مملكة غرناطة .

---

(١) انظر : J. Bemúdez Pareja : Los restos de la Casa de la Placeta de Villamena en Granada (Al Andalus, Vol. XII, 1947, pp 161-164.

(٢) فى مالقة كان يوجد احيانا بئر خاصة فى وسط الصحن أنظر : Leopoldo Torres Balbás : Palacios y Viviendas (Ars Hispaniae IV pp 146-156)

(٣) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Restos de una Casa árabe en Granada (Al Andalus Vol X, 1954 fasc I, pp 170-177. .

(٤) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧ .

(٥) انظر : Luis Seco de Lucena : Dosumentos atabes granadinos I, Al Andalus Vol. VIII (1943) fasc 5 pp 415-429..

(٦) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٠٥ ج ١ .

(٧) انظر على سبيل المثال : Almohadas y Galzados Moriscos, en Revista de Dialectologia y Tradiciones populares t. XXIII, Madrid 1967, Guadernos 4-3, pp 283 - 313.

عند الاغنياء كان يوجد بساط من الصوف الناعم أو الحرير يزين حوائط حجرات الاستقبال والسكن يسمى " حائطي [١] " . وسجاجيد تغطي الارض [٢] وكانت توضع مقاعد طويلة قليلة الارتفاع ملاصقة لجدران الحجرات حيث كان يتم تناول الطعام على المناضد الصغيرة التى كانت تسمى " تيفور [٣] " .

اما بخصوص ادوات الفراش فكانت تتكون من حشية (مرتبة [٤]) ، وملاءة سرير (آزار [٥]) مطرزة ، ووسائدو (مخدات [٦]) مكففة من الحرير أو التفاتاه عند ذوي اليسار ، ومن التيل لدى الطبقات الوسطى [٧] ، و " لحاف [٨]) وبطانية من الصوف [٩] .

ولم يكن يوجد فى المنزل صوان حقيقى ، فكانت ادوات المائدة وآنية الطعام والادوات المنزلية الاخرى توضع فى صناديق صغيرة من خشب الصنوبر [١٠] ، أو فى تجاويف محفورة فى الحائط ، كما نرى فى مدخل صالة الاختين بالحمراء وفى جنة العريف ؛ حيث كان يوضع فى هذه التجاويف آوان من الفخار (قلل) مليئة بالماء حتى يبرد [١١] .

---

(١) انظر : Dozy : Suppl.. I, p 337 .

(٢) تقابلنا فى الوثائق اسماء مختلفة للسجاد مثل " القطيفة " وهى سجادة من الصوف أو الحرير (وثائق عربية غرناطية وثيقة رقم ٩٢) " وتليس " وهى سجادة غليظة من الوان مختلفة (وثائق عربية غرناطية ص ٨٨) وسجادة (وثائق عربية غرناطية ص ١٤٢ وثيقة رقم ٩٢) انظر كذلك : Dozy : I, p 367, 150 & Simonet : Glosario p 526.

(٣) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٤٤ وثيقة رقم ٩٢ ، Dozy : II, p 48 والتيفور أو الطيفور كلمة كانت تدل فى غرناطة الاسلامية على ضرب من الموائد الصغيرة وقد انتقلت هذه الكلمة الى الاسبانية فصارت Ataifor . كذلك كان هذا اللفظ يدل فى العصور الوسطى على الصحن الكبير العميق الذى يقدم فيه الطعام ولا سيما اللحم . انظر : (لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية لم تنشر ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد (١٩٥٦) ص ١٧٧ ح (١) ، د. العبادى : مشاهدات ص ١٤٥ .

(٤) تقابلنا فى الوثائق عدة اسماء للحشية منها مضربة (وثائق عربية غرناطية ص ١٤٣) Dozy II, p 7 ومطرح (وثائق عربية غرناطية Dozy, II, p 32) وهى عبارة عن مرتبة من الجلد .

(٥) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية لم تنشر ص ١٧٧ Dozy I, p 19 ،

(٦) انتقلت هذه الكلمة الى الاسبانية فصارت Almohade

(٧) انظر : Almohadas y Galzados moriscos p 303-306.

(٨) جاءت منها الاسبانية Dozy II, p 519 Alifafe

(٩) انظر : Dozy : II, p 217.

(١٠) انظر : Almohadas y Galzados moriscos p 303 .

(١١) انظر : G. Marcais : L'architecture musulmane d'Occident pp 351-352.

أما الملابس فكانت توضع فى صناديق كبيرة من الخشب تسمى " تابوت " [١] وقد تم عمل قائمة فى شقوبية Segovia لمتاع الملكة ايزابيلا الكاثوليكية بعد وفاتها وجاء فيها ذكر خزانة صغيرة محلاة بالاصداف وصناديق فاخرة مزخرفة بالصدق والعاج جئ بها من غرناطة فى غنائم الحرب [٢] .

وفى مساكن الطبقة المتوسطة كان المغزل وآلة النسيج من الادوات المألوفة هناك [٣] .

أما فى المطبخ فكانت توجد قرعات تملأ بالماء ، والاطباق وادوات المطبخ الفخارية ، والقدور النحاسية ، والمناخل ، والمقلاة ، والسلال ، والمناديل التى كانت تبسط على الخبز عندما يحمل إلى القرن العمومي [٤] . وجرار من الفخار كانت تحتوى على زيت ، وخل ، ودقيق وبعض الاحتياجات الاخرى [٥] ، و " الدقوشة " التى كانوا يضعون فيها الزيت المخصص للوقود [٦] .

وكان سكان غرناطة يضيئون منازلهم بالشمع أو شحم الغنم ، اما القناديل فكانت من الفخار [٧] . وكانت عمليات التسخين تتم عن طريق فرن من الحجر أو الرخام عند الاغنياء أو من الفخار لدى الفقراء فوق هيكل وركيزة توضع عليها اوانى الطبخ ، مجهز بالفحم الخشبى [٨] . وفى القرن السادس عشر عشر في منازل الموريسكيين الذين هاجروا الى الخارج على المغرفة أو الماشة المخصصة لاشعال النار [٩] وكانت معروفة منذ وقت طويل لدى مسلمى الاندلس [١٠] .

---

(١) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٤٣ وثيقة رقم ٩٢ . .

(٢) انظر : Leopoldo Torres Balbás : El ambiente mudéjar en torno a la Reina Católica y el arte hispanomuslman en Espana y Bereberia durante su reinado, en Curso de Conferencias sobre la politica africana de los reyes catolicos. Madrid 1951, t. II, p. 119.

(٣) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٤٣ .

(٤) انظر : Almohadas y Galzados moriscos p 307 .

(٥) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٨٨ وثيقة رقم ٤٧ أ .

وكذلك : Almohadas y Galzados morisos p 303

(٦) الازدى : تحفة المغترب ص ١٠٩

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥٥٣ ، الازدى : مقامة العيد : تحقيق أ.د. العبادى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثانى العدد ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤,ص ١٦٩ .

(٨) أنظر : Leopoldo Torres Balbás : Los braseros de la Alhambra (Al Andalus II, 1934, pp 389-390 & Dozy : II, p 491.

(٩) انظر : Dozy II, p 208.

(١٠) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٨٨ وثيقة رقم ٤٧ أ .

وكذلك : Almohadas y Galzados moriscos p 303

اللهجة الغرناطية :

يذكر ابن الخطيب ان اهل غرناطة كانت " فصيحة السنتهم ، عربية لغاتهم يتخللها عرف كثير وتغلب عليها الامالة "[1]فالى جانب اللغة العربية الفصحى ، التى كانت تستعمل فى تحرير المراسلات الرسمية والظهائر السلطانية ، وفى قرض الشعر وصياغة النثر ، وجدت فى الاندلس لهجة عربية مصبوغة بكلمات رومانسية ، تظهر فى الزجل والرسائل العادية والعقود المحررة[2]وقد دخلت هذه الكلمات الرومانسية والترقيق والتفخيم الى اللهجة المغربية الأندلسية لمجاورة هذه البلادللفرنج [3]. وادرك ذلك ابن خلدون فقال : " فلأن البعد عن اللسان (العربى) انما هو بمخالطة العجمة فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلى أبعد ، لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الاولى التى كانت للعرب ومن الملكة الثانية التى للعجم فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة الاولى واعتبر ذلك فى امصار افريقية والمغرب والاندلس ..... وكذلك اهل الاندلس مع عجم الجلالقة والافرنجة وصار أهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم أهل لغة اخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر"[4]. ويذكر ابن سعيد " ان كلام اهل الاندلس الشائع فى الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع العربية ، حتى لو ان شخصا من العرب سمع كلام الشلوبينى [5]

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٧ ، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٤٠ والامالة لهجة من لهجات العرب وترتل بها احدى قراءات القرآن الكريم .

(٢) عن اللهجة الغرناطية انظر : حسن حسنى عبد الوهاب : الجمانة فى ازالة الرطانة فى لغة التخاطب فى الاندلس وتونس لبعض علماء القرن التاسع (القاهرة ١٩٣٥) ، د. عبد العزيز الاهوانى : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة ، مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثالث ، القاهرة ١٩٥٧ وكذلك :

Simonet : Glosario de veces ibéricas y latinas usadas entrelos Mozarabes (Amestardam 1967), Arnold steiger : contribucion a la fonetica del Hispano - Arabe y de los Arabismos en el Ibero - Romanico y el siciliano (Madrid 1932), G.S. colin : les voyelles de disjonction dans l'arabe de Grenade au xve siecle, dans Memorial Henri Basset paris 1928, p. 211, G.S. Colin : les trois inter-denales de l'arabe hispanique, dans Hesperis, 1930, p 91, G.S. Colin : Un document neveau, sur l'arabe dialectal d'Occident aux XIIe siecle, Hesperis 1931, t. XII fasc I, pp 1-32, Luis Seco de Lucena : un nuevo texto dialectal en arabe dialectal granadino en Al Andalus Vo XX (1955) fasc I, pp 153-175.

(٣) نفح الطيب : جـ ٣ ص ٢٩٥ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٥٨ - ٥٥٩ (طبعة بيروت) .

(٥) هو عمر بن محمد بن عبد الله الازدى الاندلس ، الاشبيلى ، النحوى ، المعروف بالشلوبيني (ت ٦٤٥ هـ) كان أماما فى النحو ، وله مصنفات كثيرة مثل كتاب التوطئة فى النحو ، وشرح كتاب سيبوية . انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٣ ترجمة رقم ١٣٣ ، السيوطى : بغية الوعاة جـ ١ ص ٣٦٧ .

ابى على المشار اليه بعلم النحو فى عصرنا الذى غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذى فى لسانه ، والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب وأخذ يجرى على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ، ولكن ذلك مراعى عندهم فى القراءات والمخاطبات بالرسائل " [١] .

وكان أهل غرناطة يبدلون القاف كافا فكانوا يقولون "حك" و (حكة) لنوع من الاوعية بدلا من "حق" "وحقة" [٢]. وتذكر المصادر ان أباحيان الغرناطى الذى هاجر الى مصر واستوطن بها كان ينطق القاف قريبة من الكاف على عادة أهل غرناطة ، على انه كان لا ينطق بها فى القرآن الا صحيحة [٣] . وكانوا يسقطون النون الاخيرة فى الكلمة فينطقون بين "بيى" . ويقلبون الالف ياء مثل "بيب" بدلا من "باب" و "ميل" بدلا من مال "نيب" بدلا من "ناب" [٤] .

كذلك كانت لهم اصطلاحات خاصة بهم مثل قامرة " بمعنى مخزن غلال " [٥] وسلوقية (نوع من الابراج أو الخنادق التى تقع خارج الاسوار [٦] " وزنقة اى " الشوارع الضيقة " [٧] .

وتنفرد اللهجة الاندلسية بصيغة التصغير فى اسماء البلاد كما جاء فى بقيقا تصغير "بقير " [٨] كذلك تظهر (ون Un) فى صيغة المؤنث فهى تبدو فى اسماء الاعلام من النساء مثل عيسونة وهذا الاسم مكون من عيسى مضاف اليه (ونة[٩]) . كذلك كانوا يصغرون الاسماء من وزن (فعل) على (فعيل) ومن وزن (فعلال وفعليل وفعلول) على صيغة (فعيعل) من ذلك قولهم جميل (جمل) وكليب (كلب) وفليس (فلس) وفريس (فرس [١٠]) كما كان أهل غرناطة يستخدمون ميم الجمع مع المفرد [١١] .

---

(١) المقرى : نفح الطيب : جـ ١ ص ٢٠٦.

(٢) حسن حسنى عبد الوهاب : الجمانة ص ٢٣.

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ٣ ص ٢٩٥ ، ابن حجر : الدرر السفر الرابع ص ٣٠٢ - ٣١٠ ترجمة رقم ٨٣٢ .

(٤) انظر الجمانة ص ٢٣ ، . Luis Seco de Lucena : Op. cit ., p 164

(٥) ابن الخطيب : مفاخرات مالقة وسلاقى مشاهدات ص ٦٠، Simonet : Glosario p 79

(٦) انظر : Dozy : Suppl. I, p 676 .

(٧) انظر : Luis Seco de Lucena : Documentos Arabes Granadinos I, Al Andalus Vol. VIII 1943 fasc 2, p. 415-429.

(٨) لويس سيكودى لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ٨٥ - ١٠٨ .

(٩) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ص ١٦ م

(١٠) حسن حسنى عبد الوهاب : الجمانة فى ازالة الرطانة ص ٢٨ .

(١١) القلشندى : صبح الاعشى جـ ٧ ص ٣٩ .

وكذلك اضافة un على الاسماء كصيغة للتفخيم أو التعظيم مثل خالد خلدون وزيد زيدون وغالب غلبون ...... الخ .

وقد اثبت ابن هشام اللخمى فى كتابة عن لحن العامة [١] فى الاندلس عددا من الالفاظ الاعجمية التى دخلت الى لغة العامة هناك من جيرانهم اصحاب اللغتين الاعجميتين الاسبانية والبربرية المغربية . فذكر من ذلك كلمة سفنرية [٢] بمعنى جزر وهى من الاسبانية Zanahoria ، وصرياقة [٣] بمعنى السوط وهى فى الاسبانية Zurriaga وقبلق[٤] بمعنى السلحفاة وهى فى الاسبانية Galapago . كما كانوا يقولون لما تجعله المرأة على رأسها تحت مقنعتها من حرير أو غيره كنبوش [٥] من الاسبانية Cambuj . كما يقولون لما يتعجله الانسان من الطعام قبل الغذاء "مرندة [٦] " وهى تقابل فى الاسبانية merienda وتطلق عندهم على طعام خفيف يؤكل ما بين الغذاء والعشاء .

هذا وقد دخلت بعض الالفاظ المشرقية الى اللهجة الغرناطية كذلك . من ذلك ما وصف به ابن الخطيب السلطان محمد بن اسماعيل بانه كان " حرفوشا على عرف المشارقة " [٧] ومنه ايضا ما ذكره ابن الخطيب عند قوله :

حصحص الحق يا خوند فدعنى اما راودت يوسفا عن نفسه [٨]

وقد وضعت فى هذا العصر الكثير من المؤلفات التى تتحدث عن لهجة اهل غرناطة ، نذكر منها كتاب " القواعد العامة فى لحن العامة " لابى القاسم بن جزى الكلبى الغرناطى (ت فى معركة طريف عام ٧٤١ هـ) [٩] كما وضح محمد بن

---

(١) انظر دكتور عبد العزيز الاهوانى : المصدر السابق .

(٢) د. عبد العزيز الاهوانى : المصدر السابق ص ٣٨ ، Dozy : Suppl. I, p 22, 660

(٣) د. عبد العزيز الاهوانى : المصدر السابق ص ٤١ ، Dozy : Suppl. I, p 651

(٤) د. عبد العزيز الاهوانى : المصدر السابق ص ٥٣ ، Dozy : Suppl. II, p 392 & Simonet : Op. cit., p 73 .

(٥) د. عبد العزيز الاهوانى : المصدر السابق ص ٥٥ وكذلك : Dozy : II, p 491 &Simonet p 80

(٦) د. عبد العزيز الاهوانى : المصدر السابق ص ٥٩ وكذلك : Dozy : II, p 585 &Simonet p 360

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٣١ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ص ١٩ وكلمة حرفوش تعنى الرعاع وزعر العامة الذين يعيشون على النهب والسرقة والمشاركة فى المؤامرات .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٥٢ ، المقرى نفح الطيب جـ ٩ ص ١٧٨ وكلمة خوند لفظ تركى أو فارس واصله خد او ند بضم الخاء ومعناه السيد أو الامير ويخاطب به الذكور والاناث ومثال ذلك السلطانة شجرة الدر التى كان امراء المماليك يخاطبونها بهذا اللقب .راجع (المقريزى : كتاب السلوك جـ ١ ص ٤٠١-٤٠٢ نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة ، د. احمد مختار العبادى : مقدمة كتاب نفاضة الجراب ص ٢٠ ح ٢) .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) المجلد الثالث ص ٢٠-٢٣ ، ابن حجر : الدرر السفر الثالث ص ٣٥٦ ترجمة رقم ٩٤٢ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ص ٢٩٥-٢٩٦ .

على بن هانى (ت ٧٣٣هـ) كتابا فى لحن العامة [١] .

الاعياد والاحتفالات فى مملكة غرناطة :

كان الشعب الغرناطى يعشق الحياة ومباهجها ، وكانت الحياة لديه سلسلة من الاعياد المتصلة ، وكان الغناء ذائعا يكثر فى المنتديات والاماكن العامة حيث يجتمع الشباب ، ولم تنس غرناطة مرحها حتى فى ايام محنتها . وكان احتفال الغرناطيين بالاعياد عظيما ولكن فى حدود الاعتدال [٢] .

وكغيرهم من المسلمين كان الغرناطيون يحتفلون بعيدى الفطر فى اليوم الاول من شوال والاضحى فى اليوم العاشر من ذى الحجة من كل عام . كما كانوا يحتفلون بليلة القدر فى ٢٧ من رمضان فى المساجد والاربطة والقصور والمساكن المتواضعة حيث تقام الصلوات وتتلى الايات البينات من الذكر الحكيم ، ويستمعون الى وعظ اهل التقوى والورع ، الى جانب الاناشيد وحلقات الذكر التى كان يصاحبها العزف على بعض المزامير المسماة بالشبابة أو اليراعة ، وفى اخر الليل كانت تقدم الاطعمة والحلوى ويظل الاحتفال حتى مطلع الفجر [٣] .

وفى هذه الاعياد كان الشعراء يوجهون قصائدهم (العيديات) الى السلاطين وكبار رجال الدولة . فنجد ان الشاعر ابن زمرك قد وضع الكثير من العيديات فى مدح السلطان محمد الخامس الغنى بالله [٤] . كما ان ابن الجياب قد نظم قصيدة بهذه المناسبة يمتدح فيها كرم وسخاء الوزير ابن الحكيم الرندى[٥].

وفى عيد الاضحى كان المسلمون من كل الطبقات الاجتماعية ، يحتفلون بهذه المناسبة بذبح الاضاحى . وقد كان هذا الامر يمثل كثيرا من الاعباء المالية لرب الاسرة - وخاصة فى الطبقات الدنيا - الذى كان يجب عليه ان يشترى لزوجته وأولاده ملابس جديدة وان يزيد من كميات الطعام والشراب بالاضافة الى اعباء الحياة الاخرى . فيقابلنا اديب قروى (فى النصف الاول من ق ٨ هـ ١٤/م) هو ابن المرابع الازدى [٦] فى مقامة العيد [٧] يوجه رسالة الى حاكم مالقة ابى سعيد فرج

---

(١) انظر : Pons Boigues : Op. cit. pp 319-320.

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٣ .

(٣) انظر : Dr. A.M. Al Abbady : Op. cit. p 157-158

(٤) انظر : E. García Go´mez : Cinco poetas p 219

(٥) المقرى : أزهار الرياض جـ ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٦) انظر ترجمة حياته فى ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٢٦- ٢٣٠ .

(٧) د. أحمد مختار العبادى : مقامة العيد لابى محمد عبد الله الازدى ، صورة من صور الحياة الشعبية فى غرناطة ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد ١٩٥٤ ص ١٥٩ - ١٧٣ (فى القسم العربى) وموجزا لها فى (القسم الاسبانى) ص ١٦٨ - ١٦٩ وانظر ترجمة المقامة الى الاسبانية فى: F. de la Granja : La Maqama de la fiesta de Ibn al - Murabi al Azdi, dans Etudes d'Orientalisme d'edieé a la mémoire de levi Provencal (Paris 1962) , t. II, pp 591 - 603.

بهدف الحصول على خروف لعيد الاضحى . فيحكى لنا فى اسلوب طريف الحاح زوجته فى الحصول على مطالب هذا العيد . وتعطينا هذه المقامة صورة من صور الاحتفالات بالاعياد فى الوسط الشعبى الاندلسى فى عهد بنى نصر .

وفى عيد الاضحى ايضا كانوا يعدون طبقا مكونا من اللبن والقمح ذكرى للطبيق الاول الذى قدم للسيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول عليه الصلاة والسلام بعد ان وضعته [١] .

كذلك كانت هناك مناسبة دينية أخرى يحتفل بها فى غرناطة هى يوم العاشر من محرم " عاشوراء" وقد قدم الشاعر ابن زمرك قصيدة الى السلطان محمد الخامس يشكره فيها على هديته بمناسبة يوم عاشوراء [٢] .

وفى يوم ١٢ ربيع من كل عام كان يحتفل بالمولد النبوى الشريف ويرجع الفضل فى هذا الاحتفال الى قاضى سبته ابو العباس احمد بن القاضى محمد بن احمد اللخمى العزفى السبتى (ت عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م [٣] ، فقد رأى ان مسلمى سبتة والاندلس دأبوا على المشاركة فى الاحتفال بالاعياد المسيحية ، فدفعه هذا الى التفكير فيما يشغل عن هذه البدع فوجه الانظار الى الاهتمام بالاحتفال بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام .

وقد حدث بعد هذا ان تولى ابو القاسم محمد العزفى امارة سبتة [٤] . فعمل على تحقيق دعوة والده حيث احتفل بالمولد النبوى فى عام ٦٤٨/ ١٢٥٠ . حتى وفاته عام ١٢٧٩/٦٧٧ [٥] . واكمل كتاب والده الذى وضعه فى مدح الرسول عليه

(١) انظر ، P. Longás : Vida religiosa de los Moriscos, p. L.
وهى رواية عن العادات الموريسكية التى ورثوها عن مسلمى غرناطة .

(٢) انظر : E. García Gómez : Cinco poetas p 220

(٣) المقرى : ازهار جـ ١ ص ٢٤٣ وانظر ترجمته فى " برنامج ابن ابى الربيع " الذى جمعه ابو القاسم ابن الشاط . نشر وتحقيق د. عبد العزيز الاهوانى ٤١ - ٤٢ .

(٤) ابن عذرى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٥) يصف لنا كتاب ابن عذارى ، البيان المغرب (جـ ٣ ص ٤٠١=٤٠٢) احتفال ابى القاسم العزفى بالمولد النبوى فى سبتة فيقول : ومن مآثره العظام ، قيامه بمولد النبى - عليه السلام - من هذا العام فيطعم فيه اهل بلده الوان الطعام ، ويؤثر على اولادهم - ليلة يوم المولد السعيد - بالصرف الجديد من جملة الاحسان عليهم والانعام ، وذلك لاجل ما يطلقون المحاضر والصنائع والحوانيت (يقصد تسريح اطفال الكتاتيب والمصانع والمتاجر) يمشون فى الازقة يصلون على النبى عليه السلام ، وفى طول اليوم المذكور يسمع المسمعون لجميع اهل البلد مدح النبى عليه السلام ، بالفرح والسرور والاطعام للخاص والعام ، جار ذلك على الدوام ، فى كل عام من الاعوام " .

السلام واسماه " الدر المنظم في مولد النبوي المعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم " [1] ثم مالبث هذا الاحتفال ان انتقل الى غرناطة منذ عهد السلطان يوسف الاول (قتل عام ٧٥٥ هـ) ، حيث كانت تلقى في هذه المناسبة القصائد المتعلقة بهذا المقام . وفي عهد ولده محمد الخامس صار " يحتفل في الصنيع في ليلة المولد والدعوة وانشاد الشعراء ،اقتداء بملوك المغرب " [2] .

وكان الاحتفال يستمر اياما وليال يتلى فيها القرآن الكريم ، وينشد الشعراء " العيديات " وتنحر الذبائح وتقام الولائم [3] .

وفي ليالي الاحتفال بالمولد التي كانت تقام خارج غرناطة كان الناس ينسلون من كل مكان " حيث توقد الشموع ويحرق العود ويراق ماء الورد " [4] فقد " كان في غرناطة اماكن مباركة مشهودة وزوايا مؤملة مقصودة ينفر اليها الجمهور في الليالي التي تقوم بها للبرسوق وتوفي من تعظيمها حقوق وخصوصا ليلة ميلاد رسول الله صلوات الله عليه ابتغاء البركة لديه فهي بحيث ذكر من المواسم التي ينتدب اليها الناس ويتسابق منهم الانواع والاجناس " [5] .

وكان مسلمو غرناطة يحتفلون كذلك بعدد من الاعياد النصرانية اهمها ثلاثة هي : عيد الميلاد (في ٢٥ ديسمبر حسب التقوم الاوربي) ، وعيد رأس السنة

---

(١) ابن خلدون : التعريف ص ٣٠٩ ، المقرى :ازهار الرياض جـ ٢ ص ٣٧٠ ، الوثائق : مجموعة دوريات تصدرها مديرية الوثائق الملكية بالرباط (الرباط ١٣٩٦/١٩٧٦) ص ٢٧١ ج (١) .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٤١٢ ، التعريف ص ٨٥ . والدعوة : الدعاء الى الطعام أو الوليمة وانظر على سبيل المثال القصائد التي القيت في هذا الاحتفال في ، ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٣٦٧ ، ٣٨٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٥٧٥ المقرى : نفح جـ ١٠ ص ٣٩ - ٤٣ ، ازهار الرياض جـ٢ ص ٤٢ ، ٥٥ ، ١٠١ ومنها القصيدة التي وضعها ابن زمرك يمتدح فيها محمد الخامس لاقامته احتفالا بمناسبة مولد النبي عليه الصلاة والسلام ويصف فيها هذا الاحتفال جاء فيـــها :

فأقمت ميلاد الرسول بليلـــة ... اوضحت فيها للجهاد سبيلا

حيث القباب البيض جللت الربا ... ازهار روض ما اكتسين ذبولا

ومواقد النيران تذكى حولهـــا ... لينير مشعلها ربا وسهـــولا

(٣) المقرى : ازهار جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٤) الازدي : تحفة المغترب ص ٧٨ .

(٥) انظر : M. Gaspar Remiro : Correspondencía; (Revista del Centro de estudios historicos de Granada y su reino, a^no II, núm 3 pp 163-164.

وعيد العنصرة ، وهو الذى يوافق مولد القديس خوان ، هذا الى جانب عدد من الاعياد الاخرى التى ورثتها اسبانيا المسيحية عن العصور الوثنية السابقة ، وربما كان هذا الامر راجعا الى اختلاط المسلمين بالمسيحيين والاحترام الذى كانوا يكنونه للسيد المسيح وتعاليمه [1] .

وقد ابدى الفقيه السبتى ابو القاسم العزفى نقداً شديدا لاحتفال الاندلسيين بهذه الاعياد المسيحية ، كما عاب فى نفس الوقت على تحريض نسوة الاندلس لأزواجهن على الاسراف فى النفقات فى سبيل الاستعداد لهذه الاعياد [2] .

ثم كان هنالك الاحتفال بعيد العصير [3] ، الذى كان يقام عند جنى محصول العنب وعصره ، حيث كان الشعراء ينشدون قصائدهم مبتدئين بمدح عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت هذه القصائد تتناول ايضا مدح السلطان بشئ من المبالغة حتى انه فى عام ١٣٦٦/٧٦٨ " أبى (محمد الخامس) ان يرسل العنان فى مدح مقامه ، مبالغة فى توقير جانب المصطفى صلى الله عليه وسلم واعظامه [4]

وفى هذا العيد كان اهل غرناطة يتركون منازلهم ويتوجهون الى حدائق الكرم لبضع ايام وهم يرتدون أجمل ملابسهم ويقبلون جميعا رجالا ونساء واطفالا على الرقص والموسيقى والغناء ، ونظرا لقرب الحدود مع قشتالة وتوقع قيام الاعداء بغزوات مفاجئة كان الغرناطيون يضطرون الى حمل اسلحتهم معهم طوال هذا العيد[5] .

وفى هـذا يقول النويرى السكندرى ان " جارى عادة المسلمين بهـا (اى

---

(١) انظر : G. Perez de Hita : Guerras civiles de Granada, t I, p LXXV (Prólogo) y p. 77 & Dr. A.M. Al Abbady : Op. cit. 149.

(٢) انظر : F. de la Granja : Fiestas Cristianas en Al Andalus (Al Andalus Vol. XXXIV (1969) fasc I, pp 1-53.

(٣) كانت كلمة عصير تطلق فى غرناطة على عصير العنب وعلى التين الرطب ايضا ، وفى هذا يذكر ابن الخطيب فى وصفه مدينة الحامة " وعصيرها لا يليق بالاكل " وكانوا يقولون لعصير العنب أو ما يعصر " مصطار " وهى فى الاسبانية mosto انظر : الجرالمقى : المعرب ص ٢٦٩ مشاهدات ص ٩٣ ح ١ ، الاهوانى : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام ص ٤٤ ، كذلك : Dozy I, 652 .

(٤) المقرى : ازهار الرياض جـ ٢ ص ٥١ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٩ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٣٨ .

بغرناطة) وبأعمالها يحاربون النصارى والنصارى تحاربهم ايضا فتارة لهم وتارة عليهم فتغنم كل طائفة من الطائفة المغلوبة فاذا وقع بينهم الصلح يصير المسلم يحرث في أرضه والنصراني يحرث في ارضه المجاورة لارض المسلم بينهما حد الزرع لا يعارض الواحد الآخر " [1] .

ويفهم من النصوص ان الاحتفال بعيد العصير ظل قائما بين الموريسكيين بعد سقوط غرناطة [2] .

وتروى المصادر انه في وقت صباغة الحرير في نارجة (من اعمال مالقة) " كانوا يضربون في بطن الوادي وبين مقطعاته خياما ، وبعضهم يغني ويطرب في مكان يقال له الطراز [3] .

وكان اهل مدينة الحامة " في ايام الربيع يدخلون اليها مع نسائهم واولادهم باحتفال في المطاعم والمشارب والتوسع في الانفاق [4] .

كذلك كان الغرناطيون يحتفلون بعيدين موسميين عرفا باسمهما الفارسي هما عيد النيروز [5] وهو اول السنة الفارسية الذي يتفق واعتدال الربيع والمقصود السنة الجديدة بعد جني المحصول ودفع الضرائب .

وكان الاندلسيون يقومون في عيد النيروز بعمل دمى على شكل حيوانات على الرغم من تحريم الفقهاء لذلك . وقد كشفت الحفائر الاثرية التي اجريت في المرية وفي حمراء غرناطة عن دمى من الفخار والخزف المطلي على شكل حصان او احد ذوات الاربع برأس صغير ورقبة طويلة مما يثبت بقاء هذه العادة في غرناطة

---

(١) النويري السكندري : كتاب الالمام بما جرت به الاحكام لوحة ١٨٠ يمين .

(٢) انظر : P. longas : Vida Religosa de los Moriscos p. L.

(٣) المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ١٦٧ .

(٤) الادريسي : صفة المغرب ص ٢٠٠ .

(٥) النوروز أو النيروز : معناه اليوم الجديد من شهر " فروردين " في التقويم الفارسي ، وهي تتألف من كلمتين فارسيتين هما " نو" بمعنى جديد و "روز" بمعنى يوم فيكون معناه : اليوم الجديد انظر : ابن مسكويه : تجارب الامم ، تحقيق Caatani ، ص ٢٥ ، ٢٤٨ ، ٤٠٧ ، ٤٩٩

النويري : نهاية الأرب جـ ١ ص ١٨٥ ، وما بعدها ، د. طه ندا : النوروز في الاداب الاسلامية ، الاعياد الفارسية في العالم الاسلامي ، مجلة كلية الاداب جامعة الاسكندرية المجلد ١٧ عام ١٩٦٣

وكذلك : Ency of Islam : Art Nawruz

النصرية (١) .

العيد الفارسي الاخر الذى كانوا يحتفلون به فى غرناطة هو عيد المهرجان الذى يجئ فى يوم ٢٤ يونيو ، فتشعل نار كبيرة ويأخذ طبقة العامة فى اللعب فى المدن والقرى (٢) وفى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر) نجد ان الفقية عمر الغرسيفى يطلب من المحتسبين فى غرناطة ان يتشددوا مع الصبية الذين كانوا ينشرون المياه فى الشوارع والاسواق يوم المهرجان فتتحول بذلك الى طرق موحلة(٣).

كذلك كانت تقام الاحتفالات فى غرناطة بمناسبة الانتصارات العسكرية أو مولد الامراء (٤) واعذار ابناء السلطان وزواجهم (٥) . تمد فيها الولائم (٦) ، وتلقى فيها القصائد (٧) . وقد حضر ابن خلدون فى غرناطة حفلا اقيم بمناسبة اعذار ابناء السلطان محمد الخامس دعى اليه " الخلفاء من نواحي الاندلس (٨) ".

وعند الاحتفال بالاعياد كان الناس فى غرناطة ينظفون اجسامهم ويرتدون احسن ملابسهم ويأخذون زينتهم (٩) . ويستمر الاحتفال حتى ساعة متأخرة من الليل حيث تتجمع الجماهير فى الشوارع رجالا ونساء ينشرون الماء المعطر ويتقاذفون البرتقال والليمون الحلو وباقات الزهر وكانت هذه الاعمال تزعج الاتقياء . وكان " أهل التحايل بالاباطيل على الناس كالحساب ، والكهنة ، والعشابين ، والمهانين ،

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Animales de juguetes (Al Andalus Vol. XXI, fasc 2, 1956) pp 373-375

(٢) انظر : E. Lévi Provencal : L'Espagne, Musulmane au Xe siecle p 172, n. 1, Dozy 11, p 621, Henri Perés : La poésie Andalouse en arabe classique au XI siécle p 304.

(٣) ثلاث رسائل اندلسية ص ١٢٤ .

(٤) ابن الخطيب : ديوان الصيب ص ٥٧٩ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ٢ (القاهرة) ص ٢٢٣ .

(٦) المقرى : ازهار الرياض جـ ١ ص ١٣٤ .

(٧) انظر على سبيل المثال : نفح الطيب جـ ٢ ص ٧٤ - ٨١ ، جـ ٩ ص ١٦٥ - ١٦٨ ، جـ ١٠ ص ١٣ - ١٦ .

(٨) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٤١٣ .

(٩) انظر : Pérez de Hita : Op. cit., I p 145 & Simonet: Descripcion del reino de Granada , p 188.

والمخنثين يقومون بعرض العابهم لتسلية الناس فى الاماكن العامة[١] . كما كان الرواة ينشدون فى بعض الاحياء الشعبية بعض الروايات التاريخية التى كانوا يزجونها بنبذ من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته [٢] . وكان القرادون" يحاولون دخول المساكن لعرض العابهم . ومن ثم فانه كان من واجبات المحتسب ان يمنع ذلك " لما فى ذلك من ترويع الحوامل والاولاد الصغار " [٣] . حتى اننا نرى انه فى القانون الذى اصدره السلطان ابو الحجاج يوسف الاول جاء فيه : " ان الحفلات التى تعقد بمناسبة عيد الفطر والاضحى ، كثيرا ما كانت سببا فى احداث فوضى واضطراب ، الامر الذى كدر أمن الكبار وسرورهم ، حتى استحالت هذه الاضطرابات الى حماقات دنيوية ، كأن تكون جماعات من الرجال والنساء يتجولون فى الشوارع وتصادفهم القاذورات نتيجة تقاذف الشباب بالبرتقال والليمون الحلو وباقات الزهور ، بينما افواج الراقصين والراقصات والمغنين تعكر صفو الآمنين برنين القيثارات والاعواد ، وما يتخلل هذا من الصيحات ، فهذه السخافات تمنع منعا باتا ، وتتخذ الاجراءات الكفيلة بتطبيق القانون ضدها حتى على مثل هذه العادات البدائية " [٤]

ولم يكن الاحتفال بمثل هذه الاعياد يسير وفق نظام مرتب دقيق [٥] ، وانما كان الغرناطيون يحتفلون بها بطرق مختلفة منها :

١ - **الفروسية :** كانت توجد فى غرناطة عدة ساحات لمصارعة الوحوش مثل ساحة باب الرملة وساحة باب الطوابين والقلعة الحمراء أمام برج الغدر Algodor (جمع غدير). ويروى ابن الخطيب انه كانت تقام فى هذه الاماكن دائرة خشبية فى الهواء تسمى الطبلة Tabla ويأخذ الفرسان فى قذفها برماحهم اثناء ركضهم بخيولهم[٦] . وهذا يذكرنا بلعبة " القبق" فى مصر على عهد المماليك [٧] .

وفى بعض المناسبات كانت تقام استعراضات عسكرية لقوات الجيش امام السلطان

---

(١) ثلاث رسائل اندلسية ص ١١٣ وكذلك : E, García Go´mez Cinco poetas musulmanes pp 251 - 252.

(٢) ثلاث رسائل اندلسية ص ١١٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٣ .

(٤) انظر : M. Lafuente Alcántra : Historia de Granadd t. III

(٥) بروفنسال : محاضرات فى اداب الاندلس وتاريخها ص ٧٢ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٤١ وكذلك : Pérez de Hita : Op. cit

(٧) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١١١ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦.

وضيوفه من الاجانب [١]. وقد اعد لهؤلاء الضيوف قصر خاص لاقامتهم عرف باسم " قصر الضيافة [٢] " .

كذلك كان سباق الخيل بين وسائل اللهو المفضلة لدى الاستقراطية الغرناطية في عهد بني نصر [٣] . فنجد ان السلطان محمد بن اسماعيل كان " عارفا بسمات السقار وشيات الخيل [٤] " . وقد وضع الشاعر عبد الله ابن زمرك العديد من القصائد التي خصصها لوصف سباق الخيل التي كان السلطان محمد الخامس يحرص على مشاهدتها [٥] .

وفي اوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، برع الغرناطيون في المبارزة في الميادين الخاصة بذلك ، وكان السلطان محمد الرابع يتردد الى هذه الاماكن ، ليختبر قوته مع الفرسان المهرة [٦] .

ثم كانت هناك لعبة العصي وكانت منتشرة سواء في الجانب الاسلامي او الاسباني في تلك العصور . ففي اقليم جيان ، كان السادة الاندلسيين يقبلون على لعبة العصي في يوم القديس خايمي [٧]. وقد بعث السلطان محمد الثامن برسالة الى الملك الفونسو الخامس في (٣٠ مايو ١٤١٨) ذكر فيها بين الهدايا المرسلة الى الملك الاراجوني معدات مخصصة للعبة العصي [٨] .

وقد ترك لنا الرحالة الالماني خيرونيمو مونزر وصفا طريفا للعبة العصي التي حضرها يوم ٢٦ اكتوبر عام ١٤٩٤ عشية عيد الحواريين سان سيمون simon وسان Judas ، في فناء الحمراء حيث يذكر أن Tendilla اول حاكم اسباني لتلك القلعة ، جمع ما يقرب من مائة فارس ، قسمهم الى كوكبتين ، الواحدة تهاجم الاخرى

---

(١) مؤلف مجهول : نبلة العصر ص ٣ ، د. احمد مختار العبادي : الاعياد في مملكة غرناطة ص٩ .

(٢) انظر : د. العبادي : المرجع السابق ص ٩ ، Alarcon y Linares : Op. cit. p.140

(٣) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ١٤١ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٧ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٤٠-٥٤١ ، اعمال الاعلام ص ٣٤١ .

(٥) المقري : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٣٠-٣٦ ، ٤٤ - ٤٨ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٤١ .

(٧) انظر : Hechos del condestable D. Miguel Lucas de Iranzo ed. carriago, p 65

(٨) انظر : A. Gimenéz Soler : La corona de Aragón y Granada t. 4 de (B.R.A.B.L.) p 369 .

بالعصى الطويلة والمدببة ، ويتظاهر الاخرون بالفرار ويدافعون عن الكتف بواسطة درقات ثم يطاردون منافسيهم ، والكل يركب الخيول على الطريقة الزناتية (١) .

كذلك فانه كانت هناك لعبة خشنة شاعت فى هذا العصر بين الطبقات الشعبية فى الاندلس بحيث كان الشباب المسلح بالعصى والهراوات والمقارع يتجمع فى أحد الشوارع ، ثم يأخذون فى التضارب اشبه ما يكون بلعبة التحطيب فى الريف عندنا . وكثيرا ما كان الشباب المشترك فى هذه اللعبة يندفع الى درجة قذف الحجارة أو التقاتل ، مما كان يدفع بالمحتسب الى توجيه اللوم الى هؤلاء الشباب (٢)

٢ - الخروج الى الحدائق والمنتزهات :

اعتاد الغرناطيون الخروج الى الحدائق والمنتزهات فى أيام الأعياد ، وكانت غرناطة تعج بالكثير من هذه الحدائق الغناء نذكر منها :

عين الدمع ، أحد شعب جبال سييرا نيفادا بحيث تكثر فيها الرياض والبساتين والمروج والحدائق الغناء (٣) . مع اعتدال نسيم وعذوبة ماء قد اشرفت منها على ارجاء المدينة القصور الشاهقة ، (وكان لابن الخطيب قصر بها) التى تنافس ملاكها فى الانفاق عليها ، وتبارى العمال فى خدمتها ، حتى اضحت المنطقة نادرة المثال وتناولها الكتاب والشعراء بالاوصاف والنعوت (٤) " .

---

(١) انظر : Munzer : Op. cit., p 108 .

(٢) ثلاث رسائل اندلسية فى الحسبة ص ١٢٤ وكذلك : É. Lévi Provencal : Glossaire du traite de his-ba d'Ibn Abdoun, Journal Asiatique, 1934, p 88.

(٣) ابن بطوطة جـ ٤ ص ٣٦٩ ، المقرى : نفح الطيب جـ ١ ١٦٤ ، المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٦٤
وكذلك : Simonet : Descripcion p69.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٢٧-١٢٨ ، ديوان الصيب والجهام ص ٣٣٠ ومن ذلك قول الفقيه ابى القاسم بن قرطبة :

وملْ بنا نحو عين الدمع نشربها ... حيث السرور بكأس الانس يسقينى
حيث المنى وفنون اللهو رائعـة ... والطير من طرب فيها تناجينـى
وجدول الماء يحكى فى اجنتـه ... صوارى ما جردت فى يوم صفين
وأعين الزهر فى الاغصان جاحظة ... كأنها بهوى الغزلان تغرينـى

(انظر : ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٢٩)
وانظر قصائد اخرى ص ١٢٨ ، ٢٦٠ (وعين الدمع بالاسبانية) Aindamar

كذلك كان من بين منتزهات غرناطة المشهورة حوز مؤمل [١] الذى يصفه ابن سعيد بانه " سيد منتزهات غرناطة [٢] ، واللشتة والزاوية والمشايخ [٣] ، ونجد [٤] والملعب العيدي خارج السور وكان عن يمينه نهر شنيل وعن يساره الجنات [٥] .

٣ - مصارعة الثيران :

وكانت كما وصفها استاذنا الدكتور احمد مختار العبادى [٦] على طريقتين : الاولى كانت حربا بين الثور والاسد [٧] . والطريقة الثانية كانت حربا بين الثور والانسان وكانت تتم بان يطلق الثور ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحشة ، وهى المعروفة فى اللغة الانجليزية باسم Bulldogs ، وواضح من اسمها - كلاب الثيران - انها كانت تستخدم فى مصارعة الثيران . فكانت تقفز على الثور وتأخذ فى نهش

---

(١) كتبه جاياجوس بالراء (Gayangos : Moh. Dyn. in spain I, p. 351)
وكذلك وردت فى مذكرات الامير عبد الله المسماه بكتاب التبيان باسم " حور مؤمل " (انظر ص ٢١٤) . وهو يقع فى جنوب غرب الحمراء وجنوب ربض البيازين ، ويشتهر برياض ومتنزهات (ومكانه اليوم Campo del principe) ، وقد كتب ابو جعفر بن عبد الملك بن سعيد الى حفصة الشاعرة اثر ليلة وصال باتا بها فى حور مؤمل :

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم ... عشية وارانا بحور مؤمل
وغرد قمرى على الدوح وانثنى ... قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بدا له ... عناق وضم وارتشاق وقبل

(ابن سعيد : عنوان المرقصات والمطربات ص ٦٧ - ٦٨)

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ٢ ص ٢١ .

(٣) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب جـ ٢ ص ١٠٣ .

(٤) المقرى : نفح الطيب جـ ٥ ص ٥٨ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٦) د. العبادى : الاعياد فى مملكة غرناطة ص ١٠-١١ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٦-٧ ، وقد اعطانا الشاعر ابن جزى وصفا للسلطان أبى عنان فارس سلطان المغرب وقد اطل من برج يشاهد الحرب بين الثور والاسد فقال :

لله يوم بدار الملك مشهده ... من العجائب مالم يجر فى خلدى
لاح الخليفة فى برج العلا قمر ... يشاهد الحرب بين الثور والاسد

(المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٤٦ ، ازهار الرياض جـ ٣ ص ١٩٤ - ١٩٥ .

جسمه وأذنيه ، وتتعلق بهما فى صورة القرط [1]. وكان هذا العمل التمهيدى يهدف الى الحد من قوة الثور وتهذيب حركته ، وهو ما يقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام Banderilleros وطاعن الرمح Picador وذلك تمهيدا للقاء المصارع الذى كان فارسا مغوارا يصارع الثور على فرسه المدرب ثم يقتله فى النهاية برمحه [2] .

٤ - الصيـــد : -

كان من بين مظاهر الاحتفال بالاعياد فى مملكة غرناطة ، الخروج فى رحلات للصيد ، وقد افتتن أهل الأندلس افتتانا كبيرا بهواية الصيد منذ عصر الدولة الأموية وملوك الطوائف [3] . وورث الغرناطيون هذه الهواية ، وكان الصيد واحدا من اجمل وسائل اللهو لدى السلاطين . فالمؤرخون يمتدحون حب محمد الرابع للصيد وكيف انه كان " عارفا بسمات الصقار وشيات الخيل [4] " ، ويذكرون كلف محمد

---

(١) يذكر ابن الخطيب (الاحاطة : مخطوط الاسكوريال لوحة ٤٤١) انه " لما احتفل (محمد الخامس) لاعذار ولده ... ارسل جوارح الاكلب الفخام المجتلبة من ارض اللان خلف فحول البقر الطاغية الشرس تمسكها من آذانها واجنابها حتى يتمكن منها الرجال وغير ذلك انظر ايضا : المقرى : نفح الطيب جـ ٩ ص ١٦٥ ، د. احمد مختار العبادى : الاعياد فى مملكة غرناطة ص ١٤٢ . هذا وقد اعطانا الشاعر عبد الله ابن زمرك صورة لذلك عند قوله فى مدح سلطان غرناطة محمد الخامس ، ويفهم منه ان السلطان كان مصارعا للثيران :

وطاردت مقدام الصوار بجـــارح   يصاب منه الصماخ أو الابط
متين الشوى فى رأسه سمهرية   مقصرة عنهن ما ينبت الخط
وقد كان ذا تاج فلما تعلقـــــا   بسامعتيه زانه بينهما قـرط

(الصوار : القطيع من البقر الوحشية ، انظر : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٤١ المقرى نفح الطيب جـ ٩ ص ١٦٨ . وكذلك مثل قوله :

وطاردت الصوار بكل ضـــار   كما اتبعت عفريتا شهابـــــا
ضربت به على الاذان منهـا   فلم تستطع حراكا ولا اضطرابا
ومعصوب الجبين بتـــاج روق   يروع خواره الاسد الغضابـــــا
تعرف ان تحت الارض ثـورا   فرام يشق له الترابـــــــــــا

الروق : القرن ، الخوار : بضم الخاء صوت البقر . انظر : المقرى : نفح جـ ١٠ ص ١٥٧ (ومثل قوله : (نفح جـ ١٠ ص ١٦ ، ازهار جـ ٢ ص ١٠٦)

سود وبيض فى الطراد تتابعت   كالليل طارده بياض نهار
اثبت فيه الرمح ثم تركتــــــه   خضب الجرائح بالدم المرار

(٢) د. احمد مختار العبادى : الاعياد فى مملكة غرناطة ص ١٤٢ . .

(٣) انظر : Provencal : Hist Esp. Mus. Mus. t. III, pp 441-442

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٧ الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٤٠

الخامس به [١] ، كذلك يشكر ابن زمرك السلطان على هدية من صيد كان قد صاده ولى العهد [٢].

وتبين المصادر التاريخية المعاصرة وقطع الخزف والوثائق ولع سلاطين بنى نصر وشعبهم طوال القرنين الثامن والتاسع الهجرين (١٤ ، ١٥م) بالخروج للصيد

وكانت مرتفعات المملكة وغاباتها تزخر بالحيوانات المختلفة التى كانت هدفا للصيد . ففى عام ١٤٩٤ دهش خيرونيمو مونزر من كثيرة الحيوانات التى صيدت مثل الدببة ، والخنازير الجبلية. (انتقل اسمها الى الاسبانية Jabali) والوعول ، والظباء من المناطق الجبلية التى تشرف على غرناطة [٣] .

وفى عام ١٤٩٩ اصدر فرناندو الكاثوليكى مرسوما بتحريم صيد الدببة والخنازير الجبلية والوعول فى الأراضى التى كانت تمتلكها غرناطة قبل ذلك فيما بين سيبرا نيفادا حتى لوشة وموكلين Moclín وحصن اللوز [٤] .

كذلك يظهر فى احدى القباب الجانبية لصالة التريبونال فارس غرناطى يطارد خنزيرا جبليا فى احد الادغال ، ويثبت رمحه فى الفريسة ، بينما كلبان عاديان ينهشان الحيوان ، ويتبعه خمس من الاتباع يقومون بنقل الخنزير الجبلى الميت على بغل ، ويتوجه الفارس بعد ذلك الى احدى القلاع . ويقوم فارسان غرناطيان بوضع ذلك الحيوان عند اقدام قائد القلعة [٥] .

ويروى ابن الخطيب أنه فى عهد محمد الثانى الفقيه خرج ولى عهده -أبو سعيد- للصيد، فقابله خنزير جبلى، فطرح نفسه عليه، فكبا به فرسه، واستقبله ذلك الخنزير،

---

(١) انظر : E. García Góez : cinco Poetas Muslmanes p 219

(٢) يقول ابن زمرك فى هذه المناسبة :

اضحى ولى العهد نجلك صائدا   شأن الملوك العلية العظماء

ورمى البزاة على القناة بصيده   صيد الملوك شارد الاعداء

المقرى :ازهار الرياض : جـ٢ ص ١٣٧ ، نفح جـ ١٠ ص ٨٣ ، ولعل كلمة القناة الواردة فى البيت الثانى تعنى اسم طائر أو نحو ذلك .

(٣) انظر : Munzer : Op. cit., p53.

(٤) انظر : E. Molina Fajardo : Caza en el recinto de la Alhambra, en Cuadernos de la Alhambra, 3, 1967, pp 50-51.

(٥) انظر : Rachel Arfe : l'Espagne Musulmane Au Tempa des Nasrides (1232-1492) (paris 1973) p 404 .

فاستل الأمير سيف، وعاجله بضربة تحت عينيه، أبانت نكيه، وأطارت محل سلاحه، وتلاحق به فرسانه وقد يئسوا من خلاصه، فرأوا ما بهتوا له وعلم بذلك والده فسر سرورا عظيماً[1].

وبعد سقوط غرناطة مارس الفاتحون الاسبان صيد الخنازير الجبلية، ويروى خيرونيمو مونزر أن حاكم فنيانة قد دعاه لزيارته حيث كانت جدران قلعة المدينة مفروشة بجلود الخنازير الجبلية [2].

ويزخرف سقف قاعة التريبونال صورة وعل تطارده بعض كلاب الصيد، بينما فارس عربي يتهيأ لتسديد رمحه إليه. كذلك فإنه يوجد في برج قمارش بالحمراء الذي أمر بإنشائه السلطان أبو الحجاج يوسف الأول، قطعتان من القيشاني تصوران وعلين. كما يوجد في إحدى صالات متحف الحمراء وعاء نصري من القرن الثامن الهجري (١٤م) تزينه وعول برية [3].

ولقد ظل صيد هذه الوعول قائماً في غرناطة فترة طويلة بعد سقوطها، مما أوحى إلى الرسام الألماني Georges Hoefnagel في القرن السادس عشر بهذا التصميم الرشيق لوعلين عند أقدام برج قمارش [4].

كذلك كانت قطعان الذئاب والثعالب الجائعة تطوف حول سور غرناطة بعد سقوطها في يد الملكين الكاثوليكيين بشهور قليلة [5]. وإن كانت المصادر العربية لا تروى لنا شيئاً عن صيد هذه الحيوانات.

يأتي بعد ذلك صيد الأرانب البرية، وتظهر في لوحات صالة التريبيونال والبرطل بالحمراء وعلى قطع الخزف المعروض في متحف غرناطة الأثرى، رسوم الأرانب بآذان مفرطة في الطول [6]. وكانت لحوم الأرانب تلقى إقبالا كبيراً من سكان المملكة

---

(١) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٦، د. أحمد مختار العبادي: الأعياد في مملكة غرناطة ص ١٢ Dr. A.M. Al Abbady: Op. Cit., P 150 - 151

(٢) انظر : Munzer : Op. Cit., p 83.

(٣) انظر : Rachel Arie : Op. Cit., p 404.

(٤) يوجد هذا المنظر في : G. Braun & F. Hogemberg : Civitatis orbis terrarum, Cologne 1576.

(٥) انظر : Munzer : Op. Cit., p 40.

(٦) انظر : Rachel Arie : Op. Cit., p 405

الغرناطية [1].

هذا وقد استمر صيد هذه الأرانب فى غرناطة طوال القرن السادس عشر الميلادى فقد شاهد السفير الفنيسى Andrea Navagero الأرانب فى مناطق جنة العريف عام ١٥٢٦ [2].

كذلك كان الغرناطيون يقومون بصيد طائر الحجل [3] والديوك البرية والبط البرى والحمام البرى، الذين كان يتم صيدهم بواسطة البزاة [4]. وليس اسم Albaicin الا تحريف من اسم ربض البيازين حيث كانت تتم تربية تلك البزاة [5].

ومن الطريف أنه كانت توجد أحياء بنفس الإسم فى كثير من مدن المملكة مثل الحامة وانتقيرة و Baena [6].

وفى البرطل منظر يمثل أربعة بزاة تهم بالإنقضاض على فرائسها، كما أنه يوجد فى إحدى القباب الجانبية فى صالة التريبونال صور بها صقور وبزاة تستعد للانقضاض على طير طويل الساقين[7].

ولم يكن استخدام البزاة فى الصيد معروفًا لدى قشتالة، ثم انتقلت إليها هذه الطريقة فى أعقاب غزو الملك سان فرناند وللوادى الكبير[8].

ومن الحيوانات الأخرى التى كان يتم صيدها فى الاندلس الغزال والأيل [9] والحمار الوحشى والبقر الوحشى وسبع يعرف باللب Lobo أكبر بقليل من الذئب

---

(١) الأزدى : تحفة المغترب ص ١٦٤، المقرى نفح جـ١ ص ١٨٤.

(٢) انظر : Andrea Navagero : Op. Cit. p 75.

(٣) انظر : Münzer : Op. Cit. p 53.

(٤) انظر : E. Garcia Gómez : Cinco Poetas Musulmanes p 207.

(٥) انظر : M. Asin Palacios : Contribución a la toponimia árabe de Espana (Madrid - Granada) 1944, p 46.

(٦)، (٧) انظر : Rachel Arie : Op. Cit. p 406.

(٨) أنظر : Infante Juan Manuel : Libro de la Caza, Cap XI & Arie : Ibid.

(٩) الأيل : الوعل الذكر.

فى نهاية القحة [١] . وقد يفترس الرجل إذا كان فارهًا [٢].

ومن الأسلحة التى كانت تستخدم فى الصيد سهم من الحديد يطلق عليه اسم «السزج» [٣] ، الرماح وشعلات النار تطلق على الفرائس ويرى فى رسوم البرطل بالحمراء مناظر للصيد حيث الفرسان فوق خيولهم يحملون السيوف والدرق والرماح، والأسود والكلاب والبزاة والخيام [٤] .

٥ ـــ الموسيقى والرقص والغناء :

بالإضافة إلى ما سبق كان الغناء والرقص والموسيقى تمثل عنصراً مهماً فى الإحتفال بالأعياد فى مملكة غرناطة، ولقد ورثت غرناطة مجد الأندلس الموسيقى[٥]. وكان الشعب الغرناطى يعشق الموسيقى الجميلة ويميل إلى الطرب، كما كان الغناء فاشيا فى غرناطة وخاصة فى «الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيراً من الأحداث»[٦] . وكان لسكان مالقة ميل عظيم إلى الموسيقى[٧] . و يذكر التجيبى صاحب المختار من شعر بشارين برد وكان فى رحلة إلى مالقة، انه كان حين يمرض فى تلك المدينة، كانت تخفق حوله فى أوتار الليل الميدان والطنابير والمعازف من كل ناحية [٨] .

وعلى الرغم من تحريم الفقهاء الأندلسيين للكثير من الالات الموسيقية[٩] ، فان هذا التحريم كان من الناحية النظرية فقط. فبقراءة المصادر ودراسة الوثائق والرسوم المعاصرة، نرى أن الموسيقى فى عهد بنى نصر كانت عاملاً مشتركا فى كل

---

(١) القحة : أراد بها الجرأة والأقدام على الناس.
(٢) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٨٥ .
(٣) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ٢٢٠ .
(٤) د. جمال محرز : الرسوم الجداريه الإسلامية فى البرطل بالحمراء ص ٢٠ – ٢٢ .
(٥) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٤٢٨ .
(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٤٣ ، اللمحة ص ٢٨ .
(٧) هـ . ج . فارمر : تاريخ الموسيقى العربية. ترجمة د. حسين نصار، مراجعة د. عبد العزيز الأهوانى ص ٢٢٦ .
(٨) التجيبى : شرح المختار من شعر بشار : ١٥ – ١٦ (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
(٩) ثلاث رسائل اندلسية ص ٨٣ .

الاحتفالات، حتى أننا نرى يوسف الأول يأمر الناس فى قانونه بمراعاة شرف الاحتفالات، فيقول: «وفى حفلات الزفاف، وفى الحفلات التى تعقد من أجل الأطفال لإختيار حظوظهم وفى الاجتماعات العائلية، التى من طبيعتها المرح والغبطة بالالات الموسيقية والاحتفالات الرائعة، حافظوا على أكبر قدر من شرف هذه الحفلات، حتى يكون الهدوء شاملاً، فلا يتحول أى مدعو إلى حالة سكر غير عادية»[١] .

ومما يدعو للاسف فقد كتاب للموسقى كان قد وضعه ابن الخطيب، وربما كان يمكن أن يقدم لنا بعض التفصيلات الدقيقة عن الالات الموسيقية والغناء فى عصره[٢] .

وقد أورد لنا ابن خلدون فى مقدمته أسماء لبعض الالات الموسيقية فى هذا العصر ووصفًا لها فذكر أن منها ما يسمونة الشبابة (وبالأسبانية axabeba) والغيطة (Gáita) وهى قصبة جوفاء بابخاش فى جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سدادة من تلك الأبخاش ويقطع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعًا على تلك الأبخاش وضعًا متعارفًا، حتى تحدث النسب بين الأصوات فيه[٣] . ... ثم هناك البوق، وهو آلة من نحاس أجوف فى مقدار الذراع يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه فى مقدار دون الكف في شكل برى القلم ..... وكذلك الالات الوترية وهى كلها جوفاء مثل البربط والرباب والقانون[٤]. وكان العود أكثر الالات الموسيقية شيوعًا، ليس فقط فى مملكة غرناطة[٥] . ولكن أيضا بين جماعة المدجنين فى قشتالة، فكثير من صور الـ

---

(١) انظر : الأعياد فى غرناطة ؛ وكذلك M. Lafuente Alcántra : Historia de Granada t. III p 168 y sig.

(٢) المقرى : أزهار الرياض جـ ١ ص ١٩٠ .

(٣) حرم الصوفية هذه الآلة تحريمًا قاطعًا. أنظر الإحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٤، النباهى : المرقبة العليا ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢٣ - ٤٢٤ (طبعة بيروت) .

(٥) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٤١٤ ، ابن حجر : الدرر، السفر الثالث ص ٤٨٤ ترجمة رقم ١٢٩٦، وكذلك: E. Garcia, Gómez : cinco Poetas p 240

وكتاب الشطرنج libro del Ajedrez تشهد على أن البلاط المسيحى Cantigas فى اسبانيا كان يدعو الموسيقيين المسلمين المدجنين الذين اشتهروا فى القرن الثالث عشر بالعزف على العود[١] .

وفى رسوم البرطل بالحمراء نجد رجالا يحمل أحدهم عودا ومع آخر طبلة .... وسيدات معهن الآت موسيقية مثل القيثارة والدف والطبلة والمزمار[٢] .

وقد ظهر فى الأندلس ما نسميه «الأغانى الشعبية» بلغة دارجة، وكانت تردد فى الأعياد والأعراس والمواسم الخاصة بجمع العنب والزيتون، وفى غير ذلك من المناسبات، وكانت الصلة بين هذه الأغنيات «العامية» والأغانى «الأعجمية» صلة وثيقة فى ألحانها وطرق أدائها[٣] .

وكانت الفرقة الموسيقية تتكون من المغنى تصحبه فرقة فيها عواد أو زامر وطبلة صغيرة وصاجات، يبدأ المغنى بالغناء ثم يردد الحاضرون [٤] . وكانت الحفلات الموسيقية تسمى زمرة (وبالأسبانية Zambra)[٥] . وتقام فى أغلب الأحيان فى حمى الحريم [٦] .

---

(١) أنظر : J. Ribera : Historia de la música árabe medieval y su influencia en la es-panola (Madrid 1927), J. Guerrero lovillo : La Cántigas, p 13 y n. 6, H. G. Farmer : The sources of Arabian Music (Leyde 1965), introd. XXII, Rachel Arie : Op. Cit. p. 415.

(٢) د. جمال محرز : الرسوم الجدارية الإسلامية فى البرطل بالحمراء ص ٣١ - ٣٢، .

(٣) د. احسان عباس : اخبار الغناء والمغنين فى الأندلس ١٣٨ - ٥٣٩ هـ مجلة الأبحاث، السنة ١٦ الجزء الأول إذار ١٩٦٣ ص ١٧).

(٤) بروفنسال : محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٧٤ .

(٥) زمرة وبالأسبانية Zambra وتعنى مجموعة من الموسيقيين أو الحفل الذى تعزف فيه هذه الموسيقى ويرقص الراقصون وكانت عادة يتفرد بها مسلمو الأندلس ولم تعرف فى إفريقيا والمشرق، ولازالت هذه الزمرات توجد إلى اليوم لدى غجر أسبانيا أنظر : J. Janier : Condición social de los Morisc os en Espana p 138, Dr.
A. M. Al Abbady : Op. Cit. p 153, n. I.
وقد قام الرحالة الألمانى Weiditz برسم لوحة لزمرة موسيقية موريسكية Danza Morisca فى أوائل القرن ١٣ أسماها رقصة موريسكية «أنظر الصورة».

(٦) بروفنسال : محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٧٢ .

وكان للموسيقى الأندلسية الغرناطية أثر كبير فى تطور الموسيقى فى البلاد الأسلامية والمسيحية المجاورة، فقد انتقلت هذه الموسيقى - على سبيل المثال - إلى تونس، وأصبحت الموسيقى فى هذا البلد امتداد للموسيقى الاندلسية حتى اليوم، حتى أنهم أعطوا لبعض الأغانى الشعبية التونسية إسم لحن غرناطة (١) .

وفى الجانب الأسبانى كان للموسيقى الغرناطية أثرها الكبير فى تطور الموسيقى الأسبانية القديمة، وخاصة فى قشتالة وغيرها منذ عصر مبكر ثم انتقل هذا الأثر إلى أوربا، وذاع أمر الموسيقى الأندلسية فى غرب أوربا فى العصور الوسطى وأدخل ملوك أسبانيا المسيحية الموسيقى الأندلسية الإسلامية إلى قصورهم الخاصة، مثال ذلك الملك بدور الرابع ملك اراجون الذى طلب فى عام ١٣٣٧ راوية مسلم من شاطبة يدعى Halezigua كان عازفًا ماهرًا على الربابة. كما أن الملك دون خوان الثانى بعث فى عام ١٣٨٩ إلى بلنسية فى طلب اسرة مسلمة معروفة بالانشاد كان رئيسها يدعى Mazot ، الذى حمل معه زوجته وأمه وبعض المنشدات المسلمات، وبعد أن قاموا بتسلية الملك عدة أيام دفع إليهم مبلغًا عظيمًا من المال وودعهم إلى بلادهم(٢).

٦ ـ الحشيش والخمر :

كان يصاحب الإحتفلات بالأعياد والمناسبات فى غرناطة شرب الخمر وتعاطى الحشيش، وقد أفضت القول عن هاتين الآفتين اللتين تفشتا فى المجتمع الغرناطى فى هذا العصر، فى الفصل الخاص بالعادات والتقاليد.

---

(١) أنظر : Hasan Husni Abd Al Wahhab : La Developpement de la musique arabe en orient Espagne et Tunisie, p. 14

(٢) أنظر : J. Ribera : La musica de la Cantiga p 75 - 76 , & Dr. Dr. El Abbady : Op. cit. p 155 .

٧ ـ وسائل التسلية الاخرى : ـ

لقيت لعبة «الشطرنج» إقبالا واسعًا فى أسبانيا الإسلامية منذ عهد بعيد [١] . وكذلك فى اسبانيا المسيحية، ففى عهد الملك الفونسو العالم كان الشطرنج هواية مفضلة لدى القشتاليين، وكان الملك وزوجته Dona Violante d'Aragón والفرسان، وسيدات البلاط، والرهبان، والجنود، والنبلاء، والفلاحين، واليهود، والمدجنين مولعين جميعًا بالشطرنج[٢] . وفى عهد انريكى الرابع ملك قشتالة ظهرت قصيدة شهيرة تقدم لنا رجلاً يدعى Fajardo المرسى يلعب الشطرنج مع أحد ملوك غرناطة «الملك المسلم»[٣] .

وفى الجانب الغرناطى كان الأديب محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى (ق ٨هـ) متخصصًا مشهورًا فى الشطرنج[٤] . وقد حرم الفقهاء لعب الشطرنج لأنه كان يشغل المسلم عن أداء شعائر دينه [٥] . ووضعوا المؤلفات التى تحض على هذا التحريم مثال ذلك «كتاب استواء النهج فى تحريم اللعب بالشطرنج لأبى بكر محمد بن الفخار الجذامى (ت ٧٢٣)[٦] .

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) جـ ٢ ص ٥١٥ - ٥١٦، Provencal : Hist . Esp. mus. t III p 443 .

(٢) انظر R. Arfe : Le Costume des Musulmanes de Castille p 59 y sig .

(٣) انظر E. Buceta : Anotaci ones sobre la identificación del Fajardo del romance "Jugando estaba el rey moro" Revista de Filologia espanola, 1931, XVIII, PP 24 - 33, J. Torres : El Fajardo del romance del juego del ajedrez, Revista Bibliográfica y Documental 1948, II, pp 305 - 314, & Anfe : Op. Cit.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٨٢ .

(٥) ثلاث رسائل اندلسية ص ١٢٣ .

(٦) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) جـ ٣ ص ٩١ - ٩٥ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٣٠٣ - ٣٠٥ .

أهل الذمة في غرناطة

المسيحيون :

عاش المسيحيون فى غرناطة فى ذمة المسلمين، وشاركوهم حلو الحياة ومرها، ولم يتعرض أحد منهم إلى اجبار على ترك عقيدة أو تقاليد. وكان هؤلاء المسيحيون يعتبرون أهل ذمة أو معاهدين لهم حقوق وعليهم واجبات مقدرة فى الشريعة الإسلامية، وذلك بعد فترة الاضطهاد الذى واجهوه ابان حكم الموحدين [١].

ومما يدعو للاسف أن المصادر العربية لا تعطينا كثيراً من التفصيلات عن وضع المسيحيين الذين يطلق عليهم اسم المستعربين Mozárabes فى مملكة غرناطة ويقصد بهم المسيحيون الإسبان الذين استمروا فى البلاد بعد الفتح العربى الإسلامى. بل أن المؤرخ الأسبانى Isidro de las Cagigas يذكر أن جماعة المستعربين كانت قد انقرضت فى مملكة غرناطة تمامًا فى أواسط القرن الثالث عشر[٢]، فى الوقت الذى يؤكد فيه سيمونيت استمرار وجودهم فيها[٣].

على أية حال كان يعيش فى غرناطة فى ظل حكم بنى نصر عدد كبير من المسيحيين سواء أكانوا من المستعربين أو المترددين عليها من التجار والسفراء والأسرى والرحالة وغيرهم.

وكان هؤلاء المسيحيون يدفعون الضرائب المقررة التى يذكر أنها خصصت لتأسيس حمامات قريبة من مسجد الحمراء[٤]. كما كان مسيحيو غرناطة يرتدون زناراً يميزهم عن المسلمين[٥].

واتخذ بعض سلاطين بنى نصر الجوارى المسيحيات أمهات لأولادهم مثال ذلك

(١) انظر : F. Simonet : Historia de los Mozárabes de Espana p 791

(٢) انظر : Isidro de los Cagigas: Los Mudéjares t. II, p. 428.

(٣) انظر : F. Simonet : Op. Cit. p 791

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٠ .

(٥) المقرى : نفح الطيب : جـ ٩ ص ١٩٧ – ١٩٨ .

محمد الفقيه الذى تزوج أمته شمس الضحى الرومية الأصل والمجب منها نصر وفرج ومؤمنة وشمس[1] . كما كانت والدة السلطان محمد بن اسماعيل رومية اسمها «علوة» و «كانت أحظى لذاتها عند أبيه»[2] . الذى تزوج مملوكة أخرى هى بهار[3] . أما أبو الحجاج يوسف الأول فقد بنى بمملوكة تدعى بثينة أنجبت له ولده محمد الخامس [4] . كما تزوج السلطان أبو الحسن برومية «كانت حظية عنده مقدمة فى كل قضية» [5] .

وقد ذاع هذا التقليد بين طبقات الشعب المختلفة فنجد أن ابن خلدون قد تسرى عندما استقر فى غرناطة بجارية رومية اسمها «هند» [6] . كما كان محمد بن أبى عبد الرحمن بن الفخار الجذامى (ت بمالقة عام ٧٢٣هـ) يتخذ جارية رومية مملوكة له «لا يشتمل منزله على سواها» [7] .

ويذكر ابن الخطيب بين مقاطعات الفحص منطقة تسمى «الكنايس» ويفهم من هذا الإسم أنها كانت تضم بعض الكنائس فى هذا العصر [8] .

وتروى المصادر أن بعض سلاطين غرناطة قد أحاطوا أنفسهم بحرس من المسيحيين، مثال ذلك محمد الخامس الغنى بالله الذى تبعه حرسه من المماليك فى ملجئه فى بلاد المغرب وأظهروا له هناك ولاء بلا حدود [9] . ويذكر Hernando de Baeza كاتب الملكين الكاثوليكيين، الذى كان يعرف اللغة العربية، وقضى وقتًا طويلاً من حياته فى غرناطة، ان سلاطينها قد اتخذوا فى احايين كثيرة حرسًا

---

(١) النباهى : نزهة البصائر والأبصار فى Muller : p 119

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٤٦ .

(٣) النباهى : نزهة البصائر والأبصار فى Müller : p 132

(٤) النباهى : نفس المصدر فى Müller : p. 135

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ٢٦٠ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٥٠ بالمقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٢٨٠ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١١٥ – ١١٧ .

(٨) انظر : F. Simonet : Historia de los Mozárabes p. 791

(٩) ابن الخطيب : الإحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٤ ، المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٤٤ ، أزهار جـ ٢ ص ٥٥ – ٥٦

مسيحياً فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر (٩هـ) [١].

وقد سمحت السلطات فى غرناطة لمسيحى المملكة بممارسة شعائرهم الدينية فكان يوجد فى El Campo Principe بجانب Torres Bermejas كنيسة منحت امتيازاً يحق لها بمقتضاها أن تضرب الأجراس لمدة نصف ساعة يوم الخميس المقدس El Jueves Santo قبل أن يبدأ الوعظ [٢].

كذلك كانت غرناطة ملجأ صالحًا للنبلاء القشتاليين طوال التاريخ النصرى. فنجد على سبيل المثال أنه فى أثناء النزاع الذى دب بين الفونسو العاشر وولى العهد دون فيليب Don Felipe و Don Nuno Gonzalez de lara لجأ الأخيران إلى بلاط الحمراء، وقاما بمساعدة السلطان محمد الثانى فى توطيد عرشه [٣]. كذلك فقد سمح سلطان غرناطة فى عام ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م لنبيلين ما يورقيين هما Mossen Bernat Tagamanent و Pere Johan Alberti بالمبارزة فى غرناطة [٤]. كما قام بعض الفرسان المسيحيين بزيارة غرناطة فى (ق ٩ هـ ١٥م) نذكر منهم الفرنسى Guillebert de Lannoy الذى حصل على تصريح مرور سهل له دخول المملكة النصرية، وذكر فى روايته ذلك الإستقبال الفخم الذى لقيه فى الحمراء على يد سلطان غرناطة [٥].

ثم يقابلنا مارق فرنشسكى فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) يرجع أصله إلى Zamora يدعى Fray Alfonso de Mella كان قد حكم عليه بالإدانة على يد ثلاثة من رجال الدين المسيحى فى عام ١٤٣٤ بسبب تفسير جرئ للانجيل، ولما

---

(١) انظر : Rachel Arie : Op. Cit.
وانظر الفصل الخاص بالسلطان.
(٢) انظر : F. Simonet : Op. Cit., p 788 y sigs , Arie : OP. Cit.
(٣) انظر : E. lafuente Alcántra : Inscripciones árabes de Granada p 101 - 102, Rachel Arie : oP. Cit. p 67 - 68.
(٤) انظر : A. Giménez soler : La corona de Aragón y Granada, to. IV (B. R. A. B. L.), p 374. Arie : Op. Cit.
(٥) انظر : J. García Marcadal : E spana Vista por los extranjeros, t. I, p 96 .

انفجرت في منطقة Durango في جبال بسكايا فى الفترة ما بين عامى ١٤٤٣ ، ١٤٤٥ حركة هرطقة، لم يكن هذا الرجل بعيداً عنها وطورد الذين قاموا بها بلا رحمة على يد الملك [١] .فلجأ Fray وصحبه إلى غرناطة، ومن هناك كتب إلى خايمى الثانى ملك قشتالة، لا لكى يغتسل من التهم التى وجهها ضده وينفيها عن نفسه، ولكن ليعلنه بعثوره على ملجأ أمين فى قلب أمة متسامحة[٢] .

ثم كان هناك التجار المسيحيون الذين ـ بالرغم من ضعف أهميتهم العددية ـ لعبوا دوراً هامًا فى الحياة الإقتصادية فى مملكة بنى نصر وكان هؤلاء التجار يمثلون جنسيات متعددة فمنهم الإيطاليين والقشتاليين والاراجونيين وغيرهم.

وسنفصل الحديث عنهم وعن دورهم فى الباب الخاص بالحياة الإقتصادية فى مملكة غرناطة.

يأتى بعد ذلك الاسرى المسيحيون الذين كانوا يقعون فى الأسر فى ميادين القتال. هؤلاء كان يتم نقلهم إلى البلاد الإسلامية، ويصبحون عبيداً ، وعن أحوالهم فى المملكة النصرية، لدينا إشارات كثيرة جمعت من أفواه الأسرى أنفسهم بعد افتكاكهم، وكذلك روايات المؤرخين المسيحيين الذين عاصروا استرداد غرناطة على يد الملكين الكاثوليكيين [٣] .

وكان هؤلاء الأسرى كذلك هدفا لتجارة مربحة، كانت تتجاوز فى بعض الأحيان حدود المملكة النصرية ، فعلى سبيل المثال نجد أنه فى عام ١٣٢٨ باع الغرناطيون

---

(١) انظر : J. de Mata Carriazo : Precursores espanoles de la Reforma. Los herejes de Durango (1442 - 1445) - en Actas y memorias de la sociedad de Antropologia, Etnografia y Prehistoria. Madrid 1925 p 69.

(٢) انظر : Dario Cabanelas : Un Francisco heterodoxo en la Granada nasri, Fray Alfonso de Mella (Al Andalus Vol. XV, fasc I, 1950, PP 233 - 247 , Arie : Op. Cit.

(٣) انظر : J. Cossio : Cautivos de Moros en el siglo XIII, (Al. Andalus, Vol VII, 1942, PP 49 - 112)

إلى تلمسان ستة من العبيد القطلانيين في المرية [١] . كذلك بيع مواطن من جيان يدعى Domingo Munoz في وادي اش ثم نقل إلى المرية، حيث أعيد بيعه لأحد رعايا السلطان الغرناطي [٢] .

وكان الأسرى المسيحيون يقومون في غرناطة باداء بعض الأعمال المتواضعة مثل: طحن الذرة، وغزل خيوط الكتان، والحلفاء، النعال، وتوزيع الأخشاب وتسخين حمام السيد [٣] .كما لعب الأسرى المسيحيون دوراً مهمًا في حركة البناء والتشييد في مملكة غرناطة، فنجد أن تشييد Torre de los Picos في الحمراء تم بواسطة الأسرى [٤] .كذلك فإن ابن الخطيب عندما يحدثنا عن تابوت الأمير دون بدور الذي وضع في أحد ابراج الحمراء يقول: «دون بطرة وهو الذي وقعت عليه وقيعة المرج بظاهر غرناطة وسيقت جثته إلى البلد وجعلت في صندوق خشب ببعض الأبراج عن يمين الصاعد إلى الحمراء لصق باب يعقوب .... وأمرت بأن يتخذ لها تابوت جديد وينقلها نصارى السلطان المستخدمون في المباني حسبما يريده أساقفتهم»[٥]

وهذا النص يشير إلى وجود المسيحيين كسكان يعملون في المهن اليدوية في المملكة، كما يدل على التسامح الذي كانوا يلقونه في حياتهم اليومية.

وفي الحقول كان الأسرى يعملون في حرث الأرض وزراعتها وحراسة الدواب وإدارة الساقية والطاحونة، وكان يوزع عليهم قليلاً من القوت الضروري من: الشعير، والذرة، وراتب يومي من الخبز بواقع رطل ونصف.وكان العقاب الشائع الذي يوقع عليهم هو الحرمان من الطعام والضرب بالسوط. وكان الأسرى يخضعون لرقابة صارمة، حيث تغل أرجلهم بالحديد، وفي الليل يؤتى بهم إلى كهوف كبيرة أو صغيرة

---

(١) انظر: J. Ramos Loscertales : El Cautiverio en la Corona de Aragón durante los siglos XIII y XIV, XV pp 185 - 186.

(٢) J. Cossio : Op. Cit. p 71

(٣) J. Cossio : Ibid, pp 74 - 76

(٤) J. Cossio : Ibid, 80 - 81

(٥) ابن الخطيب: أعمال الاعلام ص ٣٣٤ وكذلك: Dr. El Abbady : Op. Cit. p

منخفضة جداً بحيث يوضعون فى المطبق (السجن المظلم) mazmorra [1]. وكـانت هذه السجون. مقسمـة إلى زنزانات مهيأة لأن تستقبل كل واحدة ١١ أو ١٣ أو ٢٦ أسيراً[2] . وقد تم حفر هذه المطابق فى الصخر[3] . ويذكـر Bernáldez y Pulgar أن ماركيز قادس عثر على أسرى مسيحيين فى إحدى المطابق عندما قام بغزو الحامة عام ٨٨٧ / ١٤٨٢[4] .

وليس من السهل تحديد عدد هؤلاء الأسرى، وذلك بسبب تبادلهم وافتـداءاتهم المستمرة، ولكننا نجد أنه فى خلال المرحلة الأخيرة من حرب الإسترداد، أربعمـائة أسير مسيحى حُرروا فى رندة عام ١٤٨٥[5] ، وفى لوشة استردمائة وأربعة وأربعون أسيراً حريتهم فى عام ١٤٨٦، ويؤكد Bernáldez أن معركة وقعت فى عام ٨٩٥ / ١٤٨٩ أدت إلى خلاص ألف وخمسمائة أسير[6] وقد ذكر مونسر أن كثيراً من الأسرى المسيحيين كانوا يموتون جوعًا خلال حصار غرناطة، وأنه قد عُثر على أحد رجال الدين حيا بين الأموات، حيث شرح المصير الذى دفع هؤلاء الأسرى إلى تناول لحم الخيل والحمير الميتة[7] .

كذلك فإن مطران جيان San Pedro Pascual وقع فى الأسر عندما كان يمارس مهامه فى أراجون عام ١٢٨٧، حيث سير إلى غرناطة، وهناك قام بتخفيف الآلام عن رفاقه من الأسرى، وبعث فيهم الإيمان من جديد، مما أثار سخط المسلمين فأطاحوا برأسه عام ١٣٠٠[8] .

(١) انظر: Dozy : Suppl., II, p 60.

(٢) انظر: Leopoldo Torres Balbás : Las Mazmorras de la Alhambra (Al Andalus Vol. IX, 1944, fasc I, pp 198 - 218.

(٣) ذكر مونزر أنه عند زيارته لمدينة مالقة كان يوجد فى المدينة بعض المطابق من عهد النصريين انظر: Münzer : Op. Cit., p 115.

(٤) انظر: Bernáldez : Memorias p 116, Pulgar : Guerra de Granada p 10.

(٥) انظر: Bernáldez : Memorias p. 116.

(٦) انظر: Bernáldez : Memorias p 213.

(٧) انظر: Münzer : Op. Cit. p 87.

حيث يذكر أنه وجد سبعة آلاف أسير مسيحى فى غرناطة فى الأيام الأخيرة من حياة مملكة بنى نصر موزعين بين المطابق.

(٨) انظر: F. Simonet : Op. Cit. p 789.

وقد دفع طول الاسر عددا كبير من الأسرى المسيحيين إلى اعتناق الإسلام ليتخلصوا مما هم فيه. مثال ذلك نجد أنه في القرن الثالث عشر اعتنق خوان مارتينز Juan Martínez وأصله من سان مارتين دل بينو San Martin del Pino الإسلام مع ثلاثة عشر آخرين[1] .

كذلك فإن عددا من الرعاة والصيادين المسيحيين الذين أسرهم المسلمون على مرحلة من جيان، اختاروا ديانة سادتهم الجدد. كما أن أرشيف بلدية جيان يعطينا تفصيلات عن مراسلات متبادلة بين الحكام الغرناطيين لـ Arenas و Colomera من جانب ومجلس جيان من جانب آخر عام ٨٨٤ / ١٤٧٩، بخصوص هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام من الأسرى[2] . وفي عام ٨٣٥ / ١٤٣١، تمكن خايمى الثانى ملك قشتالة من الحصول على شرط مفضل للمسيحيين في المعاهدة التى عقدها مع السلطان يوسف بن المول (ت ٨٣٦ / ١٤٣٢)، المطالب بعرش غرناطة يومئذ : هو أنه وخلفاءه يتعهدون بعدم دفع أي أسير إلى تغيير دينه[3] .

وقد لعب تخليص الأسرى دوراً هاماً في سياسة دول شبه الجزيرة خلال المعاهدات التى عقدت بين ملوكها، مثال ذلك تلك المعاهدات التى عقدت بين أراجون وغرناطة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر والتى تنص على تبادل الأسرى، ففى جمادى الثانية عام ٧٢٤هـ / مايو - يونيو ١٣٢٤، اشترط اسماعيل الأول قبل اطلاق سراح الأسرى المسيحيين لديه، أن يتم تحرير رعاياه الأسرى لدى خايمى الثانى[4] . وفي عام ٧٢٨ / ١٣٢٨ نصت بنود معاهدة السلام التى عقدت بين محمد الرابع وخايمى الثانى على تحرير الأسرى من الجانبين[5] . وفى عام ١٤١٣ هدد فرناندو الانتقيرى Fernando de Antequera الذى أصبح ملكاً لاراجون بعد ذلك - يوسف

---

(١) انظر: J. M^a^ Cossio : Op. Cit., p 73

(٢) انظر: J. de Mata Carriazo : Relactiones fronterizas pp 29 - 39

(٣) انظر: Benavides : Memoria p 42.

(٤) انظر: Alarcón y Linares : Documentos árabes diplomaticos p 16

(٥) Alarcón y Linares : Op. Cit. p 58.

الثالث (ت ٨٢٠ / ١٤١٧) أنه سوف لا يعقد هدنة معه إلا إذا استرد الأسرى المسيحيون في سجون غرناطة حريتهم السابقة [١] .

وكانت قيمة الفدية التي تطلب لافتداء أسير مرتفعة إلى حد ما[٢] . ومن ثم فقد نظمت الجماعات، واهتم رجال الدين بجمع الأموال لتخليص هؤلاء الأسرى. مثال ذلك أنه في السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر، نجح رئيس دير Silos في تخليص مائتين وخمسين أسير مسيحيًا في غرناطة على مدى أربع سنوات[٣] .

وفي الأقاليم القشتالية المتاخمة للحدود مع مملكة غرناطة، ظهر هناك الفكاكون Alhaqueques (من الكلمة العربية الفكاك) الذين كانوا حسب التعريف الموضح في قوانين الفونسو العاشر Código de las Siete Partidos أشخاص فضلاء أقسموا اليمين ليعملوا على افتداء الأسرى. وكان يجب على هؤلاء الفكاكين الإلمام باللغة العربية كي يتمكنوا من ممارسة مهنتهم في تخليص الأسرى من المسيحيين[٤]

وعلى الجانب الآخر نجد أن عدد الأسرى المسلمين في الأراضي المسيحية سواء في قشتالة أو أراجون أو البرتغال كان كبيراً أيضًا، فعلى سبيل المثال نجد أن موظفا غرناطيا رفيعا يدعى عيسى بن ادريس (تطلق عليه الوثائق الاراجونية Isca Abenedriz)وقع في الأسر في اراجون في عهد الملك خايمي الثاني ولم يستطع أن يسدد قيمة فديته التي قدرت بخمسة آلاف دويلة في عام ١٢٨٥[٥] . كذلك نجد أن مقاتلا غرناطيا يدعى محمد بن محمد بن سهل ظل مدة طويلة في الأسر في يد المسيحيين (في ق ٨هـ / ١٤م) حتى دفعت له الفدية المطلوبة[٦] .

---

(١)انظر: M. Arribas Palau : Las treguas entre Castilla y Granada frimadas por Fernando I de Aragón pp 12 - 13.

(٢)انظر: J. Cossio: Op. Cit., p 75 .

(٣)انظر: M. Férotin : Histoire de l'Abbaye de Silos, Paris 1897, p 110.

(٤)انظر: Arie : Op. Cit., p 326.

(٥)انظر: F.D. Gazulla : La redención de Cautivos entre los musulmánes, en (B.R.A.B.L.) t. XIII, Barcelona 1927 - 1928, pp 239 - 240.

(٦)ابن حجر : الدرر، السفر الرابع ترجمة رقم ٤٨٤ ص ١٧٩ .

كما قام استيفان دوريا Stéphane Doria الجنوى فى عام ١٤٤٣ - ١٤٤٤ بافتداء عدد من رعايا السلطان الغرناطى كانوا قد وقعوا فى الأسر فى يد ملك البرتغال[١] . كذلك نجد أن ام العلا العبد ريه (ت ٦٤٧هـ) كانت كثيرة الجهد فى الأسرى[٢] وفى عقد محرر فى (٧ شعبان ٨٩١ هـ / ٧ اغسطس ١٤٨٦) بخصوص افتداء أسير نجد اثنين من الفكاكين يقومان بافتداء أحمد بن أحمد البسطى[٣] . وفى وصية مؤرخة فى ٢١ ربيع الأول عام ٨٩٢ / ١٧ مارس ١٤٨٧ نجد هبة من ثلاثة عشر دينارا كانت مخصصة لافتداء اسير[٤] .

اليهود فى مملكة غرناطة :

عندما افتتح المسلمون غرناطة وجدوا بها عددا كبيراً من اليهود، فعهدوا إليهم بحراسة المدينة كى يتفرغوا لمتابعة تقدمهم فى الأراضى الأسبانية[٥] . حتى انها اصبحت تعرف بغرناطة اليهود[٦] .

وتحت حكم الزيريين كان اليهود يمثلون جماعة كبيرة من عناصر السكان فى غرناطة، لعبت دوراً بارزاً فى الحياة السياسية للولاية بفضل وزيرين يهوديين قديرين هما صمويل بن نغريلة (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦ - ٧) وابنه يوسف وانتهى الأمر بظهور حركة ضد اليهود اسفرت عن اغتيال يوسف (عام ٤٥٩ / ١٠٦٦) مع أربعة الآف يهودى[٧] . وتعرض اليهود فى عهد المرابطين لكثير من الاضطهاد بل لقد راودت يوسف بن تاشفين فكرة اجبارهم على اعتناق الإسلام. وفى عام ٥٤٣ /

---

(١) انظر: J. Heers : Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes p 94, Arfe : Op. Cit.

(٢) ابن الأبار، التكملة جـ ٢ ص ٧٤٨ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٣٢٤ .

(٣) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٠٠ ـ وثيقة رقم ٥٧ .

(٤) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٠١ - ١٠٣ وثيقة رقم ٥٨ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٦ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٠٧ .

(٦) الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣ وكذلك : E. L´evi Provencal : La Descripcion d'Espagne' d'Ahmad al Razi, Al Andalus Vol. XVIII, 1953, P67 .

(٧) انظر: H.R. Idris : Les Zirides d'Espagne, en Al Andalus, Vol. XXXI, 1964, fasc.1, p.133

١١٤٨ عندما تمكن الموحدون من الاستيلاء على اللسانة Lucena (مدينة اليهود) قسرا، تعرض اليهود لكثير من الاضطهاد، فهاجر عدد كبير منهم إلى الأراضى المسيحية وخاصة قشتالة وقطالونيا، وإلى البلاد الإسلامية فى المشرق والمغرب[١] .

وفى مملكة بنى نصر عاش اليهود كأهل ذمة، يمنحهم الإسلام حمايته مقابل تأديتهم الجزية، وقد استخدم السلطان محمد الثالث الجزية التى فرضها على اليهود فى تأسيس مسجد غرناطة الجامع وكذلك الحمامات[٢] .

وقد أجبر اليهود فى غرناطة على اتخاذ ملابس خاصة عبارة عن غفائر من صوف اصفر اللون بدلا من العمامة فى عهد ابن سعيد[٣] . كذلك يذكر ابن الخطيب ان السلطان ابا الوليد اسماعيل الأول (ت ٧٢٥ / ١٣٢٥) أجبر اليهود فى مملكته على حمل شارة خاصة، وارتداء ملابس تختلف عن ملابس المسلمين[٤] . ويشير قاضى الجماعة أبو الحسن النباهى إلى أن هذا السلطان أمر بان يخذ اليهود شواشى صفرا (أحبوش اليهود)، ليوفوا حقهم من المعاملة التى أمر بها الشارع[٥].

لكننا نجد أنه على الرغم من هذه الإجراءات، فقد اتخذ السلطان محمد الخامس موقفًا لطيفًا من يهود قشتالة خلال حملاته على الحدود القشتالية، كما نجد أنه قام فى عام ٧٦٩ / ١٣٦٧ بعد غزوه لجيان بأخذ ثلثمائة اسرة يهودية معه إلى غرناطة

---

(١)محمد بحر عبد المجيد: اليهود فى الأندلس (القاهرة ١٩٧٠) ص٨٨ وكذلك :
J. Amador de los Ríos : Historia social, política y religiosa de los judíos en Espana y Portugal I, pp, 281 - 325.

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٠ ، ٧١ .

(٣) المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ٢٠٨، ويلاحظ أن ذلك الأمر كان متبعًا فى البلاد الاسلامية الاخرى ففى مصر كان اليهود يلبسون عمامة صفراء (نفح جـ٣ ص ١١٣) وفى المغرب كانوا يجبرون على ارتداء ثوب وقلنسوة من لون أزرق (البيان المغرب جـ٣ ص ٢٠٥).

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧١ .

(٥) انظر النباهى، كتاب الاكليل فى تفضيل النخيل فى Muller : Beitráge p 145 y N. 4 وعن لفظ أحبوش انظر (Dozy Ip 245) الذى يشير إلى أن هذه الكلمة تدل على حبوب القيلقيل وهى نوع من فصيلة الحبوب القرنية سوداء ومستديرة فى حجم الفلفل ويقول ابن الخطيب (ديوان الصيب والجهام ص ٦٥٢)

كأن رؤوس القوم عند صلاتهم وقد أومأت للأرض صفر شواشيها.

ليخلصهم من يد عدوهم أنريكي دى تراستمارا[1] .

وابتداء من عام ٧٩٤ / ١٣٩١ انتشرت فى اسبانيا المسيحية موجة من الاضطهاد ضد اليهود بدأت فى اشبيلية ثم امتدت من قشتالة إلى قطالونيا وجزر البليار، ازاء هذا اضطر اليهود إلى الفرار إلى غرناطة، واستقبل محمد الخامس بالترحيب، الذين نجحوا منهم فى الوصول إلى أرض المملكة[2] .

وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) أجبر اليهود مرة اخرى على حمل علامة مميزة عبارة عن قطعة من القماش الأصفر توضع على الرأس والرقبة للرجال (شكلة) وجلجل (جوس صغير) للنساء، كما منعوا من ركوب الخيل[3] .

أما عن حياة اليهود فى غرناطة فتروى المصادر أنهم كانوا يتجمعون فى أحياء منفصلة بعيدة عن التجمعات الإسلامية، فى شوارع ضيقة، وأزقة، ومساكن من احجام صغيرة تتجمع حول الميادين الصغيرة[4] . وفى عام ٨٠٧ / ١٤٠٤ زار البحارة القشتاليين لـPERO NINO، الذى كان يحارب ضد القراصنة فى البحر المتوسط، حى اليهود فى مالقة، ونجحوا فى الاتفاق مع السلطان الغرناطى على السماح لهم بعمل محطة على الساحل الاندلسى[5] . وعندما قام الملكان الكاثوليكيان بطرد اليهود من غرناطة فى يونيو ١٤٩٢ بعد سقوط المدينة فى ايديهم، كانوا يحتلون القسم الرئيسى لربض انتقيرة Antequeruela الذى كان يقع بين الباب الملكى حاليا والأبراج الحمراء. وقام فرناندو بتخريب حى اليهود، وشيد فى مكانه مستشفى وكنيسة مكرسة للعذراء، التى كانت قبابها تبنى عندما زار

---

(١) انظر : Max L. Margolis y Alexander Marx : Historia del pueblo Judío p 437

(٢) انظر : The Jewish Encyclopedia : Art. Granada, M. L. Margolis Op. Cit., pp 441 - 442, Américo Castro : Espana en su historia p 522, Dr. A. Mujtar Al Abbady : Op. Cit. p 166.

(٣) ثلاث رسائل اندلسية ص ١٢٢ .

(٤) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Mozarabias y Juderias de las Ciudades hispanomusulmanas. (Al Andalus Vol. XIX (1954) fasc 1, P 190

(٥) انظر : El Victorial Crónica de don Pero Nino, Conde de Buelna por su alférez Gutierre Diez de Gomes, ed Juan de Mata Carriazo Madrid 1940, Cap XXXVII, p 109.

الرحالة الألمانى خيرونيمو مونزر المدينة عام ١٤٩٤[١] . كذلك كان اليهود يعيشون فى أحياء أخرى من غرناطة وخاصة فى البيازين، الذى اخذ فى احد شروط التسليم الذى وقع فى سنتافى Santa Fé فى ٢٥ نوفمبر ١٤٩١ [٢] . وفى البشرات جاء ذكر عن وجود جماعة يهودية فى قرارات التقسيم[٣]. وفى بسطة ووادي اش كانت توجد احياء يهودية حتى نهاية القرن الخامس عشر [٤]. كما كانت هناك جماعة صغيرة فى رندة[٥] .

ويذكر خيرونيمو مونزر أنه كان يعيش فى حى اليهود فى غرناطة عشرون الف يهودى قبل سقوط المدينة عام ١٤٩٢[٦] . وفى مالقة وقع اربعمائة وخمسون يهوديا من الجنسين فى الأسر في يد المسيحيين عام ١٤٨٧[٧] .

وتذكر المصادر أنه كان على رأس يهود الاندلس فى هذا العصر رئيس للجماعة يسمى ناجيد Nagid كان يقوم بتمثيل ابناء دينه لدى السلطات الحكومية[٨]

وفى ظل حكم بنى نصر نبغ اليهود فى ممارسة الطب وقاموا بعلاج مرضى المسلمين[٩] .

---

(١) انظر : Münzer : Op. Cit., p 95 - 96 , Felipe Torroba B. de Quirós : Los Judíos Espanoles (Madrid 1967) p 211 .

(٢) انظر : Colecc. de docs. ineditos para la Hist. de Espana t. VIII (Madrid 1946) p. 421 , L. Torres Balbás : Op. Cit., p 146.

(٣) انظر : M.A. Ladero Quesada : Repoblación p 35 , Aríe : Op. Cit., p 333 .

(٤) انظر : M.A. Ladero Quesada : Mercedes reales en Granada anteriores al ano 1500 , p 157 .

(٥) انظر : J. de M. Carriazo : Asiento de las Cosas de Ronda en (M. E. A. H.), t. III, 1954 , Documento I. .

(٦) انظر : Münzer ; OP. Cit., p 95 - 96, Aríe ; OP. Cit. p. 333

(٧) انظر : Bernáldez ; MEMORIAS, P. 195, P 198.

(٨) انظر : Rachel Aríe ; Op. Cit., p. 333 .

(٩) يقول أبو عبد الله ابن جزى الكلبى موريا (نفح جـ ٨ ص ٤٧ - ٤٨ ، ازهار جـ٣ ص ١٩٧)

ورب يهــــودى أتى متطببـا ... ليـأخذ ثارات اليهود مـن النـاس

إذا جس نبض المرء أودى بنفسه ... سريعًا ؟ ألم تسمع بلفتكة جساس ؟

ففى بلاط محمد الخامس كان يوجد طبيب يهودى ماهر هو ابراهيم بن زرزر[1] .

وقد تمكن هذا الطبيب من اجتذاب عدد من التلاميذ مما اثار غيرة الطبيب الغرناطى المسلم محمد اللخمى الشقورى (نسبة إلى شقورة Segura)، الذى وضع كتابًا بعنوان «قمع اليهود عن تعدى الحدود[2]، وهو كما يذكر J. Renaud كان يشير إلى الطبيب اليهودى ابن زرزر[3] . وبعد الانقلاب الذى وقع فى غرناطة وأطاح بالسلطان محمد الخامس، واضطره إلى الالتجاء إلى المغرب عام ٧٦١ / ١٣٥٩م، فر ابن زرزر إلى بلاط الملك القشتالى بدور الأول[4] .

وعندما قام الرحالة المصرى عبد الباسط برحلته إلى المغرب والأندلس، التقى فى الدولة الحفصية ببعض المهاجرين الاندلسيين وبينهم الطبيب اليهودى المالقى الشهير موسى بن صمويل بن يهوذا الذى كان يبحث بدون شك عن ملجأ فى الدولة الحفصية[5] . كذلك نجد أن الطبيب اليهودى اسحاق بن هامون Hamon الذى كان أحد اعضاء اسرة رفيعة من الادباء فى العاصمة النصرية، والطبيب الخاص للسلطان أبى الحسن على فى عام ١٤٧٥، قد تمتع بمركز مرموق لدى المسلمين[6] .

كذلك فإن معرفة اليهود باللغة العربية واللغات الأخرى فى شبه الجزيرة الأيبيرية [7] ساعدهم على العمل كمترجمين لدى ملوك

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٤١٠ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) انظر : J. Renaud : Un médecin de Royaume de Granada Muhammad Assaguri (Hespéris, 1946, 1 - 2 trimestres pp 31 - 64 ,

(٤) ابن خلدون : التعريف ص ٨٥ . وكذلك Dr. Al Abbady : Op. Cit. p 165 .

(٥) انظر : G. Levi Della Vida : Il regno di Granata p 309

(٦) انظر : Graetz : Geschitchte der Juden, Leipzig 1875 , Vol 8, p 326 , Arfe : Op. Cit., p 334 .

(٧) يذكر Bernáldez انه رأى عام ١٤٨٧ كثيرًا من السيدات اليهوديات يخرجن من مالقة يتحدثن اللغة العربية انظر : Memorias p 198 .

اسبانيا [1] . من هؤلاء نذكر يسرائيل الرندى Ysrael de Ronda الذى عمل مترجما فى المفاوضات التى انتهت بتسليم مدينة رندة فى عام ٨٩٠ / ١٤٨٥[2] . وكذلك يساكية بردونييل Ysaque Perdoniel وصهره يودا Yuda اللذين عملا بالترجمة للسلطان أبى عبد الله ابن الأحمر الأخير[3] .

كذلك كان الملوك المسيحيين يكلفون اليهود بالسفارة إلى البلاد الأخرى فى مهام ديلوماسية[4] .فعلى سبيل المثال، وصل ابن زرزر إلى غرناطة عام ٧٦٥ / ١٣٦٣ كمبعوث لبدرو الأول ملك قشتالة، وانتهز فرصة وجوده فى غرناطة وقام بزيارة لسان الدين بن الخطيب فى منزله القريب من الحمراء[5] .

ونبغ من اليهود فى مملكة غرناطة وبقية ممالك اسبانيا المسيحية علماء فى المعارف المختلفة. نذكر منهم يوسف بن وقار بن اسحق بن موسى الذى وضع باللغة العربية والعبرية بعض الجداول الفلكية[6] . كذلك استعان ابن الخطيب بطبيب قشتالى يهودى يحمل نفس الإسم (يوسف بن وقار الاسرائيلى الطليطلى) فى كتابته للجزء الخاص بتاريخ ملوك اسبانيا المسيحية فى نهاية كتابه «أعمال

---

(١) من اليهود الذين عملوا بالترجمة فى بلاط الدول الاسبانية المسيحية نذكر صمويل بن منسى : Samuel Abenmenassé وولده يهودا وابن أخيه سلمون الذين عملوا بالترجمة فى البلاط الاراجونى، وكانوا يقومون بكتابة المراسلات التى كان يبعث بها بدور ملك أراجون إلى ملوك غرناطة وتونس باللغة العربية.

انظر : J. Vernet : Un embajador Judío de Jaime II Selomó b. Menassé, en Sefarad, XII, 1952, pp 125 - 154, D. Romano : Los hermanos Abenmenassé al servicio de Pedro el Grande de Aragón en Homenaje a Millás - Vallicrosa, Vol. II, Barcelona, 1956, pp. 246 - 282, Arie : OP. Cit. 334 n. 6.

(٢) انظر : J. de M. Carriazo : Asiento de las Cosas de Ronda en (M.E.A.H.), III, 1954, Doc. I, P 27.

(٣) انظر : M.A. Ladero Quesada : Dos temas de la Granada Nazarí p 338 .

(٤) انظر : Abraham Newman : The Jews in Spain, II, PP 233, 235, 237 .

(٥) المقرى : ازهار الرياض جـ ١ ص ٦٢ .

(٦) انظر : Melchor M. Antuna : Una Version Compendiada a la "Estoria de Espana" de Alfonso El Sabio (AL Andalus Vol. I, fasc I, 1933, p 115 .

الاعلام» وكان هذا الطبيب سفيراً في غرناطة لانريكى الثانى ملك قشتالة[1] .

ولعب اليهود دورا بارزا فى النشاط الاقتصادى لمملكة بنى نصر، كما مارسوا العمل اليدوى، ففى الوثائق القشتالية المتعلقة بالنفى عام ١٤٩٢ يوجد ذكر صائغ، وصناع للحرير من بين يهود البشرات[2] . كذلك يشير J. Heers إلى أن يهود مملكة غرناطة قاموا بدور الوسطاء فى أواسط القرن (التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى) بين كبار التجار الجنويين الذين كانوا يمارسون التجارة فى مملكة غرناطة وسكان المملكة[3]

(١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٣٢٢ ، ٢٧١ .

(٢) انظر : Rachel Arfe : Op. Cit., p 334 .

(٣) انظر: J. Heers : Le royaume de Grenade et la politique marchande de Genes en: Occiden au XVe siécle, p 104, Arfe : Op. Cit .

الباب الثاني

نظم الحكم والإدارة في مملكة غرناطة

السلطان - الوزير - الكاتب - الدواووين - القضاء - الحسبة - الشرطة - نظام الإدارة في الأقاليم - الحياة الحربية في مملكة غرناطة - الجيش والبحرية والأربطة والمرابطون...

الباب الثانى

نظام الحكم والإدارة فى مملكة غرناطة

السلطان

قامت مملكة غرناطة على يد محمد بن يوسف بن نصر، بمؤازرة وتعضيد قرابته من بنى نصر، وأصهاره من بنى اشقيلولة[1] . وبنى المول [2] . وكان بنو نصر فى بداية أمراهم سادة حصن أرجونة Arjona [3] .وسبق لهم أن تقلدوا مناصب رفيعة فى عهد خلفاء بنى امية، كما كانت لهم وجاهة وعصبية فى ناحيتهم[4] .

ولكى يحصل بنو نصر على سند شرعى لحكمهم أمام غيرهم من المنافسين

---

(١) سبقت الاشارة إلى هذه الاسرة فى المقدمة السياسية وواضح من الاسم أنه من اصل اسبانى، فالبعض يكتبه بكسر الالف، والبعض الآخر بفتحها، وهناك من يكتبه بدون الف، وبنى اشقيلولة اسرة غرناطية كبيرة كانت ترتبط مع بنى الاحمر برباط القربى والمصاهرة وكانت لهم رئاسات على بعض المدن الغرناطية الهامة، ثم وقع خلاف بين الاسرتين أدى إلى نشوب الحرب بينهما.

انظر التفصيلات فى : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٨٧ - ٢٩١ ، ٣٣٠ - ٣٣٦ نفاضة ص ٣٣١ - ٣٣٢ ، حاشية ٧، ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢١٢ - ٢١٣ كذلك :

Diccionario de Historia de Espana t. I, p 368 & Sanchez Albornoz : La Espana Musulmana t; II p. 352

Dr. Al Abbady : Op. Cit. p 8, n. 2.

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ١٩٧ ، ٢١٢، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٨٧ وكذلك :

Emilio Lafuente Alcántara : Inscripciones ´Arabes de Granada (Madrid 1859) p 22.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة ١٣١٩هـ) جـ ٢ ص ٥٩، ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ١٧٠ الحميرى: الروض المعطار (القاهرة ١٩٣٧) نشر ليفى بروفنسال ص ١٢، هذا وارجونة بلدة من أعمال ولاية قرطبة إلى الشمال الغربى من جيان وجنوبى بلدة اندوجر. انظر ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ١٨١ .

(٤) ابن خلدون :

العبر جـ ٤ ص ١٧ .

ارجعوا نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج، وأحد انصار النبى عليه الصلاة والسلام فى دار الهجرة[1] .

وقد دخل محمد بن يوسف فى طاعة عدد من الملوك المجاورين لمملكته حسب ما كانت تمليه عليه مصالحه، فقام فى بداية الأمر بالدعاء للخليفة المستنصر العباسى فى بغداد مثلما فعل منافسه محمد بن يوسف بن هود وذلك حتى يحصل على شعبية أهل الأندلس[2] . يؤكد ذلك العثور على قطعتين من العملات النصرية عبارة عن: نصف درهم مربع من جيان وآخر من غرناطة، وكلاهما يحمل عبارة « أمير المسلمين محمد بن يوسف بن نصر، خليفة العباسى[3] . ثم مالبث أن خلع هذه الطاعة وقام بالدعاء لابى زكريا الحفصى سلطان تونس فى عام ٦٢٩ / ١٢٣١ - ١٢٣٢م ودعا له فى مساجد غرناطة[4] ، فأمده ببعض المساعدات برسم الجهاد ضد

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٧٠، ابن الخطيب : اللمحة ص ٢١ ، ٣٠، كناسة الدكان (نشرد . شبانة) ص ٥٠ - ٥١، الاحاطة جـ٢ (القاهرة) ص ٥٩، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٦ ، جـ ٧ ص ٤١٢ ، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ، ص ٢٧٥، ٤٢١، المقرى : ازهار الرياض جـ ١ ص ١٦٧ وكذلك :
Marcus Joseph Müller : Beiträge Zer Geschichte der Westlichen Araber (Munchen 1866) p III & M. Gaspar Remiro : Las inscripciones de la Alhambra (Revista deI Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino) ano 1, num I p 99.

ويقول شاعر الحمراء ابن زمرك : (المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٤٦)

أبناء انصار النبى وحزبه ... وذوى السوابق والجوار الاعصم

سل عنهم أحداً وبدرا تلقهم ... أهل الغناء بها وأهل المغنم

هذا ويذكر ابن الخطيب (الاحاطة: القاهرة) جـ٢ ص ٦٠) نقلا عن الرازى أنه قد دخل أرض الاندلس من ذرية سعد بن عبادة رجلان نزل احدهما أرض تاكرونا ونزل الاخر بقرية تدعى قرية الخزرج ونشأ باحواز أوجرنة.

ويلاحظ أن ابن عذارى لم يذكر انتساب بنى الاحمر إلى سعد بن عبادة اثناء حديثه عن قيام الدولة النصرية.

ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٧٩ (نشر ويثى ميراندا تطوان ١٩٦٠)

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣١، الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٦٢، ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٧، المقرى: نفح الطيب : جـ٦ ص ١١٩، د. العبادى : نظام الخلافة فى المغرب فى العصور الوسطى ص ١٦٠ .

(٣) انظر ، Fráncisco Codera y Zaidin : Títulos y Nombres Propios En las Monedas Arábigo Espanola (MADRID 1878) P 38 & D. de la Rada y Delgado : Catálogo de Monedas aranigo-es panola en el Museo arqueoloógico nacional, (Madrid 1892) n^{os} 720 - 721 & Antonio Vives y Escudero Monedas de las Dinastías Arabigo - Espanoles (Madrid 1893) p 371. Castro M^{a} del Rivero : La Moneda Arábigo-Espanola (Madrid 1933) p 184.

(٤) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٧٠، جـ٧ ص ٣٨٢، المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ١١٩ .

الاعـــدا ء[1] .وقد عثر على بعض العملات التى تثبت اعتراف محمد بن الاحمر بسيادة الحفصيين وتبعيته لهم[2]

وبعد ان ازداد نفوذ محمد بن يوسف بن هود وأقره الخليفة العباسى على حكم الاندلس، انضم ابن الاحمر تحت لوائه عام ٦٣١هـ / ١٢٣٤. وكان يهدف من وراء ذلك إلى تغطية طموحه وأطماعه[3] .

كذلك قام ابن الأحمر بالدعاء للخليفة الموحدى الرشيد فى عام ٦٣٩هـ / ١٢٣٩[4]، وبعد وفاة الرشيد، وقيام ثورة بنى مرين ضعف امراء الموحدين، فقام ابن الأحمر بالدعاء مرة أخرى لابى زكريا الحفصى وبعث إليه بسفارة تحمل تحياته وولائه، فقام الحفصيون بتقديم معونة مالية له ظلت قائمة حتى نهاية فترة حكمه[5]

وادرك ابن الاحمر أنه لن يستطيع أن يصمد أمام عداء قشتالة، فآثر مهادنتها[6] وقبل التبعية الاقطاعية لملكها فرناند والثالث، فالتقى به، وقدم إليه طاعته، واتفقا على أن يحكم ابن الأحمر مملكته واراضيه باسم ملك قشتالة، وعقد معه معاهدة مدتها عشرون عامًا، التزم فيها بأن يحضر اجتماعات مجلس البلاط بصفته اميراً تابعًا للعرش القشتالى، وتعهد بأن يقدم لقشتالة جزية سنوية مقدارها مائة وخمسين ألف قطعة من الذهب، وان يعاونه فى حروبه ضد اعدائه من المسلمين[7] وقد اغفلت

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ٢ (القاهرة) ص ٦٢، اللمحة ص٣١، ابن عذاري: البيان المغرب جـ ٣ ص ٣٥٦ .

(٢) انظر: Prieto y Vives : La Formación del Reino de Granada p. 16.

(٣) ابن خلدون: العبر جـ٤ ص ١٦٩، جـ ٧ ص ٣٨٢، التعريف: ص ١٠، المقرى: نفح الطيب ١٠ ص ٤٢٢.

(٤) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٧٠، جـ٧ ص ٣٨٢، ابن الخطيب: اللمحة ص ٣٤، ابن عذارى البيان المغرب جـ ٢ ص ١١١ - ١١٢، ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٣ ١، المقرى: نفح الطيب جـ ٦ ص ١١٩.

(٥) انظر : R. Brunschvig : Berbérie t. I, pp 32 - 34

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٣٦٧، ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٧١، جـ ٧ ص ١٩٠ السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ص ١٩.

(٧) انظر 070 · Crónica General nOS 1069 ويلاحظ انه فى كثير من الوثائق من عهد الفونسو العاشر تظهر التبعية الاقطاعية لملك غرناطة فتذكره تلك الوثائق باسم: Don Aboabdille Abenasar, Rey de Granada, Vasallo del Rey وترجمتها السيد ابو عبد الله بن نصر ملك غرناطة، التابع الاقطاعى للملك انظر: Francisco Fernandez y Gonzalez Estado Social y Político de los Mudéjares de Castilla (Madrid 1866) p 335

المصادر الإسلامية فى معظمها ذكر هذه المعاهدة بينما اشار إليها البعض دون اسهاب[1] .

تنصيب السلطان

يحدثنا المؤرخون أنه عقب صلاة الجمعة فى ٢٦ رمضان ٦٢٩ / ١٦ يوليو ١٢٣١م أعلن أهل ارجونة فى مسجد المدينة مبايعة محمد بن يوسف بن الأحمر ملكًا عليهم [2] .ثم قامت غرناطة بدعوته بعدما ثار ابن خالد بها، وبعثوا إلى ابن الأحمر بنبيلين غرناطيين هما : أبو بكر بن الكاتب وأبو جعفر التيرولى يحملان بيعة المدينة التى قام بانشائها أبو الحسن الرعينى، فتوجه ابن الأحمر إلى غرناطة واتخذها عاصمة لملكته[3] .

وتروى المصادر أن محمدا الأول أخذ البيعة لولده محمد الفقيه فى حياته ليلى الأمر من بعده[4] .ويحدثنا ابن الخطيب عن بيعة أهل غرناطة لمحمد الرابع يوم وفاة والده فى ٢٧ رجب /٧٢٥ ٩ يوليـو ١٣٢٥[5] ، فيذكر كيف قدمت الطبقات الاجتماعية المختلفة البيعة لهذا الأمير الشاب: القضاة، والخطباء، والصلحاء، والصوفية، والفقراء، والمقرئين، والعلماء، والأئمة، والشيوخ، ورجال الحديث، والكتاب[6] . كذلك فانه عند وفاة أبى الحجاج يوسف الأول (فى أول شوال ٧٥٥ / ١٩ اكتوبر ١٣٥٤) أخذت البيعة لولده محمد الخامس من الذين حضروا وفاة والده

(١) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٦٢ جـ ٣ ص ٣٦٧، ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٦، ابن خلدون العبر جـ ٤ ص ١٧١، جـ ٧ ص ١٩٠ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٦١، النباهى : نزهة البصائر والأبصار (مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٥٣) لوحة ٣٨، ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٥، الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٦ ، الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٦٥ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٧ .

(٦) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

«فاجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور، ما بين الشريف والمشروف والرؤساء أولي المنصب المعروف، وحملة العلم وحملة السيوف والامناء ومن لديهم من الالوف وسائر الكافة أولي البدار لمثلها والخفوف، فعقدوا له البيعة الوثيقة الاساس[1] .

«وكان المبايعون للسلطان تؤخذ خطوط ايديهم في كتاب البيعة شاهدة عليهم بما بايعوا عليه، والظاهر أن كتابة البيعة عندهم كما في مكاتباتهم في طومار واحد كبير متضايق السطور، وأنه ليس بأعلاه طرة كما في كتابة المصريين»[2] .

وبعد بيعة الخاصة، كانت تتابع في العاصمة والبلاد الرئيسية في المملكة بيعة العامة من الجموع الشعبية[3] . مثال ذلك ما حدث عند تنصيب محمد الخامس الذي «تمت له البيعة في حفل مشهود، ومجمع لغيره غير معهود، فلم يختلف عليه اثنان»[4] .

ولا تشير المصادر إلى كيفية وراثة العرش النصري، ويبدو أنه لم يكن هناك قواعد واصول محددة يتم بمقتضاها وراثته. فعلى سبيل المثال نجد أن محمد الأول قد قام في حياته بتعيين ولده محمد الثاني كولي للعهد في عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤[5]. ثم نلاحظ أن محمد الرابع قد تولى الحكم بعد وفاة والده ولما يبلغ العاشرة من عمره[6] .كما ان يوسف الأول خلف اباه محمدا الرابع (في ٧٣٣ / ١٣٣٣) . وهو لم يزل مراهقًا في الخامسة عشرة من عمره [7] .وبويع لمحمد بن يوسف (٧٣٩ / ١٣٣٨) بينما كان «صبيا لا أثر فيه لإنبات»[8] .

---

(١) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال رقم ١٨٢٥) لوحة ٣١، القلقشندي: صبح الاعشى جـ ٩ ص ٣٤٦ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٩ ص ٣٤٧.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ١٢ .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٣٠٦ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٦ ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٥ .

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٧ .

(٧) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٩ ، أعمال الاعلام ص ٣٠٤ .

(٨) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٣٠٦ وكذلك :
Lafuente Alcántara : Inscripcions Árabes de Granada (Madrid 1860) p 54 .

ولم يكن من الضرورى أن يخلف الابن الأكبر أباه فى ارتقاء العرش، فقد حاولت - على سبيل المثال - زوجة السلطان يوسف الأول أن تجعله يعهد بولاية العهد لولده الاصغر اسماعيل بدلاً من أخيه محمد الخامس «بما القى عليه وعلى امه من محبته»[1] .

وكان بعض السلاطين يشرك معه فى الحكم ولى عهده، مثال ذلك محمد الفقيه، الذى «قام بالامر بعد ابيه، وباشره مباشرة الوزير أيام حياته[2] ». وكذلك محمد الثالث الذى «تهنأ العيش مدة أبيه، وتملى السياسة فى حياته، وباشر الامر بين يديه»[3] . ويفهم من النصوص أن ولى العهد كان يتخذ له كاتباً[4] .

ولقد استمر الملك فى أسرة بنى نصر منذ عهد محمد بن يوسف الأول حتى سقوط غرناطة فى يد الملكين الكاثوليكيين، لا ينازعهم فى ملكها أحد سواهم. إلا أن بأسهم كان بينهم: يشغب بعضهم على بعض ويستعين كل متشوف إلى ملك الحضرة بـ «اللفيف والغوغاء، والناعقين بالخلعان الشرهين إلى تبديل الدعوات»[5] .

شارات الملك والقابه وعلاماته فى غرناطة

اتخذ سلاطين غرناطة لقب «أمير المسلمين»[6] ، وان كانوا قد خوطبوا بالقاب الخلافة من باب التشريف[7] . مثال ذلك أمير المؤمنين (محمد الأول)[8] . والمنصور، والناصر لدين الله (محمد الثالث)[9] . والمستعين بالله، والمؤيد والمنصور

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٣٠٦ .
(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٦٥ .
(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٥٢ .
(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٢٣٢ .
(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٠ .
(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٧٠، ٥٦٣ ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٠ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٧ ص ١٩٠ ، المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠١ .
(٧) د. أحمد مختار العبادى : نظام الخلافة فى المغرب فى العصور الوسطى ص ١٦٢ ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ١٣١ .
(٨) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٦، النباهى : المرقبة العليا ص ١٢٤ .
(٩) ابن الخطيب : اللمحة : ص ٥٥ .

(أبو الجيوش نصر)[1] . والمتوكل على الله، والقائم بأمر الله (محمد بن اسماعيل)[2] . والمستمسك بالله (محمد الثامن)[3] . كما حمل بعض السلاطين لقب (الغالب بالله)[4] مثل مؤسس الاسرة[5]، وابو الجيوش نصر[6] ومحمد السادس [7] كذلك نجد ان سلاطين غرناطة كانوا يعرفون فى الوثائق باسم «صاحب الحمراء»[8] كما كان يطلق على الحكومة في غرناطة اسم «الباب العالى»[9] .

وحمل بعض سلاطين بنى نصر القابا لها دلالات خاصة مثل محمد الأول (الشيخ)[10] لتقشفه وتصوفه وورعه[11] . ومحمد الثانى (الفقيه) لرعايته للعلم والعلماء، ولا نتحاله طلب العلم أيام أبيه[12] . ومحمد الخامس «الغنى بالله» بعد عودته منتصراً من احدى الحملات الحربية التى قام بها ضد قشتالة عام ٧٦٨ /

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٦٣ .

(٢) ابن الأحمر : مستودع العلامة ص ٢٣ - ٢٤ ، نثير فرائد الجمان ص ٢١٥ .

(٣) انظر : R. Castrillo : Una Carta granadina en el monesterio de Guadalupe (Al Andalus Vol. XXVI, 1961) Fasc 2, PP 389 - 396 .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٦ - ٣٧ ، الإحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٦ وكذلك : É. Lévi Provencal: Inscriptions arebes d'Espagne p. 144.

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٠ ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٦ .

(٦) انظر : M. Gaspar Remiro : Documentos para la historia del reino granadino (Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino) ano II núm I p 21 .

(٧) ابن الأحمر : مستودع العلامة ص ٢٣ - ٢٤ .

(٨) القلقشندى: صبح الاعشى جـ٧ ص ٤١٢ .

(٩) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية لم تنشر، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد الرابع العددان ١ - ٢ ١٣٧٥ / ١٩٥٦ ص ١٦٩ - ١٨١ .

(١٠) ابن خلدون : العبر جـ ٤، ص ١٦٧ ، ١٧٠ .

(١١) تذكر المصادر أنه دخل غرناطة سلطانا وهو يرتدى وشاية مضلعة، أكتافها مقطعة، انظر: ابن الخطيب: الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٥، اللمحة ص ٣٥، مؤلف مجهول: الذخيرة السنية ص ٦٠، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٤٢٦ .

(١٢) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٧٢ ، جـ ٧ ص ١٩١، ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٨ ، الاحاطة (عنان) ج- ١ ص ٥٦٥، الصفدى: الوافى بالوفيات جـ١ ص ٢٠٦ .
السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ص ١٩ .

١٣٦٧[1] . كذلك عرف باسم «المخلوع» [2] . لخلعه عن العرش على يد اخيه اسماعيل[3] . ومحمد بن سعد «الزغل» لشجاعته فى مقاومة اعدائه[4] . وابو عبد الله الاخير «الزغيبى» بمعنى البائس وذلك لتعثر حظه[5] . ويلاحظ ان بعض الوثائق من القرن الخامس عشر تطلق على ملوك غرناطة لقب «مولاى»[6] .

وكثيراً ما كان السلطان يوصف بالقاب مليئة بالمدح والثناء مثل المجاهد، المقام العالى، الحضرة العلية، المجاهد في سبيل الله[7] ، الامام الهمام، الامام العادل[8] ، كما كان يصاحب ذكر المقر الملكى فى حمراء غرناطة دعاء «حرسها الله» فى المراسلات السلطانية[9] .

أما تسميتهم ببنى الأحمر فيرجع إلى شقرة فيهم، وأول من تلقب بالأحمر جدهم الأكبر عقيل بن نصر، وذلك لشقرة فيه[10] . وقد استمر ظهور هذا اللون فى بعض افراد هذه الاسرة مثل محمد السادس الذى تطلق عليه المصادر الاسبانية لقب «البرميخو El Bermejo» ومعناه اللون البرتقالى الضارب إلى الحمرة وهو لون شعره ولحيته[11] .

ولم يتخذ سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة منذ عهد محمد الأول الغالب بالله خطة للعلامة أو كاتبا لها، كما كان لغيرها من الدول المعاصرة. بل كان كل سلطان

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٤٢٣، التعريف ص ١٢٠ وكذلك:
E. Lafuente Alcántara : Inscripciones árabes de Espana p 119 & E. Lévi Provencal : Op. Cit., p 164 .

(٢) القلقشندى، صبح الاعشى جـ ص ص ٤١٢ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٤٠٦ . وانظر التفصيلات فى د. أحمد مختار العبادى فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة. صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٥٩ .

(٤) الزغل بمعنى الباسل أو الشجاع انظر : Dozy : I p 594

(٥) نفس المرجع السابق .

(٦) انظر: J. Ribera y M. Asin : Maniscritos ´Arabes y Aljamiados de La Biblioteca de la Junta (Madrid 1912) p 259 - 260 & E. García Gómez : Cinco Poetas Musulmanes p 177 .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ٢ ص ٦٦، اللمحة ص ٥٥، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٧ ص ٤١٣ - ٤١٩ .

(٨) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٧ ، ٥٥ .

(٩) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٧ ص ٤ .

(١٠) النباهى : نزهة البصائر والابصار فى Müller : Op. Cit. p III.

(١١) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٢٧ وكذلك :
Mariana : Historia General de Espana (Madrid 1948) II p 221

يوقع بيده على السجلات الرسمية [1]. وكان القرار عادة يكتب فى نفس هذه السجلات ويسمى التوقيع،وكان توقيع بنى الأحمر فى أول الأمر «ولا غالب إلا الله» ثم اصبح وكتب فى التاريخ» ثم انتقلوا بعد ذلك وكتبوا علامتهم «صح هـذا[2]» ، وفى هذا يخاطب القائد محمد بن أحمد بن قطبة الدويسى الغرناطى السلطان أبا عبد الله محمد بن اسماعيل، وقد طلب منه ان يمن عليه بظهير فى شأن حاجة :

تقول ليلى وقد رأتنى كسيف بال قديت ماذا

فقلت مهلاً فمن قريب يصح هذا بصح هذا[3]

وفى ذلك أيضًا يقول شاعر الحمراء عبد الله بن زمرك فى مدح السلطان محمد الخامس :

يا إماماً قد تخـــذناه مـن الدهـــر مـــلاذا

خط يمناك ينـــادى صح هذا صح هـــذا[4]

وكانت بعض توقيعات سلاطين بنى الأحمر تمتاز بخفة الروح وحراره النادرة، مثال ذلك توقيع السلطان محمد الفقيه على رقعة شخص كان يطلب صرف بعض الشهادات المخزنية (الحكومية) ويلح فيها:

يموت على الشهادة وهو حى الهى لا تمته على الشهادة

وأطال الخط عند لفظ الهى، اشعارا بالضراعة عند الدعاء[5]

وهناك توقيع آخر لمحمد الفقيه، إذ تظلم شخص من أن جنديًا أوى إلى بيته وحاول اغتصاب زوجته فكتب الفقيه فى التوقيع يخرج هذا النازل ولا يعوض بشئ من المنازل [6].

---

(1) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٢، ابن الأحمر : مستودع العلامة ص ٢١ .

(2) مستودع العلامة : ص ٢٣ - ٢٤ وكذلك Alarcón, y Linares : Los Documentos árabes diplomaticos

وانظر على سبيل المثال فى نفس المصدر الصفحات التالية : 102 , 104 , 106 , 108 , 110 , 112 .

(3) ابن الأحمر : مستودع العلامة ص ٢٣ - ٢٤ .

(4) المقرى : نفح الطيب : جـ ١٠ ص ٩١ ، أزهار الرياض جـ ٢ ص ١٣٥ .

(5) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٩، الاحاطة (عنان) جـ ص ٥٦٦،

د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(6) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٩، الاحاطة (عنان) جـ ص ٥٦٦ .

وكان السلطان يوقع علي المعاهدات بنفسه ويذكر ذلك في نهاية نص المعاهدة ثم يضع عليها «طابع الذهب المعلق بشرارب الحرير» [١] .

ولم يكن بنى نصر يضعون التاج، الذى كان استخدامه معروفًا فى القرن الثالث عشر لدى معاصريهم مثل ملوك الحفصيين فى تونس وغيرهم [٢] . ولا نكاد نجد ذكراً للتاج فى كتابات ابن الخطيب وابن خلدون، بل أنه يفهم من النصوص أن محمداً الأول كان يسير برأس عارية [٣] . وتبعه فى هذا التقليد السلطان أبو سعيد البرميخو [٤] كما كان بعض سلاطين بنى نصر يضعون العمامة، فعندما سقط السلطان أبو الوليد اسماعيل تحت طعنات قاتله كان يضع عمامة على رأسه [٥] . كما يظهر محمد الثانى عشر بعمامة من كتان أبيض فى صورة له محفوظة فى متحف الجيش بمدريد [٦] .

وقد اتخذ بنو نصر من اللون الأحمر شعارا لهم فى لون قصورهم [٧] ، وقبابهم أو خيامهم [٨] والورق الذى يكتبون عليه ظهائرهم ورسائلهم

---

(١) محمد عبد الله عنان: وثيقة اندلسية لشتالية من القرن التاسع الهجرى.
صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ١٣٧٣ / ١٩٥٤ المجلد الثانى العددان ١ - ٢ ص ٣٨ - ٤٥ .

(٢) انظر : R. Brunschvig : Berbérie, t. II p 23 - 24 .

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٨٣ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٤ .

(٦) تمثل هذه الصورة هذا السلطان عندما هزم فى موقعة اللسانة Lucena عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٣ وسيق اسيرا أنظر :
R. Amador de los Rios : Notas acerca de la batalla de Lucena, a y la prisión de Boabdil en 1483 . (Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos, III Vol XVI (1907) p 67 .

(٧) يقول ابن جزى لما رمدت عين أحدهم سأله عنها فقال :

يا سيدي عيني قد ... أودى قذاهـا بالانس
فانظر إليها تراها ... دار مليك الاندلس

(٨) يقول ابن الخطيب : (ديوان الصيب والجهام ص ٤٠٧) .

مقاماتهم بيض وحمر قبابهم ... يزف بها هدى ويشرق ارشاد

ويقول ابن زمرك : (نفح الطيب جـ ١٠ ص ٩٣، ازهار الرياض جـ ٢ ص ١٤١)

لمن قبة حمراء مد فضاؤها ... تطابق منها ارضها وسماؤها

ويقول ابن زمرك : (نفح الطيب جـ ١٠ ص ٤٦، ازهار الرياض جـ ٢ ص ٦٢)

وترى القباب الحمر ترفع للندى ... فترى العمائم تحتها كالانجم

ويقول ابن زمرك : (نفح الطيب جـ ١٠ ص ٧١، ازهار الرياض جـ ٢ ص ١١٣)

حيث القباب الحمر ترفع للقرى ... قد عام فى ارجائهن المندل

السلطانيـــة [1] ، وزيـهـم[2] فتظهر المدونات القشتاليه محمد السادس البرميخو مرتدياً تنورة حمراء قانية، عندما أمر بدور القاسي بقتله في طلياطة Tablada مـن ظاهر اشبيلية عام ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م [3] .

كذلك جعلوا هذا اللون الأحمر لوناً لأعلامهم وراياتهم [4] فنجد الوزير الشـاعر ابن الحكيم الرندى يتغنى باستيلاء الغرناطيين على قبجاطة في عام ٦٩٥ / ١٢٩٥ في رسالة له مشيراً إلى أن المسلمين كانوا يرفعون فوق ابراجها وأسوارها أعلامـهم

---

(١) كتب ابن هذيل الفزارى إلى الغنى بالله: (نفح جـ ٧ ص ٣٦٥)

ليس يا مولاى لى مـن جـابر	اذ غدا قلبى من البلوى جذ اذا
غير صلك أحمر تكـتب لـى	فيه بناك إعتنسا ء صح هـذا

ويقول ابن زمرك في مدح ابن الخطيب :

تهيبك القرطـاس فساحمر إذ شـدا	يقـلل بحـررا من أنا ملك العشر
وكأن رياض الطـرس خـد مـورد	يطرزه وشى العذار مـن الحـبر

وكذلك :

فشـارة هذا المـلك رائقـة الحـلى	بألـوية حـمر وبالصـحف الحمر

المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ١٨٤ - ١٨٥، أزهار الرياض جـ ٢ ص ١٦٤ هذا وقد ورد وصف لون هذه الرسائل في صبح الاعشى جـ ٧ ص ٤١٣، ٤١٤ د. مختار العبادى : دراسات ص ٢٢٧ وكذلك في مجموعة الوثائق العربية التى نشـرها Alarcón y Linares : Los Documentos árabes diplomaticos del Arichivo de la Corona de Aragón pp. 119 - 124 .

(٢) ابن عذارى : البيان جـ ٣ ص ٢٧٩ .

(٣) انظر : Crónica del Rey Don Pedro I, ano 1362 P 519 .

وانظر التفصيلات في ابن الخطيب : الاحاطة : (القاهرة) جـ ٢ ص ١٥ ، أعمال الاعلام ص ٣٠٩ .

(٤) يقول ابن زمرك (أزهار الرياض جـ ٢ ص ١١٩ ونفح الطيب جـ ١٠ ص ٧٦).

خفقـت به أعلامـك الحمـر التى	بخفوقهـا النصر العزيز موكل

ويقول ابن الخطيب : (الاحاطة (عنان) جـ ٢ ص ٥٧٦)

فيـاسائلى عنه وعن سطـواته إذا	لاح محـفوفًا براياتـه الحمر

وقوله : (ديوان الصيب والجهام ص ٢٣٣)

فكأنمـا حمـر البنـود خوافقا	منهـا قلـوب شفهـن عـنا ء

وقوله : (ديوان الصيب والجهام ص ٢٤٥)

حفـت به رايـاتك الحمـر التـى	قـادت إليـه قبـائلا وشعوبا

وقوله : (ديوان الصيب والجهام ص ٤٥٩)

يا يوسف الملك والحسن ارتقب زمناً	راياتك الحمـر فى خديه تـوريد

وقوله : (ديوان الصيب والجهام ص ٥٤٤)

ولا زال نصـرى العلى رائـق الحلى	يصاحب جيش النصر رايته الحمرا

الحمراء [١] . كذلك يوجد علم من قماش أحمر ينسب إلى بنى نصر فى ديرلاس ويلجاس، Las Huelgas على مقربة من برغش Burgos ذكرى لانتصار الجيوش القشتالية على المسلمين فى احدى المعارك[٢] .

وكانت الملابس الملكية تميز بواسطة الطراز، والكتابات المذهبة التى تزين هذا الطراز مثل الشعار المفضل للسلطان، أو شعار الأسرة، وقد انتقلت هذه العادة إلى غرناطة عن طريق ملوك الطوائف[٣] .

ونادرا ما تذكر المصادر «السرير»[٤] «وكرسي الملك»[٥] و« أريكة السلطان »[٦] و«ايوان الملك»[٧] ، دون ذكر تفصيلات عن ذلك أو غيره من الأثاث الملكى. وكل ما يفهم من تلك المصادر أن السلطان كان له مجلس خاص فنجد أنا أبا الوليد اسماعيل قد قتل «وهو مار بين السماطين إلى محل السلام عليه، والوزير بين يديه»[٨] .

كما كان العرش الغرناطى يوجد في صالة السفراء فى قصر الحمراء التى كانت

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ٢ ص ٤٤٤ ـ ٤٧٦ وكذلك :

P. Melchor M. Antuna : Conquista de Granada pp 349 - 351 .

(٢) انظر : R. Amador de los Rios : Trofeos militares de la Reconquista (Madrid 1893) p 198 .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٧ ، «والطراز من أبهة الملك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم اسمائهم أو علامات تختص بهم فى طراز اثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الابريسم تعتبر كتابة خطها فى نسيج الثوب الحاما وأسداء بخيط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة. ولفظ طراز مشتق من الكلمة الفارسية «ترازيدن» بمعني التطريز والنسيج، ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة أو السلطان أو الحاشية، ولا سيما إذا كان فيها شيء من التطريز، وعليها أشرطة من الكتابة، فيها إسم السلطان الذى نسجت فى عهده، وكذلك التاريخ وبعض العبارات الدعائية، ثم اتسع معنى الطراز فى اللغتين الفارسية والعربية حتي صار يطلق على المكان أو المصنع الذى تنسج فيه مثل تلك الاقمشة، انظر :

ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٦ ، زكى محمد حسن، فنون الإسلام (القاهرة ١٩٤٨) ص ٣٤٦ .

(٤) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٣٧٤ ، ابن الخطيب : اللمحة ص ٦٣ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٨ ، ٦٣ ، ٧٤ وكذلك: E. Lafuente y Alcántara Inscripciones arabes de Granada (Madrid 1860) p 113.

(٦) ابن الخطيب : الإحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٥ .

(٧) العبر جـ ٧ ص ٤١٣ ، التعريف ص ٨٦ .

(٨) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٩٥ .

مخصصة للاستقبالات الملكية[1] ويفهم من الدراسات الأثرية الحديثة أن سلاطين بني نصر كانوا يتخذون الصولجان كعلامة من علامات الملك والسلطان[2] .

أما عن الموكب الملكي واستقبال الشعب لسلطانه، فيروى لنا ابن الخطيب ان السلطان محمد الخامس قد استحدث الآلة [3] ، وكان يرافق موكب السلطان حرس خاص يسمى الساقة ترافقه الطبول وسبعة بنود[4] ويذكر ابن الخطيب أنه في عام ٧٥٥ / ١٣٥٤ عند عودته مصاحبًا للسلطان يوسف الأول[5] من رحلة تفقدية للحدود الشرقية للمملكة استقبل تجار الروم السلطان استقبالا حاراً، ومر الموكب الملكي تحت مظلة من الديباج مرفوعة على أعمدة من خشب الساج[6] . ويضيف أن الجنود الغرناطيين كانوا يمرون أمام يوسف الأول في المرية ناشرين البنود الشهيرة الالسوان[7] . وفي «بسطة» وقع النفير وتسابق إلى لقائنا الجم الغفير، مثل الفرسان صفا، وانتشر الرَّجْل جناحا ملتفًا، واختلط الولدان بالولائد، والتمائم بالقلائد، في حفل سلب النهى، وجمع البدر والسهى، والضراغم والمها، وألف بين القاني والفاقع، وسد بالمحاجر كوى البراقع»[8] .

كذلك يذكر ابن الخطيب وصفا للسلطان محمد الخامس في فاس عندما أخذ الاهبة ليعود إلى الأندلس بعد فترة نفيه فيقول ان السلطان جلس «بقبة العرض من جنة المصارة .... واستحضرت البنود والطبول والآلة وألبس خلعة الملك»[9] وتشير

(١) انظر : L. Torres Balbás : La Alhambra y el Generalife (Madrid 1953) pp 69 - 70 .

(٢) انظر : Manuel Gómez Moreno : El Bastón del Cardenal Cisneros (Al Andalus 1940; Vol. V fasc I pp 192 - 195 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٣ والآلة هي نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الأبواق والقرون (انظر ابن خلدون : المقدمة : (طبعة بيروت) ص ٢٥٨ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٩ ، ابن الخطيب: خطرة الطيف في مشاهدات ص ٤٣ .

(٥) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ٢٣ – ٥٣ .

(٦) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ٤٤ .

(٧) ابن الخطيب : نفس المصدر : ص ٤٣ .

(٨) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ٣٢ .

(٩) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٨٤ ، المقري : ازهار الرياض جـ ١ ص ٢٠١ .

المصادر إلى أن السلطان كان له هودجٌ على حصان خاص[١] .

ويفهم من النصوص أنه كان للسلطان حرس خاص[٢] ، وان هذا الحرس كان يتكون من جنود يرجعون إلى أصل مسيحى، يطلق عليهم ابن خلدون اسم « المعلوجين »[٣]، ويسميهم ابن الخطيب «المماليك»[٤] . فنقرأ عن مملوك لمحمد الأول يدعى صابرا الكبير هو الذى اعاده إلى غرناطة وهو يحتضر بعد معركة عنيفة مع الخارجين عليه من كبار الزعماء[٥] . كما أن أحد هؤلاء المماليك ويدعى زيان هو الذى قتل السلطان محمد بن اسماعيل سنة ٧٧٣ [٦] .كذلك فقد صحب محمد الخامس في فترة نفيه إلى المغرب مائتا مملوك حث اظهروا له هناك ولاء بلا حدود، حتى إذا ما استرد عرشه، جمع منهم اعداداً كبيرة، واعتمد عليهم[٧] .كما أننا نلاحظ أنه عندما دب النزاع بين غرناطة وفاس بعد وفاة السلطان المرينى عبد العزيز عام ٧٧٥ / ١٣٧٣م قام محمد الخاسم بارسال عدد من المطالبين بعرش فاس إلى هناك لخلق القلاقل أمام اعدائه، من هؤلاء نذكر الأمير الواثق بن عبد الحق المرينى الذى نزل إلى المغرب فى عام ٧٨٨ / ١٣٨٦ بمساعدة فرقة من الجنود الغرناطيين يقودها علجان هما:مهند ونصر الله[٨] .

وكان شعار بنى نصر «ولا غالب إلا الله» ينتشر فى كل مكان: فى العصائب المنقوشة التى كانت تحيط بالأبواب والنوافذ، أو التى كانت تجرى فى قباب الحمراء وحول عقودها، أو النقوش الحائطية وتيجان الأعمدة وقطع العملة.

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٦٨ ويقول ابن زمرك :

كسوة من وشى اليمانى هودجا يد على ما فرقه الظل سجسجا

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ٢ ص ٥٦٠ .

(٣) ابن الخطيب : العبر جـ ٧ ص ٣٧٩ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٥٥، نفاضة الجراب ص ٢٠٢ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٦ ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٩٦ .

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٣ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٤ ، المقرى: نفح الطيب جـ ١٠ ص ٤٤، أزهار الرياض جـ ٢ ص ٥٥ - ٥٦ .

(٨) ابن خلدون : التعريف ص ٢٧٧ .

ومن علامات الملك لدى بنى نصر كان هناك الخاتم[1] ، ويروى ابن الخطيب كيف ان السلطان يوسف الأول سلمه خاتمه عند وفاة شيخه أبى الحسن بن الجياب[2] . كذلك اتخذ بنو الأحمر مقصورة خاصة بهم عند الصلاة فى المسجد[3].

مهام السلطان

سار بنو نصر فى حكمهم ـ كغيرهم من ملوك العصور الوسطى ـ على مبدأ الحكم المطلق ، فكان السلطان يباشر مهام الأمور بنفسه، ويدقق فى جمع الأموال والجبايات[4] . ويباشر حسابات العمال بنفسه، ويشتد عليهم فى النكال[5] . مثال ذلك ما ترويه المصادر من أن محمد بن على السكان، الذى كان «خازن للطعام بوادى آش، قد حوسب على أموال، فشط قبله السلطان أربعون ألف قدح. وكان السعر إذ ذاك غاليًا، فثمنت الأقداح عليه بأربعين ألف دينار وسجن فيها بغرناطة»[6] .

هذا وإن كان يفهم من النصوص انه كانت هناك مجالس للشورى يستعين بها السلاطين[7] . وكان السلطان يقوم بعقد اجتماع عام لاصحاب الظلامات فنجد ان محمدا الأول قد اعتاد أن يعقد للناس مجالس عامة بدار العدل فى مكان يعرف بالسبيكة من القصبة الحمراء صباح يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع، فيحضر مع السلطان الرؤساء من أقاربه ونحوهم. وكان السلطان يفتتح هذا المجلس بقراءة أحاديث الصحيحين ويختتم باعشار من القرآن الكريم، ثم ترفع إليه الظلامات،

---

(١) يذكر ابن خلدون ان الخاتم كان «من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية، والختم على الرسائل والصكوك» (المقدمة ص ٢٦٤) .

(٢) المقرى : نفح الطيب . جـ ٧ ص٥ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٩ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٢ واللمحة : ص ٣١ .

(٥) النباهى : نزهة البصائر والأبصار فى : Müller : Beitrage p 116 - 117 , 119 .

(٦) الأزدى : لحلة المغترب فى بلاد المغرب ص ٦٧ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٢٣١ .

ويشافهه طلاب الحاجات، ويستقبل الوفود، وتنشده الشعراء»، ثم يعود إلى مجلسه الخاص أو يفحص أمور المملكة ويوزع العرائض على هؤلاء الذين لهم حق التصرف فيها وفي مجالس المساء، كان السلطان يوزع اعمالا معينة على النبلاء والقادة المشهورين[1]. وقد قتل السلطان اسماعيل بن فرج «وهو مجتاز بين السماطين من ناسه إلى مجلس كان يجلس فيه للناس[2]. كذلك كان السلطان محمد الخامس يجلس لمباشرة المظالم ستة عشر يومًا في كل شهر من شهور الأهلة[3].

ومن مبدأ الحرص على مصالح الرعية واستقرار أحوالها، كان محمد الثاني يتفقد «أحوال خواصه وحماته»[4]. كما كان محمد الخامس يبعث برجال «من أهل العلم والعدالة والدين والجلالة، إلى ارجاء مملكته لينقلوا إليه اخبار شعبه، وكذلك لدراسة أحوال الرعايا والسؤال عن سير القواد، وولاة الأحكام بالبلاد، والمظالم، وتحصين الحصون، وتفقد المساجد، ودعوة الناس إلى تعليم القرآن لأولادهم، والبحث عن أهل البدع والاهواء والفساد، ومدعي التصوف»[5].

كذلك كان السلاطين يقومون برحلات تفتيشية لتفقد احوال المملكة، فابن الخطيب يصف لنا في مقامة «خطرة الطيف، ورحلة الشتاء والصيف»، رحلة تفتيشية صحب فيها السلطان أبا الحجاج يوسف الأول بدأت يوم الأحد ١٧ محرم ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م[6].

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣١ – ٣٢، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٢، القلقشندي صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٧١ .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٤، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٤٠٠، النباهي؛ نزهة البصائر في Müller p 131 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ٢ ص ١٨ .

(٤) النباهي : نزهة البصائر والابصار في : Müller : p 117

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ١١ ص ١٠ – ١١، المقري : نفح الطيب جـ ٩ ص ١٠٩ – ١١٠ ، جـ ١٠ ص ٢٤٦ – ٢٤٧ وكذلك: M. Gaspar Remiro : Correspondencía (Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada 1915 ano V núm 3 pp 139 , 141 - 143 .

(٦) انظر خطرة الطيف في مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ص ٢٥ – ٥٣ .

وقد حرص سلاطين غرناطة على اقامة العدل واشاعته بين سكان المملكة[1] كذلك كان السلطان النصرى يسك العملة باسمه، ويوجه سياسة مملكته الداخلية والخارجية، ويستقبل السفراء الاجانب فى بهو السفراء بالحمراء[2]. ويشترك أحيانا فى جنازات كبار رجال الدولة[3].

ولما كان السلطان هو الرئيس الروحى للجماعة الاسلامية، فقد كان يؤم الناس فى صلاة العيدين[4]. ومن المعروف أن ممرورا قد اغتال السلطان يوسف الأول اثناء السجدة الأخيرة من صلاة عيد الفطر يوم أول شوال عام ٧٥٥هـ / ١٩ اكتوبر ١٣٥٤[5].

كذلك لم يقصر ملوك بنى نصر فى واجباتهم العسكرية، من قيادة الجيوش واستعراضها[6] واعدادها للقتال والجهاد. فعلى سبيل المثال قام محمد الأول بقيادة جيوشه في المعارك، وامتدح المؤرخون اعماله العسكرية وقوة جيشه[7]. كما قام الفقيه بقيادة جيشه عند غزوه لقيجاطة والقبذاق حيث «باشر العمل فى خندقها بيده»[8].

وقام السلطان أبو الوليد اسماعيل بن فرج عندما نازل أشكر بتحصين «خندقها

---

(١) يقول ابن زمرك فى مدح الغنى بالله (نفح الطيب جـ ١٠ ص ٤٧، ازهار الرياض جـ ٢ ص ٦٤)

كم ليلة قد بت فيهـا سـاهرا ... تهدى الامان إلى العيون النوم

ويقول أيضاً : (نفح جـ ١٠ ص ٤٦) :

ملك أفاض على البسيطة عدله ... فالشاة لا تخشى اعتداء الضيغم

(٢) انظر : Emilio García Gómez : Cinco Poetas Musulmanes p 219 .

(٣) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٢٠٢ ، ٣١٥، ٤٢١، ٤٢٢، ابن سعيد : اختصار القدح المعلى ص ١٧٨، ابن عبد الملك : الذيل والتكملة السفر الخامس، القسم الثانى (تحقيق احسان عباس) ترجمة رقم ١٠٦١ ص ٥٤١، نيل الابتهاج ص ٥٣ ، ٢٠٤ ، ٣١٤ ، ٣٢٤ .

(٤) ، (٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩٧ .

(٦) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٤ – ٥ .

(٧) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٠ ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦١ ، النباهى : نزهة البصائر فى Müller p 116

(٨) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٢ ، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥٦٩ – ٥٧٠ .

وأعمقه وعمل فيه بيده»[١]. وكان السلطان محمد بن اسماعيل «لا تقع العين وإن غصت الميادين على أدرب بركض الجياد منه»[٢]. كما كان السلطان يوسف الأول على رأس جيشه في موقعة طريف[٣]. كذلك قاد السلطان محمد الخامس بنفسه جيش غرناطة في الاغارة على مواقع العدو في جيان وحصن آشر Iznajar[٤] وقرطبة. ويذكر ابن الخطيب أنه عندما عزم هذا السلطان على فتح حصن وادى آش «لزمه بنفسه بياض يوم القيظ محرضا للمقاتلة مواسيا لهم خالطا نفسه بهم يصابر لهب النار ووقع السلاح وتعميم الدخان، مفديا للكماة ممرضا لذوى الجراح مباشرا ذلك إلى ان فتحه الله على يده بعزمه وصبره فباشر هدم السور بيده وتحصين عورته بنفسه، ينقل إليه الصخر ويناول الطين ويخالط الفعلة»[٥].

كذلك فان ابا عبد الله بن الأحمر الأخير أسر في موقعة اللسانة Lucena بعد غزوة حربية في ربيع عام ٨٨٨ / ١٤٨٣م[٦].

الحياة الخاصة للسلطان

كان السلطان يقيم في غرناطة العاصمة، يحيط به رجال الحاشية وعلى رأسهم «شيخ رجال الملك»[٧]، ويجتمع لديه اشراف البلاد في ايام الاعياد

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٢ - ٧٣، النباهي : نزهة البصائر في Müller p 129

وفي ذلك يقول الشاعر أبو الحسن بن الجياب :

لله منك مشاهد مشكورة عند الله بمثلها لم تسبق
مثل المنير بها الذي باشرته لعمل الرسول وصحبه في الخندق

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٧، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٤٠ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩٦، أعمال الاعلام ص ٣٠٥ .

(٤) ابن الخطيب: ريحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال رقم ١٨٢٥) لوحة ٣٦ وما بعدها، هذا وحصن آشر: حصن حصين أهل يقع في الجنوب الشرقي لحصن روطة وفي الشمال الغربي للمدينة المسماة بمعادن الملح Las Salinas وهو على ضفة أحد فروع وادي نهر شنيل في نقطة الالتقاء بين حدود غرناطة وقرطبة واشبيلية. أنظر: الادريسي: وصف أفريقا والاندلس ص ٢٠٤ والترجمة الفرنسية ص ٢٥٢ وابن خلدون : التعريف ص ١١٧ حاشية.

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٣١ .

(٦) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ١٢ كذلك، R. Amador de Los Ríos : Notas acerca de la batalla de Lucena y La prisión de Boabdil 1483 (R.A.B.M., XVI, 1907) pp 37 - 68 .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٤٠٧ .

والمناسبات[١]. ولم يحط سلاطين بنى نصر انفسهم بهالة من العظمة أو الغموض، فالمدونات الاندلسية تطنب فى مدح زهد وورع محمد الأول، حيث كان يؤثر التقشف «يخصف النعل ويلبس الخشن»[٢]. وتصفه عند دخوله غرناطة بأنه كان يبدو فى منظر متواضع يرتدى «شاية مضلعة، اكتافها ممزقة»[٣]. مما يدفع إلى القول بأنه كان من الصوفية، ويستدل على ذلك بلقب اتخذه وعرف به هو لقب «الشيخ». كما تتحدث هذه المدونات عن عدل وثقافة محمد الثانى [٤]. واعتدال وميل أبى الحجاج يوسف الأول إلى الاصــلاح[٥]. وتصف محمد الخامس انه كان متواضعا يسير فى حاشية صغيرة فى شوارع العاصمة مرتديا ملابس غير مترفة «فأنست العامة بقربه، وسكنت الخاصة إلى طيب نفسه[٦]». وكان محمد السادس يسير على اقدامه فى غرناطة عارى الرأس، مشمرا عن ساعديه، مخاطبا العامة فى الطريق[٧].

وأحب الشعب الغرناطى حكامه وبلغ هذا الحب إلى مايشبه التقديس [٨]. واتخذ سلاطين غرناطة مقرهم داخل برج زيرى قديم على الضفة الشمالية لنهر حدرة، وسرعان ما احاطوا هذا المقر الملكى بالابراج والأسوار والأبواب للدفاع عنه، حتى اصبح قلعة حصينة هى الحمراء قاعدة الحكم، ومقر الملك، تشرف على المدينة بـ «الشرفات البيض، والابراج السامية، والمعاقل المنيعة، والقصور الرفيعة، تعشى

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٤٧ ويقول ابن زمرك فى مدح الغنى بالله :

ما بعد يومك فى المواسم بعدما اتعبت عيد الفطر أكرم موســم
وافتــك اشراف البــلاد ليومــه مــن كل ندب للعلا متنــســم

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٠ ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦١ .

(٣) مؤلف مجهول :الذخيرة السنية ص ٦٠ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٨ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٩ .

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٠١ .

(٧) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٨٣ .

(٨) المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ١٢٦ ، ويقول ابن الخطيب فى مدح الغنى بالله :

ملك اذا عاينت منه جبينــه فارقته والنور فوق جبينى
وإذا لثمت يمينه وخرجت من ابوابه لثم الملوك يمــنى

العيون، وتبهر العقول[1]» يقضون هناك فصل الشتاء، حتى إذا ما لفحتهم حرارة الصيف انتقلوا إلى قصر جنة العريف[2]. حيث الحدائق الوارفة الظلال، والنافورات الرائعة الجمال.

وكثيراً ما كانوا يقيمون الاحتفالات بمناسبة اعذار أولادهم[3]. أو يخرجون للصيد، في الصباح الباكر إلى الثغور والفيافي والبطائح يمتطون صهوة جيادهم تساعدهم النسور، ويستخدمون الرماح لصيد الفرائس[4].

يروي لنا ابن الخطيب انه في عهد السلطان محمد الثاني الفقيه خرج ولي عهده أبو سعيد للصيد فقابله «خنزير جبلي Jabali ضخم الكراديس عظيم الناب عريض القبطسة، طرح نفسه عليه، فكبا به الطرف واستقبله ذلك الخنزير فأستل الأمير سيفه وعاجله بضربة تحت عينيه، أبانت فكيه، وأطارت محل سلاحه ... وتلاحق به فرسانه وقد يئسوا من خلاصه فرأوا ما بهتوا له وعلم بذلك والده فسر سرورا عظيمًا»[5].

ويذكر ابن الخطيب كذلك ان السلطان ابا الوليد اسماعيل كان منقطعا إلى الصيد[6] وان السلطان محمد بن اسماعيل كان مغرما بالصيد، عارفا بسمات الشغار[7]، وشيات الخيل[8].

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٤ .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٠٩ ، انظر :

Leopoldo Torres Balbás : Con Motivo unos planos del Generalife de Granada (Al Andalus Vol IV fasc 2 (1936 - 1939) pp 436 - 445 .

(٣) انظر على سبيل المثال : ابن خلدون : التعريف ص ٨٨ .

(٤) المقري: نفح الطيب جـ ١٠ ص ١٣ – ١٧ حيث أورد اشعارا يصف فيها رحلة صيد سلطانية.

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٣٥٦ وكذلك :

Dr. El Abbady : Op. Cit. p 150 - 151 .

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ٦٥ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٣٨٦ .

(٧) البعير.

(٨) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٧، ابن حجر العسقلاني: الدرر السفر الثالث ص ٣٩٠ ترجمة رقم ١٠٢٩ ويقول ابن زمرك - شاعر الحمراء - يشكر السلطان على ما أهداه ولي العهد له من صيد :

أضحى ولي العهد نجلك صائدا ... شأن الملوك العلية العظماء

ورمى البزاة على القناة بصيده ... صيد الخليفة شارد الاعداء

(المقري : ازهار جـ٢ ص ١٣٧) وكلمة قناة في البيت الثاني ربما تعني نوعا من الطير أو نحو ذلك.

وقد نبغ من بين سلاطين غرناطة ادباء وشعراء كبار، فابن الخطيب يمتدح محمدا الفقيه لحذقه فى نظم الشعر، وتشجيعه للعلم والعلماء من الاطباء والمنجمين والحكماء، والكتاب والشعراء[1]. ويذكر ان محمداً الثالث كان «يقرض الشعر، ويصغى إليه، ويثيب عليه، فيجيز الشعراء، ويرضخ للندماء، ويعرف مقادير العلماء»[2]. أما أبو الجيوش نصر فكان محباً للعلم وأهله، عالما فى الفلك يصنع الالات العجيبة بنفسه[3]. كما كان محمد الرابع» يحب الأدب ويرتاح إلى الشعر[4]. ويذكر ابن خلدون أن محمداً الخامس كان حامياً للعلوم والآداب[5]. كذلك قام السلطان يوسف الثالث حفيد الغنى بالله بوضع ديوان من الشعر يتناول قصائد فى الغزل والنسيب والوصف والحماسة والفخر والمدح والرثاء[6].

وكان سلاطين بنى نصر كذلك مشجعين للادباء والشعراء فيعقدون المجالس العلمية[7]، ويقصدهم الشعراء فى الاعياد والمناسبات الاخرى فيمنحونهم الهبات والصلات، ويقدمون اليهم وإلى كبار موظفى البلاط هدايا من زهور وفاكهة وكتب وملابس [8]. يروى ابن زمرك كيف ان السلطان محمد الخامس أهدى إليه عباءة صنهاجية من لون أحمر مزينة بزخارف من الطير [9]، كما يذكر ابن خلدون كيف انه تلقى خلعة من السلطان الغرناطى عند وصوله إلى غرناطة[10]. وبالمثل يروى الرحالة

---

(١) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٠٧ ، اللمحة ص ٣٨ . وانظر نماذج من اشعاره فى : صلاح الدين الصفدى ؛ الوافى بالوفيات ؛ ص ٢٠٧ .

(٢) ابن الخطيب ؛ اللمحة ص ٤٨ - ٤٩، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥٥٣ ، ابن حجر العسقلانى: الدرر السفر الرابع ص ٢٣٤ ترجمة رقم ٦١٤ .

(٣) ابن الخطيب ؛ اللمحة ص ٥٧ ، الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٤) ابن الخطيب ؛ اللمحة ص ٧٧ .

(٥) ابن خلدون ؛ التعريف ص ٩٢ .

(٦) هذا وقد نشر هذا الديوان بتحقيق عبد الله كنون (تطوان ١٩٥٨) كما قام المحقق بعرض سريع لمحتويات الديوان فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد. العدد الأول من السنة الأولى من ٣٣ - ٣٩ .

(٧) ابن الخطيب ؛ الاحاطة (عنان) الاحاطة ص ٣٥٣ .

(٨) المقرى: نفح الطيب جـ ١٠ ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، النباهى ؛ نزهة البصائر فى Muller p 122 وكذلك E.: García Gómez : Cinco Poetas Musulmanes p 220

(٩) المقرى ؛ ازهار الرياض جـ ٢ ص ١٤١ - ١٤٢ .

(١٠) ابن خلدون ؛ التعريف ص ٨٤ .

الطنجي ابن بطوطة أنه حين وصوله إلى مدينة غرناطة تلقى هدية من والدة السلطان أبى الحجاج يوسف لأن السلطان كان مريضًا[1]. كذلك فانه لما زار الاديب المصرى عبد الباسط غرناطة فى ٢٩ جمادى الاولى ٨٧٠هـ / يناير ١٤٦٦، قام السلطان أبو الحسن بمنحه بعض الهدايا[2].

هذا، وكان لبعض سلاطين غرناطة المام باللغات الاجنبية، مثال ذلك السلطان اسماعيل بن يوسف الذى كان «عريقة الفاظه فى العجمة»[3].

ولقد بلغ من اهتمام السلاطين بالادب انهم اقاموا خزانة للكتب السلطانية، فيروى ابن الخطيب ان محمد بن أحمد بن فرج بن شقرال اللخمى قلد نظر خزانة الكتب السلطانية[4].

على اننا نلاحظ انهماك بعض سلاطين بنى الاحمر وخاصة فى فترات الضعف، فى حياة اللهو والترف، فابن الخطيب يهجو السلطان محمد بن اسماعيل ويصفه بانه «كان رئيس السراق وعريف الخراب، وأمام الشر، نذر يوما فى نفسه، وقد رفعت إليه امرأة من البدو تدعى انها سرقت دارها، قال : ان كان ليلا بعدما سد باب الحمراء على وعلى ناسى، فهى والله كاذبة، إذ لم يبق سارق فى الدنيا، أو فى البلاد[5]. بل ويذكر اخلاق هذا السلطان المنحلة ويصفه بأنه كان «كلفا بالاحداث[6]» كما أنه يتهم السلطان ابا سعيد البرميخو بتعاطى المخدرات[7]. كذلك نجد أن المؤلف المجهول لكتاب نبذة العصر، ينتقد اخلاق السلطان أبى الحسن (عزل فى ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م) المنحلة وميله إلى اللهو، وانشغاله بلذاته وانهماكه فى الشهوات[8].

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٧٠ .

(٢) انظر : G. Levi Della Vida : Op. Cit. p 322

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٤٠٦ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٨٩ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٣٥ .

(٦) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ٥٣١ .

(٧) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٨٣ .

(٨) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٧ .

الاوضاع المالية للسلطان

كان للسلطان أراضيه الخاصة التى يطلق عليها اسم «المستخلص»[1]. ويصف لنا ابن الخطيب أراضى المستخلص السلطانى التى كانت تحيط بأسوار غرناطة أنها كانت تزخر بالزراعة والدور وأبراج الحمام والدواجن [2].بالاضافة إلى المنيات والحدائق والضياع والطواحين والقصور فى المستخلص السلطانى فى شلوبانية حيث كانت هناك «للسلطان قصور نبيهة وبساتين عظيمة»[3]، وفى متريل[4]، وكان يوضع على المستخلص السلطانى واليا لمباشرة أموره[5].

ونجد فى الوثائق الغرناطية الخاصة بالقرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ان بعض الأراضى السلطانية التى كانت تقع فى فحص غرناطة ومسجلة فى سجلات المملكة كانت تباع بواسطة وكلاء السلاطين ابى النصر سعد (مات فى المرية عام ٨٧٠هـ / ١٤٦٥) وأبى الحسن على (عزل عام ٨٨٧ / ١٤٨٢) وأبى عبد الله الأخير[6].

المقابر الملكية

كانت هناك مقبرة تقع خارج اسوار الحمراء فى اتجاه الجنوب الشرقى هى مقبرة السبيكة التى دفن فيها السلاطين محمد الأول والثالث وأبى الجيوش نصر[7]. وقد دفن محمد الخامس وابنه يوسف الثانى وحفيده يوسف الثالث فى مقابر جنة

---

(١) ابن الخطيب (الاحاطة) (عنان) جـ١ ص ١٢٢ ، النباهي : المرقبة العليا ص ١١٤ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٣١ .

(٣) اللمحة ص ١٩ .

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختبار فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٨١ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٤٣٧ .

(٦) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية: الوثائق رقم ١٤ ب ، ١٦ ب، ٦٥ب.

(٧) ابن الخطيب ، الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٠٢، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٦، اللمحة ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٦٣ .

العـريف[١].والى الشرق مـن مسجد الحمراء كانت توجد داخل حدائق الحمراء مقبرة «الروضـة»[٢]. التى دفن فيها السلاطين محمد الثانى[٣]، واسمـاعيل الأول[٤]، ويوسف الاول[٥]، ومولاى سعد وابنه أبى الحسن[٦].

وقد قام السلطان أبو عبد الله الاخير يرفع وفات اجداده وآبائه إلى امارته فى البشرات بعد سقوط غرناطة فى يد الملكين الكاثوليكيين، وأقام لهم مقبرة على سفح جبل مندوجر Mondujar[٧].

---

(١) انـظـر : M. Gómez Moreno : El Cementario Real de los Nazariés en Mondujar (Al-Andalus 1942 , Vol VII, Fasc 2 pp 269 -281 .

(٢) عن الروضة انظر :- Leopoldo Torres Balbás : Paseos por la Alhambra La Rawda (Archivo Espanol de Arte y Arquología 1929, p 261 - 285 & E. Lévi Provencal : Inscriptions arabes d'Espagne, t. I (Paris 1931) pp 144 - 145 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٧٤ .

(٤) النباهى : نزهة البصائر والابصار فى : Müller pp 131 - 132

(٥) النباهى : نفس المصدر فى : Müller p 134

(٦) انظر : Gómez Moreno : Op. Cit

(٧) انظر : M. G´omez Moreno : IBID

الـــوزيـــر

يتحدث ابن الخطيب عن اهمية الوزير فيقول ان " الملك طبيب والرعية مرضى والوزير تعرض عليه شكاياتهم عرضا ، والنجاح مرتبط بسداد عقله وصحة نقله [1] " .

كانت الوازرة فى مملكة غرناطة ، هى الخطة الحكومية العليا ، بعد السلطان ، وكان الوزير غالبا ما يلقب بالقاب تدل على قوة نفوذه وسلطانه . مثال ذلك الوزير ابو النعيم رضوان الذى اتخذ لقب " الحاجب" فى عهد السلاطين محمد الرابع ويوسف الاول ومحمد الخامس (اواسط القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى[2] وهو لقب احيا به التسمية القديمة فى عصر خلافة قرطبة ، حيث كان الحاجب وسيطا بين الخليفة والوزراء ، فهو الوزير الاول [3] .

كذلك فقد عرف ابن الحكيم اللخمى بلقب " ذى الوزارتين " لجمعه بين الكتابة والوزارة [4] . كما اطلق نفس اللقب على لسان الدين بن الخطيب [5] ، ربما للدلالة على مركزه المرموق ، واختصاصاته الواسعة . ومنصب ذى الوزارتين منصب قديم عرف فى الاندلس منذ عصر خلافة قرطبة حيث كان وزيرا ممتازا يتقاضى راتبين ، وكان يحل محل الحاجب فى غيابه او عند شغور هذا المنصب [6]. ويفهم من النصوص ان ابن الخطيب كان يتقاضى راتبين [7] .

كما اطلق على بعض الوزراء القابا اخرى مثل الرئيس [8] وعماد الدولة " ابن الحكيم [9]" .هذا وقد بلغ بعض الوزراء مرتبة كبيرة واتخذ بعضهم سكنا له مجاوراً

---

(١) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) رقم ١٨٥٢ ، لوحة ٢٤٨ - ٢٥٣ .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨١ ، ٩٠ ، ١٠٣ والاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٤ .

(٣) انظر : É. Lévi - Provencal : L'Espagne mus. au Xme Siécle Institutions et Vie Sociale (paris 1932) p 63 y sig.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٩ - ٥٦ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٥ ، المقرى نفح الطيب جـ ٦ ص ٣١٠ .

(٦) انظر : E. Lévi - Provencal : Op. cit.

Alhambra, en Cuadernos de la Alhambra, 3, 1967, pp 50-51.

(٧) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩١ .

(٨) المقرى : نفح الطيب جـ ٩ ص ٣١٤ .

(٩) النباهى : نزهة البصائر والابصار فى : Muller p 121

لقصر الحمراء قاعدة الملك ومقر السلطان [1] .

وكثيرا ما كان الوزير يجنح الى الاستبداد بسلطانه [2] ، مما يضطر هذا الاخير الى التخلص منه اما عزلا أوقتلا أو باقامة وزير اخر ينازعه السلطة ، فعلى سبيل المثال نجد ان السلطان محمد الثالث (عزل عام ٧٠٨/١٣٠٩ م) قد قام بوضع ابى سلطان عزيز بن سلطان الدانى فى الوزارة الى جانب ابى عبد الله بن الحكيم الرندى [3] . كذلك فان السلطان ابا الوليد اسماعيل (حكم بين ٧١٣ - ١٣١٤/٧٢٥ - ١٣٢٥) عندما وجد ان وزيره القائد ابو عبد الله محمد بن ابى الفتح الفهرى قد استبد بالأمر اشرك معه فى الوزارة قائداً آخر من أعيان الحضرة وذوى النباهة ، هو ابو الحسن على بن مسعود بن على بن مسعود المحاربى الذى " جاذب رفيقه حبل الخطة ، ونازعه لباس الحظوة الى ان مات الفهرى " [4] . كما ان السلطان محمد بن اسماعيل (اغتيل عام ١٣٣٣/٧٣٣) زاحم وزيره ابا النعيم رضوان بمملوك يدعى عصام " لما التاث امره لديه " [5] .

وقد جرت العادة انه لم يكن لدى سلاطين بنى نصر اكثر من وزير فى منصب الوزارة ، وان كنا نلاحظ بعض الاستثناءات ، مثال ذلك محمد الاول (حكم من ٦٣٥-٦٧١ / ١٢٣٨ - ١٢٧٣) [6] وابو الوليد اسماعيل الاول [7] ، ومحمد الخامس فى الفترة الاولى من حكمه (٧٥٠ - ٧٦٠ هـ/ ١٣٥٤ - ١٣٦٤) [8] كان لديهم فى بعض سنوات حكمهم اكثر من وزير يقومون بانشطة مختلفة .

وفى بداية الدولة كان يختار لمنصب الوازرة اصناف من عليه القوم يتمتعون ببعض المواصفات مثل المقدرة السياسية والعلمية والأدبية ونبل الاصل وعراقته . فمثلا نجد ان محمد الاول قد استوزر ابا مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد حاكم جيان القديم الذى مكنه من ناصيتها [9] . وابا عبد الله محمد بن محمد بن الرميمى

---

(١) المقرى : ازهار الرياض جـ ١ ص ٦٢ .

(٢) ابن خلدون : التعريف ص ٣٩ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٠ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ١٣ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٦٦ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٣٨٨ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨١ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٣٢ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٦٦ .

(٨) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٣٩٠ .

(٩) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٢ ، ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٣ ، ابن سعيد : اختصار القدح المعلى ص ١٤٣ .

القائد العسكرى الشهير (١) ، الذى كان والده من قبل واليا على المرية من قبل محمد بن يوسف بن هود الجذامى ، وبنو الرميمى بيت عريق ، يرجع أصلهم الى بنى امية ملوك الاندلس ، وينسبون الى قرية رميمة من اعمال قرطبة (٢) . كما استوزر على بن ابراهيم الشيبانى ، وكان من " وجوه أهل غرناطة ، ازدى النسب فاضلاً متخصصاً " وابا يحى بن الكاتب من " ارباب النعم " ، كذلك عين الغالب بالله فى منصب الوزارة ابنه محمد بن محمد بن يوسف الذى كان " من اولى الدمائة والوقار " (٣). واستوزر محمد الثانى الفقيه(حكم بين٦٧١-١٢٧٣/٧٠١ - ١٣٠٢) ابا سلطان عزيز بن على بن عبد المنعم الدانى وكان " بيته معدودا فى بيوتات الاشراف من أهل صقع الشرق ، أخلق الناس " (٤) واختار ابو الجيوش نصر للوزارة القائد أبا عتيق بن محمد بن المول ، وبيت بنى مول بقرطبة بيت اصالة (٥) . كما استوزر ابو الوليد اسماعيل بن فرج القائد ابا عبد الله ابن ابى الفتح نصير بن ابراهيم بن محمد بن نصير بن ابى الفتح الفهرى " وبيت هؤلاء القواد شهير " (٦) . كذلك اتخذ السلطان ابو الحجاج يوسف الاول ، ابراهيم بن عبد البر " العريض المكسب الثمين العقار " وزيرا له (٧) . اما لسان الدين بن الخطيب الذى تولى الوزارة فى عهد ابى الحجاج يوسف الاول وولده ، محمد الخامس ، فقد كان ينتمى الى بيت شهير عريق ويشير والده الى ذلك بقوله :

الطب والشعر والكتابة سماتنا فى بنى النجابة
هى ثلاث مبلغات مراتبا بعضها الحجابة (٨)

ولكن مع الوقت اسقطت هذه المواصفات ، ومن ثم اصبحنا نجد اشخاصا قد تولوا الوزارة ينحدرون من اصل وضيع ، نذكر منهم على سبيل المثال ابن زمرك الذى كان ابن حداد متواضع فى البيازين (٩) .

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٢ ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٦٣ .

(٢) المراكشى ، المعجب ص ٢١٠ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٨٦ ، المقرى : نفح الطيب : جـ ١ ص ٢٨١ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٢ ، ٣٨ ، الاحاطة جـ ٢ ص ٦٣ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٩ واخلق الناس اى اجدرهم

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٥٧ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٦٦ ، ١١٥ .

(٧) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩٠ .

(٨) المقرى : ازهار الرياض جـ١ ص ١٨٧ ، د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٣٦ .

(٩) المقرى : نفح الطيب : جـ ٤ ص ٢٨٩ - ٢٩١ وكذلك :
E. García Go´mez : cinco Poetas musulmanes p. 189

كذلك اصبح الاصل المسيحى لايقف عقبة امام تولى الوزارة ، مثال ذلك ابو النعيم رضوان بن عبد الله بنيغاش (١) الذى ينحدر من اصل مسيحى قد تولى الوزارة فى عصر محمد الرابع وابى الحجاج يوسف الاول ومحمد الخامس (٢). كما تولى ابو السرور مفرج الوزارة ليوسف الثالث (٣) كذلك تولى دون بدرو بنيغاش Don Pedro Venegas منصب الوزارة فى عهد يوسف الرابع بن المول (٤) .

كذلك نجد بين وزراء غرناطة صنفا من المماليك مثال ذلك عصام وزير السلطان محمد بن اسماعيل (٥) ، والوزير خالد الذى كان فى الاصل مملوكا لمحمد الخامس ثم اصبح وزيرا لولده ابى الحجاج يوسف الثانى عام ٧٩٣ هـ ١٣٩١/م ، فاستبد بالأمر وقتل اخوة السلطان يوسف الثلاثة ثم حاول اغتيال السلطان نفسه بالسم بالتفاهم مع طبيب القصر اليهودى يحى بن الصائغ ، فأمر السلطان بقتله بين يديه عام ٧٩٤ هـ ، كما زج بالطبيب فى السجن ثم قتله بعد ذلك(٦) . كما اتخذ محمد الخامس وزيرا من قواده هو قائد البحر ابو الحسن على بن يوسف بن كماشة

---

(١) ولد فى قلصارة Kolsérah ، وكانت عائلة والده من قشتالة ، وعائلة امه من برشلونة .

وعندما كان رضوان شابا قتل رجلا وهرب الى قلصارة حيث اسر وبيع الى السلطان اسماعيل الاول . وفى عصر هذا السلطان وفى عصر خلفائه محمد الرابع ويوسف الاول ومحمد الخامس وصل رضوان الى مرتبة قيادة الجيوش ، وكذلك الحاجب أو الوزير الاول الذى كان يجمع فى يده بكل خيوط السلطة فى الدولة : انظر :

ابن الخطيب (الاحاطة) (عنان) : جـ ١ ص ٥١٥ وكذلك: Luis Seco de Lucena

Paredes : El Ha'yib Ridwan, La madraza de Granada y las murallas del Albayzín en la rev. Al Andalus Vol XXI (1956) pp. 285 - 296.

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨١ ، ٩٠ ، ١٠٣ .

(٣) انظر :

É. Lévi Provencal : Inscriptions arabes d'Espagne pp. 173-177 . & Luis Seco de Lucena : Nuevas noticias sobre los Muffarig, en Etudes d'Orientalisme dédieés a la memoire de Lévi Provencal pp. 300 - 301 .

(٤) انظر :

A. Ballesterosy Beretta : Historia de Espana y su influencia en la Historia universal, t. III, p. 143. & E. lafuente Alcántara : Inscripciones árabes de granada p. 43 & M. Lafuente Alcántara : Historia de Granada t III p. 224 - 228 y 254 - 246.

(٥) ابن الخطيب : اللمحة (عنان) جـ ١ ص ٥٤٥ ، اللمحة ص ٨١ ، نفاضة الجراب ص ٣٦١ متن وحاشية ٢ ، الاحاطة (مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد) لوحة ٥٧٠ - ٥٧٢ .

(٦) السلاوى : الاستقصا جـ ٤ ص ٨١ ، د. أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٣٣ .

خلال العمليات الحربية التى خاضها لاسترداد عرشه فى غرناطة ، وكان هذا الوزير ، من عتاق خدامه وخدام ابيه علي حدقول ابن الخطيب ولم يبق هذا الوزير بجانب سلطانه ايام محنته ، اذ انه حينما ارسله محمد الخامس من رندة الى فاس لاستطلاع بعض الأمور ، لم يعد ثانية اليه ، حتى اذا ما استرد السلطان عرشه ، هرع اليه ابن كماشة طامعا في العودة الى وزارته ، ولكن السلطان خيب مسعاه ورده خاسرا (١)

ونلاحظ أنه فى نهاية الدولة لم يكن لقب وزير يستلزم فى ذلك الوقت ان يكون حامله وزيرا من وزراء مملكة غرناطة ، مثال ذلك ماورد فى بعض الوثائق مثل " وزير فنيانة (٢) " .

وكانت مدة بقاء الوزير فى منصبه مرهونه برضاء سيده . ولم يكن تغيير الملك يتطلب بالضرورة تغيير الوزارة طالما انه لم يعزل عن العرش . وبناء عليه ، فقد ابقى السلطان ابو عبد الله محمد الثالث وزير والده ابا سلطان عزيز بن على بن عبد المنعم الدانى فى منصبه (٣) . كما وزر للسطلان محمد بن اسماعيل وزير ابيه ابا الحسن بن مسعود (٤) . وكذلك فعل السلطان محمد الخامس مع وزير والده لسان الدين بن الخطيب (٥) .

ويفهم من النصوص ان الوزراء الغرناطيين كانت تجمعهم مع ملوكهم علاقات قوية ، حيث كانوا يبقون معظم اليوم فى القصر ، مرافقين للملك . ويحدثنا ابن الخطيب انه كان يشارك الملك فى الطعام ، ويصحبه الى الاجتماعات (٦) . وانه خلط بنيه بندمائه واهل خلوته (٧) ، و " ورمى الى بدنياه ، وحكمنى فيما ملكت يداه ، وغلبنى على امره لهذا العهد (٨) . ويحدثنا ابن زمرك عن علاقته بالسلطان فيقول " خدمته سبعا وثلاثين سنة : ثلاثا بالمغرب ، وباقيها بالاندلس ، انشدته

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٥ - ١٧ ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٢٣٩ .

(٢) لويس سيكودى لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية - صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ . المجلدان ٧ - ٨ ص ٨٥ - ١٠٨ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٩ ، ٥٠ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٥٦ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨١ .

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ١٦٢ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٠٣ .

(٧) المقرى : المصدر السابق جـ ٧ ص ٢٩ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ٢ ص ١٧ .

بها ستا وستين قصيدة ، في ست وستين عيدا .... وكنت اواكله ، وأواكل ابنه
ولاى ابا الحجاج ...." (١) .

وبعد ان استقرت الاحوال في مملكة غرناطة واستتبت الامور ، تجمع بها عدد من الاسر ذلت الاصل العريق ، سواء اكانت اصلا من ابنائها ام كانت من المهاجرين اليها من المدن والقلاع التى كانت تسقط فى ايدى المسيحيين . ولقد كانت هذه الاسر تمثل مركز ثقل له وزنه فى الحياة السياسية فى غرناطة ، ونظر هؤلاء الى الوزير نظرة كلها حسد وازدراء ، ولا سيما اذا كان لا ينتمى الى طبقتهم الارستقراطية ، فكاونوا يحاولون تدبير الدسائس والمكائد التى تهدف الى احلال آخر محله يرضى اهوائهم (٢) .

ولقد راح كثير من الوزراء ضحية هذه الدسائس والمؤامرات تذكر منهم القائد ابا بكر عتيق بن محمد بن المول ، الذى كان يتزعم حركة عزل محمد الثالث وتعيين ابى الجيوش نصر خلفا له ، وعلى الرغم من عراقة اصله وصلة النسب التى كانت تربط اسرته بالاسرة الحاكمة تعرض للدسائس " وتغلب اهل الدولة عليه " وأجبر على المسير الى المغرب (٣) . كذلك ابراهيم بن عبد البر وزير يوسف الاول الذى " أنف الخاصة والنبهاء رياسته فطلبوا من السلطان اعاضته ، فعدل عنه الى خاصة دولتهم الحاجب ابى النعيم (٤) " . ويذهب ابن خلدون الى ان فرار لسان الدين بن الخطيب من غرناطة الى الدولة المرينية عام ١٣٧١/٧٧٣ كان نتيجة لشعوره بالخوف من سلطانه محمد الخامس الغنى بالله " بما كان له من الاستبداد عليه " اى على السلطان " وكثرة السعاية من البطانة فيه " (٥) .

كذلك نجد انه كثيرا ما كان يدور نزاع وتخاصم عنيف بين وزراء غرناطة

(١) انظر : E. García Gómez : Op. cit. p. 210 - 211.
(٢) انظر : José Maria casiaro : El Visirato en el reino Nazari de Granada (Madrid 1947) p. 15.
(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٧ – ٨٥ .
(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٩٠ .
(٥) ابن خلدون : التعريف ص ١٣٩ .

وشيوخ الغزاة المغاربة (١) . ومع ان اختصاصات هؤلاء كانت عسكرية خالصة . الا انهم اخذوا يتدخلون فى شئون كانت من اختصاص الوزير مباشرة ، وكان السلطان نتيجة لحاجته الى مساعدة شيوخ الغزاة - كثيرا ما يحقق مطالبهم - وبذلك ينجم الصراع بينهم وبين الوزراء ، مما كان له اثر كبير فى اضعاف مملكة غرناطة فى النهاية .

والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها هذا الصراع الذى قام بين شيخ الغزاة عثمان بن ابى العلا والوزير محمد بن المحروق والذى انتهت حياته بأمر السلطان محمد الرابع فى محرم عام ٧٢٩ هـ (٢) . وذلك ان عثمان انتهز فرصة صغر سن السلطان واغتصب جزءا من اختصاصات الوزير وأخذ يوجه ايراد الدولة فى الانفاق والتقرب الى الجند كما شاء . وحاول الوزير ابن المحروق ان يمنعه بكل ما أوتى من قوة ، وبحث عن فارس مرينى آخر يستطيع به مواجهة عثمان . ووقع اختياره على يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، وطلب من السلطان محمد الرابع ان يعينه شيخا للغزاة . امام هذا قرر عثمان الرحيل الى المغرب مع ابنائه واقاربه وجزءا من الفرسان المغاربة ، وفى اثناء توجههم الى المرية مروا بعذرة ، حيث خرج المسئولون بها واحسنوا استقبالهم ، فاستولى عثمان على المدينة ، ثم تبع هذا بسلسلة من الغارات على اراضى غرناطة . واراد السلطان محمد الرابع على الرغم من حداثة سنه ان يضع نهاية لهذا الموقف فأمر بقتل ابن المحروق ، واعاد عثمان بن ابى العلاالى سابق وضعه ، فظل يمارس سلطاته حتى وفاته سنة٧٣٠ هـ(٣) .

لدينا مثال اخر على صراع وقع بين الوزير لسان الدين بن الخطيب وشيخ الغزاة ابى زكريا يحى بن عمر بن رحو فى الفترة الثانية من حكم محمد الخامس . وكان الاخير قد قام بمساعدة محمد الخامس حتى تمكن من استرداد عرشه فى جمادى

---

(١) سنتحدث عنهم تفصيلا فى الحياة الحربية فى مملكة غرناطة .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٤٠ ، اللمحة ص ٨٠ - ٨١ ، اعمال الاعلام ص ٢٩٦ وابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٢٧٣ ، ٤٦١ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة السفر الثانى ص ٤٣٧ ترجمة ٢٥٧٠ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٠ -٨١ ، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٣٥٢ ، اعمال الاعلام ص ٢٩٧ . وابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٢٧٠ - ٢٧٣ ، جـ ٧ ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

الثانية عام ٧٦٣ / مارس - ابريل ١٣٦٢ ، ودخل الحمراء منتصرا ، واستأنف حكمه مرة اخرى (١) . وحفظ محمد الخامس ليحيى هذا الامر ، فلما عاد ابن الخطيب من المغرب حيث كان منفيا اليه مع سيده ، واسترد سلطاته القديمة ، نظر بعين الغضب الى ثقة السلطان فى هذا الشيخ المرينى ، وتوجس منه خوفا ، " واخذ فى التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته فى رمضان سنة ٧٦٤ واودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك " . وكان النصر حليف ابن الخطيب فى هذه المؤامرة التى اراد بها هدفين : اولهما ان يتخلص من منافسه شيخ الغزاة ، وثانيهما ان يكتسب ثقة سلطانه (٢) .

اختصاصات الـوزيـر

أولا : اختصاصات سياسية واداريــة :

كان الوزير يتلقى اوامر السلطان ويعمل على تنفيذها ، ويقف بين يديه فى المجالس العامة وايصال الرقاع (٣) ، ويقوم بتوزيع الاعمال بين مختلف الموظفين كل حسب اختصاصاته ويتابع تنفيذها (٤) ، ويكلف بالاشراف على ديوان الرسائل فيقوم بتحرير الرسائل الرسمية (٥) وصياغة الظهائر (٦) الملكية لتعيين كبار الموظفين والولاة والقضاة (٧) ، أو للاعفاء من الضرائب (٨) ، وكان الوزراء

---

(١) راجع تفاصيل هذا الموضوع فى :

د. احمد مختار العبادى :« فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد عام ١٩٥٩ .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٤٨٧ - ٤٨٨ ، جـ ٧ ص ٣٣٤ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩٠ ، ١٠٣ .

(٣) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٠٣ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٢ .

(٦) الظهائر جمع ظهير ويقصد به ما كان يصدره حكام الاندلس من مراسيم وصكوك . وسمى " ظهيرا " بما يقع به من المعاونة لمن كتب له " القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١٠ ص ٢٩٩ .

(٧) انظر على سبيل المثال الظهير الذى كتبه لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه بشأن تولى النباهى القضاء (نفح الطيب جـ٧ ص ٥٩ - ٦٢) .

(٨) انظر الاحاطة : (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٤٠ - ٤١ حيث يرد نص ظهير اصدره محمد الاول بشأن اعفاء ابن مهيب اللخمى احد رجال المرية التابعين وزوجه من الضرائب فى شوال ٦٣٥ / يونيو ١٢٣٨ وانظر كذلك : J. Vallvé Bermajo : Un Privilegio granadino del siglo XIII (Al Andalus Vol . XXIX (1964) fasc pp. 233 - 242.

يجدون فى ذلك مجالالعرض براعتهم النثرية والشعرية (١) . كذلك كان الوزير ينوب عن السلطان عند سفره أو مرضه (٢) . ويكلف فى بعض الاحيان بالتفاوض مع الدول الاجنبية ، مثال ذلك عندما كلف ابو الجيوش نصر بعد تولية مقاليد الامور ، وزير ابيه سلطان بن عزيز الدانى ووزيره ابا عبد الله بن الحكيم بالسفارة الى سلطان المغرب لتقوية عرى الروابط بين الدولتين (٣) ، وكما حدث عندما كلف ابو الحجاج يوسف الاول ، ابن الخطيب ان يتوجه بسفارة الى السلطان المرينى ابى عنان عام ٧٥٥ / ١٣٥٤ ليقدم اليه عزاء ملك غرناطة فى وفاة والده ابى الحسن المرينى ، ويطلب استمرار العلاقات الودية بين فاس وغرناطة ، حيث رحب به السلطان المرينى، وهناك القى قصيدة امامه كان لها فى نفسه وقع حسنٌ فقضى له كل ما حضر من أجله (٤) . كذلك يذكر ابن زمرك ان محمد الخامس فوضه فى اقامة السلام مع الملوك على كلا شاطئ المضيق حيث وفق الى عقد الصلح مع المسيحيين تسع مرات (٥) . كما عبر الى فاس للتهنئة (٦) . كذلك فقد حمَّل القائد على الامين وزير يوسف الثالث اولاده وظائف رسل غرناطة الى البلاط القشتالى (٧) . وفى عهد محمد التاسع يقابلنا وزير باسم ابراهيم بن عبد البر استطاع ان يتفاوض

---

(١) انظر على سبيل المثال الرسائل التى تزخر بها مخطوطة ريحانة الكتاب (الاسكوريال رقم ١٨٢٥) وكذلك : M. Gaspar Remiro : Correspondencia diplomatica entre granada y Fez (Siglo XIV) Granada 1916, Maxmiliano A. Alarcon y Ramón Gascía de linares : Los Documentos árabes diplomaticos del Archivo de Aragón (Madrid - Granada 1940).

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٤ . هذا وفى رسالة بعث بها ابن الخطيب الى صديقه ابن خلدون يقول له فيها : " امليته فى هذه الايام التى اقيم بها رسم النيابة عن السلطان فى سفره الى الجهاد " . ابن خلدون : التعريف ص ١٢٩ ، العبر جـ ٧ ص ٤٣٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٢٨ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٥ - ٧ ، اعمال الاعلام ص : ٣٠٥ ، ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٣٣٣ .

المقرى : ازهار الرياض جـ ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٥) انظر ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٣٢٧ - ٣٢٩ ، المقرى : ازهار الرياض جـ ٢ ص ١٧ ونفح جـ ١٠ ص ٢٧ وكذلك . E. Gómez Moreno : Op. cit. p. 211

(٦) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٤٤٤ ، التعريف ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٧) انظر : Luis Seco de Lucena Paredes : Alamines y Venegas, cortesanos de los Nasries p. 128

بنجاح مع قشتالة فى عهد خايمى الثانى عام٨٤٢/١٤٣٩(١) .

وكان الوزير يستقبل السفراء ، فيروى ابن الخطيب انه قد استقبل فى منزله الحكيم اليهودى الطبيب ابن زرزر الذى وصل الى غرناطة لقضاء بعض المهام (٢) . كما كانت بعض مجالس الوزراء ملتقى علية القوم فنجد ان الطبيب ابن ررزر هذا قد التقى بقاضى غرناطة وغيره من كبار رجال الدولة فى منزل ابن الخطيب (٣) . هذا ويفهم من النصوص انه كان هناك نائب للوزير يحضر الى مجلس السلطان فى حالة غيابه (٤) .

ومن بين المهام التى كان يعهد بها الى الوزير كذلك مهمة تعيين الولاة والعمال (٥) كذلك كان للوزراء اشراف على الشئون المالية واختصاص بمعرفتها . مثال ذلك الوزير محمد بن احمد بن المحروق ، الذى كان وكيلا للسلطان محمد الرابع (٦) . كذلك الوزير لسان الدين بن الخطيب الذى داخله السلطان ابو الحجاج يوسف الاول فى تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها اموالا (٧) . ثم عهد اليه ولده محمد الخامس بالاشراف على بيت ماله ، والعمل على صيانة الجباية وتثميرها (٨) . بل انه كان يؤخذ على ابن زمرك ، الذى خلف ابن الخطيب فى منصبه ، كما يقول احد معاصريه " قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية ، وعدم اضطلاعه بالامور الجبائية ، واتهامه للمشتغلين – على غير اساس – بأنهم احتجنوا

---

(١) انظر : Luis Seco de Lucena Paredes : Cotesanos nasries del siglo XV p. 21.

(٢) المقرى : ازهار الرياض جـ ١ ص ٦٢ .

(٣) المقرى : نفسه جـ ١ ص ٦٢ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٤ – ١٥٥ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الثالث ترجمة ٩٦٧ ص ٣٦٦ – ٣٦٧ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩٠ ، المقرى : ازهار جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٠ ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٩٦ ويذكر ابن خلدون ان الوكيل كان هو الشخص المختص بالحسابات وسائر الامور المالية فى الدولة (المقدمة ص ٢٤٢) .

(٧) المقرى : نفح الطيب : جـ ٧ ص ٢٦ ، راجع كذلك : د. احمد مختار العبادى : النزعات الاقتصادية فى حياة لسان الدين بن الخطيب . مجلة كلية الاداب / جامعة الاسكندرية سنة ١٩٥٨ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٧ – ١٨ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ص ٥ – ٧ .

الاموال ، واساؤا الاعمال [1]" . كل هذا يدل على ان اشراف الوزراء على النواحى المالية والمامهم بمعرفتها كان يلعب دورا مهما فى نجاح مهمتهم [2] .

وكان على الوزير ان يوجه السياسة الغرناطية بما يتفق ومصالح مملكته ، فلا يلتزم بالوقوف الى جانب واحدة من الدول المجاورة لها سواء أكانت مسلمة أو مسيحية . وذلك لان مملكة غرناطة حرصا منها على سلامة مصالحها ، كانت سياستها تتبدل وتتغير فى حرص وحذر حسب الظروف الخارجية المحيطة بها : فتارة تتقرب من قشتالة ضد المغرب ، وتارة اخرى تتقرب من المغرب ضد قشتالة أو اراجون ، وتارة ثالثة تتقرب من ملوك اراجون ضد ملوك قشتالة أو العكس وهكذا (٣) . ولقد اشاد المؤرخون بالدبلوماسية الغرناطية ، ووصفوها بصفة تدل على المرونة والمهارة وهى : سياسة اللعب بالثلاث ورقات Juego de tres Barajas (٤) . لذا نرى ان عددا من سلاطين غرناطة ووزرائها قد راحوا ضحية تماديهم فى التزام جانب سياسى واحد دون تقدير العواقب المترتبة على تجاهلهم للجوانب الاخرى . مثال ذلك الوزير محمد بن على المعروف بابن الحاج المهندس (ت بفاس سنة ٧١٤/١٣١٤) الذى كان مداخلا لملوك قشتالة ، عالما بلغتهم وسيرهم واخبارهم ومهتما بشأنهم ، ولهذا نهج سياسة موالية لهم ، وكان يتشبه بهم فى الاكل والحديث ، وكثير من الاحوال والهيئات ، وانحرف فى ذلك انحرافا لم يقبله اهل غرناطة ، فثاروا ضده واتهموه بتحريض ملك قشتالة على الاستيلاء على حصن القبذاق Alcuadete ومساعدته على تملكه ، وكادوا يفتكون به لولا أن السلطان ابا الجيوش امر بعزله فى الحال (٥) .

كذلك وقع ابن الخطيب فى نفس هذا الخطأ حينما دفعته سياسته المغربية الى

---

(١) المقرى : ازهار الرياض جـ ص ١٩ .

(٢) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٣٦ .

(٣) د. احمد مختار العبادى : نفس المرجع ص ٢٤٣ .

(٤) انظر : Sanchez Albornoz : La Espana Musulmana, 11, pp. 392 - 399 .

(٥) النباهى : نزهة البصائر فى : Muller p. 124 - 125 ، ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٨ ، الاحاطة (عنان) جـ ٢ ص ١٣٩ - ١٤٢ .

رسم سياسة موحدة للمغرب والاندلس دون ان يعمل حسابا للقوى السياسية الاخرى، بل انه لم يلبث ان تمادي في سياسته الى اقصى حدودها خطورة عندما فر الى المغرب واخذ يحرض السلطان عبد العزيز على غزو غرناطة ، وكانت النتيجة ان تم القبض على ابن الخطيب وقتله وحرقه ومصادره امواله في عام ٧٧٦ / ١٣٧٤(١) .

ثانيا : الاختصاصات العسكرية :

كان الملك الغرناطي يعهد في بعض الاحيان الى وزيره بقيادة الجيوش ، من ذلك ما حدث في عهد محمد الثاني الذى كلف وزيره ابا سلطان الداني بقيادة الحملة العسكرية التي انتهت بالاستيلاء على مالقة (٢) وفي عهد يوسف الاول كلف الحاجب رضوان بقيادة الجيوش (٣) ، حيث قام بغزو مدينة باغة " واخذ بمخنقها حتى تملكها عنوة ، وعمرها بالحماة ورتبها بالمرابطة " ، كما غزا اقليم لورقة ومرسية في محرم ٧٢٤ / اكتوبر ١٣٣١ ، وقام بالهجوم على حصن المدور Almdóvar المنيع في ١٥ محرم ٧٢٢ / ١٩ اكتوبر ١٣٣١ ، وعاد الى غرناطة محملا بالغنائم وما يقرب من ١٥,٠٠٠ اسيرا (٤) .

الكـــاتب

كانت وظيفة الكاتب من الوظائف المرموقة في مملكة غرناطة النصرية .. وقد مارس خطة الكتابة في ديوان الانشاء العديد من اهل العلم والفضل والادب ، اذ كانت تستلزم الكتابة في هذا الديوان " العلم بكل نوع من انواع الكتابة والاشتمال على البيان الدال على لطائف المعاني التي هي زبد الافكار . وجواهر الالفاظ ، التي

---

(١) راجع التفاصيل في : د. العبادي : سياسة ابن الخطيب المغربية - مجلة الهيئة ، مايو ١٩٦٢ .
(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ١٩٨ .
(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩٠ .
(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥١٧ وكذلك :
Luis Seco de Lucena : El Hayib Ridwan y las Murallas del Albayzin. Al Andalus vol. XXI (1956) fasc 2 pp 285 - 296 .

هى حليـة الالسنة . وزيادة العلم ، وغـزارة الفـضـيلة ، وذكـاء القـريحـة ، وجـودة الرويـة"(١).

وكانت هذه الخطة تسمى " الكتابة العليا " (٢) . وقد شرح ذلك ابن سعيد بقوله : " واما الكتابة فهى على ضربين : اعلاهما ، وله حظ فى القلوب والعيون عند أهل الاندلس ، وأشرف سماته الكاتب ، وبهذه السمة يخصه من يعظمه فى رسالة ، واهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة ، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة ، فان كان ناقصا عن درجات الكمال ، لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن فى المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتب الآخر هو كاتب الزمام ، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة " (٣) .ويشرح لنا ابن الخطيب مهمته عندما تولى الكتابة لمحمد الخامس بانه كان :

" يقف على رأسه والامساك فى التهانى والمبايعة بيده ، والكتابة والانشاء والعروض والجواب والخلعة والمجالسة " (٤) .

ووظيفة الكتابة كانت موجودة منذ عـهد السلطان محـمد الاول الغـالب بالله الذى اتخذ كتابه من بين الرجال الذين تتوافر فيهم شروط ومواصفات معينة ، مثل الكاتب المحدث ابو الحسن على بن محمد بن هيضم الرعينى ، الشهيـر النسب ، والكاتب ابو بكر بن ابى عمـر اليحصبى اللوشى (٥) . وفى عهد محـمد الثانى والثـالث كان هناك العديد من الكتاب من عليه القوم (٦) . غيـر اننا نجد انه فى عهد ابى الجيوش نصر كان هناك كاتب واحد (٧) .

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١ ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) المقرى : نفح الطيب : جـ ٨ ص ٢٣٥ .

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٢ . والجهبذة كلمة فارسية الاصل تعني هنا الادارة المالية الخاصة بجباية الضرائب وجمع الخراج وتحصيله . وكاتب الجهبذة هو صاحب الزمام أو صاحب الاشغال الخراجية الذى كان بمثابة وزير المالية . المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، د. العبادي : دراسات ص ٢٣٤ ، . Dozy : Suppl . 11 p. 226 , 701

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٥ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٣ ، الاحاطة (عنان) جـ ص ٥٦٧ .

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٠ ، ٥١ ، الاحاطة (عنان) جـ ص ٥٥٧ ، ٥٦٧ .

(٧) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥٨ .

وفي بعض الاحيان كان اصحاب الكتابة العليا يرشحون للوزارة من هؤلاء نذكر ابا عبد الله محمد بن الحكيم الرندي اللخمي ، الذى كان كاتبا للسلطان محمد الفقيه (٦٧١ - ٧٠١ هـ) ثم صار وزيرا لولده محمد الثالث (المخلوع) (٧٠١ - ٧٠٨ هـ) مع احتفاظه برياسه القلم الاعلى [١] .

كذلك جمع ابن الجيان بين الوزارة والكتابة الى ان توفى عام ٧٤٩ هـ فى عهد ابى الحاج يوسف الاول [٢] .

واحيانا كان الكاتب ينتقل الى وظيفة القضاء مثال ذلك القاضى ابو بكر محمد بن احمد بن شبرين (ت ٧٤٧) [٣] . كما كلف بعض الكتاب بالسفارة الى الملـوك [٤] . ويبدو ان وظيفة الكاتب ظلت قائمة حتى نهاية الدولة النصرية . فالمقرى يشير الى الخطاب الذى حرره الكاتب ابو عبد الله بن محمد بن عبد الله العربى العقيلى باسم السلطان ابى عبد الله الاخير الى وطاسى فاس [٥] .

وكان هناك كاتب يسمى " كاتب الدار السلطانية " [٦] او " كاتب السر "[٧]، وقد شغل ابن الخطيب هذا المنصب على عهد السلطان يوسف الاول [٨] . كذلك كان لولى العهد كاتب خاص [٩] . كما كان هناك كاتباً لشيخ الغزاة المغازية مثال ذلك ابو الحسن على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلى الغرناطى الذى " كتب عن شيخ الغزاة ابى زكريا يحيى بن عمر على عهده ، ثم انصرف الى العدوة سابع عشر جمادى الاولى من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة " [١٠] .

---

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٤٠ ، ٥٠ - ٥١ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) النباهى : المرقبة العليا ص ١٥٣ .

(٤) ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ٢٨١ - ٣٠٢ ، وانظر ترجمة حياة هذا الكاتب ص ٣٠٢ - ٣٠٧ .

(٦) ابن الحجر العسقلانى : الدرر السفر الرابع ص ١٧٨ ترجمة رقم ٤٨٢ .

(٧) يصفها ابن الخطيب بانها اكبر اركان السياسة انظر : M. Gaspar Remiro : Correspondencía ano V. uúm 3 pp. 180 - 181 .

(٨) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩١ .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٣٢ ، ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٣٢٥ جـ ١

(١٠) المقرى : نفح الطيب ٨ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

وكان من " عادتهم ان يكتب كتاب السلطان فى طومار كامل ، فان استوعب الكلام جميع الطومار كتب على حاشيته ، ويكتب صاحب العلامة علامة السلطان فى آخره ، ويطوى طيا عريضا فى نحو ثلاث اصابع معترضة ، ثم يكسر ويطوى نصفين ، ويكتب العنوان بالالقاب التى فى الصدر ، ويحزم بدسرة من الورق ، ثم يختم بختام السلطان على شمع احمر " (١) . وكان الورق الذى يكتبون عليه المراسلات من لون احمر (٢) .

وكان بالحمراء مكتب رسمى للترجمة الى اللغات الاوربية ولاسيما الاسبانية ففى معاهدة السلام التى عقدت بين محمد الخامس سلطان غرناطة وبدرو الرابع ملك اراجون فى ١٨ صفر ٧٧٩/٢٩ مايو ١٣٣٧ ورد نص يقول انها : كتب فى نسختين بالعربى والعجمى لتكون احداهما عندنا والاخرى عندكم (٣) " .

كذلك نجد انه فى عام ١٤٧٢/٨٧٧ شغل احد ابناء اسرة الامين وظيفة رئيس مكتب الترجمة الملكى (٤) كذلك كان محمد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى الحميرى (ت ٧٣٩ هـ) ترجمان السلطان للروم (٥) .

الدواوين فى مملكة غرناطة

ترجع كلمة ديوان الى اصل فارسى (٦) ، والديوان ضرورة من ضرورات الحكم وتنظيم شئون الدولة . وكان يوجد فى غرناطة عدد من الدواوين اهمها ديوان الانشاء (٧) ، وكان يتولى تحرير الرسائل السلطانية الى الملوك المسلمين والنصارى او الى العمال والولاة وتدوين الظهائر الملكية ، كما كان به ادارة للترجمة الى اللغات الاوربية لا سيما الاسبانية اى القطلانية والقشتالية (٨) .. وديوان الخرص ويختص فيما يبدو بحصر الأملاك وتقدير غلتها والضرائب عليها (٩) .

---

(١) القلقشندى : صبح جـ ص ٣٩ .
(٢) راجع الفصل الخاص بشارات الملك والقابه وعلاماته فى غرناطة .
(٣) انظر : د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٣٣ ح٢ كذلك : Alarcón y Linares : Documentos Arabes diplomaticos p. 411 .
(٤) انظر : Luis Seco de Lucena : Alamines y Venegas Cortesanos de Los Nasries p. 132 .
(٥) ابن الحجر العسقلانى : الدرر السفر الرابع ص ١٥٥ ترجمة رقم ٤١٣ .
(٦) يذكر ابن خلدون ان كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على انفسهم كأنهم يحادثون فقال ديوانه اى مجانين بلغة الفرس وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان . (ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٣) .
(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٤٩ - ٥٦ ، المقرى : أزهار الرياض جـ ٢ ص ٣٤١ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الثالث ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ترجمة رقم ٩٣٣ .
(٨) انظر : Alarcón y Linares : Op. cit. p. 411.
(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٣٠ ، وخرص : أى حزر ما على النخل من الرطب تمرا .

ومن بين الدواوين ايضا ديوان الجند او ديوان العطاء (١) ، وفى هذا الديوان كانت تثبت اسماء الجنود واوصافهم ومقدار ارزاقهم ، وتعداد عيالهم لكى يؤمن لهم معاشهم (٢) . كما يختص هذا الديوان كذلك بمعالجة الامور الخاصة بالناحية العسكرية (٣) .

كذلك كان هناك دواوين اخرى مثل ديوان العقد (٤) ، وديوان الحساب (٥)، وديوان الاعمال (٦) .وان كانت المصادر لم تمدنا بتفصيلات عن اختصاصاتها.

القضاء فى مملكة غرناطة

كان لاهل الاندلس خصائص اقليمية تتعلق بتطبيق احكام الشرع والقضاء خصائص فرضتها ظروف الوقت والعادات الجارية فى هذه المدينة او تلك الناحية (٧) . وكانت خطة القضاء فى الاندلس من اعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بامور الدين (٨) .

ولم تكن اختصاصات القاضى الغرناطى تختلف عن اختصاصات زملائه من قضاه المسلمين فى مشرق العالم الاسلامى ومغربه ، فكان يقوم بالفصل فى المنازعات المتعلقة بالميراث والوصايا والحبوس (الأوقاف) ، والنزاع الخاص بالعقارات والمنقولات ، ويرعى مصالح الايتام ، ويحكم فى القضايا الخاصة بالطرقات والابنية ويباشر التعازير ، ويقيم الحدود فى الجرائم الثابتة شرعا ، كما كان للقاضى بعض الاختصاصات الدينية مثل اقامة الصلاة والخطبة فى مسجد

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة (الاسكوريال لوحات ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ ، الاحاطة : (عنان) جـ١ ص ٣٥١ ، ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٦٤ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٣٦٥ .

(٢) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٩٣ - ١٩٥ .

احسان هندى : الحياة العسكرية عند العرب . دمشق ١٩٦٤ ص ١٨ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٨٣ ، ٣١٤- ٣١٥ ، ٣٢٨ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٧١ ، العقد : البيع .

(٥) ابن حجر العسقلانى : الدرر ، السفر الاول ص ٨٦ - ٨٩ ترجمة رقم ٢٣٣ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٣٦٤ .

(٦) المقرى : نفس المصدر ٢٢١ .

(٧) لويس سيكودى لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية : صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلدان ٨ - ٩ ، عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ٨٥ - ١٠٨ .

(٨) المقرى : نفح الطيب ؛ جـ ١ ص ٢٠٣ .

الحمراء او في المسجد الجامع التي كان يعهد بها الى قاضي الجماعة (١) ، او في مسجد المدينة ، وكذلك صلاة الاستسقاء وصلاة الجنازة عند وفاة احد الشخصيات ذات المنصب الرفيع (٢) .

وفي بعض الاحيان كان القاضي يكلف قاضيا ثانويا ببعض القضايا الاقل اهمية ويشير ابن سعيد الى ان اختصاص هذا القاضي الثانوي كان يقتصر على النزاع الذي كان يقع في المدن الصغيرة . وكان يطلق عليه لقب " مسدد " ، بينما كان يطلق على القاضي لقب قاضي القضاه أو قاضي الجماعة (٣) .

ونظرا لوجود أهل الذمة بكثرة في الاندلس فقد خصص لهم المسلمون قاضيا منهم يعرف باسم قاضي النصارى أو قاضي العجم (٤) . وانتقلت هذه الكلمة الى القشتالية فصارت Alcalde وخاصة في مناطق الحدود بين غرناطة وقشتالة .

وكان القاضي يجلس لمباشرة مهامه في أوقات معينه من كل أسبوع ما عدا أيام الجمع والاعياد والمناسبات الدينية ، وكذلك اذا كثر المطر والوحل ، واستثنى في هذه الايام ، الامور التي يخاف عليها الفوات وما لا يسعه الا تعجيل النظر فيه (٥) .

واذا ما وصلت الاطراف المتنازعة الى اتفاق قبل رفع الامر للقضاء لم يعد هناك مجال لعرض الامر على القاضي لاصدار حكم في هذا الشأن (٦) .

وكان هناك " الوكلاء " ويمكن ان تشبههم بالمحامين اليوم ، وكانوا يتولون الدفاع عن موكليهم (٧) .

وعرف النظام القضائي في الاندلس قاضيا يعرف " بصاحب الرد " كانت مهمته الحكم فيما يرد اليه من قضايا استرابها الحكام وردوها عن انفسهم (٨) .

---

(١) انظر على سبيل المثال : النباهي : المرقبة العليا ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٦٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٠٣ .

(٣) المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٤) النباهي : المرقبة العليا : ص ٢١ ، د. حسين مؤنس : فجر الاندلس (القاهرة ١٩٥٩) ص ٤٤٩ ، ٤٦٢ .

(٥) ابن فرحون : تبصرة جـ ١ ص ٢٧ .

(٦) لويس سيكودي لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية واهميتها التاريخية ص ٨٥ - ١٠٨ .

(٧) رسالة ابن عبدون في : ثلاثة رسائل اندلسية في الحسبة والمحتسب تحقيق ليفي بروفنسال .

(٨) النباهي : المرقبة العليا ص ٥ .

وكان القضاء في غرناطة يجرى على مذهب الامام مالك ، ولقد حرص هذا المذهب المالكي على ضرورة وجود بعض اهل العلم فى مجلس القضاء ضمانا للعدل ، بحيث لا يزيدوا عن اربعة (١) ، ولكنه فى نفس الوقت حرم على هؤلاء القضاة ابداء رأيهم فى منزلهم الخاص (٢) . وكان القضاء يتم في المسجد (٣) ، حيث كان يجلس القاضي يعاونه الكتاب . وكان " كاتب القاضى يحتاج ان يعرف الحلال والحرام ، والتأويل والتنزيل والمتشابه والحدود القائمة والفرائض ، والاختلاف فى الاموال والفروج ، حافظا للاحكام حاذقا بالشروط " (٤) .

ووجد بالاندلس نوع من القضاة المشاورون ، كانوا يقومون فى نفس الوقت بالافتاء (٥) ، وكان بكل مدينة رئيسا للفتوى (٦) ، حيث كان يختار بعض رجال من المشهورين بعلمهم ، لاعطاء فتاوى قضائية ، وقد نما دور المفتى فى مملكة غرناطة النصرية وأصبح من بين كبار رجال الدولة ، مثال ذلك القاضى سعد بن أحمد التجيبى (ت ٧٢٢ هـ) الذى كان " احد شيوخ الشورى والفتيا " (٧) . وفرج بن قاسم بن احمد ابن لب التغلبى الاندلسى الغرناطى (ت ٧٨٢ هـ ١٣٨٠) الذى كانت " عليه مدار الشورى واليه مرجع الفتوى " (٨) . ومحمد الانصارى السرقسطى الذى حضر السلطان جنازته (١٤٥٩/٨٦٥) (٩) . وابراهيم بن احمد

---

(١) ثلاث رسائل فى الحسبة ص ٩ ، ابن فرحون : تبصرة جـ ١ ص ٢٨ . ويعلق الاستاذ الدكتور حسين مؤنس على ذلك بقوله " ان هذا غير صحيح من الناحيتين النظرية والعملية : فاما من الناحية النظرية فان المذهب المالكي يعطى للقاضى من الحقوق والسلطات ما لا يعطيه اياه المذهبان الشافعى او الحنفى ، وللقاضى المالكى ان يحكم بما يرى فى مجلس حكمه الا اذا رأى ان يستشير غيره ، وحكمه نافذ ولا يجوز لقاضى بعده ان ينقضه . واما من الناحية العملية فأمامنا سير لقضاة قرطبة وقضاة افريقية ، لا نجد فيها دليلا واحدا على مشاركة الفقهاء للقاضى فى مجلس حكمه او فى احكامه ، بل ان سحنون كان لا يرضى بان يجلس المشاور مع القاضى فى مجلس الحكم . (د. حسين مؤنس : شيوخ العصر فى الاندلس ص ٢٦ - ٢٧) .

(٢) ثلاث رسائل ص ٩ .

(٣) ثلاث رسائل ص ٧٤ .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١ ص ١٤٣ .

(٥) احمد بابا التمبكتى ، نيل الابتهاج ص ٢١٠ - ٢١١ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٦) ابن سعيد : اختصار القدح المعلى ص ١٣٠ وكذلك Ángel González Palencía : Documentos Arabes del Cente Siglos XII - XV (Al Andalus 1940 vol. V fasc 2 p. 347).

(٧) احمد بابا : نيل الإبتهاج ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٨) المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٢٦ - ٢٨ ، احمد بابا : نيل الإبتهاج ص ٢١٩ - ٢٢١ .

(٩) احمد بابا : المصدر السابق ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

بن فتوح العقيلي (ت ١٤٦٢/٨٦٧) الذى كان نحويا عظيما ، وشاعرا ممتازا محبوبا لدى طلبة المدرسة النصرية (١) .

وتلقى فتاوى العصر النصرى ضوءا ساطعا على النظم القضائية فى غرناطة ، والحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية فى المملكة . نذكر على سبيل المثال ذلك الكتاب الذى وضعه الفقيه فرج التغلبى بعنوان " ينبوع عين الثرة فى تفريع مسألة الامامة بالاجرة " شرح فيه هل يجوز ان يأخذ الانسان اجرا من الدولة على امامة الناس (٢) ؟

هذا وقد قام الفقيه المغربى احمد الونشريسى فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) بجمع كثير من فتاوى علماء غرناطة فى كتابه " المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب " (٣) .

ونبغ الكثير من قضاة غرناطة فى ميادين العلم مثل النحو والشعر والاداب والعلوم الرياضية (٤) . نذكر منهم القاضى ابا القاسم الخضر بن ابى العافية (ت ٧٤٥ هـ) الذى كان " من صدور القضاة وجهابذة النحاة " (٥) . كما وضع القاضى ابو بكر بن محمد بن عبد الله بن منظور القيسى عدة مؤلفات منها " نفحات النسوك وعيون التبر المسبوك ، فى اشعار الخلفاء والوزراء والملوك " . وكتاب " السجم الواكفة ، والظلال الوارفة ، فى الرد على ما تضمنه المظنون من اعتقاد الفلاسفة " (٦) . هذا وقد اعجب الرحالة المصرى عبد الباسط الذى زار غرناطة فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) بالعمق الذى ابداه المستمعون لدروس القاضى ابن منظور (٧) وفى بعض الاحيان كان الاندلسيون يقدمون لمنصب القضاء من يؤهله

---

(١) المقرى : ازهار الرياض جـ ١ ص ١٧١ ، احمد بابا : المصدر السابق ص ٥٤ .
(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٢٦ - ٢٨ .
(٣) طبع على الحجر فى فاس فى ١٢ جزء فى عام ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ .
(٤) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٠٤ - ١٠٥ ، النباهى : المرقبة العليا ص ١٢٧ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧١ .
(٥) النباهى : المصدر السابق ص ١٤٩ .
(٦) النباهى : المصدر السابق ص ١٥٤ .
(٧) انظر : Luis Seco de Lucena Paredes : Notas para estudio del Derecho Hispano - Musulmán. Dos Fatwas de Ibn Manzúr (M. E. A. H.) vol. V, 1956, pp. 5-17 .

علمه لذلك دون النظر الى سنه ومن هؤلاء القاضي عبد الله بن يحيى بن محمد بن احمد ...... بن زكريا الانصاري (ت ٧٤٥ هـ) الذي تولى القضاء دون العشرين عاما (١) .

وفي اول الامر كانت وظيفة القضاء وظيفة دينية لا يتقاضى من يتولاها أجرا على عمله . . ولكن بمرور الزمن سمح للقضاة بالحصول على راتب متواضع ، ونلاحظ انه حتى في هذه الحالة كان بعض القضاة يرفضون هذا الراتب . مثال ذلك القاضي محمد بن عياش الانصاري (٢) . بل لقد ذهب بعض الفقهاء الى القول بانه يجب ان يشترط في القاضي ان يكون في سعة من العيش تضمن له استقلالا في عمله (٣) .

ويلاحظ ان بعض القضاة كانت لهم ممتلكاتهم الخاصة التي كانت تدر عليهم دخلا كبيرا . من هؤلاء ، القاضي ابو جعفر الغرناطي الذي " تأثل مالا ظاهرا " (٤) والقاضي ابو الحسن بن الحسن الجذامي النباهي(ت ٧٠٠ / ١٣٠٠ - ١٣٠١) الذي اغتصبه بنو اشقيلولة ونفوه عن بلده مالقة ثم عاد اليها بعد خروجهم منها ، وأقام بها بقية عمره ، يتعيش من فائد بقايا املاكه بها (٥) . بل اننا نجد ان بعض القضاة كانوا يأكلون من عمل ايديهم . نذكر منهم القاضي ابا العلا بن سماك الذي كان يزرع ارضه ليستعين بها على معاشه (٦) .

وكان القاضي يختار احيانا نائبا عنه من نفس الاسرة في أغلب الاحوال . فقد تولى ابو يحيى بن مسعود المحاربي وظيفة القضاء في غرناطة في غياب والده ابي بكر (٧) كما ناب سعد بن احمد التجيبي (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢) عن قضاة

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) المجلد الثالث ص ٤١٣ .

(٢) النباهي : المرقبة العليا ص ٢٠ - ٢١ ، العسقلاني : الدرر السفر الرابع ترجمة رقم ٥٩٩ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٣) النباهي : المصدر السابق : ص ١٦٤ .

(٤) العسقلاني : المصدر السابق السفر الاول ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٥) النباهي : المصدر السابق : ص ١٢٩ وهذا القاضي ليس مؤلف كتاب المرقبة العليا .

(٦) انظر : J. Bosch Vilá : Los Banu Simak de Málaga y Granada : Una Familia de Cadies (M. E. A. H.) vol. x 1962, fasc 1 pp. 36 - 37 .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٤٦ ، النباهي : المرقبة العليا ص ١٤٠ .

غرناطة (١) كذلك فقد ناب محمد بن احمد بن عبد الله العطار (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩) في القضاء عن ابي البركات البلفيقي (٢) .

ونلاحظ انه في بعض الاحيان كان القاضي ينتقل من وظيفة دينية الى القضاء او يجمع بين وظيفته الدينية وبعض الوظائف الدنيوية . مثال ذلك القاضي ابو بكر محمد الاشبرون (ت في حدود عام ١٢٩٨/٦٩٨) الذى كان يجمع بين الحسبة والشرطة ثم انتقل الى القضاء (٣) . والقاضي ابن جابر الوادى آشي الذى كان كاتبا قاضيا في القرن الثامن الهجرى النصف الاول من القرن الرابع عشر الميلادى) (٤) . والقاضي ابو بكر محمد بن شبرين (ت ١٣٤٦/٧٤٧) الذى جمع بين القضاء والكتابة (٥) .

وابو الحسن النباهي الذى كان كاتبا لمحمد الخامس في فترة حكمه الاولى ثم اصبح قاضيا للجماعة بعد عودة السلطان الى غرناطة من منفاه (٦) . والقاضي محمد بن احمد بن محمد .... ابن الحسن بن على بن ابى طالب (ت ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨) الذى عينه محمد الخامس كاتبا للانشاء ثم قلده الكتابة والقضاء والخطبة في غرناطة (٧) . كذلك نلاحظ ان ابا يحيى بن عاصم تولى القضاء العادى ثم اصبح قاضيا للجماعة على عهد السلطان محمد العاشر (عام ٨٥٧ / ١٤٥٣) (٨) ، ومارس من ناحية اخرى الكتابة في ديوان الانشاء ثم اصبح اخيرا وزيرا للسلطان (٩) .

---

(١) احمد بابا ؛ نيل الابتهاج ص ١٢٤ - ١٢٥ .
(٢) العسقلاني : الدرر السفر الثالث ص ٣٢٩ ترجمة رقم ٨٨٤ .
(٣) النباهي ؛ المصدر السابق ؛ ص ١٢٥ - ١٢٦ .
(٤) العسقلاني ؛ الدور السفر الاول ص ٥٩ ترجمة رقم ١٥٧ .
(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٥١ ، ٧٦ ، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٧٤ - ١٨٢ .
(٦) ابن الخطيب ؛ اللمحة ١١٨ .
(٧) ابن الخطيب ؛ الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٢٩ - ١٣٠ .
(٨) المقرى ؛ ازهار الرياض جـ ١ ص ١٧٢ - ١٧٩ .
(٩) انظر ؛
Luis Seco de Lucena Paredes : Los Banu Asim intelectuales y politicos granadinos del siglo xv (M. E. A. H.) vol. 1],
1953, pp. 5-14.

وقد لعب بعض القضاة دورا مهماً في توجيه ولاة الامور نحو الصالح العام نذكر منهم قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن بكر الاشعري ، الذي بعض الى السلطان ابى الحجاج يوسف الاول رسالة خاصة تتعلق بشأن اعتقال احد كبار موظفي الدولة الذين بددوا مال الجباية ، موضحا للسلطان الواجبات التي فرضت عليه بوصفه إماماً للجماعة الاسلامية (١) .

كما شارك بعض القضاة في الحياة السياسية لمملكة غرناطة ، ففي عهد محمد الاول بن الاحمر لعب قاضي المرية محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي ، دورا كبيرا في التوفيق بين ابن الاحمر وابن الرميمي حاكم المرية ، وانتهى الامر بدخول المدينة في طاعة سلطان غرناطة الذي منح لمحمد بن مفضل اللخمي امتيازا باعفائه من دفع الضرائب على ممتلكاته في ١٠ شوال ٦٣٥ / ٢٥ مايو ١٢٣٨ مكافأة له على دوره الايجابي (٢) . كذلك كلف السلطان محمد الرابع القاضي ابا بكر يحيى المحاربي بالسفارة الى سلطان المغرب في عام ١٣٢٦/٧٢٨ -١٣٢٧،حيث ،ادركته المنية في مدينة سلا اثناء هذه السفارة (٣) . كما بعث السلطان محمد الخامس في عام ١٣٥٥/٧٥٦ بالقاضي ابى البركات بن الحاج البلفيقي في سفارة الى بلاط فاس (٤) . كذلك قام قاضي الجماعة محمد بن احمد الشريف الحسني(ت ٧٦١هـ) بالتوجه الى سبتة بقصد السفارة (٥) . كما كلف القاضي ابى الحسن النباهي بالسفارة الى فاس عام ٧٦٧ هـ ثم عام ٧٨٨ هـ (٦) . كذلك نجد ان قاضي الجماعة ابا عبد الله بن الازرق (٧) ، قد سفر الى قايتباى سلطان مصر المملوكية عام

---

(١) النباهي : المرقبة العليا ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) رقم ١٦٧٣ لوحة ٤٠ - ٤١ وكذلك ؛

J. Vallvé Bermejo : Un privilegio granadino del siglo XIII (Al Andalus vol . XXIX (1964) fasc 2 pp. 233 - 242 .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٢ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٤٦ ، النباهي : المرقبة العليا ص ١٤٠ .

(٤) النباهي : المصدر السابق ص ١٦٥ ، ابن خلدون : التعريف ص ٣٠٥ .

(٥) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ١٩٣ .

(٦) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٧) هو ابو عبد الله بن الازرق قاضي الجماعة في غرناطة ، يرجع اصله الى وادي آش ، وضع عددا من المؤلفات في النحو والعربية منها " روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام " ، رحل الى تلمسان سنة ٨٩٠ بعد سقوط غرناطة . انظر : المقري : ازهار الرياض جـ ١ ص ٧١ ، جـ ٣ ص ٣١٨ - ٣١٩ .

١٤٦٨/٨٧٣ فى الفترة الاخيرة من حياة مملكة غرناطة يستنهض الهمم لنصرتها (١) . وكان اهتمام سلاطين غرناطة باختيار قضاتهم كبيرا ، فيشير ابن الخطيب فى ظهير تعيين ابى الحسن النباهى فى منصب القضاء الى تلك الاهمية التى كانوا يولونها عند اختيارهم للقضاة وغيرهم من كبار موظفى الدولة فيذكر ان حكومة غرناطة كانت " ترتاد أهل الفضائل للرتب ، واستظهرت على المناصب بأبناء التقى والحسب ، والفضل والمجد والادب ، ممن يجمع بين الطارف والتالد ، والارث والمكتسب " (٢) .

وكان يشترط فى القاضى معرفة عميقة بالقوانين الشرعية والدينية ، والكتاب والسنة ، وما وقع عليه اجماع الامة والاستقامة والشجاعة والحزم والفصاحة والوقار والانصاف والعدالة (٣) . ولا يرتشى " فاذا ما ارتشى القاضى لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى ، واذا اخذ القاضى القضاء بالرشوة ، لايصير قاضيا ، ولو قضى لاينفذ قضاؤه " (٤) . كذلك كانت هناك شروط عشرة لابد من توافرها فيمن يعين قاضيا هى : الاسلام ، والعقل ، والذكورية ، والحرية ، والبلوغ ، والعدالة ، والعلم وسلامة الحواس : السمع والبصر من الصمم والعمى وسلامة حاسة اللسان من البكم ، وكونه واحدا لا أكثر فلا يصح تقديم اثنين ليقضيا معا فى قضية واحدة ، لاختلاف الاغراض ، وتعذر الاتفاق ، وبطلان الاحكام بذلك . كذلك كان يشترط فى القاضى ان يكون غير محدود ، وغير مطعون عليه فى نسبه بولادة اللعان أو الزنى ، وغير فقير ، وغير أمى ، وغير مستضعف ، وأن يكون فطنا ، نزيها ، مهيبا ، حليما مستشيرا لأهل العلم والرأى (٥) .

وتمتدح المدونات والوثائق المعاصرة كفاءة القاضى الغرناطى وميله الى الزهد واخلاصه فى اداء عمله (٦) . مثال ذلك القاضى يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٨ .
(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ص ٦٠ .
(٣) النباهى : المرقبة العليا ص ٢٠٦ .
(٤) المقرى : ازهار الرياض جـ ٣ ص ٣١٤ .
(٥) النباهى : المرقبة العليا ص ٤ - ٥ .
(٦) النباهى : المصدر السابق ص ١٤٩ .

الاشعرى الذى كان " من أكثر القضاة عدالة وصراحة ونبلا وفضلا " والقاضى محمد بن غالب الانصارى الذى ": اجتمع له العلم والمال وحسن الخلق وتمام الخلق (١) " . والقاضى ابو محمد عبد الله بن يحيى الانصارى الذى أظهر نزاهة وعدالة ، وكثيرا ما كان يطيل مجلسه اكثر من الوقت المخصص للمتظلمين ليعرضوا عليه شكاواهم (٢) .والقاضى احمد بن محمد بن سليمان بن يوسف الغرناطى ابو جعفر بن الحداد الذى كان نزيها عفيفا ، وقد اغتاله بعض الشطار لأنه كان قد ادانه فى استخلاص مال يتيم . فقبض على قاتله وصلب بالمكان الذى فتك به فيه فى ٢٥ رمضان عام ٧٥٢ هـ (٣) . كما كان القاضى ابو جعفر الغرناطى (ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧) " بصيرا بالاحكام ، كثير التأنى والاقدام على ما يحجم عنه غيره (٤) " . كذلك القاضى العدل ابو عبد الله اليحصبى الذى كان من اهل الورع والجزالة والتصميم فى الحق لاتأخذه فى الله لومة لائم " (٥) .

هذا وقد وضع القاضى ابو الحسن النباهى كتابا عن تاريخ قضاة الاندلس اسماه" المرقبة العليا ، فيمن يستحق القضاء والفتيا " اورد فيه سيرا لأهم قضاة الاندلس والعديد من مآثرهم (٦) .

وكان بعض القضاة لا يقبلون تولى منصب القضاء ويلحون فى ان يعفيهم السلطان ، من هؤلاء ابو عبد الله بن محمد عياش الانصارى (٧) . والقاضى ابو عبد الللـه محمد بن احمد الطنجالى (ت ٧٥٢ هـ / ١٣٥١م) (٨) ، والقاضى محمد بن عتيق التجيبى (٩) .

---

(١) النباهى : المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٢) النباهى : نفسه ص ١٥٢ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الاول ص ١٣٩ ترجمة ٣٩٤ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق – السفر الاول ص ١٨٨ – ١٨٩ ترجمة رقم ٤٨٤ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٣٣ .

(٦) نشره ليفى بروفنسال (القاهرة ١٩٤٨) بعنوان " تاريخ قضاة الاندلس " .

(٧) النباهى : المرقبة العليا ص ١٤٨ .

(٨) ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق السفر الاول ص ١٨٨ – ١٨٩ ترجمة رقم ٤٨٤ .

(٩) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر السادس ص ٤٢٩ – ٤٣٠ ترجمة رقم ١١٤٧ .

وهناك بعض الاسر التى كانت تهتم بالشرع وعلومه والتأليف فيه ، وقد أمدت هذه الأسر غرناطة بالكثير من القضاة اللامعين نذكر منهم " بنى النباهى المالقيين (١) ، وبنى سلمون وبنى عاصم الذين يرجعون الى أصل غرناطى (٢) . وبنى سماك الذين يرجعون الى اصل مالقى غرناطى (٣) . كذلك تروى المصادر ان محمد بن مسعود بن يحيى بن مسعود المحاربى (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤) كان عاشر قاض من اهل بيته (٤) . كما كان القاضى ابو بكر بن منظور " له سلف فى القضاء عالى المراتب (٥) . كذلك كان من اولاد القاضى ابى القاسم بن سلمون (ت ٧٦٧ / ١٣٦٥) بعض القضاة (٦) .

وقد تولى بعض المغاربة منصب القضاء فى غرناطة منهم ابن رشيد الذى يرجع اصله الى مدينة سبتة ، وقد عينه السلطان محمد الثالث قاضيا للمناكح فى غرناطة(٧) .

قاضى الجماعة فى غرناطة

قاضى الجماعة فى غرناطة هو الرئيس الاعلى للقضاة ، يفوض قضاة محليين اختصاصاته لارساء العدالة بين الناس فى مدن المملكة المختلفة مثل مالقة والمرية رندة وبسطة ووادى آش وبليش مالقة ومدن الحدود (٨) .

وكان قاضى الجماعة يمارس سلطاته على كل القضاة الآخرون على طريقة قاضى القضاة فى المشرق (٩) . فهو يراقب تصرفاتهم وسلوكهم ويراجع أحكامهم

---

(١) النباهى : المصدر السابق ص ١١٢ - ١١٥ ، ١٢٨ - ١٢٩ ، د. محمود على مكى : اسرة مالقية مشهورة : بنو الحسن النباهيون ، محاضرة فى غرناطة فى ١١ اكتوبر ١٩٦٢ .

(٢) عن بنى سلمون انظر المرقبة العليا ص ١٦٨ ، وعن بنى عاصم انظر :
Luis Seco de Lucena : La Escucla de Juristas granadions en el siglo xv(M. E. A. H.) vol VIII, 1959, fasc 1, pp. 7-28 .

(٣) انظر : J. Bosck Vilá : Los Banu Simak de Málaga y Granada : Una familia de Cadies, (M. E. A. H.) Vol XI, 1962 fasc 1 pp. 21-37 .

(٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الرابع ص ٢٥٦ ترجمة رقم ٧٠٨ .

(٥) ابن الخطيب : الاكليل الزاهر (مخطوط الاسكوريال) رقم ٥٥٤ لوحة ١٢٤ .

(٦) النباهى : المرقبة العليا ص ١٦٨ .

(٧) انظر : Ency del Islam Art Ibn Rushayd by Arfe .

(٨) النباهى : المرقبة العليا ص ١٢٩ - ١٢٧ - ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٧١ .

(٩) النباهى : المصدر السابق ص ٢١ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ص ٣٠٢ .

وينظمهم فى اماكن عملهم . ولكن يبدو ان هذه الاختصاصات كانت من الجانب النظرى فقط دون التطبيق ، فقد كان سلاطين بنى نصر يعينون قضاة الاقاليم ويصدرون الظهائر بذلك دون الرجوع الى قاضى الجماعة بالعاصمة (١) . وهذه نقطة اختلاف رئيسية بين قاضى الجماعة فى الاندلس وقاضى القضاة فى المشرق الذى كان هو المتصرف فى القضاة تعيينا وعزلا .

وكان قاضى الجماعة او قاضى الحضرة الملكية يعتبر المستشار الدينى للسلطان وحلقة الاتصال بينه وبين قضاة الاقاليم ولهذا كان يراعى فيه السمعة الطيبة ، والكفاءة ، والتفقه فى أمور الدين . وفى الغالب كان السلطان يقدم لهذا المنصب الرفيع احد قضاة الاقاليم المخلصين للذات الملكية أو كانت جدارته وصفاته تؤهله لهذا المنصب الخطير . مثال ذلك نجد ان محمداً الثانى قد عين محمد بن محمد بن هشام قاضيا لألمرية ثم غرناطة لأنه رفض الخدمة لدى بنى اشقيلولة فى وادى آش (٢) . كما عين محمد الرابع ، محمد بن يحيى بن بكر الاشعرى ، الذى ينحدر من اسرة قيسية مشهورة ، وكان قد ذاع صيته فى مالقة بعد ان عين قاضيا هناك ، ثم انتقل قاضيا لغرناطة فقاضيا للجماعة (٣) . كذلك وضع ابو الحجاج يوسف الاول فى هذا المنصب احد قضاة الاقاليم المبرزين وهو محمد بن عياش المالقى الانصارى الخزرجى (٤) . كما تولى ابو البركات بن الحاج البلفيقى القضاء فى شبالس Jubiles فى اقليم غرناطة عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م وكذلك فى مالقة والمرية ، ثم عينه يوسف الاول قاضيا للجماعة فى شعبان عام ٧٤٧ هـ / يناير ١٣٤٧ م بعد ان اعجب بنزاهته وميله الى الأدب (٥) . كذلك تولى احمد بن جزى الكلبى (ولد عام ٧١٥ هـ) القضاء ببرجة ثم بأندرش فوادى آش ، فكان مشكور السيرة ، معروف النزاهة ،ووضع تقييدا فى الفقه اسماه " القوانين الفقهية " " ورجز فى

---

(١) انظر على سبيل المثال ظهير تعيين ابى الحسن النباهى قاضيا فى نفح الطيب جـ ٧ ص ٥٩ - ٦٢ .

(٢) النباهى : المرقبة العليا : ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) النباهى : المرقبة العليا : ص ١٤١ - ١٤٥ .

(٤) النباهى : المرقبة العليا : ص ٢٠ - ٢١ ، ١٤٨ .

(٥) النباهى : المرقبة العليا : ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٠٢ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الرابع ص ١٥٥ - ١٥٧ ترجمة رقم ٤١٤ .

الفرائض " فقدم قاضياً بغرناطة وخطيبا للمسجد السلطانى بها (١) .

واحيانا كان قاضى الجماعة يرشح لوظيفة مدنية مثال ذلك محمد بن عاصم الذى عمل قاضيا للجماعة ثم كاتبا (٢) .

وما دمنا فى معرض الحديث عن نظام القضاء فى مملكة غرناطة فينبغى الاشارة الى نظام الشهود العدول .

الشهود العدول

العدل فى النظام القضائى بالاندلس ، هو موظف قضائى مهمته صياغة الوثائق التى يطلبها المتقاضون من عقود زواج وطلاق ، ومهر ، وهبات واحسان ، واحباس ، وصفقات تجارية ، ثم يقرر القاضى صحة هذه الوثائق . وكان العدل لا يباشر مهمته الا بعد ان يقوم القاضى " بتعديله " بمعنى اثبات انه عدل ، وبذلك يصبح اهلا للتوثيق (٣) ، وينتظم فى " سلوك العدول " (٤) .

وكان القضاة يتشددون مع هؤلاء الشهود ، فهذا هو القاضى محمد بن يحيى ابن محمد .... ابن سعد الاشعرى (ت ٧٤١ هـ) تولى القضاء فى غرناطة " فصدع بالحق وبهرج الشهود فزيف منهم اكثر من سبعين نفسا وناله بذلك مشقة شديدة واستمر على رأيه ولم يقبل فى واحد منهم شفاعة (٥) " .

وكان للموثقين حوانيت فى مكان يعرف بـ " سماط شهود غرناطة " (٦) .

وكان لابد للعدل ان يكون " بصيرا بالشروط عارفا بالقضاء والاحكام مطلعا عليها " (٧) ، على علم باللغة العربية ، جميل الخط ، يتمتع باسلوب انشائى يتفق مع مهمته (٨) ، على دراية كاملة بتقاليد وعادات الجهة التى كان يمارس فيها

---

(١) ابن الخطيب (عنان) جـ ١ ص ١٦٣ - ١٦٨ .

(٢) المقرى : ازهار الرياض جـ ١ ص ١٧٦ .

(٣) الخشنى : قضاة قرطبة (القاهرة) ص ١٤١ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ ح٣ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الاول ص ٢٠٤ ترجمة رقم ٥٢٧ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق ، السفر الرابع ص ٢٨٤ ، ترجمة رقم ٨٠١ .

(٦) ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٣٠٨ ح١ ، الازدى : مقامة العيد ، نشر : احمد مختار العبادى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثانى ١٣٧٣ / ١٩٥٤ العددان ١ - ٢ ص ١٧٠ .

(٧) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٨) ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الاول تراجم ٤٦٣ ، ٤٨٤ .

مهام وظيفته ، متعمقا فى العلوم الرياضية والقواعد الشرعية والميراث (١) .

وقد تشدد المذهب المالكى فى ضرورة وجود هؤلاء العدول اثناء اجراء المحاكمة و " عد العلماء فى أدب القضاء ان يكون الحكم بمحضر عدول ، ليحفظوا اقرار الخصومة خشية رجوع بعضهم عن مقالتهم " (٢) . وحرص القضاة فى غرناطة على تطبيق هذا الامر . من هؤلاء نذكر القاضى يخيى بن مسعود المحاربى الذى " كان لا يخط بعقد علامة بثبوتة عنده الا بعد شهادة اربعة من العدول " (٣) .

وكثيراما كان شاهد العدل ينتقل الى احدى الوظائف العليا مثال ذلك ابن المحروق الذى كان عدلا قبل ان يصبح كاتبا ثم وكيلا فى عهد السلطان ابى الجيوش نصر (٤) . وقد وضع ابن الخطيب رسالة هجا فيها مهنة التوثيق اسماها " مثلى الوثيقة فى ذم الوثيقة " واتهمهم ببيع شهادتهم (٥) .

الحسبة فى مملكة غرناطة

الحسبة منصب دينى خلقى ، اساسه الامر بالمعروف اذا ظهر تركه ، والنهى عن المنكر اذا ظهرفعله ، حيث ورد ذكر ذلك فى القرآن الكريم " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " . ثم ما لبثت الحسبة ان تعدت المعنى الدينى والخلقى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى واجبات عملية مادية تتفق مع المصالح العامة للمسلمين . وفى رأى الفقهاء ان الحسبة تعتبر أشبه بخدمة اجتماعية واقتصادية لسكان المدن ، حيث نلمس فيها بذرة النظام البلدى الحديث .

فمن ناحية ، تناولت الحسبة امورا اجتماعية متعددة مثل : المحافظة على نظافة الطرق ، والرأفة بالحيوان بان لايحمل مالا يطيق ، ورعاية الصحة العامة ،

---

(١) ابن حجر العسقلانى : الدرر - السفر الاول ترجمة رقم ٦٤٩ .

(٢) النباهى : المرقبة العليا ص ١٩٢ .

(٣) النباهى : المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق السفر الثالث ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ترجمة رقم ٩٦٣ .

(٥) طبع هذا الكتاب فى المانيا الغربية مع ترجمة له باللغة الالمانية ونشره الاستاذ عبد الحميد تركى فى عام ١٩٦٩ ، وقد اشار المقرى الى هذا الكتاب ونقل عنه . انظر المقرى : نفح جـ ٩ ص ٣٠٥ ، ازهار الرياض جـ ١ ص ١٨٩ ، انظر كذلك مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثانى عشر الجزء الثانى ، شعبان ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ ص ١١٣ - ١٣٢ .

والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها . ومنع معلمي الصبية من ضرب الاطفال ضربا مبرحا ، ومراقبة الحانات وشاربي الخمر وتبرج النساء والصور المحرمات ، ومنع النساء من اتباع الجنائز وزيارة القبور والخروج الا مع محرم ، ومنع اختلاط النساء بالرجال ، ومنع أهل الذمة من الاشراف على المسلمين ، واظهار الخمر والخنازير في الاسواق ، ومنعهم من ركوب الخيل والتزيي بزي المسلمين ، وينصب عليهم علما يمتازون به ويمنع المسلمون من القيام لهم باعمال فيها اذلال كطرح الكناسة ونقل الات الخمر ورعاية الخنزير (١) . وبعبارة كل ما يتعلق بالمجتمع واخلاقه وتقاليده .

ومن جانب آخر تناولت الحسبة الجانب الاقتصادي ، فكان يدخل في عمل المحتسب منع الغش والتدليس في الصناعات والمعاملات التجارية ، وبخاصة الاشراف على الموازين والمكاييل وصحتها ونسبها (٢) . وكان عليه ان ينهى " عن خلط العقار الطيب بالدون ، والاشياء الهندية بالبلدية ، وبيعها لمن لا يميزها ويفرق بينها " ، ويمنع الكتانيين من رش الكتان بالماء حتى لا يثقل وزنه بسبب الرطوبة ، ويمنع الحناطون من خلط الدقيق الجيد بالرديء كما يشرف على اعمال الخبازين ، والفرانين ، واللبانين ، والجزارين ، والطباخين ، وباعة السمك والجبن ، وصانعي الهريس ، والقراقين .... (٣) وتسعير ما يجوز تسعيره ، ويراقب بيع الاشياء المحرمات على اختلاف انواعها (٤) .

وكان المحتسب يقيم الحدود فيروي ابن الخطيب ان صاحب السوق ابا بكر ابن الاشبرون "لقي سكرانا من الجند فقبض عليه واشتد في حده وبالغ في نكاله" (٥) .

وقد اورد لنا المقري في نفح الطيب نقلا عن ابن سعيد المغربي ، وصفا طريفا لعمل المحتسب فقال : " والعادة فيه ان يمشي بنفسه راكبا على الاسواق ، وأعوانه

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، رسالة عمر الجرسيفي في ثلاث رسائل ص ١٢٠ وما بعدها ، الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة . تحقيق الباز العريني القاهرة ١٣٦٥ / ١٩٤٦ ص ١٨ - ٢٠ .

(٢) الشيزري : المصدر السابق ص ١٨ - ٢٠ .

(٣) رسالة ابن عبد الرؤف في ثلاث رسائل ص ٨٦ وما بعدها .

(٤) رسالة عمر الجرسيفي في ثلاث رسائل ص ١٢٠ وما بعدها كذلك : Pedro chalmeta : El Senor Del zoco En Espana (Madrid 1973) p. 451 y sig.

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٠ - ٤١ .

معه ، وميزانه الذى يزن به الخبز فى يد أحد الاعوان ، لأن الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم ، وكذلك للشمن ، وفى ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاع الصبى الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق فى معرفة الاوزان ، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ، ولا يجسر الجزار ان يبيع بأكثر من دون ما حد له المحتسب فى الورقة ، ولا يكاد تخفى خيانته ، فان المحتسب يدس عليه صبياً أو جارية - يبتاع أحدهما منه ، ثم يختبر الورق المحتسب ، فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس ، فلا تسل عما يلقى ، وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس (١) فى الاسواق نفى من البلد ، ولهم فى اوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدراس احكام الفقه " (٢) .

وكانت هناك شروط يجب توافرها فى المحتسب ، فلابد ان " يكون رجلا عفيفا ، خيرا ، ورعا ، غنيا ، نبيلا ، عارفا بالامور ، محنكا ، فطنا ، لا يميل ، ولا يرتشى فتسقط هيبته ، ويستخف به ، ولا يعبأ به ويتوبخ معه المقدم له ، ولا يستعمل فى ذلك خساس الناس ، ولا من يريد ان يأكل اموال الناس بالباطل والمهونة ، لأنه لا يهاب الا من كان له مال وحسب " (٣) وفى غرناطة كان يطلق على المحتسب احيانا " صاحب السوق " كما عرفت " الحسبة " باسم " خطة السوق " (٤) ، واحيانا كان يجمع بين خطة السوق والشرطة (٥) . وقد بلغ من اهمية الحسبة فى غرناطة ان انتقل بعض المحتسبين من وظيفة الحسبة الى القضاء مثال ذلك ابو بكر محمد الاشبرون (٦) .

---

(١) الاصل فى هذه المادة الجرس المعلوم ، وهو اداة من ادوات الاعلان والتشهير ، ثم قالوا جرس فلان فلانا ، اذا فضحه وشهر به وأعلن على الملأ مساويه ونده عليه بها ، وكأنما وضع فى رقبته جرسا فشهره .

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٣) ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة . نشرها ليفى بروفنسال فى ثلاث رسائل اندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب ص ٢٠ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٠ - ٤١ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٦٨ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤١ .

(٦) ابن الخطيب : الأحاطة (عنان) جـ ١ص ٥٦٨ ، النباهى : المرقبة العليا ص ١٢٥ .

وقد انتقل نظام الحسبة من الاندلس الى اسبانيا المسيحية ، فنجد المحتسب يذكر في مراسيم الملوك وهو يسمى ALMOTACEN ، ومهمته كما تحددها النصوص الاسبانية ، مراقبة الموازين والمكاييل ، واحيانا كان يسمى هناك صاحب السوق ، وشيئا فشيئا اتسع اختصاص المحتسب في النظم الاسبانية حتى شمل جميع اختصاصاته التي تمنحه اياها النظم الاسلامية ولهذا اصبحت كتب الحسبة الاسبانية نوافذ مفتوحة على الحياة الجارية . وفي خلال القرون الحادي عشر والثاني عشر ، والثالث عشر كانت هذه الكتب تسمى كتب الاوامر LIBROS DE ORDENANZAS ثم أصبحت تسمى بالـFUEROS أي المراسيم الادارية ، واستمر ذلك الى آخر القرن السادس عشر ، وكانت تسير محاذية لكتب الحسبة الاسلامية بل متطابقة معها . وكانت كتب الحسبة الاسلامية تترجم الى لغات شبه الجزيرة لتدخل في المراسيم الاسبانية ، وكانت الترجمة تتم حرفيا حتى أنهم لم يكن يستبعدون ما لا يتفق مع نظم المجتمع الاسباني المسيحي ، وكان يشترط فيمن يرشح لشغل وظيفة المحتسب ان يكون قد اقام في البلد سنة ويوما اقامة مستمرة وان يكون له فيها بيت وان يمتلك حصانا ، ويكون التعيين لمدة سنة تبدأ من يوم مولد القديس يوسف El Diá de San José (في ١٩ مارس) . غير انه تجدر الاشارة هنا الى ان المحتسب المسلم كان اعلى مرتبة من المحتسب المسيحي وأهم مكانة ، فبينما كان المحتسب في غرناطة الاسلامية معدودا في مستوى القضاة وكان لابد ان يكون من أهل العلم والفقه ، وله راتب ثابت . نجد ان المحتسب في اسبانيا المسيحية كان موظفا اداريا صرفا لا يشترط لديه من العلم اكثر من معرفته بالمنشورات والقواعد التي تطبق في السوق (١) . وفي ارشيف كاتدرائية طليطلة من القرن الثالث عشر ، نجد اسماء ثلاثة ولاة لضبط الموازين هم : دومنجو استيبان Domingo Esteban ودومنجو اسار Domingo Assar ودومنجو ميكائيل بن روى دياث Doingo Micael ben Ruy DIAZ (٢) .

---

(١) بدروشالميتا : الحسبة الاندلسية كما ترى من خلال المراسيم الملكية الاسبانية . محاضرة القاها بمدينة بلنسية في ١٥ / ١٢ / ١٩٦٥ .

(٢) ليفي بروفنسال : محاضرات في ادب الاندلس وتاريخها ص ٨٨ .

وفى بلنسبة كان المحتسب فى القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر غالبا ما يختار من بين مسلمى الاقليم (١) . وكان يدخل فى اختصاصه الاشراف على الصحة العامة ومراقبة أصحاب الحرف والمنتجات الغذائية ، ومراعاة الاحترام للأعياد الدينية الاسلامية والمسيحية . وفى مرسية كان يوجد ALMOTACEN فى عام ١٢٧٢ فى عهد الفونسو العاشر (٢) . كما تم تعيين اثنين من المحتسبين فى مالقة بعد سقوطها فى يد الملكين الكاثوليكيين (٣) .

ومن الجدير بالذكر ان وظيفة المحتسب انتقلت الى المغرب الاسلامى بنفس الاسم والمدلول والمهام ، ومازالت موجودة هناك الى وقتنا هذا .

الشرطة فى مملكة غرناطة

كانت مهمة الشرطة تتلخص فى العمل على حفظ النظام واستقرار الامن ومطاردة المجرمين وأهل الفساد ، وتنفيذ العقوبات ، وتوجيه الاتهام والتحقيق وتوقيع العقوبة على المجرمين فى المخالفات المدنية التى كانت لا تدخل فى اختصاص القاضى الشرعى (٤) ، واقامة الحد على الزنى وشرب الخمر (٥) . ويذكر ابن خلدون ان وظيفة الشرطة قد انقسمت الى قسمين : منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ، ونصب لذلك فى هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ، ويسمى تارة باسم الوالى، وتارة باسم الشرطة ، وبقى قسم التعاويز واقامة الحدود فى الجرائم الثابتة شرعا ، فجمع ذلك للقاضى مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفة ولايته " . (٦)

---

(١) أنظر كتاب :
llancisco Sevillano Colom : Valencia Urbana Medieval A Trav´es Del Oficio De Mustacaf (Valencia 1957).

(٢) انظر : J. Torres Fontes : La hacienda Conoejil de Murcia en : el siglo XIV . (Anuario de Historia del Derecho espanol, Madrid 1956, p. 3) .

(٣) انـظـر F. Bejarano Robles : Fundación de Hacienda municipal de Málaga por los: Reyes Católicos . (Málaga 1951) pp. 20-22.

(٤) بروفنسال : محاضرات فى أدب الاندلس وتاريخها ص ٨١ .

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ٢٠٣ .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

كذلك كان السوق يدخل في ميدان عمل الشرطي ، فيقوم بالمحافظة على الامن والنظام ، ويطرد الباعة المذنبين وذلك بأمر من المحتسب أو الامين (١) .

وكان يطلق على قائد الشرطة في غرناطة اسم " صاحب الشرطة " (٢) ، رصاحب المدينة أو " صاحب الليل " (٣) ويعاونه في تنفيذ مهمته جماعات من الحراس التي كانت تجوب انحاء المدينة ، وتشرف على حفظ الامن يعرفون في غرناطة باسم الدرابين ، لأن كل مدينة كان لها " دروب باغلاق (٤) ، تغلق بعد العتمة ، ولكل زقاق بائت فيه له سرج معلق ، وكلب يسهر ، وسلاح معد وذلك لشطارة عامتها ، وكثرة شرهم ، واعيائهم في أمور التلصص " (٥) .

كذلك كانت الشرطة في غرناطة تتبع نظام التجسس بين الناس بأن يراقب كل واحد منهم الآخر بحيث يكون " بعضهم على بعض عيونا ساهرة تبحث عن كل خافية وظاهرة " (٦) .

ويفهم من النصوص انه كان هناك نوع من المراقبة السرية على الاقوال والاعمال ففي خطاب وجهه السلطان ابو الحجاج يوسف الاول الى ابي عنان فارس بمناسبة فرار أخيه الامير ابي الفضل محمد بن السلطان أبي الحسن المريني من مدينة غرناطة - وكان مبعدا اليها - الى بلاد النصارى ، كتب اليه يقول " عرفنا مقامكم الاعلى بما عندنا من صرف نظر الملاحظة الى من لدينا من أخوتكم وبني عمكم بحيث لا يبرح رقيبها ولا تختل ترتيبها واننا نصل التفقد لاحوالهم ونذكي العيون على اقوالهم واعمالهم (٧) " .

وكانت هناك الشرطة العليا والشرطة السفلى ، ويرى المؤرخون ان الاولى كان

---

(١) الازدي : مقامة العيد نشر د. أحمد مختار العبادي . صحيفة المعهد المصري بمدريد ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ١٦٧ .

(٢) الازدي : مقامة العيد ص ١١١ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢١٥ ، المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٤) الاغلاق : جمع غلق - بفتح العين واللام جميعا - وهو القفل ونحوه .

(٥) المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٦) انظر : Gaspar Remiro : Correspondencia (Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada ano 11 núm 3 p. 164)

(٧) Gaspar Remiro : Op. cit. p. 163 .

يدخل فى اختصاصها النظر فيما يقع من جرائم الطبقات العليا فى الدولة ، وكان مقرها باب السلطان . اما الثانية فكانت تختص بجرائم العامة ، وهناك من يرجع هذا التقسيم الى أصل جغرافى فيذكر أن الشرطة العليا هى التى كانت تختص بأعلى المدينة ، والشرطة السفلى هى التى كانت تنظر فى قضايا اسفل المدينة ، وكان مقرها عند باب الشريعة أو باب المسجد (١) .

ويفهم من النصوص انه كان للشرطة زى خاص وان كانت هذه النصوص لم تذكر لنا للأسف وصفا لهذا الزى (٢) .

وكان هناك كاتب للشرطة يجب عليه " ان يعرف القصاص والجراحات ، وموضع الحدود ، ومواقع العفو فى الجنايات " (٣) .

واحيانا كان يتم الجمع بين الشرطة والحسبة ، مثال ذلك ابو بكر محمد بن فتح بن على الاشبرون فى عهد محمد الفقيه (٤) .

وكانت العقوبات التى توقع على الجناة تختلف باختلاف ما ارتكبوه ، ومنها التوبيخ بالقول والدلك الخفيف والفصد ،ووضع المحاجم والكى وتبرد الشريان ، والتعزير بان يجرد من ثيابه الا ما يستر عورته ويشهر فى الناس ، وينادى عليه بذنبه ، ويجوز ان يحلق شعره ولا تحلق لحيته أو يسخم وجهه ، والتشهير والتجريس بأن يوضع اعلاه جرس (٥) ، والجلد بالسوط أو الدرة (٦) ، والحبس فى المطبق (٧) أو النفى من البلاد لمن يكون جرمه كبيرا (٨) . وكان هناك الصلب (٩) ، والاعدام بالاغراق فى البحر (١٠) .

---

(١) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٠٥ متن وح٢ ، ص٣٣١ متن وح٦ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥١ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥٣٣ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الثالث ص ٣٩١ - ٣٩٢ ترجمة ١٠٣٠ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١ ص ١٤٣ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٠ - ٤١ ، النباهى : المرقبة ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٥) ثلاث رسائل اندلسية فى اداب الحسبة والمحتسب ص ١٢٧ - ١٢٨ ، والمقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٦) المصدر السابق : ص ١٢٧ والدرة تكون من جلد البقر أو الجمل .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٤٢٣ - ٤٢٥ .

(٨) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٩) ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الاول ص ١٣٩ ترجمة رقم ٣٩٤ .

(١٠) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٠٩ .

وكان بالحمراء سجن للمسجونين السياسيين (١) .

وكان من حق صاحب الشرطة توقيع عقوبة الاعدام على الجانى دون استئذان السلطان اذا كان عظيم القدر عنده (٢) .

نظـــام الادارة فى الاقاليم

ليس من الميسور ان نرسم صورة دقيقة للتقسيم الادارى لمملكة غرناطة فى عهد بنى نصر، أو نظام الحكم المحلى فى تلك الاقسام الادارية ، فالمصادر لا تشير الى هذا الموضوع ، وكل ما يمكننا القيام به هو محاولة استقراء النزر اليسير من المعلومات من ثنايا الاخبار التاريخية .

كانت غرناطة كما يذكر ابن الخطيب تنقسم الى ثلاث كور هى البيرة ورية والمرية (٣) ، وثلاثة وثلاثين اقليما (٤) .

كذلك يظهر فى التقسيم الادارى لمملكة غرناطة اصطلاح آخر هو أرش : مثل أرش قيس (أقليم برشانة ومندوجر) ، وأرش اليمن حيث توجد المرية ، وأرش اليمانية ، وأرش اليمنيين حيث توجد مدينة وادى آش ، ولفظ أرش يشير الى تلك الاقطاعات التى منحها الأمويون فى الأندلس الى تلك القبائل العربية عند توطينهم هناك (٥) .

يظهر كذلك اصطلاح قنب بمعنى اقليم (مثل قنب قيس وقنب اليمن) (٦)هذا

---

(١) انظر : Gaspar Remiro : Op. cit. ano 11, núm 3 p. 164

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٩١ . هذا وقد قسمت الاندلس اداريا الى كور جمع (كورة) على نحو ما كان متبعا فى مصر والشام فى صدر الاسلام ، وكورة لفظة يونانية الاصل من Curia ، وكانت تقابل Pa-garchie فى النظام البيزنطى ويعرف ياقوت الكورة بانها : " كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة . وقد ظهر اصطلاح كورة فى الاندلس لأول مرة فى عهد الوالى ابى الخطار حسام بن ضرار الكلبى وذلك عندما اراد ان يجد حلا للجند الشاميين الذين دخلوا الاندلس عام ١٢٣ هـ مع بلج بن بشر القشيرى انظر المغرب جـ٢ ص ٣٠-٣١؛ ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٣٦ ، وكذلك ، ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢، ص ٣٠ - ٣١ . Provencal : Hist Esp. mus. t 111, p. 48

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٨ - ١٩ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ١ (عنان) ص ١٠٨ وما بعدها .

(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٨ - ١٩ وكذلك Francisoo Javier Simonet : Discripcion del Reino de Granada Sacada de los Autores Arábigos (Granada 1872) p. 5

اللفظ مشتق من اللاتينية Campus أو الرومانية Campo أو الاسبانية Campos بمعنى الحقول والسهول (١) . واصطلاح البراجلة والبرجلات (من اللاتينية) Parcella (٢) مثل برجيلة أندرة وبرجيلة قيس وبرجيلة ابى جرير وبرجيلة البنيول Abuneles (٣)هناك ايضا اقليم الفحص (بالاسبانية Alfoz) الذى كان يحيط بالمدينة من الجنوب الغربى ويحتوى على مائة واربعين قرية (٤)ومنها بالاسبانية Alquería) .

وهناك اصطلاح " عمل " (٥)، وحوز مثل حوز الساعدين (اليوم Zaidin) فى جنوب غرناطة (٦) . وحوز وتر (٧)(اليوم HUETOR DE LA VEGA) ويقابلنا فى وثائق القرن التاسع الهجرى (١٥م) ، اصطلاح اخر هو " طاعة " بمعنى اقليم وخاصة فى اقليم البشرات الجبلى (٨) ، كذلك يقابلنا اصطلاح فج مثل فج اللوز (الان Fajalauza) . (٩)

وقد وضعت التقسيمات الادارية أو الولايات (١٠) فى مملكة بنى الاحمر تحت امرة حاكم كان يقيم فى قصبة الاقليم ، ويسمى العامل أو الوالى (١١)،أو وزير فى آخر ايام المملكة (١٢) .

ولقد رأت الحكومة المركزية فى غرناطة ان تخفف من اختصاصاتها ، فكان كل رئيس او قريب للسلطان أو صاحب المدينة أو القلعة ، تابعا اقطاعيا لسلطان

---

(١) محمد عبد الله عنان : جغرافية الاندلس والمصطلحات الجغرافية الاندلسية . مجلة تطوان ٣ - ٤ ١٩٥٨ - ١٩٥٩ ص ٢٧ - ٤٧ .

(٢) انظر : Dozy : Supplément , 1 p. 65 .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٨ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٢١ - ١٣٩ .

(٥) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٣٠٣ وكذلك : Dozy : Suppl . 11, p. 175

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٣٢ وكذلك : Dozy : Suppl. 1, p. 335

(٧) ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الرابع ص ٢٤٨ ترجمة رقم ٦٧٤ .

(٨) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ، وثيقة رقم ٥٧ ص ١٠٠ ، Dozy, 11 p. 68

(٩) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٧٩ - ٨٠ .

(١٠) ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الرابع ص ٢٤٨ ترجمة رقم ٦٧٤ .

(١١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة رقم ٤٠ - ٤١ ، ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق س الاول ترجمة رقم ٩٤٨ ص ٣٧٥ - ٣٧٧ .

(١٢) لويس سيكودى بوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ المجلدان ٧ - ٨ ص ٨٥ - ١٠٨ .

غرناطة ، له استقلال واسع فى المناطق الخاضعة لسيادته (١) . اما المناطق التى كان يصعب على السلاطين اخضاعها فقد سلموا ادارتها الى قادة عسكريين ، كان يطيع الواحد منهم من ألف الى ألفين من الاتباع (٢) .

وكان حكام بعض الاقاليم يتخذون لهم وزراء ، من هؤلاء نذكر الامير ابا سعيد امير مالقة الذى كان له وزير هو محمد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى الحميرى المالقى (٣) . كما كانوا يتخذون لهم كتابا فنسمع عن جد ابن الحاج النميرى الغرناطى الذى كتب للرؤساء من بنى اشقيلولة بوادى آش وضبط المهم من اعمالهم (٤) . كذلك كان ابو على حسين بن يوسف بن عبد السلام الخزرجى الغرناطى يعمل كاتبا باندرش (٥) .

وكان لكل مدينة مشرف (٦) ، ومقرة دار الاشراف (٧) ، وهو الموظف المالى المختص بجمع الايجارات والضرائب الخاصة بممتلكات السلطان (ناظر الخاصة الملكية) كذلك فقد اطلق اسم المشرف ايضا على المفتش الذى يجبى الرسوم المستحقة على البضائع الصادرة من الاندلس أو الواردة اليها ، وقد انتقلت هذه الوظيفة بلفظها ومعناها الى الممالك المسيحية الاسبانية تحت اسم ALM´OXARIF ثم حورت الى ALM´OjARIFE (٨) .

وقد قام محمد الخامس بتعيين نواب له من أهل العلم والعدالة والدين والجلالة مهمتهم " التطوف بالبلاد الاندلسية ، ومباشرة الامور بالإيالة النصرية ،

---

(١) انظر : José María Casciaro : El Visirato en el Reino Nazari de Granada p. 4 - 15 .

(٢) انظر : Murmol p. 189 .

(٣) ابن الاحمر : مستودع العلامة ص ٦٥ - ٦٨ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٣٥٠ ، وابن حجر العسقلانى : السفر الاول ترجمة رقم ٦٩ ص ٢٨ - ٢٩ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٢١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٨٧ - ٩٢ .

(٥) ابن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص ٢٠٥ ، ابن الأحمر : نثير فرائد الجمان ص ٣٠٨ .

(٦) الازدى : تحفة المغترب ص ٧٤ - ٧٧ .
، ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ١٥٧ ، ١٦٤ ، ٣٣٨ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٤٦ .

(٨) انظر : Leopoldo de Eguilaz : Etimología de Las pálabras espanolas de origen oriental p. 255 (Granada 1886) & Diccionario de la Lengua Espanola.

ينهون الينا ما يستطلعونه ، ويبلغون من المصالح ما يتعرفونه ، ويقيدون ما تحتاج اليه الثغور (١) .... وسيرة القواد ، وولاة الاحكام بالبلاد " (٢) .

---

(١) انظر : M. Gaspar Remiro : Op. cit. ano V. núm 3 p. 139 .

(٢) انظر : IBID p. 141 .

الحياة الحربية في مملكة غرناطة

الروح الحربية

لدى الشعب الغرناطي

كان لاضطراب الأحوال السياسية في مملكة غرناطة، ولاستمرار الصراع غير المتكافئ بينها وبين ممالك أسبانيا المسيحية، أن شعر أهلها بأنهم كالغرباء في بقعة من الأرض محاطة بالبحر وبالأعداء. وتعكس كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين مثل هذا الشعور حتى قبل سقوط غرناطة بزمن طويل، فابن الخطيب (ت ٧٧٦ / ١٣٧٤) يدعو الله أن يعينهم على إقامة الدين في «هذا الوطن الغريب» [١] وان «الله تعالى ولي هذه الأمة الغريبة»[٢]، ويصف أهل الاندلس «بالأمم الغريبة» و«وطننا الغريب»[٣]، وأنها البلاد «التي خلص لله انفرادها وانقطاعها»[٤]، وأنها «بلد محصور، وبين لحي أسد هصور»[٥]، و«القطر الوحيد، المنقطع بين الأمم الظافرة، والبحور الزاخرة، والمرام البعيدة»[٦]، وأن «عدد المسلمين لا يبلغ من عدد الكفار عشر المعشار، ولا وبرة من جلود العشار»[٧] بل أنه ينصح أبناءه بأن لا يحصلوا على عقارات ثابتة، وإنما ينفقون أموالهم في أشياء منقولة يستطيعون نقلها معهم بسهولة في حالة غزو الأعداء، حيث يقول لهم «ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد، الذي لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع في العقار، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار، وساعيا لنفسه أن تغلب العد وعلى بلده في

---

(١) المقري : نفح الطيب جـ ٦ ص ١٦٦، جـ ١٠ ص ٢٥٩، أزهار الرياض جـ ١ ص ٣٣٤ .

(٢) المقري نفح الطيب جـ٦ ص ١٨٦ .

(٣) المقري : نفسه جـ ٩ ص ١٨٦ .

(٤) المقري نفسه جـ ٩ ص ٥٣ – ٥٤ .

(٥) المقري : نفسه جـ ١٠ ص ٢٣٧ .

(٦) انظر: Gaspar Remiro: Op. Cit. ano núm 3 p. 246

(٧) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٧ ص ٥١ .

الافتضاح والإفتقار، ومعوقا عن الانتقال أمام النوب الثقال»[١] . كما أن ولده عليًا يصف الاندلس بأنه «الوطن الذي احاط به العدو والبحر» [٢] . كذلك يذكر الشاعر الغرناطي ابراهيم بن الحاج في طلب المساعدة من تلمسان «ساعد هذا البلد الغريب»[٣] . ومن المحتمل أن تكون كلمة «غرباء» التي تكررت في كتابات الغرناطيين في تلك الفترة لها علاقة بحديث النبي عليه الصلاة والسلام «ولد الاسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدا فطوبى للغرباء»[٤] .

ومما لا شك فيه أن وجود مملكة غرناطة بين ثلاث دول مسيحية هي قشتالة وأراجون والبرتغال جعل الشعب الغرناطي دائم الاستعداد للقتال والزود عن حياضه، حتى أنهم كانوا يخرجون إلى الفحوص في أيام الأعياد حاملين أسلحتهم معهم لقربهم من أرض العدو، وتعرضهم لغزواته في أي وقت[٥] .وقد أشار الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب إلى الإعداد الحربي للشباب في غرناطة بقوله «والصبيان تدرب على العمل بالسلاح، وتعلم المثاقفة كما يعلم القرآن في الألواح»[٦] .

ومن الطريف أن هذه العبارة تتفق مع ما جاء في المصادر الاسبانية من أن جميع أفراد الشعب الغرناطي حتى الأطفال منهم قد اشتهروا بمهارتهم في استعمال القوس والنشاب وتربيش السهام إلى درجة أثارت اعجاب اعدائهم[٧] . ولعل الاحتفالات الشعبية التي تقام حتى اليوم في أسبانيا ويمثل فيها القتال بين المسلمين والمسيحيين أو ما يعرف باسم Moros y Cristianos تعطينا فكرة عن هذه الحياة الحربية التي

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٢٥٩، ازهار الرياض : جـ١ ص ٣٣٤ .

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٢٤٣ .

(٣) يحيى بن خلدون : بغية الرواد جـ ٢ ص ١١٧ ـ ١١٨ (الجزائر ١٩٠٣) .

(٤) انظر: Dr. A.M. Al Abbady: El Reino de Granada en la Época de Muhammad V.p.: 4 - 5.

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٩، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٤ .

(٦) انظر : Gaspar Remiro : Correspondencia p. 265 & El Abbadi : Op. Cit. p. 133 .

(٧) انظر: Pulgar: Reyes Cátolicos p. 250 & Prescot: History of Ferdinand and Isabella: p. 173 El Abbddi: Op. Cit. p. 133

سادت اسبانيا في العصر الوسيط[1] .

كذلك كان السلاطين يحرضون الشعب على الاستعداد للجهاد في سبيل الله، مثال ذلك السلطان محمد الخامس الذى أمر بأن يعمل سكان العاصمة على استكمال واجبات الجهاد، كما أمر بارشادهم إلى طريقة اعداد الخيل وتجهيز ريش السهام قبيل الرمي[2] . وجمع الصدقات لبناء حصن فارة ليكون «أعاضة للمسافرين، وانجادا للكافرين»[3] .

ويذكر Fermandode Pulgar عند حديثه عن حصار الملكين الكاثوليكيين لرندة عام ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥م ان سكان هذه المدينة كانوا مدربين على استعمال القسي منذ سن الشباب وان مهارتهم قد ظهرت اثناء هذا الحصار[4] .

كذلك كان الشعب الغرناطي وامراؤه يهتمون بالفروسية والطعن والضرب[5] ، و«بمعاناة الحروب ومعالجة الآتها والنظر في مهماتها»[6] . وبلغ من اهتمامهم بأمور الحرب ان كانوا «يقدمون من قدمته شجاعته، وعظمت في الحرب نكايته، فشجع الجبان، وأقدم الهيبان»[7] .

واخذ العلماء في تحريض الناس على الجهاد والاستعداد له[8] ، فهذا أبو مروان اليحانسي قد توجه إلى مراكش «برسم استنفار القبائل للغزو ببلاد الاندلس» في

---

(١) د. أحمد مختار العبادي: الاعياد في مملكة غرناطة ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) المقري : نفح الطيب : جـ ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٩، ٢٤٦ - ٢٤٧ وكذلك:
Gaspar Remiro : Correspondencia Op. Cit. ano Vnúm 1,2 p. 38 .

(٣) المقري : المصدر السابق جـ ٩ ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٤) انظر: Pulgar: Guerra de Granada p. 166

(٥) المقري: المصدر السابق جـ٤ ص ١٤٧ مثال ذلك الأمير فرج ولي عهد الفقيه الذي كان فارسا حاذقا على صغر سنه (ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٦).

(٦) المقري : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٤٧ .

(٧) المقري : نفح الطيب : جـ٤ ص ١٥٢ .

(٨) ابن الخطيب : وريحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) لوحات ٩٢ - ١٠٠، الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٢١ ، النباهي : نزهة البصائر في Müller p. 118، المقري : أزهار الرياض جـ ١ ص ٦٣، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٤٢، ٢٩٥ - ٢٩٦، ٢٩٩ - ٣٠٠، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٦٨ - ٦٩، ٢٣٧ - ٢٣٨ ، ٢٥٨ .

عهد أبي يوسف بن عبد الحق[1] . كذلك كان عبد المنعم بن على بن سدرا (يكنى أبا العرب ويعرف بالحاج وكان حيا عام ٦٦٣هـ) من أعظم الأسباب في جواز أهل المغرب لنصرة من بالاندلس في أول الدولة النصرية[2] ، كما كان لأبي الوليد التجيبي (ت ٧١٨هـ) «عدة كاملة من السلاح والخيل اعدها للغزاة من ماله»[3] . كما ان المتصوف محمد بن البكري المعروف بابن الحاج (ت بالمرية سنة ٧٢٥هـ) تطوع للخروج عند قيام الاراجونيين بحصار المرية ليطلب من السلطان النجدة فتيسر له ذلك[4] . كذلك نجد أن على بن لسان الدين بن الخطيب يطلب من الناس أن يتقنوا السلاح والعدة[5] . كما كتب القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى عن سلطانه، لتحريك القبائل للجهاد «بما يشحذ العزائم، ويوقظ النائم»[6] . وكان محمد بن يوسف اليحصبي الغرناطي (ت ٧٧٣هـ) الذى كان عارفا بالحديث والقراءات والفقه «يعين ضعفة الجند»[7] وتزخر كتب التراجم الخاصة بهذا العصر بأسماء العديد من العلماء الذين استشهدوا في معركة طريف عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م.

كذلك وضعت الكتب والمصنفات للحض على الجهاد، ووصف الاسلحة والمعدات الحربية، نذكر منها كتاب ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ) «رايات المبرزين وغايات المميزين»[8] ، «وكتابي ابن هذيل الأندلسي» حلية الفرسان وشعار الشجعان»[9] ، «وتحفة الانفس وشعار سكان الاندلس»[10] . وكتاب «سبيل الرشاد في فضل

---

(١) الازدى : تحفة المغترب ص ٧٠ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣) ابن حجر العسقلاني : الدرر السفر الثالث ص ٣٥٠ - ٣٥١ ترجمة رقم ٩٢٩ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٦٥ .

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٢٤٣ .

(٦) النباهي : المرقبة العليا ص ١٢٥ .

(٧) ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق : السفر الرابع ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ترجمة رقم ٨٢٩ .

(٨) نشره الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي (القاهرة ١٩٧٣) .

(٩) نشره الاستاذ محمد عبد الغني حسن (القاهرة ١٩٥١) .

(١٠) نشره مارسيه Louis Mercier : L'Ornement des Ames et la Devise do Habitants d'El Andalus (Paris 1939) .

الجهاد «لابن الزبير (ت ٧٨٠هـ)[١] . وكتاب «الحلل الموشية»[٢] ، لمؤلف مجهول من عصر السلطان محمد الخامس الغنى بالله، يتحدث فى مقدمته عن مفاخر هذا السلطان، ثم يفيض فى الحديث عن النجاح الحربى الذى حققه المرابطون والموحدون من قبل والخطط العسكرية التى اتبعوها، منتهزا الفرصة لتحريض الناس على الجهاد.

التحصينات والمنشآت الدفاعية

قام سلاطين غرناطة بإقامة الحصون، وتقوية الأسوار التى تحمى مدنهم، فعلى سبيل المثال نجد ان الحاجب رضوان قام بتأسيس السور الأعظم الذى كان يحيط بربض البيازين[٣] .ويتألف السور عادة من درب فى أعلاه يسير عليه المحاربون يسميه المؤرخون احيانًا ممشى السور، وشرفات يقذفون منها سهامهم ودورات يحتمون خلفها[٤] .

كذلك قام محمد الخامس باعادة تحصينات الحمراء التى خربت فى حوادث عام ١٣٦١ - ١٣٦٣[٥] .كما انفق ٢٠,٠٠٠ دينار من الذهب لتجديد قصبة أرجونة[٦].كذلك حفرت الخنادق حول المدن لاحكام تحصيناتها[٧] .وكان سكان الاقاليم التى تقع على الحدود يشاركون فى تأسيس هذه التحصينات والاسوار والاستحكامات، من ذلك ما يرويه أبو البركات بن الحاج البلفيقى من أن جده أبا

---

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٤٢، ابن القاضى : درة الحجال جـ١ ص ٤ .

(٢) نشره ادريس علوش (الرباط ١٩٣٦) كما نشر فى تونس عام ١٣٢٩ هـ. وترجمة المستشرق الاسبانى A mbrosio Huici Miranda إلى الاسبانية فى : La Colección de Crónicas árabes de al reconquista t. 1 (Tetuan 1952) .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥١٧ .

(٤) د. السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور بالاندلس ص ١٣٦ .

(٥)ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٣٠ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٣٠ . وكذلك : Dr. A.M. El Abbadi: El Reino de Granada p. 132 .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٣٠ .

اسحاق قد أسس الجزء الأكبر من اسوار مدينتهم بلفيق[1] .

بل كان سكان أقاليم الحدود يجبرون على دفع ضرائب معنية لتأسيس الاسوار والتحصينات لحماية حدودهم ضد هجمات الاعداء. ونجد أن فقهاء غرناطة مثل أبى اسحاق الشاطبى (ت فى غرناطة عام ٧٩٠ / ١٣٨٨) وافقوا على هذه الضرائب مبينين أنها كانت بهدف المصلحة العامة لكل سكان المنطقة[2] .

كذلك أقام الغرناطيون الأبراج المختلفة حول مدنهم للدفاع عنها، مثال ذلك مالقة التى كانت تمتاز « بالبروج التى شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء » [3] . وقد نقل الغرناطيون نظام البرج البرانى Albarranas [4] .

عن الموحدين وتوسعوا فى انشائه، وتروى المصادر ان القشتاليين قد استولوا قسرا على برج برانى فى أسوار أنتقيرة عام ٨١٣هـ / ١٤١٠م[5]. كما يذكرPulgar أنه كان بجانب ترسانة مالقة برج برانى عال قوى [6] .ثم انتقل نظام البرج البرانى إلى الجانب المسيحى حيث نجد أن القشتاليين، على سبيل المثال، قد قاموا بتأسيس ستة عشر برجا برانيًا فى مدينة طلبيرةTalavera de la Reina[7].

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ص ٢٩٨ . وكذلك :
Dr. El Abbady Op. Cit. p. 133 nota 2

(٢) انظر : Dr. El Abbady : Ibid. p 132 .

(٣) المقرى: نفح الطيب : جـ١ ص ٢٠٥ .

(٤) من الكلمة العربية البرانى انظر:
Dozy: Suppl. I pp. 61 - 62: & Leopoldo Torres Balbás: Las Torres Albarranas (Al Andalus Vol. VII (1942) P. 216 - 219
والأبراج البرانية ابتكار موحدى قصد بها تدعيم الستارة أو السور، فالبرج البرانى يرتبط بالسور الأصلى عن طريق ستارة ثانوية تسمى قورجة تستهدف غلق الطريق الأمامى أمام الأعداء فى اضعف مناطق السور. انظر (الدكتور السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول، ابريل ، مايو، يونيو ١٩٧٧ ، ص ١٢٩ .

(٥) انظر : L. Torres Balbás: Antequera Islamica. Al Andalus Vol. XVI (1951) fasc 2, p. 437.

(٦) انظر : Pulgar: Crónica de los Reyes Católicos II. p. 284

(٧) انظر: L.T. Balbás: Las Torres Albarranas p. 216 - 217

كما اهتم ملوك غرناطة باقامة ابراج المراقبة أو الطليعة Torres Atalayas[1].

على ارتفاع كبير يمكن منه مراقبة تحركات الأعداء، ولقد اهتم المسيحيون طوال حروبهم مع المسلمين بتدمير هذه الأبراج التى كانت تعوق تحركاتهم، مثال ذلك ما قام به رجال Alvaro de Luna´ فى عام ٨٣٥ / ١٤٣١ من محاصرة برج الطليعة فى Col de Lope دون نجاح، وقد سقط هذا البرج عام ٨٩١ / ١٤٨٦[2]. وقد تحمس سلاطين غرناطة لإقامة هذه الأبراج لتقوية الاستحكامات الدفاعية عن البلاد، فنجد ان محمداً الثالث قد أقام خمسة أبراج، كان أهل الريف يجدون فيها ملجأ من هجمات المسيحيين على فحص غرناطة[3]. كذلك فقد لاذ أهل مالقة بالفرار إلى أبراجهم حاملين منقولاتهم معهم عند حملة قشتالة على شرقية المدينة عام ٨٨٨ / ١٤٨٣[4]. كما يذكر Pulgar أنه كان فى بسطة فى عام ٨٩٥ / ١٤٨٩ ما يقرب من ألف برج صغير عند حصار الاسبان لها[5].

كذلك أقام سلاطين غرناطة ابراجا مستديرة لتعزيز الاستحكامات الدفاعية للمملكة[6]، وابراجا مربعة كانت تقام بين مسافة وأخرى من الستارة أكثر منها ارتفاعا بحيث تبرز إلى خارج المدينة مثل بعض ابراج غرناطة والمرية وقصبة مالقة وجبل فارو وجبل طارق[7].

كذلك فقد تميزت التحصينات النصرية باستخدام السور الامامى الذى ربما كان

---

(١) من الكلمة العربية الطليعة.

(٢) انظر: Crónica de D on Alvaro de Luna. Cap XXXV, p. 123 - 124 & Pulgar: Crónica de los Reyes Católicos Vol. II, Cap. CL XXXVIII, p. 229 .

(٣) انظر: Mármol: Historia de la rebelión, 2e éd, vol. I (Madrid 1797), Cap. VII, p. 25.

(٤) انظر: M. Diego de Valera: Crónica de los Reyes Católicos, ed J. de M. Carriazo, Cap. L I, p. 162 .

(٥) انظر: Pulgar: Op. Cit.: Vol. II, Cap. CCXXV, p. 372 .

(٦) مانويل جومث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا، ترجمة دكتور السيد عبد العزيز سالم ودكتور لطفى عبد البديع ص ٣٠٤ (القاهرة ١٩٦٨).

(٧) دكتور السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور بالاندلس ص ١٣٦ .

تأثيرا مسيحيا[١]. ففى غرناطة كان باب البيرة محميا بسور امامى هدم فى عام ١٦١٤م، كذلك كانت لوشة، وبسطة، وAlhenden والمرية محاطة باسوار أمامية قوية[٢].

الجيش الغرناطى

كان الجيش فى مملكة مثل غرناطة ـ يحيط بها الأعداء المتربصون من كل جانب عماد حياتها وضمان بقائها، وكان الجيش الغرناطى يتكون من عناصر مختلفة منها الاندلسى والبربرى والمماليك الذين كانوا يعملون كحرس خاص للسلطان، وكانوا من جنود يوجعون إلى أصل مسيحى يسميهم ابن الخطيب مماليك، وابن خلدون معلوجين[٣].

بالاضافة إلى هذا الجيش النظامى كان السلطان عند القتال يكتب إلى عماله ليقوموا بالحض على الجهاد واستنفار المتطوعة[٤] والمرتزقة[٥]. ويفهم من النصوص انه كان فى مملكة غرناطة عناصر من الجند من الاغزاز[٦]. ومن المعروف ان الموحدين قد استمالوا واصطنعوا عددا كبيرا من الجنود الغز الذين قدموا من مصر إلى المغرب بقيادة الأمير قراقوش التقوى على عهد صلاح الدين الأيوبى، ثم ارسلوا بعضهم إلى الأندلس برسم الجهاد، وفى البيان المغرب لابن عذارى نجد معلومات طريفة عن هؤلاء الاغزاز وحليهم وملابسهم[٧].

---

(١) انظر L.T. Balbás: Barbacanas. (Al Andalus Vol. XVI - 1951 pp. 454 - 480
و Barbacana (البربخانة) كلمة فارسية تعنى السور الامامى الذى يسبق الستارة الأساسية أو السور الأساسى. (انظر : دكتور السيد عبد العزيز سالم : بعض مصطلحات العمارة الاندلسية المغربية، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد. المجلد الخامس العددان ١ - ٢ ١٣٧٧ / ١٩٥٧ ص ٢١٤ - ٢٥٣ .

(٢) انظر Balbás : Op. Cit, pp. 468 - 470

(٣) انظر Dr. El Abbadi: El Reino de Granada p. 127

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٩ -٥٦، الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٢٩٨ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة)جـ ٢ ص ١٧ .

(٦) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٢٦١ .

(٧) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٣١١ ج ٢،
ابن عذارى : البيان المغرب؛ نشر هويسى ميراندا جـ ٣ ص ٢٠٨ .

بعد أن تمكن محمد بن يوسف بن نصر من تأسيس دولته بمساعدة أنصاره من أسرته من بني نصر، وأصهاره من بنى أشقيلولة، وبعض الفرسان الذين ينتسبون إلى اسرتين اندلسيتين عريقتين هما بنو صناديد من جيان، وبنى المول من قرطبة، كان هؤلاء هم نواة الجيش الغرناطي. ووضعت هذه القوات الغرناطية تحت قيادة قريب للاسرة المالكة أو احدى الشخصيات النابهة فى المملكة[1]. فنجد أن محمدا الأول يقوم بعد أن دخل غرناطة بتسليم قيادتها إلى صهره أبى الحسن بن اشقيلولة[2].

وكان الجيش الأندلسى يتكون من فرق مختلفة منها «رجل الأندلس وناشبتهم المعودين منازلة الحصون والمشاغرة بالرباط»[3]، ورجل البدو[4]، وفرق الرماة، وفرق الرجال الرامحة[5]، والفرسان [6]، كذلك كانت هناك فرق اندلسية تعمل فى المغرب عرفت باسم «رجل الاندلسيين»[7].

وكانت القيادة العامة للجيش فى الدولة النصرية، فى غرناطة العاصمة، ولها فروع فى المدن الهامة ذات الاستراتيجية العسكرية مثل وادى آش[8].

ويفهم من النصوص أنه كان للجيش الغرناطى أعلام حمراء واخرى من الوان مختلفة[9].

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٧، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٤٢ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢٨٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٢٨ . هذا ويعطينا ابن الحاج النميرى وصفا للمشاة الاندلسيين فيقول: «واما المشاة الاندلسيون فكان عليهم الاقبية المختلفة الألوان وفرق رؤسهم الرتافيل (يراد بها نوع من القلانس المذهبة)، قد اعتقلوا بالعصى الطوال، وثنوا بالامداس (النبال) وتقلدوا بالنبابيل (السهام) وما منهم الا من حملت عصاه راية تداعب هبات النسيم. انظر (النميرى: فيض العباب لوحة ٨٣ - ٨٦، المنونى نظم الدولة المرينية. مجلة البحث العلمى العدد الثانى السنة الأولى مايو / اغسطس ١٩٦٤ ص ٢٢٠ .

(٤) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٦١ .

(٥) انــظــر: Gaspar Remiro : Correspondencia Op. Cit. ano IV núm I p. 26 & L.T.
Balbás: Gibraltar, llave y Guarda de Espana (Al Andalus vol. VII, 1942, fasc. I p. 183

(٦) انظر : IBID ano V núm 1 - 2 p. 4

(٧) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٣٢٩ ، ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٨) ابن لاخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٩٢، العسقلانى : الدرر السفر الرابع ص ٤٠٤ ترجمة رقم ١١٠٩ .

(٩) ابن الأحمر : نثير فرائد الجمان ص ٢٧٥ . ويقول ابن زمرك فى مدح محمد الخامس (ازهار جـ ٢ ص ٩٥)

وكانت هذه الاعلام ذات اشكال مختلفة منها المربع والمستطيل والمثلث، وكانت لها عناصر زخرفية من أشكال هندسية مختلفة تبدو فى داخل خيامهم التى كانوا يقيمونها فى اثناء المعارك على شكل الناقوس[١]. ويبدو ان هذا اللون الأحمر قد استخدمه الاندلسيون فى عصر سابق على دولة بنى الأحمر. فقد ورد فى كتاب الحلل الموشية لمؤلف مجهول كيف أنه فى عصر المرابطين خرج الجيش الاندلسى للجهاد براية حمراء بجانب رايتهم البيضاء[٢].

وكانت قوات الجند تخضع لرقابة صارمة من ولاة الثغور، وكل جندى يتهم بالاهمال فى رعاية حصانه أوصيانة سلاحه، كان يحرم من راتبه. وعلى العكس كان يكافأ كل جندى يظهر اهتماما بمطيته أو معداته[٣].

ويروى ابن الخطيب ان أحد نقباء القائد غالب بن أبى بكر الحضرمى المعروف بابن الاشقر (ت ٧٢٧ هـ) كان «يحمل معه مقصا لايقاع المثلة[٤]بذقون مضيعى المسلحة[٥] أو متهيبى الملحمة[٦]».

وتذكر المدونات الغرناطية أنه كان بغرناطة ديوان للجند تبحث فيه الموضوعات المتعلقة بالناحية العسكرية[٧]، وديوان للعطاء[٨]، وقد أعيد تنظيم سجل الجند فى

من كان بندك يا مولاى يقدمه ... فليس يخافه فتسح ترجساء

ويقول ابن هذيل (نفح جـ ٨ ص ٨) :

بحيث البنود الحمر والاسد الورد ... كتائب سكان السماء لها جند

البنود جمع بند وهو العلم، الاسد الورد: الجرئ، واراد الفرسان فشبههم به. سكان السماء الملائكة. ويقول ابن الخطيب :

وتحت الراية الحمراء منا ... كتائب لا تطاق ولا ترام

(المقرى: نفح الطيب جـ ٨ ص ٣٤٤).

(١) محرز : الرسوم الجدارية الاسلامية فى البرطل بالحمراء ص ٢٢، ٣٥ - ٣٦ .

(٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ١٠١ وكذلك:

Dr. El Abbadi: El Reino de Granada p. 125.

(٣) ابن هذيل : تحفة الانفس ص ٢٤ .

(٤) المثلة : بضم الميم وسكون الثاء - التمثيل بالقتل بنحو تقطيع أطرافه والمقصود هنا هو حلق شعر الذقن.

(٥) المسلحة : بوزن المصلحة قوم ذوو سلاح وتعنى كذلك الثغر.

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٣ .

(٧) ابن خلدون : الإحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٨٣ ، ٣١٤ - ٣١٥ ، ٣٣٨ .

(٨) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٦٤ .

عهد محمد الخامس[١]. ويحدثنا السلطان محمد الخامس عن اهتمامه بمرتبات الجنود فيذكر في احدى رسائله «وأوسعنا مدونة الجيش عرضا، وفرضنا انصافه مع الأهلة فرضا»[٢]. كذلك يذكر ابن الخطيب عن الجنود المقيمين على الحدود أن «من بها من الحماة وذوى المرتبات قد اختلت أحوالهم بسبب ما تأخر من واجباتهم، وتعذر فى هذه المدة الطويلة من مرتباتهم»[٣].

وكانت مرتبات الجند تدفع مقدما بالذهب وتختلف «بحسب الرتبة»[٤]، وخلال المعارك كان السلطان يسير أمام جيشه أو يفوض قيادته إلى احد الأمراء أو الوزير[٥].

ويحدثنا ابن هذيل أن الجيش كان يتكون من «الجريدة» وهى التى تجرد لوجه من الوجوه، ثم «السرية» وهى من خمسين إلى أربعمائة، ثم «الكتيبة» وهى من خمسمائة إلى ألف، ثم «الجيش» وهو من ألف إلى أربعة الآف، وكذلك «الفيلق» و «الجحفل» ثم «الخميس» وهو من أربعة آلاف إلى اثنى عشر الفا، و«العسكر» يجمعها[٦].

ويضيف ابن هذيل أن قوات الجيش الغرناطى كانت تنظم بأن يوضع على كل ثمانية من الجند ناظر وتعقد له عقدة فى رمحه وعلى كل خمسة نظار عريف ويعقد له بند. وعلى كل خمسة عرفاء نقيب ويعقد له لواء، وعلى كل خمسة نقباء قائد ويعقد له علم، وعلى كل خمسة قواد أمير وتعقد له راية[٧]. وتنتقل الأوامر على أساس هذه المراتب[٨].

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) ابن خلدون : التعريف ص ١٨١، ابن الأحمر: نثير فرائد الجمان : ص ٢٧٢، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٦ ص ٥٤٦ .

(٣) انظر : Gaspar Remiro : Op. Cit. ano 4 núm 1 p. 25

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٣٠ - ٣١، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٧١ ، المقرى: نفح جـ٧ ص ٧، ٩ ، ٥٠، ٥٤ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٢ .

(٦) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ٢٧٣ .

(٧) ابن هذيل : تحفة الأنفس ص ٢٤ - ٢٥ .

(٨) ابن هذيل : تحفة الانفس ص ٢٥ .

جيش الغزاة المغاربة

كان الجيش الغرناطي يضم بعض الفرق البربرية من القبائل المرينية، والزناتية والتجانية، والمغراوية والعجيسية، والعرب المغربية[1].وكانوا يعرفون بجند الغزاة. فقد لجأ محمد الأول، عندما أدرك أنه لن يستطيع مواجهة مسيحيي أسبانيا منفردا، إلى ادخال هذه العناصر في جيشه وخاصة من قبيلة زناتة «لحماية الثغور ومدافعة العدو، وغزو دار الحرب»[2]. وكان على رأسهم شيخ الغزاة[3].

فعندما استنجد بنو الأحمر بالدولة المرينية لتشد من أزرهم ضد نصارى اسبانيا، أسرع سلاطينهم لنجدتهم، وعبرت قوات السلطان أبي يوسف بن عبد الحق إلى الاندلس فكان لها في العدو وقائع مذكورة، ومواقف مشكورة، ووجد السلطان المريني في ذلك فرصة ليبعث إلى الأندلس بمن يخشى بأسه من فرسان يراد ابعادهم أو مغامرين ممن تكاد أرضهم أن تزهد فيهم، وذلك برسم الجهاد ضد النصارى، واستقبل بنو الأحمر هؤلاء القادة بترحاب ومودة، وعقدوا لهم على قيادة الغزاة المجاهدين من زناتة وبني مرين. وكان أول من عقدت له القيادة منهم هو موسى بن رحو ثم لاخيه عبد الحق ثم لغيرهما من ذوي القرابة[4].

وشغل الأمراء المرينيون وخاصة من بني عبد الحق هذه الوظيفة بطريقة تكاد تكون وراثية[5]. «لأنهم يحسوب زناتة»[6].

وكانت القيادة العامة لمشيخة الغزاة في غرناطة العاصمة، وتتفرع عنها قيادات

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان)خ جـ ص ١٤٢ ، اللمحة ص ٢٨ .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٦٣ .

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٤) ابن خلدون : العبر جـ ٧ص ٣٦٧ – ٣٦٨ .

(٥) ابن خلدون : المصدر السابق جـ ٧ ص ٢٦٣ – ٣٦٦ – ٣٧٢ .

(٦) المقرى : صبح الاعشى جـ ١١ ص ١٤، ١٩ – ٢٠ ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الرابع ص ٤٢١، المقري : نفح الطيب : جـ ٧ ص ٣٨ وكذلك :

Gaspar Remiro: Correspondencía. Op. Cit., ano V, núm 3, p. 158, El Reino de Granada p. 126 nota 4.

فرعية فى وادى آش ورندة ومالقة وذكوان[1]. ومناطق حيوية أخرى فى المملكة مثل قمارش وحصن قشتال[2].

ويصف ابن الخطيب شيوخ الغزاة بأنهم «متوا إلى ملك المغرب ببنوة العمومة وتزينوا من حلاء العز بالتيجان المنظومة، فهم سيف الدين، وأبطال الميادين وأسود العرين ونجوم سماء بنى مرين[3]. كما يلخص مهمة شيخ الغزاة فى ظهير صدر عن محمد الخامس الغنى بالله لشيخ الغزاة على بن بدر الدين بأنه «شيخ الغزاة بحضرته العلية، وسائر بلاده النصرية، ترجع القبائل والأشياخ إلى نظره فى السكنات والحركات، فعليه تدور أفلاك جماعتهم كلما اجتمعوا وإئتلفوا وبحجة فضله يزول أشكالهم مهما اختلفوا وبلسانه المبين يقرر لهم ما أسلفوا، وفى كنف رعيه ينشأ من اعقبوا من النشء وخلفوا، وبأقدامه تنهض أقدامهم مهنى توقفوا فهو يعسوب كتائبهم الملتفة، وفرزان قطعهم المصطفة وعين عيونهم النابهة»[4].

وكان شيخ القبائل يقود جيشا اختلف لسانا ولباسا باختلاف القبائل التى ينتسب إليها جنود هذا الجيش الذى كان يتكون من عدة كتائب[5]. كذلك كانت لهم درجات وأرزاق تختلف بإختلاف هذه الدرجات[6].

وقد تمتع شيوخ الغزاة المغاربة فى غرناطة بمركز مرموق[7]، ونالوا الكثير من الحظوة لدى سلاطينها، وكان لهم جزء كبير من الضرائب[8]. وفى عهد محمد

---

(1) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٩٥ ، ٢٩٦، اللمحة ص ٢٧ ، ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٣٧٧، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١١ ص ١٩ - ٢٠ وكذلك :
Dr. El Abbadi: Op. Cit. p. 126.

(2) انظر : M. Gaspar Remiro: Documentos Árabes de la Corte Nazari de Granada p. 6 - 7, 13 (Madrid 1911).

(3) انظر : M. Gaspar Remiro: Correspondencía Op. Cit. ano V, núm 3, p. 148 .

(4) انظر : M. Gaspar Remiro: Correspondencía Op. Cit., ano V, núm 3 p. 153 - 154 .

(5) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) لوحة ١٧١، نفح جـ ٩ ص ٥٣ - ٥٥ .

(6) انظر : Gaspar Remiro: Op. Cit., ano V, núm 3 p. 165 - 166

(7) ابن الخطيب : الاحاطة (السكوريال) لوحة ٢٩٩ .

(8) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٣٧٧ .

الخامس زيدت مرتبات الجنود الزناتيين التى كانت تدفع مقدما، كما زيد نصيبهم من الغنائم[1]. كذلك فقد كان السلطان يختصهم فى عطائهم «بالعولة وهى أقواتهم وعلوفاتهم من الزرع»[2]. كما كانت لهم ضاحية فى غرناطة تسمى Cenete كان الزناتيون يقيمون فيها فى عهد بنى نصر[3]. وكانوا يحضرون «مجلس العرض على السلطان»[4]. كما كان لشيخ الغزاة كاتب مثال ذلك على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلى (ت ٧٥٨هـ) الذى «كتب عن شيخ الغزاة أبى زكريا يحيى بن عمر على عهده ثم انصرف إلى العدوة سابع عشر جمادى الأولى من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة»[5]. كذلك عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربى الذى «كان كاتبا للغزاة منوها به مشهوراً»[6].

ويذكر لويس سيكودى لوثينا Luis Seco de Lucena أن المدونات القشتالية تذكر رجلا يدعى محمد بن عثمان وتصفه بالأعرج:
Mohamed ben Ozmin el Cojo وتقول أنه كان فى الثلث الثانى من القرن الخامس عشر (التاسع الهجرى) شيخا للغزاة فى أقليم المرية، وأنه ثار على السلطان محمد التاسع الأيسر، وتلقف منه العرش، وقد اشترك محمد الأعرج هذا فى موقعة الشجرة Higueruela (٨٣٥ / ١٤٣١) وحارب فى مقدمة الفرق العسكرية المغربية. فإذا ذكرنا أن سلطان غرناطة محمد العاشر الملقب بالأعرج الذى لا نعرف عن أمره شيئًا ولا كيف وصل إلى الحكم، فمن المؤكد أن يكون شيخ الغزاة هذا هو الذى ارتقى عرش غرناطة بهذا الأسم، فإذا صدق هذا الفرض، كان هناك بين سلاطين غرناطة بنى نصر رجل مغربى هو شيخ الغزاة محمد بن عثمان الذى كان من سلالة

---

(١) المقرى: نفح الطيب جـ ٧ ص ٧ جـ ٩ ص ٥٤ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٦٤ .

(٣) انظر: Marmól : La Historia de la rebelión y Castigo de los Moriscos del reino de: Granada, Arfe : Op. Cit.

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٠٤ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٣١٤ - ٣١٥ .
المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٢٧٩ - ٢٨٠ .

شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلا[1].

ولقد أدت هذه الفرق الزناتية الكثير من الخدمات الجليلة لبنى نصر فى كفاحهم ضد أعدائهم، واستغل ملوك غرناطة براعتهم فى فنون القتال فكانت لهم وقائع في العدو مشهورة، ومواقف مذكورة[2]. فبفضلهم فشل الفونسو العاشر وسانشو الرابع في الاستيلاء على فحص غرناطة عدة مرات[3].كذلك شارك شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلا ورجاله فى أنزال الهزيمة بجيش قشتالة فى عهد اسماعيل الأول[4]. كما أنه فى اثناء معركة قرطبة المعروفة باسم Campo de la Verdad قام شيخ الغزاة المرينى الامير عبد الرحمن بن على بن أبى يفلوسن فى عهد السلطان محمد الخامس بالهجوم على مدينة قرطبة واستولى على جزء من أسوارها[5].

وفى المدونات الاسبانية الخاصة بالقرن الخامس عشر (التاسع الهجرى) كان اسم قبيلة غمارة البربرية يدل على الجنود الزناتيين الذين اظهروا شجاعة وشراسة فى القتال عندما هاجم فرناند ومدينة ذكوان Coín فى عام (٨٩٠ / ١٤٨٥)[6]. كذلك فقد ورد ذكر لرئيس من غمارة يدعى «ابراهيم زناتة» الذى تحصن فى جبل فارو بصاحبة احمد الثغري قائد اقليم مالقة عندما قام الملكان الكاثوليكيان بمحاضرة مدينة مالقة عام ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م.[7].

ولقد اشتهرت فرق الغزاة المغاربة بنظام وتكتيك حربى خاص عرف باسم قبيلتهم زناتة. وذاع هذا النظام الحربى فى اسبانيا الاسلامية والمسيحية على حد سواء ويشير المؤرخ الاسبانى Ayala إلى أن ملوك قشتالة اتخذوا إلى جانب فرقهم الثقيلة

---

(١) انظر: Luis Seco de Lucena: El Ejercito y la Marina de las Nezeries, Cuadernos de: la Alhambra 7 (Granada 1965), pp. 40

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٣) انظر : Arié Op. Cit.: p. 73 - 74 .

(٤) انظر : Rachel Arié : Op. Cit.: pp. 96 - 97 . والمصادر التى أوردتها.

(٥) انـظـر : Dr. A.M. EL Abbady: El Renio de Granada p. 79 - 80 .

(٦) انظر: Pulgar: Guerra de Granada p. 157, Colección de Crónicas espanolas ed. J. de: Mata Carriazo (1940 - 1946)

(٧) انظر : F. Guillén Robles: Málaga Musulmana pp. 192 - 193 .

المدرعة فرقا خاصة من الفرسان يحاربون على طريقة الفرسان الزناتيين الخفيفة الحركة ذات الدروع الجلدية والركاب[1] المرتفع، وطريقة الكر والفر فى القتال واطلقوا عليهم اسم Ginetes ويلاحظ أن هذا الاسم مشتق من لفظ Zenetes أى زناتة ، ولا يزال لفظ Ginete مستعملا إلى اليوم فى اللغة الاسبانية بمعنى فارس[2].

كذلك كان ميجيل لوكاس دى ارانتو، صفى إنريكى الرابع يمتطى فرسه على طريقة زناتة، ويلبس الجبة العربية من الحرير الموشى الغنى بالالوان[3].

كذلك وضع الملك انريكى الرابع حرسه على طريقة زناتة[4]. ويحكى Bernáldez لنا أن مركيز قادس كان فارسا عظيماً على طريقة زناتة[5].

كما أن ابن الخطيب يمتدح فروسية الأمير فرج بن محمد الفقيه وولى عهده بأنه كان «زناتى الشكل والركض والآلة»[6].

الا أنه على الرغم مما أدته هذه الفرق المغربية من خدمات جليلة فى ميادين القتال، وما كان لها من مواقف مشهورة، فإنهم كانوا خطرا على العرش الغرناطى. وكثيرا ماكان يحدو شيوخ الغزاة هؤلاء بعض الأطماع السياسية ومن يتصفح تاريخ مملكة غرناطة، يرى أن هؤلاء القادة المغاربة قد لعبوا دورا خطيراً فى السياسة الغرناطية إلى درجة التدخل فى إقامة السلاطين والوزراء وعزلهم[7]. مثال ذلك أنهم

---

(١) الركاب : ما يعلق فى السرج فيجعل الراكب فيه رجله.

(٢) انظر : مقدمة نفاضة الجراب للاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى ص ١٧ كذلك ؛
Pedro Lopez de Ayala: Crónicas de los Reyes de - Castilla 1, p. 337 - 338 &
Jaime Oliver Asin: Origen arabe de Rebato y sus homonimos p. 34 - 40 .

(٣) د. لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا (القاهرة) ١٩٦٩ ص ١٠٠ - ١٠١ وكذلك
Americo Castro: Espana en su historia p. 94.

(٤) انظر : Crónica de D. Enrique IV, Cap. 1, p. 101, p. 106.

(٥) انظر : Historia de los Reyes Católicos Don Fernando y Dona Isabel, en Crónicas de los Reyes de Castilla. Cap C IV, P. 646.

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٦٥ وكذلك؛
Dr. A.M. El Abbady: El Reino de Granada p. 127 nota 5.

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩، أعمال الاعلام : ص ٢٩٧ - ٢٩٨، نفاضة الجراب ص ١٧ .

كانوا المديرين لعزل السلطان نصر وتعيين اسماعيل الأول[١]. كما كانوا السبب فى النهاية المفجعة التى لقيها الوزير ابن المحروق على يد سلطانه محمد الرابع[٢]. والمتآمرين لمقتل هذا السلطان[٣].

بل أننا نجد أنه فى بعض الأحيان كانت هذه الفرق المغربية تمثل خطرا كبيرا على أمن المملكة الغرناطية وسلامتها بانضمامها إلى صفوف الأعداء سواء أكانت قشتالة أم أراجون. فعلى سبيل المثال نجد أن السلطان محمد الثالث قرر فى عام ٧٠٣ / ١٣٠٣ ان يقف على الحياد فى النزاع القشتالى الأراجونى، وقام بعزل سبعة آلاف من جنود الغزاة واعادتهم إلى المغرب، فما كان من هؤلاء إلا أن انضموا تحت لواء قزمان الطيب القشتالى[٤]. كذلك نجح خايمى الثانى ملك أراجون فى ديسمبر ١٣٠٣ فى استمالة ابن رحوالى خدمته هو وأسرته ورفاقه، وأنزلهم فى اقليم مرسية ومنحهم الاقطاعات[٥]. وسرعان ما اشترك هذا الأمير المرينى فى الحرب ضد مملكة غرناطة فى عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤ .[٦].

من ذلك أيضًا ما حدث فى موقعة طريف عندما انضم سليمان ابن شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلا إلى جانب الملك الفونسو الحادى عشر وقام بالحرب ضد غرناطة بعد خلافه مع السلطان أبى الحجاج يوسف الأول[٧].

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٧٠، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٣٩٤، ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٣٧١ .

(٢) راجع الفصل الخاص بالوزارة.

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٣ .
ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٦٤ .
النباهى : نزهة البصائر فى Müller p. 133

(٤) انـظـر : Giménez Soler (A.) La Corona de Aragón y Granada t. III (B.R.A.B.L.) p. 306, Arié, Op. Cit, p 243 .

(٥) انظر : Archivo de la Corona de Aragón, Reg. 235, 21ef: & Rachel Arie: Op. Cit., p. 243 .

(٦) انظر : A.C.A. Reg. 235, F° 78 V°, 8 A & Rachel Arie Ibid. p. 243.

(٧) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٣٧٢ وكذلك : A. Huici Miranda: Grandes Batallas de la Reconquista p. 367

ولقد ظلت وظيفة شيخ الغزاة باقية حتى قام السلطان محمد الخامس بالغائها عام ٧٧٥ / ١٣٧٤ وتولاها هو واولاده فى الفترة الثانية من حكمه(١).

إلى جانب ذلك كانت هناك عناصر مساعدة للجيش مثل الشعراء والوعاظ والجواسيس والأدلاء والمرابطين:

الشعراء والوعاظ :

اعتاد العرب من قديم أن يصحبوا معهم فى معاركهم الشعراء والوعاظ الذين يروون للجنود مآثر البطولات الاسلامية لرفع روحهم المعنوية وتثبيتهم أمام الأعداء، ويقابلنا فى غرناطة هذا التقليد(٢).

ويروى يحيى بن خلدون أن الجنود الزناتيين كانت لديهم عادة اصطحاب الشعراء والشاعرات إلى ميادين القتال حيث كانوا يقومون بالغناء والانشاد خلال القتال(٣).

الجواسيس :

كان على قادة الثغور الاستعانة بالجواسيس، ومن الأفضل الا يكونوا من المسيحيين، وان يكونوا جماعة كبيرة لا يعرف بعضهم بعضا(٤).

ونجد أنه عند حملة خايمى الثانى على المرية قام مسيحى يدعى :

Bartolomé de Bielsa بمساعدة المسلمين على استرداد المدينة(٥). كذلك فإن السلطان أبا يوسف المرينى قد استخدم فى حروبه فى الاندلس «عيونا من اليهود

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق جـ ٧ ص ٣٧٧ ، ٣٧٩.
المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٤٢٧، جـ ٧ ص ٢٩ - ٣٠، جـ ٩ ص ٤٩ - ٥٠ .
وكذلك : Dr. El Abbadi: El Réno de Granada p. 127

(٢) ابن هذيل : تحفة الانفس ص ٣٩ وكذلك Dr. El Abbadi: El Reino de Granada p.'128.

(٣) يحيى بن خلدون : بغية الرواد جـ ٢ ص ١٨٢ .

(٤) ابن هذيل : المصدر السابق ص ٢٣ - ٢٤ وكذلك : RDr. El Abbadi: El Reino de Granada p. 128

(٥) انظر : Giménez Soler: Expedición de Jaime II a la Ciudad de Almería p. 296 .

(٦) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٠٨ .

والمعاهدين النصارى يتعرفون له اخبار الطاغية شانجة»(٦).وفى معركة طريف رصد المسلمون «العسس» للتجسس على الاعداء[1]. كذلك يذكر لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه محمد الخامس « ثم تعرفنا أنه (يقصد العدو) انما يقصد الجزيرة لمباشرة امورها وكتب الينا بعض ناسه انه انما يقصد رندة أو جبل الفتح ولم نقدم عملا على توجيه مدد الرماة والفرسان» [2].

ولم يقتصر استخدام الجواسيس على المسلمين فقط، بل استعان بهم المسيحيون فى حروبهم ضد اعدائهم. من امثلة ذلك أن عبد الله بن ابراهيم بن الزبير (ت ٦٨٣هـ) «لقى بفحص غرناطة ليلا نصرانيا يتجسس فأسره وحده وادخله البلد»[3].

الادلاء :

هم الذين يقودون الجيش، وكان يجب أن يكونوا على معرفة كبيرة بالاقليم، والطرق، والأرض التى كانت هدفا للحملات، وأن يكونوا من أصحاب الثقة المطلقة لدى السلطات، وكانت تصرف لهم المكافآت المجزية[4].

ولم يقتصر استخدام الادلاء على المسلمين، فنجد ان القشتاليين قد لجأوا إلى ذلك، فعندما كانوا فى طريقهم إلى موقعة طريف فى ٧٤١هـ ١٣٤٠م قام اثنان من الادلاء الذين يرجعون إلى أصل اسلامى بارشادهم إلى الطريق وكان الأول يحمل اسم Joan Martinez Omar والثانى: Joan Francisco[5].

عــدد الجنــود

من الصعوبة تحديد جنود الجيش الغرناطى، ولكننا نلاحظ أن بعض المصادر تذكر

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) انـظـر : M, Gaspar, Remiro : Correspondencía, Op. Cit., ano 4, num I p. 9

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٢٦ .

(٤) ابن هذيل : المصدر السابق ص ٢٤ وكذلك : Ai Abbadi: El Reino de Granada p. 129 .

(٥) انظر : Crónica de D. Alfonso XI pp. 342 - 343 .

أن غرناطة كان بوسعها اعداد جيش قوامه ١٠٠,٠٠٠ فارس و ٢٠٠,٠٠٠ جندى وقت القتال[١]. ويذكر الرحالة المصرى العمرى الذى زار غرناطة فى منتصف القرن الرابع عشر أن ربض البيازين فقط كان يمد الجيش بـ ١٥,٠٠٠ جندى مدربين على القتال[٢].بعد ذلك بقرن يؤكد الرحالة المصرى عبد الباسط، أن غرناطة كانت تضم ٨٠,٠٠٠ رام للقوس[٣]. كذلك فإن Nicolas de Papielovo البولندى الذى زار غرناطة فى عام ٨٨٩ / ١٤٨٤ يذكر أن المدينة كانت تستطيع أن تمد الجيش بالف رام و ٦٠,٠٠٠ راجل[٤].

ملابس الجند وأسلحتهم

عند قيام مملكة بنى نصر فى غرناطة كان الجند الاندلسيين يحاكون جيرانهم المسيحيين، فيحدثنا ابن سعيد المغربى المعاصر لقيام الدولة أن الجنود كانوا يتزيون بزى النصارى المجاورين لهم «فسلاحهم كسلاحهم، واقبيتهم من الاشكرلاط كاقبيتهم، وكذلك أعلامهم وسروجهم»[٥]. ثم يحدثنا ابن الخطيب بعد ذلك بقرن عن نفس هذا المعنى قائلا: «وزيهم فى القديم اشبه بزى اقتالهم [٦]. واضدادهم من جيرانهم الفرنج، اسباغ الدروع، وتعليق الترسة [٧]. وحفا البيضات، [٨]. واتخاذ

---

(١) انظر: M. Alcántara: Historia de Granada t. IV, p. 98,Al Abbadi : El Reino de Granada p. 129.

(٢) العمرى : مسالك الابصار، الجزء الخاص بوصف افريقية والاندلس. نشر حسن حسنى عبد الوهاب ص ٤١، وكذلك Al Abbadi: El Reino de Granada p. 130 .

(٣) انظر : Levi Della Vida: Il regno di Granata p. 321

(٤) انظر : Arfe : Op. Cit., p. 339

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٧ وفى هذا يهجو الشاعر مالك بن المرحل (ت ٦٩٩هـ) جند الاندلس فيقول: (عبد الله كنون : مالك بن المرحل ص ٢٨)

عهدى بجندكم الذين اذا راؤا ... علجا تولوا كالنعام الشرد
يتشبهون بكل أغلب كافر ... فى زيهم وكلامهم فى المشهد
وتنقص العلماء والفضلاء والأ ... عيان من أهل التقى والسؤدد

(٦) أى الذين يقاتلونهم.

(٧) الترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه، جمعها أتراس وتراس وتروس وترسة، قد تكون من خشب أو من حديد أو عيدان مضموم بعضها إلى بعض بخيط أو نحوه (القلقشندى صبح الاعشى : جـ ٢ ص ١٤٣).

(٨) البيضة من آلات الحرب لوقاية الرأس من الضرب ،صبح الاعشى جـ ٢ ص ١٤٢) .

عراض الأسنة، وبشاعة قرابيس [1]. السروج، واستركاب حملة الرايات خلفه، كل بصفة تختص بسلاحه، وشهرة يعرف بها[2].

ثم تطلب ادخال الجنود المغاربة إلى الأندلس بعد ذلك تعديلا فى تسليح القوات الغرناطية، فيضيف ابن الخطيب قائلا : «ثم عدلوا الان (فى عصره) عن هذا الذى ذكرناه إلى الجواشن[3]. المختصرة، والبيضات المرهفات، والسروج العربية، والبيب اللمطية والاسل[4]. اللطيفة[5].

ومن الطريف أن وصف ابن الخطيب لملابس الجنود واسلحتهم ومعداتهم يتفق مع الصور الحائطية فى البوطل[6]. بالحمراء، وان كانت تلك الصور تمدنا بمعلومات أوفي عن هذا الموضوع. فيفهم من نقوش البرطل El Partal هذه، أن الجيش الغرناطى كان يتكون من فرق مختلفة تختلف كل واحدة منها فى سلاحها وملابسها عن الأخرى، وكان حملة القسى يرتدون العمائم والجباب ذات الأكمام القصيرة ويتمنطقون عليها واضعين الجبة تحت المنطقة من أمام وقد يرتدون قمصانا ولهم سراويل طويلة تصل إلى الكاحل. أما حملة قسى القدم والدرق والسيوف فيغطون رؤوسهم بخوذات من الحديد من النوع الخفيف بدلا من العمائم وقد تكون للخوذة مغفرة لحماية الرقبة أو صفيحة تتدلى على القفا، وملابسهم تشبه ملابس الفرقة الأولى، وقد يلبس رجال هذه الفرق خوذا لحماية الجذع. أما الأتباع فيلبسون جبة تصل إلى الركبة وسراويل طويلة تصل إلى الكاحل أو قمصانا مع هذه السراويل، ويضع بعضهم على كتفه حرامل، ويغطون رؤوسهم جميعًا بالعمائم، ويلبسون فى

---

(١) القرابيس : السروج.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٤٢ ، اللمحة ص ٢٨ .

(٣) الجوشن : زرد يلبس على الصدر.

(٤) الأسل : الرماح.

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٢ ، اللمحة ص ٢٨ .

(٦) البرطل وفى الاسبانية El Partal وفى الانجليزية Portico وفى الفرنسية Portique تطلق على مجموعة من المبانى بقصر الحمراء شرقى بهو السباع تتكون من برج يسمى برج السيدات يلاصق قاعة أمامها رواق وأمام هذه المجموعة بركة ماء ويلاصق البرج عدد من المنازل الصغيرة من الجهة الغربية وفى المنزل الأول ظهرت هذه الرسوم د. جمال محرز : الرسوم الجدارية الإسلامية فى البرطل بالحمراء ص ١٣ (مدريد ١٩٥١) .

أرجلهم الأحذية أو الخفاف(١). وكان جنود الغزاة المغاربة يضعون العمائم على رؤوسهم(٢).

ومن الاسلحة الغرناطية الهامة «القسى»(٣). ويميزابن هذيل بين نوعين منها: هذه التى كانت تستعمل باليد (القسى العربية)، والتى كانت تستعمل بالرجل (القسى الافرنجية)، ويضيف أن الأولى كانت أفضل للفرسان «لأنها أسرع واقل مؤنة» أما الثانية فكانت أكبر نفعا للمشاة «لأنها أبلغ وأكثر معونة ولا سيما فى الحصار والمراكب البحرية»(٤). كذلك كان هناك نوع يقال له القسى الداخلة(٥).

وقد شاع استخدام القوس الافرنجية فى الأندلس(٦). فيحدثنا ابن الخطيب ان السلطان أبا الحجاج يوسف الأول عند زيارته لألمريه، احتشد الجند ووقفوا «صفوفا كصفوف الشطرنج على أعناقهم قسى الفرنج وقد نشروا البنود الشهيرة الألوان»(٧). كذلك يذكر الرحالة المصرى عبد الباسط الذى زار غرناطة فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) أنه كان بها ثمانية آلاف رام بقوس الجرخ(٨). كذلك نجد فى وقائع معركة الشجرة La Higueruela عام ٨٣٥ / ١٤٣١ كما يظهر فى لوحة قاعة المعارك فى دير الاسكوريال ، رماة القسى النصريون يتنافسون فى استعمال سلاحهم(٩).

وقد بلغ من شهرة رماة القسى العربية فى الجيش الغرناطى أن انتقل هذا السلاح

---

(١) د. جمال محرز : المرجع السابق ص ٣٣ وما بعدها .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطه (عنان) جـ١ ص ١٤٢، اللمحة ص ٢٨ .

(٣) يعطينا ابن هذيل وصفا للقسى بأنها كانت نوعا من الخشب الذى يصلح لهذا السلاح وينصح باختيار خشب الزيتون، والدردار، وشجرة البرتقال المر، وشجرة التفاح، وشجرة الرمان، انظر حلية الفرسان ص ٢٢٣ .

(٤) ابن هذيل : المصدر السابق ص ٢١١ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٢ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٢، اللمحة ص ٢٨، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٧) ابن الخطيب : خطرة الطيف فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٤٣ .

(٨) انظر : G. Levi Della Vida : Il Regno Di Granata Nel 1465 - 66 p. 307 y sig.

(٩) حول هذه الموقعة، انظر: Crónica del Halconero pp. 94 - 101 & Luis seco de Lucena : Mas rectificaciones a la historia de las Ultimos nasries (AL Andalus XXIV 1959) fasc 2 p. 284

إلى جيوش اسبانيا المسيحية. فيذكر ابن الخطيب ان المسيحيين في انتقيرة كان «رماتهم قسيهم عربية»[1]. كذلك كان في الجيش المغربي على عهد السلطان أبي الحسن المريني أكثر من الفي فارس غرناطي يرمون بقوس الرجل[2].

هناك سلاح غرناطي آخر قدره ملوك أسبانيا المسيحية تقديرا عظيما وهو السيوف الغرناطية. وفي المناسبات المختلفة كان ملوك غرناطة يقومون باهداء هذه السيوف إلى جيرانهم من ملوك اسبانيا المسيحية، ففي عام ٧٣٤ / ١٣٣٣ قدم محمد الرابع إلى الفونسو الحادي عشر مجموعة من الهدايا من بينها سيف بغمد مزين كله برقائق من الذهب والأحجار الكريمه مثل الزمرد والياقوت واللآلي»[3]. كذلك بعث يوسف الثالث عام ٨١٢ / ١٤٠٩ إلى خايمي الثاني ملك قشتالة وولي عهده ادريكي بهدايا من بينها سيوف من الفضة[4].

وقد حققت شهرة النصال المصنوعة في غرناطة والمرية شهرة فائقة لدى الفرسان الاسبان، فنجد في قوائم ثروات ذوي اليسار من الإسبان في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ذكر كثير للسيوف الغرناطية الفاخرة، وقد أعطانا فراندس Ferrandis وصفا لعشرة أمثلة رئيسية منها[5].حيث تتميز بمقبض قصير كروي أو مسطح يسمح بضغط اليد لتثبيت الطعنة. ومن أمثلة السيوف الغرناطية الفخمة هذا السيف الخاص بأبي عبد الله ابن الأحمر الأخير المحفوظ بمتحف الجيش بمدريد، ويتكون من قطع معشقة من المعادن الثمينة، وقد صنعت قبضة اليد من الفضة المذهبة والعاج والمصوغات والمينا ذات الالوان المتعددة [6].

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٢٤ .

(٢) محمد المنوني : وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، مقتبس من مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري، مجلة البحث العلمي، السنة الأولى، العدد الأول الرباط ١٩٦٤ - ص ١٣٥ .

(٣) انظر : Crónica de D. Alfonso XI Cap C XXVI p. 257, Arfe Op. Cit., p 253 .

(٤) انظر : Crónica de D. Juan II , ano 1409, Cap. III, p 313 & Arfe Op. Cit., p 253.

(٥) انظر : J. Ferrendis Torres: Espadas granadinas de la jinete (Archivo Espanol de Arte: t. XVI, Madrid 1943 pp. 142 - 166 .

(٦) انظر : Fernández y Gonzales: Espadas hispano-arabes, en Museo Espanol de Antigüedades t. V, 394, Arfe Op. Cit., p 254.

هناك أيضا سيف يدعى سيف Boabdil محفوظ في خزانة الأوسمة في المكتبة الوطنية في باريس، يتميز بمقبض اسطواني يحمل شعار بني نصر، «ولا غالب إلا الله»[١].

من الاسلحة الغرناطية الاخرى تقابلنا الخناجر، التي كانت تمتاز بأن لها مقبضًا مكونا من اسطوانتين يقتربان في الجزء الاسفل ويبتعدان في الأعلى. ويحتفظ متحف السلاح الملكي بخنجر أنيق مرصع بالعاج كان يخص أبا عبد الله بن الأحمر الأخير[٢].

كذلك كانت هناك البيضات (الخوذ) والتروس والدرق (التروس الجلدية) التي كانت تصنع من جلد البقر والحمار الوحشي، ولكن الصنف الأقوى كان ذلك الذي يصنع من جلد اللمط وهو نوع من الغزال الصحراوي كانت بشرته تقاوم طعنات السيف والرمح والسهم[٣]. وعلى الجسد كانوا يضعون الدروع (الزرد أو الزرديات)، ومنها ما كان عبارة عن صدر بغير ظهر يسمى جوشن (جمعه جواشن)[٤].

كانت لديهم أيضًا عصى طويلة مثناة بعصى صغار ذات عرى في أوساطها تدفع بالأنامل عدد قذفها تسمى الأمداس[٥]. والبلوطة والشيري وهما نوعان من السهام التي كانت تستخدم لاصابة الترس[٦]. والانابيب لقذف السهام من

---

(١) انظر: E. Babelon: Guide illustre du Cabinet de Médailles et antiques de la Biblio- théque Nationale (Paris 1900) p. 276, fig. 124., Arfe : Jbid.

(٢) انظر: Leopoldo Torres Balbás: Ars Hispaniaet . IV P. 234 .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨، ابن هذيل : حلية الفرسان ص ٢٣١ - ٢٣٢ ابن سعيد : كتاب بسط الأرض ص ٤٧ وكذلك: Dozy II, p. 550 وقد جاء في القاموس المحيط ولمطة : أرض لقبيلة بالمغرب تنسب إليها الدرق، لأنهم ينقعون الجلود في الحليب سنة فيعملونها، فينبو عنها السيف القاطع، أو لمط : أمة من الأمم.

(٤) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ٢٢٧ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٢ .

(٦) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ٢٢١ .

الحجر[١]. والقناة وهي الرمح الطويل [٢]. وأرشية الرماح[٣]. والسروج والألجم والمغافر[٤]. كما كانت غرناطة تستورد بعض الأسلحة من فرنسا ولا سيمًا المعروفة باسم البرذليات نسبة إلى برذيل [٥]. (مدينة بوردو الفرنسية).

كذلك كانت الخيول تستخدم في القتال وقد صاغ ابن الخطيب [٦] ، وابن زمرك[٧] ، القصائد الطوال في وصف تلك الخيول والوانها ، وكان على رأس الفرسان قائد الخيل[٨]. و« اختصت خيول الأندلسيين بحسن الترتيب ، والبراقع البديعة الجمال والجلاجل المذهبة التي يملأ الجو أصوات اجراسها »[٩].

هذا وقد وضعت المؤلفات والكتب عن الخيل نذكر منها كتاب محمد بن رضوان ... ابن أرقم (ت ٦٥٧هـ) الذي اسماه «الاحتفال، في استيفاء ما للخيل من الأحوال»[١٠]. وكتاب ابي محمد عبد الله بن جزي» مطلع اليوم والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال واستدراك ما فتحه من المقال» الذي استقاه من الكتاب السابق[١١].

إلى جانب ذلك كانت هناك الاسلحة الخاصة بالحصار مثل «المعارج والمراقي»،

---

(١) انظر: Ambrosio Huici Miranda : Las Grandes Batallas de la Reconquista Durante las Invasiones Africanas (Madrid 1956) p. 370 .

(٢) النباهي : الاكليل في تفضيل التخيل في Müller p. 144, n.1

(٣) المقري : نفح الطيب جـ ٩ ص ٧٩ وكذلك Correspondencía Op. Cit: ano V núm 1-2 p 3

والارشية جمع رشاء وهو في الأصل حبل الدلو، وقد شبه به الرمح في طوله، ومن صفات الرمح التي يمدح بها أن يكون طويلا ليصل إلى العدو وإن بعد.

(٤) المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٨ ، والمغفرة ضرب من الدروع يغطي الرأس والوجه. انظر : ابن هذيل حلية الفرسان ص ٢٣٠ .

(٥) المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٨ .

(٦) انظر على سبيل المثال: ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٦٣٣، ٦٣٧ ، ٦٦٦ - ٦٦٧ .

(٧) المقري : نفح الطيب، جـ ١٠ ص ٣٠ - ٣٦، ٧٧، ازهار جـ٢ ص ٢٥ - ٢٦ ، ٣٣، ٧٤ - ٨١ , ١٤٧

(٨) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٦٣٧ .

(٩) ابن الحاج التميري: فيض العباب لرحة ٨٣ - ٨٦ .

(١٠) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ١٠٠ - ١٠١ .

(١١) انظر: G.S. Colin: Un nouveau traité grenadin d'hippologie, (Islamica 1934) pp. 332 - 337 .

والسلالم، والاكبش، وعمد الحديد التي كانت تستخدم لدق أبواب الأسوار أو الحصون[1]. والمنجنيق (ويجمع على مجانيق ومناجيق) وهو «الة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله إلى أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئًا إلا أهلكه»[2]. كذلك كانت هناك العرادات، وهي أصغر من المنجنيق وتستخدم في رمي الحجارة والسهام وقدور النفط[3]. والآت النقب التي تستخدم لاحداث ثلمة في السور، من ذلك ما حدث في أثناء حصار قنيط في عهد محمد الخامس، حيث «حكمت آلات النقب في شارة سوره فقعدت، وخرم أساسها فاتكلت على دعايم الخشب واعتمدت، ثم تليت عليها آية النهار فخشعت ثم سجدت »[4].

هذا وهناك بعض النصوص التي تثبت معرفة المسلمين في غرناطة لاستعمال المدفع في هذا العصر. يذكر ابن الخطيب في كتابه «اللمحة البدرية»[5]. وصفا هاما للمدفع الذي استعمله الغرناطيون عند احتلالهم لقلعة اشكر Huescar في عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م، وما أحدثه هذا السلاح من ذعر في صفوف القشتاليين وهذا الوصف يعتبر من أقدم النصوص التاريخية حول استعمال المدفع، يقول ابن الخطيب: «...... ونازل السلطان (اسماعيل الأول) اشكر .... ونشر الحرب عليها، ورمى الآلة المتخذة بالنفط، كرة محماة طباقة البرج المنيع فعاثت عياث الصواعق السماوية ونزل أهلها قسرا على حكمه»[6].

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ٩ ص ٧٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٩٣، جـ ١ ص ٣٩٣ ، ٥٤٣ ،، القلقشندى : صبح الاعشى جـ٢ ص ١٤٤ .

(٣) عبادة : سفن الاسطول الاسلامى ص ٨، Dozy II, p. 481 .

(٤) انظر: Gaspar Remiro : Correspondencía. Op. Cit : ano V núm 3, p. 212 - 213 .

(٥) ص ٧٢ .

(٦) يقول الشاعر يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبى فى وصف آلة النفط فى قصيدة يدح فيها السلطان أبا الوليد اسماعيل عند قدومه من فتح أشكر: =

ومن الغريب أن المصادر الإسبانية المعاصرة في وصفها لأحداث هذه الحرب ووقائعها تؤيد هذه الأخبار التي وردت في المصادر الإسلامية، وتشير إليه كسلاح جديد رهيب، ففي حوليات ثوريتا[1]. نجد العبارة الآتية:

(Se extendía el rumor en Alicante que el rey de Granada estaba en posesión de una nueva arma mortífera)

وتقول ترجمتها بالعربية : «وانتشرت الشائعات في مدينة لقنت بأن ملك غرناطة يمتلك سلاحا جديدا مبيدا».

من هذه النصوص العربية والقشتالية المعاصرة يتضح لنا أن مسلمي الاندلس قد توصلوا إلى استعمال المدفع قبل أن يتوصل الأوربيون إلى استخدامه[2].

وكانت كلمة نفط تعني قذائف النفط أو قذائف النار الإغريقية ثم تطور معناها بحيث أصبح يعني الأسلحة النارية أو البارود. وكانت هذه الأسلحة لا تحدث نارا عند انطلاقها وإنما كانت تحدث فرقعة وهديرا ولهذا سميت بصواعق النفط وصواريخ النفط، وكانت قذائفها كورا معدنية أو حجرية، ويسمي المشرفون على اطلاقها بالنفطية أو البارودية. ومن هذا نرى أن كلمة نفط كانت تطلق على سلاحين مختلفين : أحدهما يتصل بالقوارير والقدور وهو الذي يشعل النيران، والآخر يعني المدافع والمكاحل ولا يسبب نارا وإنما هدما وتحطيما[3].

— يعيني بحسر النقع تحت أسنة ... تتمنه وهدا كم تقسم السرد

سماء عجاج والأسنة شهبها ... ووقع القنا رعد إذا برق الهند

وظنوا بأن الرعد والصعق في السما ... فحاق بهم من دونها الصعق والرعد

عجائب اشكال سما هرمس بها ... مهندمة تأتي الجبال فتنهد

الا أنها الدنيا تريك عجائب ... وما في القوى منها فلابد أن يبدو

انظر : ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٤٠٩ - ٤١٢، جـ ١ (عنان) ص ٣٩١، اللمحة ص ٧٢، د. أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ٤١٣ وما بعدها.

(١) انظر : G. Zurita : Anales, II, p 51 note 1 y p 99 .

(٢)، (٣) انظر البحث القيم الذي كتبه استاذنا الدكتور أحمد مختار العبادي في مجلة: Hespéris, anée 1959, 3^{o} - 4^{o} Trimestres

وانظر كذلك: I.S. Allouche : Un texte relatif aux premiers canons (Hésperis t. XXXII, 1945) pp. 81 - 84 .

عـــرض الجيـــش

كان الشعب الغرناطي مولعاً بمشاهدة المناظر العسكرية، يفخرون بالسلطان عندما يخرج على رأس جيشه في موكب مشهود متوجه إلى ساحة القتال أو عندما يعود محملاً بالغنائم والأسرى والأسلاب.

وكان سلاطين غرناطة يقومون باستعراض قواتهم حيث يمر الجنود في شكل مهيب[1]. وفي رسالة بعث بها محمدالخامس إلى سلطان فاس نجد أنه يخبره فيها بأنه قد استعرض الجيش حيث برز: إلى الفضاء الأفيح، حسن الترتيب، سافرا عن المرأى العجيب»[2].

كذلك كان على ولاة الثغور أن يقوموا باستعراض حامياتهم «ان امكن كل جمعة أو مرتين في الشهر، واستعراض سلاحهم وخيلهم»[3].

وقد ورد في نبذة العصروصفا لعرض عسكري في احداث عام ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م[4]. جرى في داخل الحمراء، في المكان المعروف بالطبلة، بجانب باب الغدر (يسمى اليوم باب (Siete Suelos) حيث هيئ المكان لهذه المناسبة وأقيمت منصة للسلطان أبي الحسن واتباعه، وأخذت قوات الجيش في المرور أمامها، وهرع عامة غرناطة وما حولها إلى السبيكة وإلى ضواحي الحمراء في كل يوم كي يتسنى لهم التمتع بمشاهدة هذا المنظر العظيم الذى أنهاه فيضان مفاجئ لنهر حدوة عقب مطر غزير في يوم ٢٢ محرم ٨٨٣ / أول يناير ١٤٧٨ .

وتذكر المصادر أنه كان بغرناطة «قبة العرض المطلة على المجلس في الدار الكبرى من حمراء دار الملك»[5].

---

(١) انظر : المقرى : نفح الطيب : جـ ٩ ص ٤٨ ، ازهار جـ ٢ ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) المقرى : نفح الطيب : جـ ٩ ص ٤٥ .

(٣) ابن هذيل : تحفة الانفس ص ٢٤ .

(٤) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٣ - ٤ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ٢٥٩ .

(٥) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٢٦١ .

ويقول ابن الخطيب فى وصف جيش غرناطة وعرضه فى قصيدة ألقاها فى عيد الفطر عام ٧٣٩ هـ :

وقد غص من وسع السبيكة وسعها	وجربها أذ ياله العسكر المجر[١].
ومارثى من مثل له يسوم زينة	كأن نضيد الزهر راق بـه الزهر
ودارت من الأغزار [٢] تحت لوائها	رماةٌ علـى اوتـارها للعـداوتر
إذا اضطبنوا[٣]. اقواسهم وتمنطقوا	فتبصر جيش الترك جاشت به مضر

ويفهم من المصادر ورسوم الحمراء ان الجيش الغرناطى كان يصطحب معه بعض عازفى الموسيقى، ففى هذه الرسوم يبدو جندى بطبل وعود[٤].

وكان اصحاب المقام الرفيع من المسلمين والنبلاء المسيحيين يدعون لحضور هذه العروض، حيث أعد لهم فى غرناطة قصر لنزولهم كان يسمى «دار الضيافة»[٥].

الخطط والتكتيات الحربية

وهبت الطبيعة مملكة غرناطة كثيراً من الميزات من جبال وتلال ومفاوز وعرة مكنتها من الدفاع عن نفسها ضد اعدائها، واتقان حرب العصابات ضد جيوشهم الجرارة المتفوقة عددا وعدة.

وقد اتبع المقاتلون الغرناطيون الكثير من الخطط الحربية أثناء القتال مثال ذلك ما حدث اثناء حصار جيش أراجون لمدينة المرية (عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩ - ١٣١٠) إذ «حفر العدو تحت الأرض مسرباً بمقدار ما يسير فيه عشرون راكبا، وتفطن المسلمون واحتفروا قبالتهم مثله إلى أن نفذ بعضهم لبعض واقتتلوا تحت الأرض[٦].

---

(١) المجر صفة للجيش العظيم.

(٢) الاغزار : قبائل من الترك.

(٣) اضطبت سلاحى : أحتضنته.

(٤) د. جمال محرز : المرجع السابق ص ٣١ .

(٥) انظر : Al Abbadi : Op. Cit. p 130 .

(٦) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٤٩ .

ومن الخطط التى اتبعها الغرناطيون فى القتال أيضًا تلك التى نقلها الينا ابن القاضى من أنه فى أثناء حصار المرية هذا «ضاق الحال بالمسلمين وانسدت باب الحيل، فصرخ بهم صارخ ان بادروهم بطرح العذرة[1]. فهو اعظم نكاية لديهم، فبادر الناس فى الحين لتناول ذلك وحمله فوضعوا الشئ فى محله وقارنوا الشكل بشكله، ولا يحيق المكر السئ الا بأهله، فكان الفارس منهم فى أجمل حال فى زيه واذا هو مكسر ثوب العذرة فيصير مسخرة بينهم وكان ذلك أدهى عليهم من القتال وفرج الله من شدة تلك الحال»[2].

كذلك يحدثنا النويرى السكندرى أنه فى احدى المعارك التى دارت بين غرناطة وقشتالة «أتت جواسيس الملك العابد صاحب غرناطة واخبرته بأن الفنس وصل بجيشه إلى مكان كذا على أميال يسيره وذلك بعد أن جهز الملك العابد جيوشه لملاقاته فلما كان أول الليل قال لقايد جيوشه تأمر كل من فى العسكر أن يحملوا بكل ما معهم من إبل حطبًا فنودى فى العسكر بذلك فلم يبق جمل إلا وحمل حطبا فكانت ألوف جمال موسوقة به ثم أمر بالرحيل فرحل العسكر تقدمه تلك الجمال فلما صار بين عسكر المسلمين نحو ميل أمر السلطان بأن تطلق فى الأحطاب التى على الجمال النيران فقدح بالزند الشرار وأطلق فى الحطب ونغزت الجمال بأسنة الرماح فسارت كالسيل المنحدر من الجبال فلم تسر نحو ساعة وهى تنقد إلا وخيل النصارى النازلين بمعسكرهم قطعت متاودها وهجت فى أصحابها النصارى تركلهم بأرجلها وتكدمهم باسنانها طالبة نجاة أنفسها فما هجت خيلهم الا وجمال النار داستهم دوسا تفتر فيهم فوقعت الجمال وسط عسكرهم باحمالها عليهم من شدة النار التى أكلت

---

(١) العذرة : الغائط.

(٢) ابن القاضى : درة الحجال فى غرة اسماء الرجال جـ١ ص ٧١ - ٧٩ نشر علوش (الرباط ١٩٣٤)، د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس : ضميمة رقم ٤، وكذلك :
I.S. Allouche : La Relation Du Siége D'Almería en 709 (1309 - 1310) p238 129

ظهورهم فأكلت تلك النار الجمال والكفار مع ما أكلت من أثاثهم وخيامهم »[١].

من الخطط ايضا قذف المحاصرين بالنيران والزيت والقار المغلى لفك الحصار من ذلك ما حدث عام ٧٧٣ / ١٣٣٣ حينما افرغ الغرناطيون قارا مغليا على جنود الفونسو الحادي عشر ونجحوا بذلك فى احراق متاريس الخشب الموضوعة أسفل الحصن[٢].

هناك أيضًا القيام بالغارات فى الصيف والشتاء إلى أراضى العدو لتدميرها وانتساف زراعاتها[٣]. وقد عرفت هذه الحملات بالصوائف والشواتى، وقد جاء فى رسالة لأبى الحجاج يوسف بن الأحمر سلطان غرناطة إلى أبى عثمان فارس سلطان بنى مرين أنه وجه الجيوش لحرب النصارى و «رأينا الآن أن نصل فيهم النكاية الماضية بالآتية، ونقرن الغزاة الصايفة بالشاتية»[٤].

هناك أيضا الحصار[٥]. وضرب أبواب المدينة بالنار بواسطة السهام[٦]. واستخدام السلالم العالية المتنقلة والأبراج للعمل ضد الأسوار[٧]، وحفر الخنادق حول المدن للدفاع[٨]، وأقامة الاسوار من الحجارة[٩]، والتراب[١٠].

---

(١) النويرى السكندرى : كتاب الالمام بما جرت به الأحكام المقضية فى وقعة الاسكندرية مخطوطة مصورة بمكتبة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية عن نسخة دار الكتب المصرية لوحة ٢٢ شمال.

(٢) انظر : Crónica de D. Alfonso X, Cap CXX p 253., Arfe : Op. Cit, p - 260.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٢٩٣ - ٢٩٤، جـ ١ (عنان) ص ٥٥٥ .

(٤) انظر : Gaspar Remiro, Correspondencía, Op. Cit. : ano IV num 3, p 211.

(٥) انظر على سبيل المثال حصار قيجاطة والتبلاق فى عهد محمد الفقيه فى ٦٩٥ / ١٢٩٥ فى ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٤٩ - ٥٦ وكذلك : Melchor M. Antuna : Conquista de Quesada y Alcaudete por Mohamed II de Granada, en Religión y Cultura t. XIX (1932) pp 338 - 351 .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٩ - ٥٦ وكذلك : IBID.

(٧) راجع ما تقدم .

(٨) ابن الخطيب : اللمحة ص ٤٢ ، ٧٢ ، مفاخرة مالقة وسلا فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٥٨، النباهى : نزهة البصائر فى : Müller p 129

(٩) الحميرى : الروض المعطار : ص ٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٢ .

(١٠) الحميرى المصدر السابق ص ١٢٧ .

وكان الحمام الزاجل يستخدم لنقل الرسائل الحربية، ففى اثناء حصار قوات اراجون للمرية عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩ - ١٣١٠ أتت حمامة زاجلة بخبر جديد إلى المسلمين وهو أن المسيحيين قد وافقوا على عقد الصلح مع المسلمين، لقاء دفع مبلغ من المال[١].

البحرية فى مملكة غرناطة

وهبت الطبيعة مملكة غرناطة ساحلا طويلا يمتد من المرية شرقا إلى جبل طارق والجزيرة الخضراء جنوباً، كما وهبتها وفرة فى المواد اللازمة لصناعة السفن مثل الحديد الخام قرب المرية ووادى آش ومناطق أخرى[٢]. مما ساعد على تقدم البحرية الغرناطية[٣]. وكان للأسطول الغرناطى أهميته الكبرى فبالاضافة إلى حماية المملكة من هجمات الأساطيل الأسبانية، كان يعمل على تأمين الاتصالات بين مملكة غرناطة وبين القوى الإسلامية فى بلاد المغرب، ويقوم كذلك بنقل الجنود إلى أماكن القتال.

وكان لمملكة غرناطة كثير من الثغور والقواعد البحرية من أهمها: المرية ومالقة والمنكب وشلوبانية وبجانة والجزيرة الخضراء وجبل طارق، وكان ببعض هذه الثغور مثل المرية والمنكب ومالقة دور صناعة تمد الأسطول الحربى بالقطع اللازمة واصلاح ما يفسد منها[٤].

وكانت المرية من أهم القواعد البحرية فى مملكة غرناطة، ويرجع تأسيس تلك المدينة إلى الدولة الأموية. وقد امتدح ابن الخطيب المرية وذكر أنه كان بوسع مينائها

---

(١) ابن القاضى : درة الحجال جـ ١ ص ٧١ - ٧٩ وكذلك : I.S. Allouche : La Relation du Siége d'Almeria pp 130.

(٢) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٨٨، المقرى : نفح الطيب : جـ١ ص ١٤٣ ، ١٥٣ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٣ .

(٤) العمرى مسالك الابصار : (الجزء الخاص بوصف افريقية والاندلس) ص ٤٦ وما بعدها، القلقشندى صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٧ وما بعدها، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٥٣ وكذلك :
L.T. Balbás : Atarazanas hispan omusulmanas en AI Andalus XI (1949) pp 186 - 188 .

أن يستقبل السفن الضخمة[١]. وكانت بالمدينة دار لصناعة السفن فى عهد بنى نصر[٢]. وفى أوائل ق ١٩ الميلادى كان يطلق على احد شوارعها اسم شارع دار الصناعة Calle de Atarazanas حيث كانت به بقايا من بناء عربى قديم[٣].

كذلك كانت بالمنكب Almunecar دار لصناعة السفن[٤]. ويمتدح ابن الخطيب هذا الميناء ويصفه بأنه ميناء أمين[٥]. كما انشئت بمالقة دار لصناعة السفن[٦]. كان الاسطول يجهز منها[٧]. وقد زارها فى عام ٨٠٧ / ١٤٠٤م بحارة الشوانى القشتالية الذين كانوا تحت قيادة Pero Nino كونت Buelna [٨].

ويذكر Fernando de Pulgar انه عندما قام الملكان الكاثوليكيان بغزو مالقة عام ٨٩٣ / ١٤٨٧ كان بدار الصناعة برجان عاليان تضرب الامواج تحت أقدامهما[٩]. وقد استخدما كمخازن بعد سقوط المدنية[١٠]. وعندما زار الطبيب الألمانى خيرونيمو مونزر مالقة فى اكتوبر عام ١٤٩٤، شاهد هناك سبعة عقود كانت تستخدم كمراسى للسفن والشوانى[١١]. وكان لدار الصناعة باب فخم من الرخام الابيض واليشب[١٢].

---

(١) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٨٢ - ٨٤ .

(٢) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٤٠ ، عنوان المرقصات ص ٧٤، العمرى : مسالك الابصار ص ٤٤ - ٦٠، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٥٣، جـ ٦ ص ١٧٩ .

(٣) انظر: L.T. Balbás : Atarazanas Hispanomusulmanas (Al Andalus XI fasc I, pp 175 - 209 (1946).

(٤) العمرى : مسالك الابصار ص ٤٤ - ٥٠ .

(٥) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٧٩ - ٨٠ .

(٦) العمرى : المصدر السابق ص ٤٤ - ٥٠ .

(٧) ابن الخطيب : الصيب والجهام ص ٥٦١ .

(٨) انظر: Victorial : Crónica de Don Pero Nino, Conde de Buelna por su alférez Gutierre Diez de Games, ed: Juan de Mata Carriazo (Madrid 1940) p 101, p 103 .

(٩) انظر: Crónica de los Reyes Católicos, ed Juan de Mata Carriazo, Vol. II, Madrid 1943, p 284 .

(١٠) انظر : L.T. Balbás : Op. Cit. p 188

(١١) انظر : Jeronimo Münzer : Vi a je por Espana y Portugal (1494 - 1499) p 114.

(١٢) انظر : F. Guillén Robles : Málaga Musulmand 2e ed (Málaga 1957) p 328 .

وإلى الغرب من مالقة كان هناك ميناء مربلة الذى يصفه ابن الخطيب بأن مرساه غير أمين[1]. وجبل طارق الذى آل إلى بنى مرين عام ٧٣٤ / ١٣٣٣، وعندما زار ابن بطوطة هذا الميناء عام ٧٥١ / ١٣٥١ لم يفته أن يقوم بزيارة تحصينات هذا الميناء الحربى المهم وكذلك دار الصناعة التى انشأها السلطان أبو الحسن المرينى لتحل محل دار صناعة الجزيرة الخضراء بعد أن استولى عليها الفونسو الحادى عشر عام ٧٤٢ / ١٣٤٢ بعد انتصار المسيحيين فى موقعة طريف[2].

ولحماية بلادهم من احتمال هجوم مسيحى مفاجئ، قام الغرناطيون بوضع سلسلة من التحصينات على سواحلهم وخاصة أبراج الطليعة ووضعوا على قمتها «ناظور البـرج»[3]. الذى كانت مهمته تنبيه الحامية الساحلية فى حالة اغارة الأعداء. وكانت الاشارات تتم نهارا باثارة الدخان، وليلا باضرام النار[4].

وقد شيد الحاجب رضوان أربعين من هذه الأبراج فى عهد يوسف الأول على امتداد الساحل بين بيرة وغرب مملكة غرناطة[5].

وزود الغرناطيون المناطق التى كادت أكثر تعرضا لهجوم الأعداء بأسوار حصينة وبالأربطة[6]. واهتمت السلطات بالاسطول ورجاله مثال ذلك ما يحدثنا به ابن الخطيب عن اهتمام السلطان محمد الخامس بالأسطول «وعساكر البحر» وزيادة رواتبهم[7].

---

(١) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٧٥ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ نشر ديفريمرى وسانجو نيتى.

(٣) ابن بطوطة : المصدر السابق جـ٤ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٤) ابن أبى زمنين : قدوة الغازى ورقة ٢٩ ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٠٠

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٥١٧ .

(٦) انظر: Dozy I, 502, & L.T. Balbás : Rabitas hispanomusulmanas - Al Andalus XIII (1948) PP 475 - 491 .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ٣٠ - ٣١ .

ولكن على الرغم من كل هذا كان الاسطول الغرناطي أقل أهمية من أساطيل الممالك الأسبانية المسيحية، وقد ادرك ذلك ابن خلدون وذكر كيف أنه قد «رجع النصارى فيه إلى دينهم المعروف من الدربة فيه والمران عليه والبصر بأحواله وغلب الأمم في لجته وعلى أعواده، وصار المسلمون فيه كالاجانب»[1].

فقد سيطر المسيحيون منذ أواخر القرن السادس الهجري (١٢م) على حركة النقل البحري في حوض البحر المتوسط. ففي عام ٥٧٨ / ١١٨٣ أبحر الرحالة البلنسي ابن جبير من سبتة إلى المشرق على ظهر سفينة تابعة لروم جنوة كانت مقلعة إلى الاسكندرية[2].

دليل آخر على هذا الأمر هو أن غرناطة كانت تطلب في كل معاهداتها مع أراجون سفنًا حربية ففي معاهدة للصلح عقدت في ٢٥ ربيع الأول عام ٨٠٨ هـ / سبتمبر ١٤٠٥م بين محمد الرابع ملك غرناطة وملك اراجون Don Martin وشقيقه ملك صقلية تعهدت أراجون فيها بأن تمد غرناطة في حالة احتياجها بأربعة أو خمسة أجفان وفي كل منها مائتان وعشرون راجلاً على أن تدفع غرناطة لكل جفن تسعمائة دينار من الذهب العين في كل شهر بطول مدة الخدمة، وأن تقدم الدولتان التسهيلات البحرية لكل منهما الاخرى[3].

وفي القرن الثامن الهجري (١٤م) كلف السلطان الغرناطي محمد التاسع الأيسر التاجر محمد البينولي بحمل رسالة إلى سلطان مصر أبي سعيد جقمق الظاهر عام ٨٤٠ / ١١٤٠ . فأبحر على ظهر مركب مسيحي تعرضت لكثير من المتاعب خلال اجتيازها البحر المتوسط[4].

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٦ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ص ٢ (نشر : د. حسين نصار).

(٣) انظر: Andrés Giménez Soler : La Corona de Aragón y Granada (Barcelona 1908), p. 326 - 327 .

(٤) د. عبد العزيز الاهواني : سفارة سياسية في غرناطة إلى القاهرة سنة ٨٤٤ . مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السادس عشر، مايو ١٩٥٤ وكذلك :
Luis Seco de Lucena : Viaje a Oriente, Embajadores Granadinos en el Cairo (M. E. A. H.) t. IV, 1955 P 576, N. 5

وقد لعب القراصنة الغرناطيون دورا مهمًا فى حوض البحر المتوسط الغربى، ويحدثنا الرحالة المصرى ابن فضل الله العمرى عنهم فى (ق ٧ هـ / ١٣م) فيقول: «وبالبلاد البحرية اسطول حراريق للغزو فى البحر الشامى يركبها الانجاد من الرماة والمغاورين[١]، والرؤساء المهرة، فيقاتلون العدو على ظهر البحر، وهم الظافرون فى الغالب ويغيرون على بلاد النصارى بالساحل أوبقرب الساحل، فيستأصلون ذكورهم واناثهم، ويأتون بهم إلى بلاد المسلمين، فيبرزون بهم ويحملونهم إلى السلطان فيأخذ منهم ما شاء ويهدى ويبيع » [٢].

كذلك كان هؤلاء القراصنة الغرناطيون يهاجمون السفن المسيحية التى كانت تتجه إلى اسبانيا أو المغرب[٣].

وكان القراصنة المسيحيون يقومون بأعمال مشابهة ضد المسلمين، وممتلكاتهم، فأبن بطوطة يذكر أنه عندما قام بزيارة مالقة نزل بحارة أربعة اجفان مسيحية إلى منطقة سهيل بين مربلة ومالقة ونشروا الفزع بين السكان، فعمل سكان مالقة على جمع الأموال برسم فداء أبناء دينهم الذين وقعوا فى الأسر[٤]. كذلك يفهم من رسالة بعث بها اسماعيل الأول سلطان غرناطة إلى خايمى الثانى ملك اراجون (فى ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م) ان تجارا من المرية «ركبوا غليوطا إلى لقنت التابعة لاراجون برسم التجارة وجلب السلع فتعرضوا لاعتداء قرقورة تابعة لأهل تلك المدينة وأخذوا منهم شخصان من المسلمين وما كان عندهم من الاسقاط فشكوا بذلك إلى أهل لقنت الذين انصفوهم بعض الانصاف فلما اقلعوا متوجهين إلى المرية تبعهم شيطى أدركهم

---

(١) انتقلت كلمة المغاور بلفظها ومعناها إلى اللغة الاسبانية باسم Almogavar ومعناها المحارب اللى يغير على الحدود وتطلق كذلك على قرصان البحر. انظر : د : أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٧١ ح ١ وكذلك :

Eguiláz, Glosario etimologico de los palábras espanolas, p 233 .

(٢) العمرى : مسالك الابصار ص ٤٤ - ٥٠ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٧٢

(٣) انظر : E. Dufourcq · l'Espagne Catalane y le Maghrib p 575 .

(٤) انظر ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٦٤ - ٣٦٧

بالقبطة فاستولى على الغليوط وعلى جميع ما كان فيه من البضاعة وأخذوا امراتين وصبيتين وصبيا »[1].

كذلك نجد أنه في عام ٨١٨هـ / ١٤١٥م وجه يوسف الثالث سلطان غرناطة، احتجاجا عنيفا إلى ملك اراجون فرناندو الأول لأن رجاله اسروا بعض المسلمين وشحنة مهمة من سفينة غرناطة فى مضيق جبل طارق، كما اسروا اثنين وعشرين من رعايا بنى نصر وثلاثة رجال كانوا يعملون بحراسة ساحل قريب من جبل طارق ومركبا غرناطيا لصيادى سمك عند سواحل سبتة[2].

وكان الاسطول الغرناطى يتكون من قطع مختلفة كل منها يستخدم فى القتال بطريقة معينة نذكر منها :

الحراريق : وتسمى أيضا الحراقات، ومفردها حراقة وهى نوع من السفن الحربية التى تستخدم لحمل الأسلحة النارية، كالنار الاغريقية، وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو في البحر، وقيل هى المرامى نفسها[3]. وقد عبر بها ابن خلدون إلى الاندلس[4].

العشارى : وهى طراز من السفن متوسطة الحجم، كانت تستعمل فى الانهار والبحار للرحلات الصغيرة، وقد تلحق بالسفن الكبيرة لتكون قوارب نجاة، وعن العرب اخذها الاسبان واطلقوا عليها Esquife de Nave ويبدو أنها سميت عشاريات لأنها كانت تتسع لعشرة أشخاص[5].

---

(١) انظر: Alarcón y Linares · Los Documentos Árabes diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragón p 12

(٢) انظر: M. Arribas Palau : Una reclamación de Yúsuf III de Granada a Fernando I de Aragón (M. E. A. H.) 1961, Vol. IX, fasc I, pp 76 - 84

(٣) محمد ياسين الحموى : تاريخ الاسطول العربى ص ٣٤، عبادة · سفن الاسطول الاسلامى ص ٥، حبيب زيات: معجم المراكب والسفن فى الاسلام ص ٣٣ وكذلك ؛ Dozy Suppl. I, p 247

(٤) ابن خلدون العبر جـ ٧ ص ٤١١

(٥) ابن الابار الحلة السيراء جـ ١ ص ٢٩٧ حاشية ١ الحموى المرجع السابق ص ٣٧

الشواني : مفردها شيني أو شونة وهي السفينة الحربية الضخمة التي كانت تتكون من عدة طبقات كالقلعة، وتسمى في الاسبانية Galera، والشواني مزودة بابراج وقلاع للدفاع وتحتوي على اهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء[1]. وقد جاء ذكر الشواني في اشعار ابن زمرك حيث يقول :

ما ترى أن الشواني في صعيد البحر تجري[2].

الأجفان : كان هناك نوعان منها : الأجفان الغزوية[3]، وأخرى تستخدم لنقل الخيل[4].

الطريدة أو الطراد : سفينة صغيرة سريعة أطلق عليها الإسبان إسمTarida وكانت تستخدم في نقل الخيل، وقد شبهها دوزي في معجمه بالبرميل[5].

الشلندي : وهي نوع من المراكب الحربية المسطحة الكبيرة لحمل المقاتلة والسلاح. وعرفت بعد ذلك عند العثمانيين باسم ماعونة[6].

البطس : جمع «بطسة» وهي من السفن الحربية العظيمة التي تشتمل على عدة طبقات وعلى قلوع كثيرة، وكانت تستخدم لحمل الزاد والذخيرة والرجال[7].

الأغربة : جمع «غراب» وهي من السفن الحربية شديدة البأس، ولعلها سميت بهذا الاسم بسبب شكل مقدمة هيكلها التي كانت على شكل غراب[8]. وانتقلت

---

(١) عبادة : المرجع السابق : ص ٤ – ٥ ، الحموي : المرجع السابق : ص ٣٢، د. ابراهيم العدوي : الاساطيل العربية في البحر المتوسط ص ١٥٣، د. درويش النخيلي: السفن الاسلامية على حروف المعجم ص ٨٣ وكذلك :: Dozy Suppl. I, p 717

(٢) المقري : نفح الطيب جـ ١٠ ص ١٢٣ .

(٣) المقري : نفح الطيب جـ ٧ ص ٦٧ .

(٤) المقري : المصدر السابق : جـ ٦ ص ١٧٩ .

(٥) عبادة : المرجع السابق ص ٥، الحموي : المرجع السابق ص ٢٣، درويش النخيلي : المرجع السابق ص ٨٩ وكذلك: Dozy : Suppl: I, p. 783 .

(٦) عبادة : المرجع السابق : ص ٥ – ٦، حبيب زيات : المرجع السابق : ص ٣٥٤، د. أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٣٣ح ٥، درويش النخيلي : المرجع السابق ص ٧٩ .

(٧) عبادة : المرجع السابق ص ١٠ ، الحموي : المرجع السابق ص ٤٠ وكذلك : Dozy : Suppl. I, p. 94 .

(٨) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ١٠٠ .

كلمـــة Corvette من لفظ غراب إلى اللغات الأوربيـة [١]. ويذكـر النويرى أن «المراكب الغـزوانيـة تسـمي غرابًا، وذلك لرقتهـا وطولهـا وسـوادها بالأطلية المانعة للماء عنها كالزفت وغيره فصارت تشبه سواد الغربان لسوادها وسواد مناقيرها[٢].

المسـطحـات : مفردها مسطحة أو مسطح وهى نوع من السفن الحربية المسطحة ويطلق عليها الاسبان اسم : Mestech [٣].

القراقير : جمع «قرقورة» وهى سفينة ضخمة كانت تستخدم لنقل المؤن، واسمها بالاسبانية Carraca [٤].

وكـان السـلاح الرئيـسى لرجـال الاسطول هى القـسى التى تشـد بواسطة اليـد (العربية) أو الرجل (الافرنجية)، ويلى القسى فى الأهمية المجانيق والعرادات [٥]. كذلك استـخـدم الغـرناطيـون الرمـاح الطويلة، التى يعنيهـا ابن الخطيب عند قـوله «وشرعوا أرشية الرماح»[٦]. والكلاليب وفـائدتها أنهـا تلقى على مراكب العدو، فيوقفوتها ثم يشدوها، ويرمون عليها الألواح كـالجسر، فينتقلون إليهـا، ليقاتلوا من فيهـا، وكان من معدات السـفن الحربية أيضًا ادوات الحصـار مثل الابراج والسـلالم والحبال[٧].

---

(١) عبادة : المرجع السابق : ص ٧، العدوى : المرجع السابق ص ١٥٣ وكذلك :
Dozy : Suppl. II, p.204 - 205 .

(٢) النويرى السكندرى : الالمام بما جرت به الاحكام لوحات ١٢٣ أ، ١٢٤ أ، ١٥٢ أ
ويقول ابن أبي حجلة في وصف غراب :

غربانها سود وبيض قلوعها　　　يصفر منهن العدو الازرق

(حبيب زيات : المرجع السابق ص ٣٥٥)

(٣) الحمـــيرى : المرجع السابق ص ٤١، حبيـب زيـات : المرجع السابق ص ٢٤٠، درويـش النخيلى : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(٤) عبادة : المرجع السابق : ص ٥، الحموى : المرجع السابق ص ٣١ وكذلك :

Dozy : Op. Cit., II, p335 .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١٠ ص ٤١٣ .

(٦) المقرى : نفح الطيب جـ ٩ ص ٧٩ .

(٧) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١٠ ص ٤١٣، عبادة : المرجع السابق ص ٨،

Dozy : Suppl. II, p.481 .

كذلك كان يوجد فى أعلى الصارى فى السفن الكبيرة صناديق مفتوحة من أعلاها تسمى التوابيت يصعد إليها الرجال ويأخذون فى رمى الأعداء منها بحجارة صغيرة[1].

قادة الاسطول الغرناطى

كان يعهد بقيادة الأسطول فى غرناطة إلى ضابط عظيم يسمى «قائد البحر»[2]. أو «قائد الاسطول»[3]. وقد برز فى مملكة غرناطة عدد كبير من قادة الأسطول فى الأندلس وفى المغرب أيضًا نذكر منهم على سبيل المثال أسرة بنى الرنداحى ومن ابنائها:

ابو العباس الرنداحى: الذى ساعد باسطوله الفقيه أبا القاسم العزفى عندما استقل بسبتة وطنجة عن طاعة الحفصيين سنة ٦٤٧[4]. وأبو الحسن على الرنداحى، قائد وحدات الاسطول الغرناطى عند حصار الاراجونيين للمرية بقيادة خايمى الثانى سنة ٧٠٩ / ١٣٠٩ - ١٣١٠[5]. وجحفون الرنداحى، الذى كان قائدا للاساطيل بالمغرب فى عهد الخليفة المرتضى الموحدى وخلفه بنوه، ثم انتقلوا إلى مالقة، حيث كان لهم هناك أثار تشهد على كفاءتهم[6]. والقائد محمد بن القاسم الرنداحى، الذى تولى قيادة اساطيل سبتة[7]. وقائد الاساطيل يحيى الرنداحى الذى كان قائد الاساطيل بسبتة ثم نزح إلى الاندلس[8].

كذلك نذكر القائد أبا عبد الله محمد بن سلبطور الهاشمى (ت فى مراكش ٧٥٥ / ١٣٥٤) الذى ينتسب إلى المرية، وواضح من اسمه Salvador أنه ينتمى

(١) العذرى : المرجع السابق ص ١٦٢ .
(٢) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٥٤٧، ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٤٠ .
(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٤١٤، التعريف ص ٩٠ .
(٤) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص ٤٠٠، د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٣٩٦ وما بعدها.
(٥) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ١٨٦ I.S Allouche : La Relation du, siége d'Almeria p 126.
(٦) ابن خلدون : المصدر السابق جـ ٧ ص ١٨٦ .
(٧) ابن خلدون : المصدر السابق جـ ٧ ص ٢١٠ .
(٨) ابن خلدون : المصدر السابق جـ ٧ ص ٢٤٧ .

إلى أصل أسباني، وكان يتولى قيادة اسطول المنكب في عهد محمد الخامس[1]، كما كان «دريا على ركوب البحر وقيادة الاساطيل»[2]. والقائد أبا الحسن بن كماشة، الذي كان مركزه في المرية[3]. ومحمد بن يوسف بن الأحمر الذي عينه أبو عنان فارس قائدا أعلى للاسطول المغربي[4].

استعراض الأسطول ورجاله

يفهم من المصادر أن رجال الاسطول كانوا يرتدون زيا خاصا بهم ويستخدمون الأبواق والطبول في استعراضاتهم[5]. ويعطينا ابن الخطيب وصفا لرجال الأسطول في المرية وقيامهم بالعروض العسكرية عند مرور السلطان بها في عام ٧٤٨ / ١٣٤٧ فيقول:« امتاز خدام الأساطيل المنصورة في احسن الصورة، بين أيديهم الطبول والأبواق تروع أصواتها وتهول»[6]. ويذكر كيف خرج الأسطول لاستقبال السلطان «فطلعت في سماء البحر أهلة الشواني، كأنها حواجب الغواني، حالكة الأديم، متسربلة بالليل البهيم، تتزاحم وفودها على الشط، كما تتداخل النونات في الخط»[7].

كما يذكر براعة رجال الأسطول وقوة تدريبهم فيصف لنا بحري يتلاعب على شريط صاعدا ونازلا في الفضاء فيقول:

وبحرى تلاعب على شريط   وحى الفعل متصل الصموت
تدلى وارتقى وسما وأهوى   فأعجب في التماسك والثبوت

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ١٨ - ١٩، ابن القاضي : درة الحجال جـ ١ ص ١٩٦، المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ١٩٢ - ١٩٣، د. أحمد مختار العبادي : دراسات ص ٣٩٧ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (المجلد الثاني) عنان ص ٣٦٠ - ٣٦٤، ابن حجر العسقلاني : الدرر، السفر الرابع ص ١٦١ ترجمة رقم ٤٢٨ .

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ص ٢٨٢، ازهار الرياض جـ ٢ ص ٣٠٣ .

(٤) ابن الحاج النميري : فيض العباب لوحة ١٩ .

(٥) ابن الخطيب : خطرة الطيف في مشاهدات ص ٤٣ .

(٦) د. ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٤٣ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٤٤ .

فقلنا : أن يكن بشرا سـويا ففيه غريزة من عنكبـوت[١].

هذا ويفهم من قصائد ابن الخطيب[٢]، وابن زمرك[٣]. ان الاعلام التى كانت ترفرف على الاسطول الغرناطى كانت حمراء اللون جريا على شعار بنى الأحمر سلاطين هذه الدولة.

الأربطة والمرابطون

إلى جانب الأساطيل والقواعد البحرية، وجدت أيضًا الأربطة والمحارس الساحلية على طول سواحل مملكة غرناطة لحمايتها من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الأعداء. وكان المرابطون يحيون حياة تقوم على الحراسة ،والزهد والتعبد وذكر الله بصوت مرتفع، وفى هذا يقول الصوفى الغرناطى ابن أبى زمنين:

«ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير فى العساكر والثغور والرباطات، دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيرا عاليا ثلاث تكبيرات، ولم يزل ذلك من شأن الناس قـديماً»[٤]. وكانت الحراسة تعتبر من صفات المرابطة، وعرف الحراس باسم السمار[٥]، وقد جرت العادة أن تكون الحراسة فى مراقب عالية ملحقة بالرباط، أو فى أماكن مرتفعة قريبة منه لكشف سفن العدو من مسافة بعيدة، وكنت هذه المراقب أو الربط مزودة بالمناور أو المنائر أو المنارات، التى عرفت أيضًا باسم الطلائع أو الطوالع جمع طالعة أو طليعة Atalaya [٦]. فكان على أولئك السمار أو المرابطين

---

(١) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٣٣٦، الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٤٥٤، د. أحمد مختار العبادي : دراسات ص ٣٩٩ .

(٢) يقول ابن الخطيب : (ديوان الصيب والجهام ص ٥٣٥ .)

واى فؤاد منهن غير خافق إذا خفقت فى البحر أعلامك الحمر

(٣) يقول ابن زمرك : فى مدح السلطان محمد الخامس :

اعلامك الحمـر فوق السفن خافقـة وريح سعدك تجريها على قدر

(المقرى : ازهار الرياض جـ ٢ ص ١٣٨)

(٤) ابن ابى زمنين : كتاب قدوة الغازى لوحة ٢٩ (مخطوط رقم ٥٧٥ بالمكتبة الوطنية بمدريد)، د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٠٠ .

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص ٤٢١، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٧ .

(٦) انظر : Dozy : Suppl. II, p 55 .

إذا ما كشفوا عدوا فى البحر مقبلا من بعيد أن يشعلوا النار على قمم المناور أو الطلائع ان كان الوقت ليلا[1]. أو يثيروا الدخان ان كان الوقت نهارا، هذا إلى جانب استخدام الطبل والنفير لتحذير أهالى المدن المجاورة من غارات العدو، وكثيرا ما استعمل المرابطون اشارات نارية أو دخانية بطرق أو حركات معينة للاخبار عن حالة العدو أو عدده أو جنسيته أو غير ذلك، وبهذه الطريقة، كان من الممكن ارسال تحذير أو انذار[2].

ولقد اقتبس الاسبان عن جيرانهم المسلمين نظم المرابطة منذ وقت مبكر، فدخل لفظ رباط العربى فى اللغة الاسبانية ومنه اشتقت كلمة Rebato أى الرباط و Arrebatar أى يرابط ويقاتل، Tocar el rebato وتعنى الانذار بغارة معادية، كذلك استخدموا نفس الوسائل والأدوات باسمائها العربية مثل الطلائعAtalaya والمنارة Almenara والنفير Anafil الا أنهم زادوا عليها استعمال النواقيس التى تقابل الطبول عند المسلمين[3].

وقد ورد فى النصوص والوثائق اسماء لبعض هذه الرباطات التى كانت تحيط بغرناطة ومدن المملكة الاخرى نذكر منها رابطة العقاب[4]. وقد نزل بها المتصوف الشهير على بن عبد الله النميرى الشسترى[5]. ورابطة المنتجات بخارج غرناطة[6]، ورابطة ابن عبد البر بالبيازين[7]. ورابطة المحروق من ظاهر غرناطة[8]، ورابطة السودان خارج مالقة[9]، ورابطة القابطة أو القبطة فى المرية ولعلها قابطة

---

(١) الادريسى : صفة المغرب ص ١٩٨ .

(٢) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٠٠ وما بعدها .

(٣) د. أحمد مختار العبادى : المرجع السابق وكذلك :
Oliver Asin : Origen Árabe del Rebato p 46 - 47 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٤٣، ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٧٣ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٢٤٢ - ٢٤٦ .

(٦) الازدى : تحفة المغترب ص ١٢٦ .

(٧) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٠٦ .

(٨) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٧٢، ابن حجر العسقلانى : الدرر، السفر الرابع ص ١٠١ - ١٠٢ المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ص ١٢٤ .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٢٣، ابن حجر : الدرر السفر الرابع ص ٤٠٩ .

بنى الأسود التى أشار إليها البكرى كموضع بجوار مرية بجانة[1]، وقد اشار اليها الوزير لسان الدين بن الخطيب عند حديثه عن غرق سفينة غرناطية بمن عليها من الطلبة والادباء وابناء السراة والحسباء باحواز هذا المكان عام ٧٣٩هـ [2]. كذلك اتخذت المرية رباطا «وابتنت فيها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها»[3]. وفى المدونات الاسبانية المسيحية التى وصفت غرناطة غداة سقوطها فى يد الملكين الكاثوليكيين عام ١٤٩٢ نجد اشارات كثيرة إلى وجود عدد كبير من هذه الربط والقصور الساحلية[4]. وقد امكن لـ C. Villanueva أن تحصى ستة وثلاثين رباطا منها[5].

كذلك فقد زار الرحالة ابن بطوطة بعض هذه الرباطات فى منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) وفى ذلك يقول « ولقيت بغرناطة شيخ الشيوخ والمتصوفين بها، الفقيه أبا على بن الشيخ الصالح الولى أبى عبد الله محمد بن المحروق، وأقمت اياما بزاويته التى بخارج غرناطة، وأكرمنى أشد الإكرام، وتوجهت معه إلى زيارة الزواية الشهيرة البركة المعروفة برابطة العقاب. والعقاب جبل مطل على خارج غرناطة، وبينهما نحو ثمانية أميال، وهو مجاور لمدينة البيرة الخربة. ولقيت أيضًا ابن أخيه الفقيه أبا الحسن على بن أحمد بن المحروق بزاويته المنسوبة للجام بأعلى ربض نجد من خارج غرناطة المتصل بجبل السبيكة، وهو شيخ المتسببين من الفقراء. وبغرناطة جملة من فقراء العجم استوطنوها لشبهها ببلادهم، منهم الحاج أبو عبد الله السمرقندى، والحاج أحمد التبريزى، والحاج ابراهيم القونوى، والحاج حسين الخراسانى، والحاجان على ورشيد الهنديان وسواهم»[6].

---

(١) البكرى : المغرب ص ٨٩ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٢٥ .

(٣) العذرى : نصوص من الاندلس ص ٨٦ .

(٤) د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٣٩٦ وكذلك .

Alfonso Gamir Sandoval : Organizacion de la defensa de la Costa del reino de Granada desde su reconquista hasta finales del siglo XVI pp 265 - 275

(٥) انظر : C. Villanueva : Rabitas Granadinas (M. E. A. H.) (1954) p 79 - 86 .

(٦) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٧٢ – ٣٧٣، د. أحمد مختار العبادى : الأعياد فى مملكة غرناطة ص ١٤٧ .

الباب الثالث

الحياة الاقتصادية فى مملكة غرناطة

غلاء المعيشة فى غرناطة - الأسعار و مستوى المعيشة - الإدارة المالية - مصادر الدخل - سكة غرناطة - التجارة فى مملكة غرناطة (الداخلية - الخارجية) . الموازين والمكاييل والمقاييس - الزراعة فى مملكة غرناطة (أنواع الملكية الزراعية - المنتجات الزراعية) - الرعى وتربية الحيوان - صيد السمك - الصناعة فى مملكة غرناطة .

الباب الثالث
الحياة الاقتصادية فى مملكة غرناطة

غلاء المعيشة فى غرناطة :

كان لازدحام مملكة غرناطة بالسكان نتيجة للهجرات المتوالية إليها من المدن الأندلسية التى كانت تسقط فى يد الإسبان، وطبيعة أرضها الجبلية الوعرة أثر كبير فى غلاء المعيشة بها. وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى هذا الغلاء عندما قال فى معرض حديثه عما حدث فى الأندلس فى عصره «انهم لما الجأهم النصارى إلى سيف البحر وبلاده الوعرة الخبيثة الزراعة النكدة[1] النبات، وملكوا عليهم الأرض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا إلى علاج المزارع والفدن لاصلاح نباتها وفلحها، وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مؤونة، وصارت فى فلحهم نفقات لها خطرها فاعتبروها فى سعرهم، واختص قطر الأندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى إلى هذا المعمور بالإسلام مع سواحلها لأجل ذلك»[2].

كذلك أشار أبو الحسن النباهى[3]. إلى غلاء المعيشة فى غرناطة أثناء ترجمته للقاضى أبى البركات المعروف بابن الحاج البلفيقى فذكر أنه «كان يميل إلى القول بتفضيل الغنى على الفقير» ويبرهن على ذلك بقوله «وبخصوص البلاد الأندلسية لضيق حالها، واتساع نطاق مدنها، ولا سيما فى حق القضاة، فقد شرط كثير من العلماء فى القاضى أن يكون غنيا، ليس بمديان ولا محتاج».

كذلك يحدثنا ابن الخطيب عن غلاء الأسعار فى غرناطة بقوله : «وأسعارها يشعر معيارها بالترهات»[4]. ويضيف أن الأسعار كانت مرتفعة فى المرية

---

(١) نكد نكدا من باب تعب فهو نكد : تعسر، ونكد العيش نكدا اشتد.

(٢) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٣٦٤ وكذلك ؛ Al Abbadi : El Reino de Granada p 170 .

(٣) النباهى : المرقبة العليا ص ١٦٤ وكذلك ؛ Al Abbadi : Ibid . p 170

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٩١ - ٩٢ .

والضرائب كثيرة[(١)].

وقد دفع الغلاء عددا كبيرا إلى الهجرة إلى الخارج حتى أنه قد بلغ من كثرة عدد المسافرين من مدينة غرناطة إلى المشرق أن سمى أحد ارباطها الخارجية باسم «حوز الوداع» وهو المكان الذى اعتاد فيه الغرناطيون توديع أحبابهم وأهاليهم قبل رحيلهم»[(٢)].

الأسعار ومستوى المعيشة فى غرناطة :

كانت أسعار الأراضى الزراعية تختلف باختلاف خصوبتها، أما العقارات والأماكن المعدة للسكنى فكانت تختلف باختلاف أهمية موقعها وموقع الحى الذى توجد فيه.ويذكر ابن الخطيب ان اسعار الممتلكات العقارية كانت مرتفعة فى ضواحى غرناطة[(٣)]. وان الأراضى المروية فى الفحص كانت تساوى خمسة وعشرين دينارا للمرجع العملى[(٤)].

وتعطينا الوثائق العربية الغرناطية، نماذج للأسعار السائدة فى ذلك الوقت ففى عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م بيعت حديقة تقع فى غرناطة نظير مبلغ ثمانمائة دينار من الذهب[(٥)].

وفى عام ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م كان الحانوت فى قيسارية غرناطية يساوى مائتى دينار ذهبيًا[(٦)]. وفى عام ٨٩٧ / ١٤٩١م كان المرجع[(٧)] من الأرض الجيدة الرى يساوي تسعة دنانير من الذهب أوالفضة[(٨)]. أما فى الفحص فكان كل مرجع

---

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٢٣٠، د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢١٥ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٢٨ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٤ - ١٥، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٣١ .

(٥) انـظـر : Luis Seco de Lucena : Documentos arábigo granadinos (Al Andalus Vol. VIII, 1943, P 121 .

(٦) لويس سيكردى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ، الوثيقة رقم ٢٦ جـ ص ٥٣ - ٥٤ .

(٧) انظر الفصل الخاص بالموازين والمقاييس والمكاييل.

(٨) المصدر السابق : وثيقة رقم ٦٥ب، ص ١١١ - ١١٢

يساوي في الأراضي المروية (أرض السقى) أربعين دينارا من الفضة، وفى الأراضى التى كانت تروى بالمطر كان الثمن ينخفض إلى ستة دراهم من الفضة للمرجع الواحد[1].

لافتداء اسير فى القرن التاسع (١٥م) كان يدفع من ١٣٠ إلى ٢٠٠ درهم من الفضة، وكانت تكاليف تحرير عقد قسمة يرتفع إلى ٣٠٠ درهم من الفضة[2].

وفى القرن السابع الهجرى كان ثمن البغل اربعين دينارا [3]، وفى القرن التاسع الهجرى كان الحمار يساوى ٣٠٠ درهم من الفضة[4].

أما بخصوص اثمان الملابس والاثاث فنجد أن: المنضدة (طيفور)[5]، كانت تساوي أربعة دراهم، وزوج من النعال الجلدية (سباط من جلد) ثلاثة عشر درهما، ومقلاة نحاس اثني عشر درهما[6].

بالنسبة للمواد الغذائية فقد ذكر ابن بطوطة الذى زار غرناطة فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) ان الفاكهة كانت كثيرة وأسعارها رخيصة ففى مالقة كان العنب يباع بسعر الثمانية أرطال بدرهم «صغير»[7]، ويروى ابن الخطيب ان اسعار الخضروات كانت رخيصة على عهده[8].

أما عن اسعار المواد الغذائية فى القرن التاسع الهجرى، فلدينا وثيقة من عام

---

(١) المصدر السابق ؛ ص ٢٠م .

(٢) المصدر السابق ؛ ص ٢٣ م.

(٣) الازدى ؛ تحلة المغترب ص ٣٣ .

(٤) انظر ؛ E. Ashtor : Prux et salaires dans l'Espagne musulmane aux X^e et XI^e siécles, dans Annales, Juillet août 1965, p 675

(٥) الطيفور ؛ لفظ كان يدل فى غرناطة الاسلامية على نوع من الموائد الصغيرة، وانتقلت الكلمة إلى الإسبانية فأصبحت Ataifor وكان اللفظ الاسبانى فى العصور الوسطى يدل كذلك على الطبق الكبير العميق الذى يقدم فيه الطعام ولا سيما اللحم .
انظر ؛ لويس سيكودى لوثينا، وثائق عربية غرناطية لم تنشر، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد الرابع العددان ١ - ٢ ١٣٧٥ / ١٩٥٦ ص ١٧٧ ح١

(٦) لويس سيكودى لوثينا ؛ وثائق عربية غرناطية ص ٢٣م .

(٧) ابن بطوطة ؛ الرحلة جـ ٤ ص ٣٦٦ ، المقرى ؛ نفح الطيب ؛ جـ ١ ص ١٤٥ .

(٨) ابن الخطيب ؛ اللمحة ص ١٤ .

٨٩٠هـ / ١٤٨٥ تزودنا ببعض الحقائق منها ان عشرين قدحا من الشعير كانت تباع بسعر ثمانية عشر درهما للقدح، نصف رطل من السمن، وخمسة ارطال من العسل كانت تساوى خمسة وثلاثين درهما[١]. قنطار من البذرة كان ثمنه يتراوح بين اثنين وثلاثين واربعين دينارا، وقنطار من الفلفل كان يباع بثلاثين دينارا، وكان قنطار من القرفة يقدر بثمانية وثلاثين دينارا[٢].

أما فيما يتعلق بالرواتب فى العصر الغرناطى فالمصادر المعاصرة تقف ساكنة عن هذا الموضوع، وان كانت تفيض فى الحديث عن الغلاء الذى كابده الشعب الغرناطى فى عهد بنى نصر.

الادارة المالية فى مملكة غرناطة :

لاتسهب المصادر العربية المعاصرة للدولة النصرية فى ذكر هيكل الإدارة المالية للمملكة ونفهم منها ان بعض السلاطين كانوا يباشرون الأوضاع المالية بانفسهم، مثال ذلك السلطان محمد الأول الغالب بالله[٣].

ومن بين وظائف الادارة المالية كان هناك «صاحب الاشغال الخراجية» الذى «كان أعظم من الوزير وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدى منفعة، ونحوه تمد الأكف، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار»[٤].مثال ذلك ما ترويه المصادر من أن رجلا يدعى أبو عبد الله العذرى من أهل وادى آش، ولى الاشغال السلطانية «فذعرت الجباة لولايته»[٥].

أما ابن خلدون فيذكر ان المختص بالحسابات وسائر الأمور المالية فى الدولة كان

---

(١) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ، وثيقة رقم ٦٥ ب ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) انظر : Miguel Angel Ladero Quesada : Granada, Historia de un Pais Islamico (Madrid 1969) p. 50

(٣) ابن الخطيب اللمحة : ص ٣١ .

(٤) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٢٣٤ .

(٥) المقرى : المصدر السابق جـ ٨ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

يسمى في غرناطة «الوكيل»[1]. ويفهم من النصوص أن الوكيل كان يتولى أيضًا الحسابات الخاصة بالملك من هؤلاء نذكر محمد بن المحروق، الذى كان وكيلا للسلطان اسماعيل الأول، قبل أن يتولى الوزارة على عهد السلطان محمد الرابع[2]. وكذلك محمد بن على بن بكر الحضرمى الذى استعمله السلطان على وكالة بيت ماله[3].

كذلك يقابلنا كاتب الزمام أو كاتب الجهبذة[4]. والجهبذة كلمة فارسية الأصل، ومنها الجهبذ أى الناقد العارف، ولكن الجهبذة هنا هى الادارة المالية الخاصة بجباية الضرائب، وجمع الخراج وتحصيله، وكاتب الجهبذة هو صاحب الزمام أو صاحب الأشغال الخراجية الذى كان بمثابة وزير للمالية[5].

نخرج من هذا وذاك ان الادارة المالية فى غرناطة كانت فى يد موظف مختص، يختار من علية القوم، ويطلق عليه تسميات مختلفة مثل الوكيل وصاحب الاشغال الخراجية وكاتب الزمام أو الجهبذة.

على أنه باستقراء الاحداث التاريخية ودراستها فى غرناطة، نجد أن الوزراء العظام فيها كان لهم اشراف على الشئون المالية واختصاص بمعرفتها مثال ذلك محمد بن المحروق ـ السالف الذكر ـ وكذلك الوزير لسان الدين بن الخطيب الذى «داخله السلطان ـ أبو الحجاج يوسف الأول ـ فى تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها أموالا»[6]، ثم عهد إليه ولده محمد الخامس بالاشراف على بيت المال، والعمل على صيانة الجباية وتثميرها[7]. بل أنه مما كان يؤخذ على الوزير عبد

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٢ (طبعة بيروت).

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨١ ، ابن حجر العسقلانى : السفر الثالث ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ترجمة رقم ٩٦٣ .

(٣) المراكشى : الذيل والتكملة، السفر السادس ص ٥١١ ترجمة رقم ١٣١٣ .

(٤) المقرى : المصدر السابق جـ١ ص ٢٠٢، د. أحمد مختار العبادى؛ دراسات ص ٢٣٥ .

(٥) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٣٤ وكذلك ؛ Dozy : Suppl., I, 226, 601 .

(٦) المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ص ٢٦، وكذلك : د. أحمد مختار العبادى : النزعات الإقتصادية فى حياة لسان الدين بن الخطيب، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨ .

(٧) المقرى : المصدر السابق جـ ٧ ص ٥ - ٧ .

الله بن زمرك «قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية، وعدم اضطلاعه بالامور الجبائية، واتهامه للمشتغلين - على غير اساس - بانهم احتجنوا الأموال، وأساءوا الأعمال»[١].

أما عن تحصيل الضرائب، فقد كان هناك موظفون لهذا الأمر يطلق عليهم اسم «عمال» ويذكر أبو الحسن النباهى أن السلطان محمد الأول «باشر حساب العمال بنفسه واشتد عليهم فى النكال» [٢]. وفى عهد محمد الثانى، يقابلنا «متولى الخفارة الذى كانت سلطته عظيمه لأنه كان يشرف على جمع الضرائب والقضاء على الإهمال[٣]. وفى القرن التاسع الهجرى كان يطلق على الموظف المكلف بتحصيل الزكاة للمخزن «المشرف»[٤]. ويقابلنا «خدام الجباية» فى عهد محمد الثامن[٥]. وفى نص متأخر خاص بتقسيمات وراثية نجد أن الموظف المختص بتحصيل الزكاة والضريبة الخاصة بالميراث كان يطلق عليه «صاحب الزكاة والمواريث»[٦].

هذا ومن الملاحظ أن سلاطين غرناطة قد ابعدوا أهل الذمة من الوظائف المتعلقة بجمع الضرائب[٧].

مصادر الدخل فى غرناطة :

تذكر المصادر ان الضرائب فى مملكة غرناطة كانت أعلى على وجه العموم مما كانت عليه فى الدول الاسلامية الاخرى[٨]. ويصفها ابن الخطيب بقوله «والمكوس التى

---

(١) المقرى : أزهار الرياض جـ ٢ ص ١٩، د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٢٣٥ .

(٢) النباهى : نزهة البصائر والأبصار فى Müller: OP. Cit. p 116 - 117 .

(٣) انظر : Dozy : Suppl. I, p. 386 .

(٤) انظر :- J. López Ortiz : Fatwas Granadinas del siglo XV (Al Andalus 1941) pp 95 - 97.

(٥) انظر : W. Hoenerbach : Spanisch Islamische urkunden p 344., Arfe : L'Espagne musulmane an temps des Nasrdes (1232 - 1492) p 214.

(٦) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية، وثيقة رقم ٦٤ ب، ص ١٠٩ .

(٧) انظر : Rachel Arfe : Op. Cit., p 214.

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٤٠ .

تطرد البركة وتنفيها »[1]. بل أنه يفهم من النصوص أن الغرناطي كان يؤدي ضريبة في القرن التاسع (١٥م) أكثر ثلاث مرات مما كان يدفعه المواطن القشتالي إلى حكومته[2].

وربما كان هذا الأمر راجعًا إلى استمرار الصراع بين غرناطة وممالك اسبانيا المسيحية، وما كان يمثله هذا الصراع من عبء كبير على المملكة، وإلى تكدس غرناطة بالسكان الذين كانوا يفرون إليها من البلاد الاندلسية الأخرى التي كانت تسقط في يد القوى المسيحية، حتى ضاقت الأرض بسكانها، وكذلك إلى ثقل الجزية التي كان على غرناطة أن تؤديها كل عام إلى قشتالة.

ومع ذلك نلاحظ أن مواطني غرناطة كانوا يقبلون على دفعها بنفس راضية، إذ كانوا يرون فيها تأمينا لحياتهم في دولة محاطة بالأعداء من كل جانب[3].

ومن المعروف أن ميزانية الدولة كانت مثقلة بالجزية السنوية التي كانت تؤدي إلى قشتالة كل عام[4]. وإذا كانت المصادر العربية تقف صامتة حول قيمة هذه الجزية، فإن المدونات المسيحية تروي لنا أن محمد الأول كان يؤدي إلى فرناندو الثالث مبلغ ١٥٠,٠٠٠ مرابطي من الذهب في كل عام، بينما تروي مدونات أخرى أنه كان يؤدي ٣٠٠,٠٠٠، وتذكر أن هذا المبلغ كان يبلغ نصف دخل المملكة[5].وعندما تولى الفونسو العالم عرش قشتالة خفض الجزية إلى خمسين الف مرابطي. وفي عام ٧٠٩ / ١٣٠٩ سلم أبو الجيوش نصر إلى فرناندو الرابع مبلغ ٥٠ ألف دينار من الذهب نظير رفع الحصار عن الجزيرة الخضراء، بالاضافة إلى جزية اسلافه، واعترف

---

(١) ابن الخطيب : معيار في مشاهدات ص ٩١ .

(٢) انظر : Miguel Angel Ladero Quesada : Op. Cit., p 52 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٠، اللمحة ص ٢٧ .

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٤٦ - ٥٠ .

(٥) انظر : Crónica General n° 1070, Fray Jarme Bleda : Crónica de Los moros (Valencia 1610) p 456 b y p 457 a & Aríe : Op. Cit : p. 214 .

له بالتبعية الاقطاعية[1]. كذلك قام محمد الخامس فى عام ٧٨٠ / ١٣٧٨ بدفع مبلغ خمسة الاف دينار من الذهب ليحصل على تجديد الهدنة لمدتة عامين مع ملك قشتالة انريكى دى تراستمارا[2]. وفى عهد السلطان ابى الحجاج يوسف بن المول، عقدت معاهدة بينه وبين ملك قشتالة فى ٧ محرم ٨٣٥ / ١٦ سبتمبر ١٤٣١ تعهد فيها بدفع جزية إلى قشتالة مقدارها عشرون الف دينار من اللهب العين البلدى الوازن فى كل سنة[3]. وفى عام ٨٤٣ / ١٤٣٩ طلب خايمى الثانى من غرناطة، فى بداية الأمر، جزية قدرها ١٢,٠٠٠ دينار كل عام، لكن نجح الغرناطيون فى تخفيض هذا المبلغ إلى ٢٤,٠٠٠ دينار تدفع على مدى سنوات ثلاث[4].

على أننا نلاحظ أنه كانت هناك بعض الفترات القصيرة التى كانت غرناطة تعفى من دفع هذه الجزية الاقطاعية، فيذكر ابن الخطيب أن السلطان يوسف الأول نجح فى أن يعقد مع قشتالة «السلم خلية من رسم الضريبة» ووصف ذلك بأنه من نادر الواقعات»[5].

من كل هذا نرى مدى ما كانت تتحمله غرناطة نتيجة فداحة تلك الجزية التى كانت تؤديها إلى قشتالة، وكيف أدى هذا إلى ارتفاع الضرائب داخل المملكة ارتفاعا كبيرا.

هذا وقد احتفظ الملكان الكاثوليكيان بعد استرداد غرناطة بنفس الضرائب التى كانت معروفة لدى مسلمى غرناطة، كما أبقوا على تسمياتها العربية مع تحريف بسيط، ومن هنا يمكننا الاستعانة بهذه المسميات لرسم صورة للنظم الضريبية فى

---

(١) انظر : I. S. Allouche : La relation du siége d'Almeria p 125 .

(٢) انظر : L. Suárez Fernandez : Juan II y La Frontera de Granada p. 6 n° 3.

(٣) محمد عبد الله عنان : وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجرى، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد المجلد الثانى. ١ - ٢ ١٣٧٣ / ١٩٥٤ ص ٣٨ - ٤٥ .

(٤) انظر : Fernando del Pulgar : Crónica de Los Reyes Católicos, I, p 392 (Cap. XCII), II, p. 58 (Cap. CXLIV), pp 84 - 86 (Cap. CL).

(٥) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ٩٦ .

مملكة غرناطة[1].

على أننا نلاحظ أن كل الضرائب فى مملكة غرناطة أو معظمها كان مغالى فيها أو كانت ضرائب غير شرعية، بمعنى أنها لم تذكر فى القرآن، ولم ترد فى السنة ولكن الحقيقة فرضتها: فبدون مال، لا يكون هناك جيش، أو تنظيمات سياسية وادارية، أو مقدرة لآداء الجزية لقشتالة. ومن هذا المنطلق، كان سلاطين بنى نصر، يستطيعون اقناع الفقهاء لوضع الفتاوى التى تحلل جباية هذه الضرائب الغير الشرعية.

كانت الضرائب فى مملكة غرناطة تتمثل فى الزكاة الشرعية على المسلمين، ومقدارها العشر على ممتلكاتهم من قطعان الماشية والأغنام ومن غلال وبضائع، وقد وردت هذه الزكاة فى المصادر الإسبانية باسم acaque وكانت تتغير بحسب الاقليم ونوع الممتلكات المفروضة عليها. فعلى الماشية كانت من عشرة إلى احد عشر دينارا، ما عدا إذا كانت ثورا يحرث، فكان يدفع عليه أربعة فقط، كذلك كان يدفع رأس من الماشية لكل اربعين، إذا كان القطيع يتجاوز مائة رأس. وكانت رؤوس الاغنام تحصى مرة كل عام ويدفع على الرأس ضريبة تتراوح بين أقل من دينار إلى دينارين[2].

ثم كانت هناك الضريبة على الاراضى الزراعية، وكان يتولى الاشراف على هذه الضريبة، ديوان الخرص، الذى يختص بحصر الاملاك وتقدير الضرائب عليها[3].

وكانت قيمة هذه الضريبة تختلف تبعا للكيفية التى تروى بها الارض. وكان اساسها يحدد بناء على قرار مقررين يزورون الاهراء أو المطامير، أو يقدرون المحصول المنتظر اثناء الزرع أو بعد الحصاد[4]. وكان على كل مرجع عملى[5]،

(١) انظر : Rachel Arfe : Op. Cit., p 216.
(٢) انظر : Miguel Angel Ladero Quosada : Op. Cit., p 52
(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٣٠ .
(٤) انظر ليفى بروفنسال : محاضرات فى أدب الاندلس وتاريخها ص ٨٣ .
(٥) انظر الفصل الخامس بالموازين والمقاييس والمكاييل.

من الأراضي المزروعة بالكروم، ضريبة مقدارها العشر، ترتفع حتى ثلاثين مرابطيا[1]. وكانت هذه الضريبة مرتفعة على وجه الخصوص في اقليم مالقة الذي كان يشتهر بانواع الفاكهة لاسيما التين والعنب[2].

كذلك كانت ضريبة المخزن من الضرائب المعروفة في غرناطة وكانت تحصل من المزارعين بعد تسليمهم قطعا من الارض لزراعتها في نظير دفع خمس المحصول أو التسع أو العشر وذلك بحسب جودة الارض[3].

ثم كانت هناك الهبات والاوقاف (الحبوس)، بمعنى أن يحبس عقار أو أرض زراعية أو غير ذلك من المنشآت العامة للانفاق من ايراداته على أوجه الخير[4]. وكان يعين لها موظف للنظر فيها[5]. ويسمى ناظر الحبس[6]. مثال ذلك الحاجب رضوان الذي اوقف على المدرسة النصرية «الرباع المغلة»[7].

ومن الموارد ايضا ما كانت تحصله الدولة على السفن الصادرة والواردة إلى موانئ المملكة، وكانت نسبتها العشر. وضريبة الخمس على الغنائم الحربية، التي كانت تحصل من العدو من أسرى وسبايا وأموال.

ومن الضرائب في غرناطة Alfitra أو الـ Alsitra وقد ارجعها Eguflaz إلى اللفظ العربي «الفطر» وذكر انها كانت ضريبة على الممتلكات يدفعها الشخص بمقدار قدح من القمح للدار نظير حماية السلطان الغرناطي لها[8].

---

(١) انظر : I. Alvarez der / Cienfuegos : La hacienda de los Nasries granadinos, en (M. E. A. H.) Vol. VIII (1959) P 103 .

(٢) انظر : Ibid - p, 103

(٣) انظر : Jose L´opez Ortiz : Fatwas Granadinas de Los Siglos XIV y XV (Al Andalus, Vol VI (1941) fasc I, p. 96 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٤٣٧، ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٨٧، ٤٣٧ ، ابن حجر العسقلاني : الدرر السفر الأول ص ١٩٨ ترجمة رقم ٥١٠ .

(٦) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٨ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٥١٦ - ٥١٧ .

(٨) انظر : Eguilaz y Yanguas : Glosario p 168 .

هناك ضريبة غرناطية تظهر مرارا في الوثائق الاسبانية هي ضريبة Almaguana أو Almagana ويبدو أنها مشتقة من الكلمة العربية «المعونة»(١). وهي ضريبة كانت تفرض في العصر الاموى كضريبة غير عادية عندما تكون الخزانة خاوية، ثم اصبحت ضريبة ثابتة تحت حكم بني نصر، وكانت مفروضة على الاراضي والثروات العامة بواقع نصف مرابطي على كل مرجع عملي إذا كان مزروعا، ومن ربع إلى نصف إذا كان غير مزروع(٢).

وكانت الضرائب التي تفرض على التجارة البرية والبحرية تمثل عنصرا مهماً من عناصر الدخل في المملكة، فمثلا كان يدفع على انتاج الحرير وبيعه رسم الـTartil «تارطيل»(٣)، وفي سجل الجمارك اللاحقة للاسترداد، نجد أن شخصا دفع ثمانية مرابطي عن كل رطل من الحرير. وكانت هذه الضريبة موجودة على عهد بني الاحمر، ثم استمرت في عهد الملكين الكاثوليكيين(٤).

وكانت الضرائب على استيراد الزيت تدفع بواقع ١٦٪ لحماية الانتاج المحلي(٥). وكانت ضريبة "El Magram" (من الكلمة العربية المغرم) تفرض على الحركة التجارية بواقع عشرة بالمائة(٦).

وكان صائدو الاسماك على الساحل الغرناطي، وخاصة بين مالقة والمرية يؤدون ضريبة تسمى Tigual (٧).

وكان سكان غرناطة يقومون بدفع ضريبة الفرضة Farda ، للانفاق على المراقبة

---

(١) انظر : Dozy : II, p 192., Eguilaz : p. 208

(٢) انظر : I. Alvarez de Cienfuegos : Op. Cit., p 104

(٣) انظر : Dozy et Engelmann : Glossaire p 350 & Eguilaz, p 503

(٤) انظر : Documentos des Archivos Generales de Simancas, Diversos de Castilla, Leg. 4, folio 24, en I.A. Cienfuegos : Op. Cit., p 119 - 120 .

(٥) انظر : M.A. Ladero Quesada : Op. Cit., p 53 .

(٦) انظر : Ibid. p 52 - 53 .

(٧) يذكر : Eyuilaz : Op. Cit., p 505 ان هذا الاسم مشتق من العربية ثقل (جمع اثقال) أما Dozy y Engelmann, p 349 فيريان انها مشتقة من الكلمة العربية تكاليف ومفرد تكليف».

الساحلية، وبعد سقوط غرناطة، قام الملكان الكاثوليكيان بتحصيلها من الشعب الموريسكي في المنطقة الساحلية[1].

ثم كانت هناك الضرائب التي تحصل على الثروات والتركات. وأخرى ذات صفة عرضية، من بينها ضريبة المنازل[2]. وخراج السور الذي كان يحصل لتحصين الاستحكامات. وكان سكان الحدود يجبرون على دفعها بغرض انشاء اسوار لحماية اراضيهم من غزوات الاعداء. وقد قام السلطان محمد الخامس ـ على سبيل المثال ـ بتوجيه الكثير من الرسائل إلى شعبه يحضهم فيها على الاشتراك في الجهاد، مبينا الحاجة إلى استخدام ايرادات الدولة في الانفاق على الجنود والمتطوعين والعمل على تقوية الاستحكامات والحصون والاسوار[3].

كذلك كان هناك نوع من الضرائب يعطى التزاما لمن يسمى بالمتقبل، ويسمى هذا الالتزام قبالة ومنه جاء اللفظ الاسباني Alcabala [4]. ويهاجم الفقيه ابن عبدون المتقبل، ويذكر انه : «شر خلق الله وهو بمنزلة الزنبور الذي خلق للضرر، لا للنفع»[5].

وكانت الضرائب في مملكة غرناطة تجبى نظير ايصال يثبت هذا الدفع امام محصلي الضرائب، وكان على الممول ان يدفع ثمنا لهذا الايصال يتراوح بين دينارين وستة دنانير[6].

على آية حال فقد كان دخل المملكة كبيرا، تقدره المصادر المسيحية بستمائة الف

---

(١) انظر : A. Gamir Sandoval "Las Fardas" para la Costa granadina (siglo XVI) en : Homenaje de la Universidad de Granada a Carlos V (1958) pp 293 - 330 , Arfe : Op. Cit., p. 218 .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ٨٣ .

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ٩ ص ١٠٩ - ١١٠، جـ ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٩ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit. p 135 .

(٤) بروفنسال : محاضرات في ادب الاندلس وتاريخها ص ٨٢ .

(٥) رسالة ابن عبدون في ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة ص ٣٠ .

(٦) انظر : M.A. Ladero Quesada : Op. Cit., pp 52 - 53 .

مرابط ليونى، اما ابن الخطيب فيحدده بمبلغ خمسمائة وستين الف دينار [١].

وقد أورد لنا المقرى وصفا شاملا لخزانة الدولة النصرية فقال : «كانت خزانة هذه الدولة النصرية، مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ويتيمة من الجوهر، وفريدة من الزمرد، وثمينة من الفيروز، وعلى كل واق من الدروع، وحام من العدة، وماض من الاسلحة، وفاخر من الآلة، ونادر من الأمتعة، فمن عقود فذة ، وسلوك جمة، وأقراط تفضل على قرطى مارية [٢]. نفاسة فائقة، وحسنا رائقا، ومن سيوف شواذ فى الابداع، غرائب فى الاعجاب، منسوبات الصفائح فى الطبع، خالصة الحلى من التبر، ومن دروع مقدرة السرد، متلاحمة النسج، واقية للبأس فى يوم الحرب، مشهورة النسبة إلى داود نبى الله ، ومن جواشن [٣]. سابغة اللبسة، ذهبية الحلية، هندية الضرب، ديباجية الثوب، ومن بيضات عسجدية الطوق، جوهرية التنضيد، زبرجدية التقسيم، ياقوتية المركز ، ومن مناطق لجينية الصوغ، عريضة الشكل، مزججة الصفح ومن درقة لمطية [٤]. مصمتة المسام، لينة المجسة، معروفة المنعة، صافية الأديم، ومن قسى ناصعة الصبغة هلالية الخلقة، منعطفة الجوانب، زاوية بالحواجب، إلى آلات فاخرة من اتوار [٥]. نحاسية، ومناور [٦] بلورية، وطيافير [٧]. دمشقية، وسبحات [٨] زجاجية، وصحاف صينية، وأكواب عراقية، وأقداح طباشيرية [٩].
وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف » [١٠].

---

(١) انظر : Ibid. p. 51, Isabel Alvarez de Cienfuegos campos : Sobre la economia en el Reino Nasri Granadino (M.E.A.H.) Vol. VII (1958) fasc I, pp 85 - 97 .

(٢) هى مارية بنت ظالم بن وهب الكندية، زوجة الحارث الاكبر الغسانى، وكان فى قرطيها لؤلؤتان عجيبتان ضربت العرب بنفاستهما الامثال.

(٣) الجواشن : الدروع.

(٤) انظر الفصل الخاص بالحياة الحربية.

(٥) الاتوار : آنية يشرب فيها، واحدها تور.

(٦) المناور : جمع منارة وهى ما يوضع عليها السراج.

(٧) الطيافير : كلمة مولدة بمعنى اطباق مستديرة عميقة ذوات اغطية، كما تعنى كذلك المناضد الصغيرة.

(٨) السبحات : جمع سبحة وهى ما يسبح به.

(٩) لعل المراد بالطباشير هنا مادة خزفية أو نحوها.

(١٠) المقرى : ازهار الرياض جـ١ ص ٥٣ – ٥٥ ،
نفح الطيب : جـ ٦ ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

سكة [1] غرناطة :

يذكر ابن الخطيب عن سكة غرناطة أن " صرفهم فضة خالصة ، وذهب ابريز طيب محفوظ " [2] .

وفي بداية الامر كانت عملة بني نصر تسك على نمط العملة الموحدية [3] مثال ذلك الدراهم المربعة بشكل الدرهم الموحدى [4] .

ويعطينا ابن الخطيب تفصيلاً عن شكل ووزن هذا الدرهم المربع ووحداته فيقول ان هذا الدرهم كان " في الاوقية منه سبعون درهماً يختلف الكتب فيه ، فعلى عهدنا (ق ٨/١٤) في شق " لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، وفي شق آخر " لا غالب الا الله ، غرناطة " ، ونصفه وهو القيراط في شق " الحمد لله رب العالمين " وفي شق " وما النصر إلا من عند الله " . ونصفه وهو الربع في شق " هدى الله هو الهدى " وفي شق " العاقبة للتقوى " . ودينارهم في الاوقية منه " ستة دنانير وثلثا دينار ، وفي الدينار الواحد ثمن اوقية وخمس ثمن اوقية ، وفي شق منه

---

(١) السكة ، يعرفها ابن خلدون بانها :"الختم علي الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها علي الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد اخري وبعد تقدير اشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه (ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٢٦١٠) .

هذا وقد انتقلت كلمة السكة العربية الي اللغة الاسبانية علي شكل Ceca و Zeca و Seca التي تدل علي دار سك النقود .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ٢٩ .

(٣) عن نقود بني نصر انظر :

F. Codera : Tratado de numismatica arábigo - espanola (Madrid 1879) , H. Lavoix : Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliotheque National, (Paris 1891), t. II, p. 327 y sigs, Antonio Vives y Escudero :
Monedas de las dinastias arábigo - espanolas, (Madrid 1893) , p 370-389., Antonio Prieto y vives : Las Monedas de Boabdil (Al Andalus 1935, Vol III , fascI, p 130 - 132, Antonio Prieto : Numisatica granadina (Bol. Ac. Hist.)1932 (pp. 305 - 311), L. A. Mayer : Bibliography of Moslem Numismaticas, Oriental translation fund, New series, Vol XXV, Royal Asiatic Society, 1950, p 278 b.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ١ ص ١٤٣ .

" قل اللهم مالك الملك بيدك الخير " ، ويستدير به قوله تعالى " الهكم اله واحد ، لا اله الا هو الرحمن الرحيم " . وفى شق ، الامير عبد الله يوسف ، ابن امير المسلمين ابى الحجاج ، بن امير المسلمين ابى الوليد اسماعيل بن نصر أيد الله أمره "، ويستدير به شعار هؤلاء الامراء " لاغالب الا الله " . ولتاريخ تمام هذا الكتاب ، فى وجه " يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " ويستدير به " لا غالب الا اله " . وفى وجه " الامير عبد الله الغنى بالله ، محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر ، أيده الله وأعانه ويستدير بربع "بمدينة غرناطة حرسها الله "(١).

من هذا نرى ان الدرهم المربع كانت له وحدتان : نصف الدرهم " القيراط " وربع الدرهم " الربع " ، كذلك فان الدنانير الذهبية التى تسميها الوثائق المسيحية (٢) doubla أو doublon والدراهم الفضية تحمل كل منها عبارة " لا اله الا الله " وفى الخلف اسم السلطان الحاكم وشعار بنى نصر ،. وأحيانا كان يظهر مكان سك العملة على أحد وجهيها .

وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) امكن رسم صورة اكثر وضوحاً للعملة النصرية على ضوء بعض الوثائق والعقود التى حررت فى تلك الفترة الاخيرة من دولة بنى نصر اذ يظهر فى تلك الوثائق ثلاثة اشكال للدينار الغرناطى : الدينار الذهبى ، الدينار الفضى (العشرى) ، والدينار العينى (من النحاس) (٣) .

هذا وقد قام المستشرق الاسبانى لويس سيكودى لوثينا بعمل دراسة عميقة عن العلاقة بين هذه الدراهم وبعضها . فذكر انه فى عام ٨٩٠/ ١٤٨٥ كان الدينار الذهبى يساوى سبعة دنانير ونصف من الدنانير الفضية . وفى عام ١٤٩١/٨٩٧

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) كان الدينار الموحدي ضعف الدينار العادي في الوزن ولذا عرف باسم doubla عند النصاري : انظر : ابن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ص ١١١ حاشية ١ .

(٣) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٨م ، لنفس المؤلف : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد - المجلد السابع والثامن - ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ٨٥ - ١٠٨ .

كان الدينار الذهبى يساوى خمسة وسبعين درهما وكان الدينار الفضى يساوى عشرة دراهم من الفضة " الدراهم العشرية " ، بينما لم تكن قيمة الدينار العينى (النحاس) ثابتة . اما الدينار الذهبى الغرناطى الوافى العيار (٢٢ قيراط) فكان يزن ما يقرب من جرامين . كذلك ضربت فى غرناطة فى اواخر القرن التاسع الهجرى (١٥م) عملة ذهبية تسمى " المثقال " وان كان العلماء لم يتمكنوا للأسف من تحديد علاقتها بالعملات الاخرى [١] .

وفى القرن التاسع الهجرى كانت العملات الذهبية نادرة فى مملكة غرناطة ، فلقد استمر بنو نصر يواجهون المشكلات الاقتصادية ، ونجد ان السلطان ابا الحسن على (عزل فى عام ٨٨٧/١٤٨٢) قام بضرب دنانير من الفضة والنحاس والبرونزلها قيمة الدنانير الذهبية . وقد افترض المستشرق A. Prieto y Vives انها كانت دنانير مزيفة ، ضربت من تلك المعادن ثم تغطس فى حمام من الذهب [٢] . ولكن قام المستشرق الاسبانى الراحل لويس سيكودى لوثينا Luis Seco de Lucena بعمل دراسة اثبت بها ان الدنانير الفضية أو العينية التى ضربت بسكة الدينار الذهبى ليست زيوفا كما حسب علماء النميات ، وانما هى عملات صحيحة كانت تتداول بقيم شرعية ، وان كانت تعتبر دون الذهبية فى القدر ، كما هو الحال الان فى عملتنا الورقية [٣] . وقد كان هذا الامر قانونيا فى التعامل التجارى ، مع انها كانت أقل فى القيمة من الدنانير الذهبية [٤] . واجاز الفقهاء فى ذلك الوقت استخدام عملة لا تطابق الوزن الشرعى على ان تقرر الجهتان المتعاملتان ذلك [٥].

---

(١) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٨م .

(٢) انظر : Indicacion del valor de las monedas arábigo - espanolas, en Homenaje a Codera , Saragosa, 1904, p 522 .

(٣) لويس سيكودي لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد المجلدان السابع والثامن ١٩٥٩-١٩٦٠ ص ٨٥-١٠٨ ، وثائق عربية غرناطية ص ١٦ - ١٨م .

(٤) انظر : Luis Seco de Lucena : Documentos arábigo granadinos (Al Andalus IX (1944) p 127 .

(٥) انظر : José López Ortiz : Fatwas granadinas pp 94-95 .

وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) نرى أن العملات الاسبانية كانت تستخدم بصفة عادية فى غرناطة النصرية ، ونلاحظ انه فى بعض الوثائق نص على ان الثمن المتفق عليه دفع " بالريالات القشتالية " . (١)

التجارة فى مملكة غرناطة

أ - التجارة الداخلية :

ازدهرت حركة التجارة الداخلية بين مدن مملكة غرناطة وقراها ، ازدهاراكبيرا تبعاً لشهرة كل واحدة منها فى سلعة من السلع او صناعة من الصناعات تتفوق فيهاعن غيرها . مثال ذلك مالقة التى كانت تبعث بالتين واللوز إلى غرب الاندلس(٢) . وقرية شاط بالقرب من المنكب التى كانت تصدر انتاجها من الزبيب إلى كل البلاد الاندلسية (٣) . ويمتدح ابن الربيب القيروانى الحركة التجارية فى الاندلس بقوله :" أن بارت تجارة فإليها تجلب ، وان كسدت بضاعة ففيها تنفق " (٤)

وبتصفح كتب الحسبة نستطيع أن نرسم صورة للتجارة الداخلية فى المدن الاندلسية فى العصور الوسطى ، حيث كان البيع يتم فى الغالب تحت أروقة ومعارض (٥) . وكان التجار يحاولون استمالة زبائنهم عن طريق المناداة على السلع وامتداح محاسنها . وعلى المحتسب ان يستخدم نفوذه ليمنع الفلاحين القادمين إلى المدينة من دخول القيسارية على ظهور دوابهم ، كما يمنعهم من التوقف فى الدروب الضيقة ، ومن ترك دوابهم بلاقيد (٦).

وفى غرناطة وفى غيرها من مدن المملكة كانت هناك الشوارع التجارية المتخصصة فى نوع ما من البضائع ، كما يظهر لنا من طبوغرافية غرناطة وغيرها .

---

(١) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٨م وكذلك : Luis Seco de Lucena : La Sultana Madre de Boabdil (Al Andalus Vol XII, fasc 2 p 381.

(٢) القلقشندي : صبح الاعشي جـ٥ ص ,٢١٩

(٣) الادريسي : المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ص ١٩٩ .

(٤) المقري : نفح الطيب جـ٤ ص ١٥٥ .

(٥) ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة ص ١٢٢ .

(٦) المصدر السابق : ص ١١٣ .

مثل سوق بائعي العطور بالقرب من المسجد الأعظم [1] . وسوق الرقيق الذى كان يسمى سوق الفتيان [2] . وسوق الغزل بمالقة [3] . ويذكر انريكث دى خور كيرا En-riquez de Jorquera في حوليات غرناطة ، ان المجوهرات كانت تباع فى السقاطين القديم كما كان لصناعة الاحذية وصباغتها شوارعها المتخصصة [4] ولعل وجود أرباض وابواب مثل الفخارين والدباغين يقدم دليلا على ذلك .

كذلك كانت هناك اسواق تشتمل على مجموعة من السلع المختلة ليسهل على السكان شراء ما يحتاجونه دون الحاجة إلى الانتقال ، مثال ذلك سوق البيازين الذى يقع بجوار باب البنود [5].

وكان باعة نبات " كف العروس " و " الترياق " وباعة " العشب الطبى " ومحضرى " الدهن " و " الكحل " ، يفترشون الارض لبيع بضائعهم التى كانت مسرحا لعمليات كثيرة من الغش على الرغم من اوامر المحتسب المتشددة [6] ، كما كانت هناك لتجارة القطن [7] ومحلات الخضر والفاكهة الطازجة والمجففة [8] ، وباعة الاطعمة من كل الاصناف : عجين مقلو بالجبن ، امعاء محشوة باللحم ، فطائر مختلفة [9] .

وكانت رحبة المسجد الاعظم بغرناطة تعج بالمحلات التجارية [10] . وفى المنطقة الضيقة التى كانت تقع بين السقاطين ومجرى نهر حدرة ، كانت توجد العديد من

---

(١) ابن حجر : الدرر ، السفر الرابع ، ترجمة رقم ٢٤٧ ص ٨٩ .
(٢) المقري : ازهار الرياض جـ ١ ص ١٢٨ .
(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٣٣٣ .
(٤) انظر : Rachel Arie : Op. cit., p 354., n°. 1
(٥) انظر : Ma del Carmen Villanueva Rico : Casas, mezquitas y tiendas de las habices de las Iglesias de Granada (Madrid 1966) . 6.
(٦) ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة ص ١١٣ .
(٧) ابن حجر : الدرر : السفر الاول ترجمة رقم ٤٥٥ ص ١٧٨ .
(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٢٢ .
(٩) انظر : Ma. del Carmen villanueva Rico : Op. cit.
(١٠) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٦٥ - ١٦٦ ، القلقشندي : صبح الاعشي جـ٥ ص ٢١٤ .

الحوارى والميادين الصغيرة جدا التى كان بها محلات بيع الدجاج ، وباعة الاسماك واللحوم [1] .

وكان البغل هو حيوان النقل الشائع فى شرق المملكة ، فقد كانت الاندلس مشهورة بالبغال التى يصفها ابن سعيد بانها فارهة [2] . وتروى لنا المصادر ان السلطان ابا الحجاج يوسف الاول بعث بهدية إلى سلطان المغرب أبى عنان فارس المرينى تشتمل على عدد من البغال [3]. وهذا ابن بطوطة يتابع على ظهر بغل دربا متعرجا من رندة إلى مالقة [4] . كذلك عاد الرحالة المصرى ابن عبد الباسط من مالقة إلى غرناطة على ظهر بغل [5] .

والى جانب البغل كان هناك الجمل الذى كان وسيلة هامة من وسائل النقل فى بيرة . وفى المناطق الشرقية من المملكة النصرية [6] ، وفى اشكر إلى الشمال من بسطة [7] . وكانت الأجفان تستخدم لنقل الخيل [8] .

وعلى رأس كل طبقة من أصحاب الحرف ، كان هناك " الأمين " الذى يمارس سلطاته على ابناء حرفته ، ويمثلهم لدى المحتسب ، فهو أشبه بنقيب يمثل أصحاب المهن التجارية والصناعية فى السوق ويسأل أمام المحتسب عن مشاكلهم . وعلى سبيل المثال كان أمين القصابين يراقب قصابى المدينة ، ويلقنهم القواعد التقليدية فى

---

(١) انظر : Gómez Moreno : Guía de Granada p. 315, Leopoldo Torres Balbás : plazas, Zocos y Tiendas de las Ciudades Hispanomuslmanas (Al Andalus Vol. XII, 1947, fasc 2) p. 548

(٢) المقري : نفح الطيب : جـ ١ ص ١٨٥ .

(٣) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) رقم ١٨٢٥ لوحة ١٠٢

(٤) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٣٢ .

(٥) انظر : G. Levi Della Vida : Il regno di Granata p. 313

(٦) ابن الخطيب : معيار الاختيار في مشاهدات ص ٨٤ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٧ ، خطرة الطيف ص ٤٠ .

(٨) المقري : نفح الطيب جـ ٦ ص ١٧٩ .

موضوع ذبح الحيوانات طبقاً للطريقة الشرعية [1] . كما كان والد أبي اسحاق الساحلي المعروف بالطويجن امينا للعطارين بغرناطة [2] . كذلك كان هناك امين للقيسارية [3] .

واحيانا كان يتم البيع بالتقسيط فقد اشترت فاطمة بنت ابي الجيوش نصر جميع الرياحين الكائنة بربض الفخارين بغرناطة في ٢٣ ذي الحجة عام ٨٢٩ هـ ودفعت ثمنها على اقساط [4] .

وعندما يحرر عقد بيع في المدينة ، ويشترط فيه أن يكون دفع الثمن مقسطا على الشهور ، فان هذه الشهور تكون هي القمرية ، كلما انقضى شهر حل موعد أداء جزء من الثمن ، اما اذا كان عقد البيع خاصاً باراض زراعية ، فان الحساب يكون على أساس نهاية السنة الزراعية التي كانت تنتهي في شهر أكتوبر ، ونظراً لتغير مواقيت الشهور الهجرية فقد كانوا يتخذون الشهور الشمسية عند حساب المواعيد التي تحل فيها آجال أداء الدين [5] .

كذلك كان يتم احيانا دفع الثمن المطلوب أو الكراء بالمنتجات الزراعية مثال ذلك ان بعض اهالي قرية فقلش (من حصن شريش) اكترو مياها معلومة لمدة خمس وثلاثون سنة على ان يدفعوا في كل عام ثمانين قدحا من الشعير وعشرين قدحا من القمح إلى حين انتهاء المدة [6] .

---

(١) ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة ص ٩٣ .

(٢) الازدي : تحفة المغترب ص ٧٦ ، ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٣٠٨ ، المقري : نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٣) الازدي : تحفة المغترب ص ١١٧ ، المراكشي : الذيل والتكملة السفر السادس ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ترجمة رقم ١٢٤٥ .

(٤) انظر : Luis Seco de Lucena : Documentos Árabes GranadinosII (Al Andalus Vol IX1944 fasc I, pp. 121 - 140 .

(٥) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٢٣ م .

(٦) انـظـر Ángel Gonzalez palencia : Documentos Árabes del cente, siglos XII-XV, (Al Andalus 1940, Vol V. fasc 2, p 376 .)

قيسارية غرناطة :

كانت قيسارية غرناطة هي المركز الرئيسي للتجارة في المدينة ، وقد ظلت حتى عام ١٨٤٣ محتفظة تقريبا بحالتها صحيحة ، ولكن في هذا العام دمر البناء تماماً [١] . يقول مارمول كارباخال Mármol Carvajal انها كانت غنية جداً " مثل قيسارية فاس ، على الرغم من انها لم تكن كبيرة مثلها ، حيث كانت تجرى كل الامور التجارية للمدينة " [٢] .

أقدم اشارة عن قيسارية غرناطة عبارة عن بيع محلين بها ، في ١٠صفر ٨٦٥ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٤٦٠م بواسطة السلطان سعد (ت ٨٧٠/ ١٤٦٥م) إلى أبي الحجاج يوسف بن ابي القاسم بن السراج ، بسعر سبعمائة وخمسين ديناراً من الذهب [٣] .

بعد ذلك بسنوات قليلة في ٢٢ محرم ٨٨٣/ ٢٦ ابريل ١٤٧٨ اشير اليها عند الحديث عن العاصفة القوية التي وقعت بينما كان مولاى الحسن يستعرض جيوشه من مخدع يقع امام باب جنة العريف ، مما ادى إلى زيادة كبيرة في نهر حدرة، وانتزع الاشجار الكبيرة التي كانت تقع على ضفتيه ، وكانت النتيجة ان كميات كبيرة من المياه غمرت محلات كثيرة من القيسارية واتلفت كمية كبيرة من البضائع المخزنة في تلك الاماكن [٤] .وتبقى من قيسارية غرناطة طريق واحد من الطرق الكثيرة المتشعبة داخلها ، وتصطف على كلا جانبي هذا الطريق حوانيت كانت تباع فيها المصنوعات القيمة والمنتجات الثمينة . ويصف " مارينيو سيكيلو "

---

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Alcaicerías .
(Al Andalus Vol XIV, fasc 2, p 439 (1949).

(٢) انظر : Luis del Mármol Carvajal : Historia del rebelion y Castigo de los mriscos del reino de Granada,
segunda impresión, I (Madrid 1717) p . 37.

(٣) Alonso Barrarntes Maldonado : Las Ilustraciones de la Casa de Niebla. t. II, apéndice B. (Memorial Histórico Espanol, x , (Madrid 1857) p 563. p. 563 .

(٤) انظر : مؤلف مجهول : نبذة العصر : نشر الأب كيروس والفرد بستاني ص٥ وكذلك:
Leopoldo Torres Balbás : Op. cit., p 439.

القيسارية فى القرن السادس عشر بقوله :" يوجد بها ما يقرب من مائتى حانوت ، تباع فيها المنسوجات الحريرية ، وجميع انواع التجارات الثمينة ، وهذا البناء الذى يعد فى حد ذاته مدينة صغيرة يشتمل على كثير من الازقة والزنقات وينفتح فى سوره عشرة أبواب عليها درابون أو حراس معهم كلاب يسهرون الليل " [١] .

الموازين والمكاييل والمقاييس :

كانت وحدة الموازين المعروفة فى غرناطة هى الرطل [٢] ، الذى كان يساوى اثنتى عشرة أوقية ، وكل أوقية ثمانية مثاقيل ، وكل مثقال ٤,٧٢٢ جراما أى أن الرطل ٤٥٣,٣ جرام [٣] . ثم كان هناك القنطار [٤] .

هذا وقد احتفظت لنا كتب الحسبة ببعض المعلومات عن الميزان والصنج التى كانت من الحديد أو الحجارة أو الزجاج وكان لابد أن تعلم من المحتسب [٥] .

أما المعادن الكريمة ، والنقود الذهبية والفضية ، فكان يتم وزنها بالاوقية والدرهم[٦] .

بخصوص المكاييل ، فكانت الحبوب تباع بالقدح[٧]. كما كان هناك مكيال للطعام يسمى فنيقة وانتقلت إلى الاسبانية فصارت Fanega ، وتطلق فيها على مكيال للحب يختلف حجما باختلاف الاقاليم [٨] . وكانت المواد السائلة مثل الزيت

---

(١) د. السيد عبد العزيز سالم : العمارة المدنية بالاندلس ، دائرة معارف الشعب العدد ٦٤ – ١٤٦

(٢) الادريسي : صفة المغرب ص ٢٠١ ، ابن بطوطة الرحلة : جـ٤ ص ٣٦٦ ، لويس سيكودي لوثينا وثائق عربية غرناطية ص ٩٨ .

(٣) الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ١٤٣ ، حاشية ٢ .

(٤) انظر : Rachel Arié : Op. cit., p 356 .

(٥) ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة ص ١٠٦ – ١٠٧ ، معجم رسالة ابن عبدون في : Journal Asiatique , 1934 , p 271 .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ١ ص ١٤٣ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٣٩ . لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٩٨ وكذلك Angel Gonzalez Palencia : Op. cit., p 366-367

(٨) د. عبد العزيز الاهواني : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ص٤٩ – ٥٠ وكذلك : Dozy : II, p 285.

تكال بأوان من الخزف المطلى [١] .

أما المقاييس فقد استخدم فيها الذراع و " الشبر " و " القبضة " [٢] ولقياس المسافات استخدمت " المرحلة " التى كانت تساوى مرحلة يوم ، والبريد (يساوى اثنى عشر ميلا) ، والفرسخ (ثلاثة اميال) كما استخدم الميل [٣] .

وكان مقياس الأراضى الزراعية الشائع هو المرجع العملى (مساحته خمسمائة متر مربع) [٤] .

هذا وقد انتقلت بعض اسماء الموازين والمكاييل والمقاييس إلى اللغة الاسبانية نذكر منها : القنطار quintal والمرجع Almarjal.

كما انتقلت بعض المصطلحات التجارية العربية إلى اللغة القشتالية مثال ذلك المحتسب Almotacén والمخزن Almacén والديوان aduana والتعريفة tarifa والفندق Alfóndiga والسوق Alcoque ورخيص rafaz ويكرى Alquilar والكراء Alquilé والتجارة Atijara [٥] وكان لاهل غرناطة مسميات خاصة تتعلق بالاسواق ، فكانوا يقولون " المدى " للسوق التى يباع فيها الرقيق [٦] . و " المعرض " بفتح الراء للموضع الذى يباع فيه الرقيق [٧] .

---

(١) ثلاث رسائل اندلسية في اداب المحتسبة والمحتسب ص ١٠٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٤ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٢ .

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٤ ، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٣٨ وكذلك: Dozy : I, p 513

(٥) انظر : Ebro K. Neuvonen : Los Arabismos del Espanol en el Siglo XIII (Helsinki 1911) .

(٦) د. عبد العزيز الاهواني : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ص ٥٧ .

(٧) د. عبد العزيز الاهواني : نفسه ص ٦٢ وكذلك : Dozy : Suppl. II, p 114

ب – التجارة الخارجية :

ازدهرت حركة التجارة بين مملكة غرناطة والدول المعاصرة لها سواء أكانت اسلامية أو مسيحية ازدهاراً كبيراً . وساعد على ذلك وفرة بعض السلع والمنتجات في المملكة ، مما كان يسمح بتصديرها إلى الخارج ، وحاجة المملكة إلى بعض السلع الاخرى مما كان يضطرها إلى استيرادها ، ووفرة الموانى الطبيعية على طول الساحل الغرناطي [1] . ويمتدح المؤرخون ساحل المرية ، ويصفونه بانه " انظف السواحل واشرحها وأملحها منظراً " [2] ، ويتحدثون عن غنى أهلها ، وعظم متاجرهم وانه كان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف [3] . وانها كانت ميناء لمراكب النصارى ومجتمعا لديوانهم ، حيث كانوا يقومون بدفع الاعشار ، وكانت البضائع تصدر منها إلى مختلف بلادهم [4] ، وانها كانت " باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق [5] ، ومنها يخرج الحجاج لاداء الفريضة [6] .

كما كان ساحل مالقة " محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى " [7] . وساحل الجزيرة الخضراء " أيسر المراسى " [8] ، كما كان ميناء هاماً للحركة التجارية [9] . وكان بطريف " الاسواق والفنادق " [10] . بينما كانت المنكب

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٣ ، S. P. Scott : History of the Moorish Empire in Europe , (philadelphia - London 1904) Vol 2 p 434 .

(٢) المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٦ .

(٣) الادريسي : صفة المغرب ١٩٧ ، الحميري : الروض المعطار : ص ١٨٤ ، المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٤ .

(٤) ابن سعيد : كتاب بسط الارض في الطول والعرض ص ٧٤ ، كتاب الجغرافيا ص ١٤٠ ، المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٦ .

(٥) ابن غالب : فرحة الانفس ص ١٤ – ١٥ .

(٦) المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٦ وعن المرية انظر : د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الاسلامية ، قاعدة اسطول الاندلس (بيروت ١٩٦٩) .

(٧) المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٦ .

(٨) ابن غالب : المصدر السابق ص ٢٥ .

(٩) الادريسي : صفة المغرب ص ١٧٩ ، الحميري : الروض المعطار ص ٧٤ .

(١٠) الادريسي : المصدر السابق ص ١٧٩ .

"مرفأ السفن ومحطها ، ومنزل عباد الصليب ومختطها " [1] .

واشتهر اهل غرناطة بحسن معاملتهم حتى صارت تلك المدينة ، على حد قول بعض المؤرخين ، أكثر المدن امتيازاً في العالم . وصار اهلها موضع ثقة جميع تجار البلاد التى كانت تتعامل معهم حتى قيل في هذا الصدد أن كلمة الغرناطى كانت أكثر ضماناً من عقد مكتوب . كذلك ذكر بعض رهبان اسبانيا في العصور الوسطى ، في وصف المسيحي المثالي ، بانه هو ذلك الرجل الذى كان يجمع بين العقيدة المسيحية والمعاملة الاسلامية [2] .

وتذكر المصادر ان حرير غرناطة كان يصدر إلى البلاد الأجنبية [3] وان حرير الفحص كان ينتشر في البلاد ، ويعم الافاق [4] ، ويمتدح أبو الحسن السوزان (ليون الافريقي) الغرناطيين ويصفهم بانهم " تجار كبار للحرير " [5] . اما الكتان فكان " يوبر جيده على كتان النيل ، ويكثر حتى يصل إلى اقاصي بلاد المسلمين"[6] . وكانت المنكب تصدر السكر [7] . اما تين مالقة فكان يصدر إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهندوالصين وبغداد [8] . حتى قيل ان " ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فاكثر من أن يعبر عنه بما يحصره" [9] وعندما قام الرحالة المصرى عبد الباسط بزيارة بلش عام ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥م ، ذكر

---

(١) ابن الخطيب : معيار الاختيار في مشاهدات ص ٧٩ .

(٢) انظر : prescott : Op. cit ., p 170 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٠٥ .

(٤) الحميري : المصدر السابق ص ٢٤ .

(٥) انظر : Juan Leon Africano : Descripcion de Africa y de las Cosas notables que en ella se encuentran p 120 .

(٦) الحميري : الروض المعطار ص ٢٤ .

(٧) القلقشندي : صبح الاعشي جـ ٥ ص ٢١٨ .

(٨) الادريسي : صفة المغرب ص ٢٠٠ ، ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٦٦ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٧٧ ، المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، جـ ٤ ص ٢٠٥ .

(٩) المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٥ .

ان شحنات من اللوز والزبيب والتين المجفف كانت تجهز للتصدير إلى غالب البلاد النائية [١]. كذلك كانت مالقة تصدر الفخار المذهب العجيب إلى اقاصى البلاد [٢] . وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) كانت غرناطة تصدر التبر والقطران إلى بلنسية[٣] .

وكانت مملكة غرناطة تستورد ما ينقصها من المنتجات المختلفة والمواد الغذائية فكانت تستورد التوابل من المشرق [٤] ، والعطور والاخشاب الثمينة من الهند ، والمنتجات الطبية والحرير من الصين ، والعبيد السود والذهب والعاج من اواسط القارة الافريقية ، والجوارى والكهرمان والجلود والقصدير من اوربا [٥] . والملح من قادس [٦] ، والاسلحة والخيل [٧] والارز من بلنسية والقمح من وهران وهنين وتنس ، حيث كانت تفرغ شحناته فى المرية بواسطة الجنويين [٨] ، والبغال من اراجون [٩] . كذلك كانت مملكة غرناطية تستورد الزيت اذ ان انتاج المملكة منه كان غير كاف[١٠].

---

(١) انظر : G. Levi della vida : II regno di Granata p 313.

(٢) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٦٧ ، المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥ .

(٣) د. خليان سان باليرو : التجارة الاندلسية في القرن الخامس عشر . محاضرة القاها ببلنسية في ١٦/١٢/١٩٦٥ .

(٤) انظر : G. Airaldi : Genova e Spagna nel socolo XV, pp 28, 34, 49, 55, Aríe : Op. cit . p 363 .

(٥) انظر : Luis Seco de Lucena : La Alhambra , p 31-32 .

(٦) انظر : J. Heers : Le Royaume de Grenade et politique marchande de Gênes p 352 .

(٧) د. خليان سان باليرو : المرجع السابق .

(٨) ابن سعيد : بسط الارض ص ٧٦ ، الجغرافيا ص ١٤٢ وكذلك : J. Heers : Gênes au xve siecle. pp. 492-493., Arie : Op. cit. p. 363

(٩) انظر : Alarcón y Linares : Op. cit., p. 49-50 .

(١٠) انظر : Aríe : Op. cit., p 363 .

كذلك كانت المملكة تستورد الورق والملابس الرقيقة والكتان والغزل من جنوة ، والجوخ من انجلترا على يد التجار الجنويين ، وكان لون جوخ بريستول Bristol الازرق يجد سوقاً رائجة فى غرناطة [١].

ومن الموانى الغرناطية على البحر المتوسط كانت تخرج السلع الغرناطية إلى الشمال وإلى داخل إفريقيا والهند والصين وإيطاليا وفرنسا وبلاد الشمال الأوربى . وإلى الهند كانوا يتبعون طريق مصر مروراً بالاسكندرية والشام ، وإيران وكشمير . وإلى الصين كانوا يعبرون منغوليا . وفى القارة الأفريقية وصلوا حتى موزمبيق وزنجبار ومدغشقر وتمبكتو . وإلى أوربا كانوا يصلون عن طريق مرسية وعبر جبال البرانس حيث يحملون منتجاتهم إلى فرنسا وصقلية وإيطاليا وبولونيا وروسيا والسويد والدانمرك [٢] .

ونظر لتقدم الحركة التجارية وتردد التجار الأجانب على المملكة فقد ازداد عدد الفنادق بشكل ملحوظ [٣] ، وخاصة فى منطقة وسط مدينة غرناطة [٤] .

وكانت الفنادق إلى جانب وظيفتها فى تخزين البضائع ، مأوى للتجار الغرباء ، ويسمى الفندق باسم الأشياء التى كانت تباع فيه أو تخزن به مثل فندق الفخم ، أو بأسم صاحبه مثل فندق زايدة .

هذا ولم يبق فى اسبانيا من هذه الفنادق غير الفندق الجديد أو ما يسمى باسم فندق الفحم Corral del carbón ، ويرجع إلى القرن الثامن الهجري(١٤م)

---

(١) انظر : Ibid. p 363, M. A. Ladero Quesada : Op. cit., p 46-47.

(٢) انظر: Luis Seco de Lucena ; La Alhambra (Granada 1920) p 31-32.

(٣) انظر علي سبيل المثال : الحميري : الروض المعطار ص ٤٤ ، ١٢٧ - ١٨٤ .

(٤) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Estructura de las Ciudades hisanomusulmanas . (Al Andalus Vol. XVIII, fasc I, 1953 p. 159 .

«ويتكون من صحن مربع الشكل تحف به ممرات بها أروقة أربعة وله بوابة هائلة ، وهو غني بالزخارف [1] .

هذا وقد استقر كثير من التجار المسيحيين في مملكة غرناطة ، ولعب هؤلاء ، على الرغم من ضعف أهميتهم العددية ، دوراً مهما في اقتصادها . وأقام هؤلاء التجار في المدن الساحلية المهمة ، يقومون بالتصدير والاستيراد ويقدمون للجمارك ، كما في مدينة المرية [2] ، مالقة [3] ، "الاعشار" على البضائع التي كانت تقوم عليها تجارتهم منذ زمن بعيد [4] .

وقد ترك لنا لسان الدين بن الخطيب ، وصفا طريفاً لذلك الاستقبال الحافل الذي لقيه السلطان يوسف الاول عند زيارته للمرية ، وكيف ان تجار الروم قد شاركوا في هذا الاستقبال ، فأقاموا " على عمد الساج مظلة من الديباج " ليمر من تحتها الموكب السلطاني [5] .

وفي غرناطة العاصمة ، كان يوجد ديوان ليحصل الضرائب التي كان يؤديها التجار المسيحيون (الاعشار الرومية) على ما ذكر ابن الخطيب [6] . ويرجح استاذنا الدكتور أحمد مختار العبادي ان يكون اسم قصر : palacio de Alixares في غرناطة تحريف لكلمة الأعشار ، وأن يكون هذا القصر هو المكان الذين كانوا يحصلون فيه على ضريبة العشور من التجار المسيحيين [7] .

---

(١) ليوبولدو توريس بالباس : الابنية الاسبانية الاسلامية ص ١١٨ - ١٢٢ ، وكذلك :
Leopoldo Torres Balbás : Las Alhondigas hispano - musulmanas y el Corral del Carbón de Granada (Al Andalus, Vol XI , 1946) pp. 447 - 480 .

(٢) المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٦ .

(٣) المقري : نفس المصدر جـ ٤ ص ٢٠٥ .

(٤) المقري : نفس المصدر جـ ٤ ص ٢٠٦ وكذلك : É. García Gómez Elogio del Islam espanol p 114 .

(٥) ابن الخطيب : خطرة الطيف في مشاهدات ص ٤٣ - ٤٤ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٧ .

(٧) انظر : Mujtar Al Abbadi : Op. cit. p 161

العلاقات التجارية بين غرناطة واراجون

تقدمت حركة التبادل التجارى بين مملكتى غرناطة واراجون تقدماً كبيراً ، وقد احتفظت لنا المصادر بنصوص الكثير من هذه المعاهدات التى عقدت بينهما طوال العهد الغرناطى ، مثال ذلك ماورد فى معاهدة الصلح والسلام التى عقدت بين محمد الثانى سلطان غرناطة ، وخايمى الثانى ملك أراجون فى ١١ رجب عام٦٩٥/١٥ مايو ١٢٩٦م ، اذ اتفق الطرفان على السماح بدخول التجار والرعايا بين اراضى المملكتين " للبيع والشراء وسوق كل شئ وحمله دون اعتراض عليهم فى أجسامهم ولا فى أموالهم ولا فى تجاراتهم " نظير دفع الضرائب التى جرى بها العرف " . وأن تسمح غرناطة لتجار أراجون بإقامة فنادق لهم على أراضيها ، وان يكون لهم قنصل فى " كل موضع ديوان ويمشى لهم عوائدهم كلها ولا يحدث شئ خلاف ما جرت به العادة " . [1] .

كذلك استقر عدد كبير من التجار القطلانيين فى مملكة غرناطة منذ بداية القرن الثامن الهجرى (١٤م) وخاصة فى المرية ، التى تحدثنا الوثائق عن وجود قنصل قطلانى بها فى عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦م [2] ، واخر فى مالقة عام ٧٢٨ / ١٣٢٧ [3] .

وفى معاهدة السلام التى عقدت بين السلطان محمد الخامس وسلطان المغرب ابى عنان فارس وملك أراجون بدرو الرابع فى ٨ رجب عام ٧٦٨/ ١٠ مارس ١٣٦٧

(١) انظر :- Alarcón y Linares : Los documentes árabes diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragón p 1-2,
J. Soler : La Corona de Aragón pp 38-40 .

(٢) انظر ارشيف بلدية برشلونة : Vol X, fol 60, V° - 61 R° & Rachel Arie : Op. cit., p 318 .

(٣) انظر : Capmany : Memorias historicas sobre la marina Comercio y artes de la antigua Ciudad de Barcelona (1963) t. I, p. 281 ., Arie : Op cit. p. 318 .

اتفق جميع الاطراف على حرية انتقال التجار القطلانيين فى كل الاراضى النصرية والمرينية مع منحهم امتيازاً لممارسة نشاطهم الاقتصادى فى تلك البلاد نظير أداء الضريبة المعتادة (١).

العلاقات التجارية بين غرناطة وقشتالة

لم يحل سوء العلاقات بين غرناطة وقشتالة والنزاع بينهما دون قيام نشاط تجارى بينهما ففى معاهدة عقدت بين أبى الحجاج يوسف بن المول وخوان الثانى ملك قشتالة فى حصن برغالش يوم ٧ محرم ٨٣٥ هـ ١٦ سبتمبر ١٤٣١ اتفق الطرفان فيها على تأمين جميع التجار من النصارى والمسلمين ، والسماح لهم بالتوجه بجميع السلع والأشياء المباح بيعها وشرائها بين المملكتين « تحت الأمن من غير خوف عليهم ، ولا عارض يعترضهم فى توجههم وإيابهم ، لا يلزمن أحد منهم غير الواجب الذي هو عادة بين النصارى والمسلمين " (٢) .

وفى عام ١٤٣٩/٨٤٣ اتفقت المملكتان ان تصدر قشتالة إلى غرناطة كل عام ولمدة ثلاث سنوات سبعة آلاف رأس من الضأن والماعز ومائة بقرة (٣) .

وكانت التجارة بين المملكتين تنشط وقت الهدنة بينهما ، فيذكر الرحالة المصرى عبد الباسط ذلك قائلاً : وكنت قد عزمت على التوجه لرؤية قرطبة لقربها من غرناطة لاسيما والصلح بين المسلمين والكفار (قشتالة) من أهل تلك الديار باق ، وكانت تجار طائفتى الاسلام والكفر كل يتردد إلى بلاد الآخرين " (٤) .

---

(١) انظر : Alarcon y Linares : Op. cit., p 147 .

وانظر معاهدات أخري في نفس المصدر ص ٣٣ - ٣٤ ، ٥٥ - ٥٦ ، ٤٠٩ - ٤١١ .

(٢) محمد عبد الله عنان : وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثاني ، العددان ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ٣٨ - ٤٥ (٣) انظر : José Amador de los Ríos : Memoria Historico - Critica sobre las treguas celebradas en 1439 entre los reyes de Castilla y de Granada en Memorias de la Real Academia de la Historia . t. IX (Madrid 1879) Apéndice II Documento LXXVII .

(٤) انظر : G. Levi Della Vida : Op. cit., 315

وكانت غرناطة تصدر إلى قشتالة المصنوعات الدقيقة مثل إبر الخياطة وخيوط الغزل وسكاكين المائدة والأجراس الصغيرة وأغطية الأصابع "الكستبانات" dadales [١] .

العلاقات التجارية بين غرناطة والمدن الايطالية

تعطينا المدونات المسيحية الكثير من التفصيلات حول العلاقات التجارية بين غرناطة والمدن التجارية الايطالية . ففى عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م عقدت معاهدة سلام بين السفير الجنوى فى غرناطة ومحمد الثانى ، تعهد فيهما السلطان النصرى بحماية الجنويين واعفائهم من الرسوم ، كما تضمنت هذه المعاهدة قائمة بالمنتجات التى سمح بتصديرها [٢] ومنح الجنويون بمقتصاها امتيازا بافتتاح فندق فى غرناطة ، وامتلاك كنيسة ، ومخبز ، وحمامات شعبية ، وسمح لهم بممارسة الصيد فى أراضى المملكة وفى مقابل ذلك تعهد الجنويون بان يقدموا للسطان النصرى - إذا دعت الحاجة - سفناً لمعاونته ضد أعدائه [٣] .

هذا وقد حددت الرسوم التى كان يجب على الجنويين أداءها لمملكة غرناطة فى نهاية القرن الثامن الهجرى (١٤م) فى كتيب صغير حرره عامل من عمال Datini de prato يفهم منه أن الجنويين كانوا يدفعون رسماً قدره ستة ونصف بالمائة [٤] .

---

(١) د. خليان سان باليرو : التجارة الاندلسية في القرن الخامس عشر . محاضرة في بلنسية في ١٩٦٥/١٢/١٦ .

(٢) انظر : Arohivo di Stato, Gênes , Regesti, documento 471 , Rachel Aríe : Op. cit. p 361 .

(٣) انظر : Annali di Caffaro e de suoi Continuatori, Vol. IV, 1920, p. 58, Aríe : Op. cit. p 361

(٤) Aríe : Op. cit. p 361 .

وفى خطاب من اسماعيل الاول بن فرج بن نصر سلطان غرناطة إلى خايمى الثانى ملك أراجون فى جمادى الثانية عام ٧٢٤ / مايو - يونيو ١٣٢٤ يفهم منه ان تاجرا جنويا يدعى "منوى دى نغروني Manuel de Negroni كان يقوم بنقل التجارة بين غرناطة واراجون (١) .

وقد استقر فى المرية عدد كبير من تجار جنوة ، ويفهم من النصوص ان هؤلاء التجار كانوا يعملون بتجارة الرقيق بالاضافة إلى أنواع التجارات الأخرى (٢) .

وفى رسالة فى ١٧ ديسمبر ١٤٠٢ / ٨٠٥ وصف Tuccio de Gennaio احد عمال Datini النشاط التجارى لمالقة ، وذكر انها كانت واحدة من الاسواق الرئيسية على الطريق التجاري للبحر المتوسط .

وفى مالقة والمرية والمنكب استقر الجنويون فى تلك الموانى الممتازة ومضوا فى بسط نشاطهم الاقتصادى فى مملكة غرناطة ، حتى غدت لهم "بلدا مستعمرا مستثمرا للتجارة بالتجارة الكبرى " (٣) .

وفى عام ١٤٥٢ تكونت فى جنوة ما يسمى Compera Granate بقصد حماية الجنويين الذين كانوا يتاجرون على الأرض الغرناطية من كل الأخطار . وكانت هناك ضريبة مقدارها واحد وربع بالمائة تسمى Drictus Granate على كل البضائع التى كان الجنويون يستوردنها أو يصدرونها إلى مملكة غرناطة (٤) .

وكان التجار الايطاليون يقدرون حرير غرناطة الذى كان يسمى فى الوثائق الايطالية "الاسبانى أو المالقى أو الالميرى أو الموريسكي" والذى كان يصدر من مالقة والمرية إلى بلنسية وقادس والقنت ثم يعاد توزيعه (٥). وكان حرير غرناطة يباع

---

(١) انظر : Alarcón y Linares : Op. cit. p. 16.
(٢) انظر : Alarcón y Linares ; Ibid. p. 16.
(٣) انظر : J. Neers : Gênes au XV^{e} siecle. p 212 Arie : Op. cit. p. 361
(٤) انظر : J. Heers : Le Royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes . p. 93 .
(٥) انظر : Rachel Arie : Op. cit. p. 362 .

بواسطة البلنسيين فى عام ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ لتجار فلورنسا الذين كانوا يعيدون توزيعه فى مناطق أخرى [١] .

أما السكر الغرناطى الذى كان يتم انتاجه فى مالقة والمنكب والمرية ، فكان الجنويون يتولون تصديره إلى اسواق حوض البحر المتوسط ، حيث كان أرخص سعراً من سكر شرق الاندلس Levante [٢] .

كذلك قام الفلورنسيون والجنويون والبلنسيون بتصدير فاكهة مالقة [٣] . وكانت منتجات غرناطة من اللوز والتين والزبيب تجد أسواقاً رائجة فى أرجاء كثيرة ، وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) حصلت أسرة Spinola الجنوية على امتياز باحتكار تصدير فاكهة مملكة غرناطية [٤] .

ثم نجد أن زغفران بيغو Priego de Cordoba وبسطة Baza كان يصدر عن طريق مالقة ، كما كان القار الاندلسى الذى يلزم لصناعة السفن يصدر إلى جنوة وفينسيا [٥] .

كذلك كانت غرناطة تستورد ايضاً عن طريق التجار الجنويين التن من مصايد قادس ، والعسل والملح من الوادى الكبير [٦] .

وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) كانت الاسر الكبيرة من التجار الجنويين مثل

---

(١) انظر: S. Carreres Zacares: Valencia y Alfonso y Magnanimo ,(Anales: del Centro de Cultura Valen - ciana) t, XIV, 1946, p 194., Aríe : Op. cit. p. 362 .

(٢) انظر : J. Heers : Op. cit. p.110

(٣) حول نشاط التجار البلنسيين الذين كانوا يشترون فاكهة المملكة المجففة . انظر : M. Arribas Palau : Musulmanes de Valencia apresados cerca de Abiza en 1413 . (Tetuan 1953) .

(٤،٥) انظر : J. Heers : Op. cit. p. 109 . & Aríe : Op. cit. p. 363 .

(٦) انظر : M. A. Ladero Quesada : Op. cit. p. 46 .

Les Spinola, Les Pallavicino, Les Centurioni تمتلك المحلات التجارية فى مملكة غرناطة ، وفى عام ١٤٤٣/٨٤٧ أقام ثمانية وخمسون تاجرا جنوياً فى اراضى المملكة ، منهم اربعون فى مالقة حيث كان لهم ستة محلات . وفى عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢م اختار الجنويون فى مالقة قنصلا وأربعة مستشارين [١] . وكانت ارباحهم تنقل إلى جنوة بموافقة غرناطة [٢] .

وعندما زار الرحالة الالمانى خيرونيمو مونزر غرناطة فى اواخر القرن الخامس عشر ذكر انه شاهد فندقاً للجنويين كان يقع فى مواجهة مسجد المدينة [٣] .

وبعد استرداد غرناطة على يد الملكين الكاثوليكيين ، طلب كثير من التجار الجنويين منهما أن يسمحا لهم بممارسة نشاطهم فى مالقة كما كان متبعاً على عهد بنى نصر . فمنحوا مكاناً خارج الاسوار ، قريباً من الميناء ، وفى الوثائق الخاصة بتقسيم مالقة نجد اشارة إلى جنوى باسم Bartolomé de Abarze [٤] . ونلتقى بتاجرين جنويين قد استقرا فى مالقة منذ زمن طويل هما Agustín Italiano و Martin Centurion وتركا جنسيتهما الاصلية واصبحا قشتاليين كى يتمكنا من الاستمرار فى ممارسة نشاطهما ، وخاصة فى تجارة الحرير [٥] .

---

(١) انظر : J. Heers : Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes p. 94.

(٢) انظر : M. A. Ladero Quesada : Op. cit. p. 43 .

(٣) انظر : J. Mûnzer : Viaje por Espâna y Portugal (B. R. A. H.) pp. 111-112 .

(٤) انظر : Guillén Robles (F.) : Málaga Musulmana 2e ed.(Malaga 1957) pp 326-327.

(٥) انظر : M. Ladero Quesada : La Repoblación del reino de granada anterior al ano 1500, Hispania nº 110, 1968, p. 9.

الزراعة فى مملكة غرناطة :

يمتدح المؤرخون العرب والاسبان خصوبة التربة فى بعض أجزاء مملكة غرناطة مع اعتدال المناخ ، ووفرة المياة من الأنهار ، مثل شنيل وحدرة والمنصورة ، ومن الامطار ، وغنى الفحص بالقرى والحدائق الغناء [1] . ونشاط المزارعين وذكائهم وخبرتهم فى طرق الرى والصرف ، متبعين في ذلك نظماً من وحى رومانى فيما يتعلق بالأسلوب الفنى [2] . حيث كان الماء يجلب من مصادره إلى مناطق الزراعة ، مما تدل عليه الآثار الباقية حتى اليوم مثل القناطر المقامة على الأنهار .

وتوصل الغرناطيون إلى معرفة أحوال الطقس ، ووضعت الكثير من المؤلفات والتقاويم عن الزراعة تناولت الحديث عن " الغراس والعلاج وحفظ النبات من حوائجه وعوائقه " [3] . نذكر منها كتاب ابن ليون التجيبى [4] (ت فى المرية عام ١٣٤٩/٧٥ . " الملاحة وانهاء الرجاحة فى أصول صناعة الفلاحة "[5] . بالاضافة إلى تقويم شعبى غرناطى من القرن التاسع الهجرى (١٥م) لمؤلف مجهول ، يقدم لنا عرضا سريعاً للنشاط الزراعى بالمملكة واهم منتجاتها الزراعية . [6]

ويصف ابن غالب اهتمام أهل الاندلس منذ وقت طويل بالزراعة فيقول انهم

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٢-١٣،١٤ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ ، المقري : نفح الطيب جـ١ ص ١٦٤ - ١٦٦ ، G. Levi Della Vida : Op. cit., p 314

(٢) Lafuente Alcantara : Historia de Granada. t, III, p. 102.

(٣) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٤٩٤ .

(٤) عنه أنظر : ابن القاضي : درة الحجال جـ ٢ ترجمة رقم ١٣٥٢ ، الزركلي : الاعلام جـ٣ ص ١٣٢ .

(٥) انظر : Lerchundi y Simonet : La Creslomatía arábigo espa^nola (Granada 1881) p. 136 - 137., Arı́e : Op. cit: p. 345 N. 2

(٦) أنظر : J. Vázquez Ruiz : Un Calendario anónimo granadino del siglo XV

صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد المجلدان ٩ - ١٠ ١٩٦١ - ١٩٦٢ ص ٢٣ - ٦٤

"يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات ، واختيارهم لأجناس الفواكه ، وتدبيرهم لتركيب الشجر ، وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر ، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة " (١) .

وفي أحدى الثورات الموريسكية التي قامت بعد سقوط غرناطة ، نرى أن Diego Hurtado de Mendoza الذي حارب في صفوف الأسبان يتحدث عن العمل الدؤب للمزارعين الموريسكيين الذين لم يتركوا أي قطعة من الأرض دون استغلالها (٢) .

وفي الأماكن التي يقل بها المطر كان يتم ري الأراضي الزراعية من العيون والنشوع (٣) وفي مملكة غرناطة كانت السنة الزراعية تبدأ من شهر أكتوبر (٤) .

وكانت غرناطة تشرف من الجنوب الغربي على فحص أو مرج عظيم الخصب ، وافر النماء ، يمتد غربا حتى مدينة لوشة Loja ، ويطلق على هذا الفحص في الاسبانية La Vega ولعلها مشتقة من كلمة البقاع أو Alfoz وهي مشتقة من كلمة "فحص" العربية . وشبهه المؤرخون بغوطة دمشق وشارحة الفيوم ، حيث تخترقه الجداول ، ويغص بالقرى والجنات (٥). وكان أهل غرناطة يهرعون اليه في ليالي الربيع والصيف (٦) .

وقد اعطانا ابن الخطيب وصفا لهذا الفحص فقال انه "بسيط جليل ، وجو

---

(١) المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ١٤٧ .

(٢) انظر : De La guerra de Granada, ed M. Gómez Moreno . Memorial historico expanol XLIX, Madrid 1948 , p. 29., Aríe : Op. cit: p. 346 .

(٣) انظر : Ángel González Palencia : Documentos Árabes del Cenete, siglos XII-XV (Al Andalus Vol. v, 1940, fasc 2 p. 321 .

(٤) انظر : Ibid. p. 330 .

(٥) الجنات : جمع جنة ويراد بها المزرعة ، ويقابلها في الاسبانية اليوم Huerta أنظر : (د. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الاندلس ص ٢٨٦).

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٠٥ ، اللمحة البدرية ص ١٣ .

عريض، تعي عن العد أبراجه ، ومصانعه ، تلوح مبانيها ، ناجمة بين الثمار والزيتون ، وسائر ذوات الفواكة من اللوز والإجاص والكمثرى ، محدقة من الكروم المسحة ، والرياحين الملتفة ، ببحور طامية ، تأتي البقعة الماء ، ففيها كثير من البساتين والرياض والحصون ، والأملاك المتصلة السكنى على الفصول "[1]" تخترقه الجداول والانهار ، وتتزاحم به القرى والجنات فى أحسن الوضع وأجمل البناء ، ذرع اربعين ميلاً "[2].

كما يصفه الحميرى بانه " أطيب البقاع نفعه ، وأكرم الأرضين تربة ، ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحة الفيوم ، " ولا تعلم شجرة تستعمل وتستغل الا وهى ألجب شئ من هذا الفحص ، وما من فاكهة توصف وتستظرف إلا وما هناك من الفاكهة فوقها " [3].

انواع الملكية الزراعية :

كانت غرناطة تمتلئ بالبساتين والحدائق التى كانت تعرف بالجنان أو الجنات أو المنى [4] ، أو المدرجات [5] . فيقال للمزرعة أو البستان جنة فلان مثل جنة الجرف ، وجنة العرض وجنة ابن عمران ، وجنة العريف ، ومدرج نجد ، ومدرج السبيكة . ويذكر ابن الخطيب فى احاطته ان عدد هذه الجنات على عهده كان يبلغ نحو المائة . وأن منطقة غرناطة كانت تضم ما يقرب من ثلثمائة قرية ، منها ما كان سكانه يبلغون الآلاف يشتركون فى امتلاكه ، ومنها ما كان يمتلكه شخص واحد أو اثنان فصاعداً . هذا بخلاف أملاك السلطان التى بلغ عددها ما يناهز ثلاثين منية ،

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٢٦ .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ١٣ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ص ٢٤ .

(٤) المنية في الأندلس هي البيت الريفي تحيط به أرض واسعة يزرعها صاحبها لنفسه خاصة فيجعل بعضها حديقة والبعض الاخر يزرع فيه ما يحتاج اليه وهي تقابل المصطلح الاسباني : Huerta انظر: د. حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٨٩ .

(٥) المدرج : المراد به سفح الجبل المزروع .

وكانت تسمى بمستخلص السلطان ، حيث كانت توجد قصائب للحمام والدواجن والحيوانات [١] ، ويوضح عليه وال [٢] .

وكان من الشائع فى غرناطة مشاركة صاحب الارض للمزارع فى العملية الزراعية. وتزخر فتاوى الفقهاء ورجال الافتاء فى العصر النصرى بالعديد من تلك الفتاوى التى تختص بهذا الامر . فنجد أن الفقيه الحفار أفتى بان المالك يمد الأرض فى حالة زراعتها بالخضار بنصف البذور ، ويأتى الشريك بالنصف الأخر ثم يقسم الانتاج بين المتعاقدين [٣].

المنتجات الزراعية فى مملكة غرناطة

(أ) الحبوب الغذائية :

كان القمح يزرع بكميات كبيرة فى الفحص والأقاليم الواقعة إلى الشمال الشرقى من غرناطة (البراجيلات) ، والى الشمال الغربى فى قنب [٤] ، والحامة وقوطمة[٥] . وكان الغرناطيون يقومون بتخزين القمح فى صوامع تحت الارض [٦]. والى جانب هذا " البحر من الحنطة " [٧] كان الشعير يزرع فى سهيل Fuengirola وبيرة ، والفحص والبراجيلات وقنب وقرطمة [٨] . أما الذرة الذى كان يمثل غذاء هاماً للطبقات الشعبية فكان يزرع فى مناطق متعددة من بينها الفحص (٩) .

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٢٢-١٢٣ ، ١٣١-١٣٢ ، اللمحة ص ١٤-١٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٤٣٧ .

(٣) انظر : José López Ortiz : Fatwas Granadinas de los siglos XIV-XV. Al Andalus , Vol. VI, 1941, p. 107.

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٠٣ ، ١١٥ .

(٥) ابن الخطيب : معيار الاختبار في مشاهدات ص ٩٢ ، ٩٥ .

(٦) انظر : Mármol : Hisoria de la rebelión, libro IV, Cap.X

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٠٣ ، اللمحة ص ١٣ .

(٨) ابن الخطيب : معيار الاختبار : ص ٧٥ ، ٨٤ ، ٩٥ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١١٥ .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٣ . . Quesada ; Op. cit. p. 36

(٢) الفاكهة والاشجار المثمرة :

كانت مملكة غرناطة تتميز بكثر بساتين الفاكهة والاشجار ، التى كان لخصوبة التربة ووفرة مياه الرى أثر كبير فى ازدهارها. فكانت المنطقة " كثيرة الثمار، ملتفة الاشجار»[1]ويصف المؤرخون فاكهة المرية بأنها"يقصر عنها الوصف حسناً" [2] .

وكانت أهم الفواكه فى مملكة غرناطة هى التين وخاصة فى مالقة [3] التى كان لتينها شهرة واسعة . وضرب المؤرخون المثل بحسنه " وقيل انه ليس فى الدنيا مثله " [4] وكان يصدر إلى البلاد الاسلامية والمسيحية ، ويلغ من كثرته ، أن الطريق الساحلى من سهيل إلى بليش وهو قدر ثلاثة أيام كان كله مزروعاً باشجار التين التى كانت قريبة من الارض حتى " ليجنى جميعها الطفل الصغير " [5] " كذلك يحكى انه "قيل فيه لبربرى : كيف رأيته ؟ قال : لا تسألنى عنه ، وصب فى حلقى بالقفة " . كذلك قيل لأحد الخلعاء . وقد أشرف على الموت : أسال ربك المغفرة ، فرفع يديه وقال : يارب ، أسألك من جميع ما فى الجنة خمر مالقة " [6] حيث كانت تصنع من التين المالقى . وعندما زار الرحالة المصرى عبد الباسط بلش مالقة ذكر ضخامة الانتاج من التين وغيره من المنتجات الزراعية التى كانت تعد للتصدير إلى الممالك المسيحية الاسبانية [7] ، كذلك كان يزرع

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٠٤ .

(٢) المقري : نفح الطيب جـ١ ص ١٥٤ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٦٦ ، المقري : نفح الطيب جـ١ ص ١٨٦ .

(٤) الحميري : الروض المعطار ص ١٧٧ - ١٧٩ ، المقري نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٤

وفي هذا يقول ابو الحجاج يوسف بن الشيخ البلوي المالقي :

مالقة حييت ياتينها الفلك من أجلك يأتينها

نهي طبيبي عنه في علتي ما لطبيبي عن حياتي نهي

(المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٤)

(٥) المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٥ .

(٦) المقري : نفس المصدر ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٧) انظر : G. Lévi Della Vida : Op. cit., p. 313.

التين فى غرناطة العاصمة [١] ، والجزيرة الخضراء [٢]، وسهيل [٣] ، وقمارش[٤].

ثم كانت هناك زراعة الزيتون فى المرية [٥] ، وبسطة [٦] ، ووادى آش [٧] ، وقمارش [٨] وبجانة [٩] ولوشة [١٠] التى كان يوجد بها قبل الاسترداد بقليل ٤٣٢٨ شجرة زيتون [١١] . وتذكر المصادر ان زيتون مالقة قد نهبه القشتاليون عام ٨١٣ هـ / ١٤١٠ بلا رحمة [١٢] .

وفى أسفل السفوح المغطاة بأشجار الزيتون كانت تنتشر مزارع الكروم على ساحل البحر المتوسط فى بجانة بالقرب من المرية ، ومالقة وقرطمة والمنكب [١٣] ، وكذلك كان يزرع العنب فى لوشة [١٤] ، وبرجة [١٥]، والمرية [١٦] ،

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ١ ص ١٤٣ ، اللمحة ص ٢٨ ، القلقشندي : صبح الاعشي جـ٥ ص ٢١٦ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ص ٧٣ .

(٣) ابن الخطيب : معيار الاختبار في مشاهدات ص ٧٥ - ٧٦ .

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختبار في مشاهدات ص ٧٩ .

(٥) ابن الخطيب : معيار الاختبار في مشاهدات ص ٨٢ - ٨٣ .

(٦) الحميري : المصدر السابق ص ٤٤ - ٤٥ .

(٧) الحميري : المصدر السابق ص١٩٢ .

(٨) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٩ .

(٩) ابن الخطيب : خطرة الطيف في مشاهدات ص ٤٧ والقلقشندي : المصدر السابق ص ٢١٨ .

(١٠) ابن الخطيب : نفسه ص ٩٤ .

(١١) انظر : W. Hoenerbach : Loja Nasri (M. E. A. H.) III, 1954, p. 69

(١٢) انظر : : Crónica de Juan II (ano 1410) Cap XXI, p. 324 . & Aríe : Op. cit: p. 347

(١٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٤ وكذلك : G. Levi Della Vida : Op. cit. p 322.

(١٤) ابن الخطيب : معيار الاختبار ص ٩٤ .

(١٥) ابن الخطيب : نفسه ص ٨١ .

(١٦) ابن الخطيب :نفسه ص ٨٢ - ٨٣ .

ووادي آش [١]وغرناطة [٢]وفنيانة [٣] ، ومربلة [٤] ، ومالقة [٥]، وبليش مالقة [٦]، وقمارش [٧]. وقد تركت لنا المصادر الأسبانية وصفا للطريقة التي كان العنب يفرز بها لوضعه في الشمس على أسطح المنازل [٨].

وكانت أشجار التوت تزرع في وادي آش [٩] وأنـدرش [١٠]، وفنيـانة [١١] ، وبسطـة [١٢]، وحـصن شنش [١٣] (على مرحلة من ألمرية) ، حيث كانت تقوم عليها تربية دودة القز وصناعة الحرير .

وأهتم الغرناطيون بزراعة قصب السكر وخاصة في المنكب [١٤]، وشلوبانية [١٥]، والفحص [١٦]، وعلى السواحل [١٧] .

بينما كانت تزرع أشجار الموز في المنكب [١٨]، وفي شلوبانيـة [١٩] ، والفـحص وعلى السواحل[٢٠].

---

(١) ابن الخطيب : نفسه ص ٨٨ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٩٢ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٣ ، اللمحة ص ٢٨ ، القلقشندي : صبح الاعشي جـ ٥ ص ٢١٦ .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ص ١٤٣ .

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختبار في مشاهدات ص ٧٥ .

(٥) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٤ ص ٣٦٦ .

(٦) ابن بطوطة :المصدر السابق ص ٣٦٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨ .

(٧) ابن الخطيب :المصدر السابق ص ٧٩ .

(٨) انظر : J. Caro Baroja : Los Moriscos del reino de Cranada P . 91 , n .148 .

(٩)الحميرى : الروض المعطار ص ١٩٢ .

(١٠) ابن الخطيب :المصدر السابق ص ٨٨ .

(١١) ابن الخطيب : نفسه ص ٨٩ ، الحميرى : المصدر السابق ص ١٤٣ .

(١٢) الحميرى : المصدر السابق ص ٤٤ - ٤٥ .

(١٣) المقرى : نفح الطيب جـ ص ١٥٥ .

(١٤) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨ .

(١٥) الحميرى : المصدر السابق ص ١١١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ص ٢١٨ .

(١٦) الحميرى : المصدر السابق ص ٢٤ .

(١٧) الحميرى : المصدر السابق ص ٢٤، المقرى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٦ .

(١٨) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٥ ص ٢١٨ .

(١٩) الحميرى : المصدر السابق ص ١١١ ، القلقشندى : المصدر السابق جـ ٥ ص ٢١٨ .

(٢٠) الحميرى : المصدر السابق ص ٢٤، المقرى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٦ .

وكان اللوز يزرع في الفحص [1] ، ومالقة [2] ، ويلسش مالقة [3] ، وغرناطة[4] ، وقمارش [5] ، والجوز في غرناطة [6] ، والبشرات [7] ، وقرى جبل شلير [8] . والقسطل في غرناطة [9] ، والبشرات [10] .

اما التفاح فكان يزرع في غرناطة [11]، والبشرات [12] ، وجليانة [13] . والخوخ في غرناطة [14] والقراصيا " التي لا تكاد توجد في الدنيا منظراً وحلاوة حتى انها ليعصر منها العسل " [15] والكمثرى في وادى آش وقرى جبل شلير [16] والبلوط في غرناطة [17] كما كان بفناء مسجد مالقة الجامع اشجار النارنج والنخيل [18] .

بالاضافة الى ذلك كانت هناك اشجار الكتان الذى احتل المرتبة الاولى في النسيج في المملكة وخاصة في المرية [19] ،وبحانة [20] ، والفحص الذى يصف الحميرى كتانه بأنه " يربو جيده على كتان النيل ويكثر حتى يصل الى أقاصي بلاد

(١) الحميرى : المصدر السابق ص ٢٤ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة جـ٤ ص ٣٦٦ ، القلقشندى : المصدر السابق جـ٥ ص ٢١٩ المقرى : نفح الطيب جـ١ص ١٤٥ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٩ وكذلك . G. Levi Della Vida : Op. cit. p. 313

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٣ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٩ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٣ ، اللمحة ص ٢٨ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٦ .

(٧) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٦ .

(٨) الادريسى : صفة المغرب ص ٢٠١ .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٣ ، اللمحة ص ٢٨ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٦ .

(١٠) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٦ .

(١١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٤٣ ، اللمحة ص ٢٨ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٦ .

(١٢) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٦ .

(١٣) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٣ .

(١٤) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٦ .

(١٥) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٦ .

(١٦) الادريسى : صفة المغرب ص ٢٠١ .

(١٧) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢١٦ .

(١٨) ابن بطوطة : الرحلة جـ١ ص ٣٦٧ .

(١٩) ابن الخطيب : معيار الاختيار ص ٨٣ .

(٢٠) ابن الخطيب : خطرة الطيف في مشاهدات ص ٤٧ .

المسلمين [١] " أما القطن فكان يزرع فى عدة مناطق ومنها وادى آش " [٢] .

(٣) النباتات الطبية والعطرية :

كانت زراعة النباتات الطبية والعطرية تمارس على نطاق واسع فى غرناطة وضواحيها ويذكر ابن الخطيب ان الاندراسيون والسنبل والجنطيانا كانت وفيرة فى الجبال والوديان [٣] . كما كان يوجد بها كذلك العقار والادوية النباتية " [٤] .

وفى بسطة [٥] وباغة [٦] كان يزرع الزعفران الذى كانت المملكة تستهلك منه كمية كبيرة .

كذلك كانت هناك الحناء [٧] ، وعود اليلنجوج ، لا يفوقه العود الهندى ذكاء وعطر رائحة " [٨] . والافاوية فى جبل شلير [٩] .

وفى القرن السابع الهجرى (١٣م) انتقلت الى اللغة الاسبانية بعض الاصطلاحات العربية الخاصة بالزراعة مثال ذلك الساقية Acequia والقادوس ar-caduz ، والنورج noria والفحص Alfoz والناعورة annoria والسدة acuda والبركة al-berca والقرية alcaria والحبة alfaba والمرجع (وحدة لقياس الارض) almarjal واسماء المنتجات الزراعية مثل الزعفران azafrán والارز arroz والقطن algodón والزيتون aceituna [١٠] .

---

(١) الحميرى : الروض المعطار ص ٢٤ .

(٢) الحميرى : المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٣) ابن الخطيب اللمحة ص ١٣ ، الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٠٥ .

(٤) ابن الخطيب الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٠٥ .

(٥) ابن الخطيب : مفطرة الطيف ص ٣١ ، معيار الاختيار ص ٨٧ .

(٦) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ .

(٧) انظر : Quesada : Op. cit., p. 37 .

(٨) ابن الخطيب الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ١٠٤ – ١٠٥ ، نفح الطيب جـ ١ ص ١٣٧ واليلنجوج عود يتبخر به ويقال له يلنجوج والنجوج وألنجج ويالجج .

(٩) المقرى : نفح الطيب : جـ١ ص ١٦٦ . والافاوية جمع الافواه والافواه جمع فوة بالضم وهى التوابل .

(١٠) انظر : Ebro K . Neuvonen : Los Arabismos del Espanol en el siglo XIII(Helsinki 1911) .

الرعى وتربية الحيوانات فى غرناطة

لم تترك لنا المصادر المعاصرة معلومات مفصلة عن تربية الحيوانات ورعيها فى مملكة غرناطة سواء ما كان يربى منها من أجل اللحم واللبن ، أو ما كان يستخدم منها كوسيلة للتجارة والنقل . ولكننا نستطيع أن ننسق ما بين الاشارات والتلميحات التى وردت بين ثنايا تلك المصادر ونخرج ببعض الحقائق . ففى المناطق التى لم تكن تصلح للزراعة لقلة المياة أو لعدم خصوبة التربة ، كانت تقوم تربية الماشية والأغنام ، وكانت غرناطة تضطر إلى استيراد ما تحتاجه منها من قشتالة نظراً لعدم كفاية انتاجها المحلى (١) .

وكان لرعى الأبقار والضأن أهمية كبرى لاسيما فى السلاسل الجبلية والسهول القاحلة فى الشرق . واكتسبت رندة التى كانت غنية بالماشية ، شهرة واسعة لانتاج الصوف (٢) . وكانت هذه الماشية تربى فى برجة Berja (٣)، وفى انتقيرة (٤) ، بينما كانت بيرة " يسرح بها البعير ويجم بها الشعير " (٥) ، واشكر " مسرح البهائم " (٦) وكانت كل قرية تملك ما يجاورها من سفوح الجبال لرعى حيواناتهم بها.(٧).

كذلك كان الرعاة فى مملكة غرناطة يزاولون نشاطهم عند الحدود مع قشتالة وكان سلب الماشية أحد أهداف الإغارة المنظمة بين كلا الجانبين (٨).

و أقبل الغرناطيون على تربية الطيور المنزلية، ر الأرانب البرية إقبالاً كبيراً (٩).

وفى فحص غرناطة كان يربى الحمام فى الأراضى الخاصة بالسلطان و التى كانت تسمى المستخلص (١٠).

---

(١) José Amado de los Rios : Memoria Historico - Critica sobre las treguas celebradas en 19439 entre los reyes de castilla y de Granada en Memorias de la Real Acadenia de la Historia tomo IX (Madrid 1879) Apéndice I I Doc . LXXVII.

(٢) أنظر : . Quesada : Op. cit.,p. 38

(٣) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٨٢ .

(٤) ابن الخطيب المصدر السابق ص ٩٤ .

(٥) ابن الخطيب : نفسه ص ٩٤ .

(٦) ابن الخطيب : نفسه ص ٨٧ .

(٧) انظر . Ángel Gonzales Palencia : Documentos Árabes del Cente siglos XII-XV Andalus 1940, Vol V, fase 2, p. 301-371)

(٨) انظر: Quesada : Op.Cit., p. 38

(٩) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٩٤. حيث يصف الأرانب فى غرناطة بأنك "تحسبهم أيقاظاً و هم رقود".

(١٠) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ١٥.

و قام سكان المملكة بتربية النحل في مالقة [١] ، وبلش مالقة [٢] ، كما كان إقليم قنتورية الى الجنوب من برشانة Purchena على نهر المنصورة و أورية Oria بولاية المرية مشهورين بإنتاجهما من العسل [٣].

و كانت البغال فبى غرناطة، التي يصفها ابن سعيد بأنها " بغال فارهة " [٤] هى الوسيلة الرئيسية للنقل بين البلاد فى داخل المملكة النصرية، أو بينها و بين قشتالة، و ذلك لان العربات لم تكن لها أهمية فى ذلك الوقت بسبب وعورة الأرض وسوء شبكة المواصلات. و كان إصلاح هذه الطرق من أول المهام التى إتجه اليها القشتالون بعد الاسترداد [٥]

صيد السمك :

تذكر المصادر أن سواحل مملكة غرناطة كانت غنية بالأسماك [٦]، حتى أن ابن الخطيب يصف السمك فى شلوبانية بأن " حوت هذه السواحل أغزر من رمله، تغدو القوافل إلى البلاد تحمله " [٧]. و كان السمك يصاد فى إقليم المرية و الجزيرة الخضراء و سهيل Fuengirola [٨] و مربلة [٩] التى كانت تشتهر بالسردين [١٠]. و فى مالقة كان تمليح الأسماك من الصناعات التقليدية هناك، حيث كانت تقوم فى الأحياء الخارجية بالقرب من الساحل، واستمرت حتى سقوط المملكة، ثم طورها الملكان الكاثوليكيان [١١].

(١) انظر: F. Bejarano Robles : El Repartimiento de Málaga (Al Andalus, Vol. XXXI, 1966, fasc 1 y 2 pp. 1-46.

(٢) ابن الخطيب : معيار الإختيار فى مشاهدات ص ٨٦.
(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٥، ٨٦.
(٤) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص١٨٥.
(٥) انظر: Quesada: Op. Cit, p. 38.
(٦) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٣.
(٧) ابن الخطيب : معيار الإختبار فى مشاهدات ص ٨١.
(٨) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٦، ٨٠، ٨١.
(٩) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩.
(١٠) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٥.
(١١) انظر : F. Bejarano Robles : El Repartimiento de alága p. 39

وفي بزليانة كانت تصنع شباك الصيد التي تصاد بها الأسماك الكثيرة ويحمل منها إلى البلاد المجاورة [1].

الصناعة في مملكة غرناطة

إستطاعت غرناطة آن تحتفظ بالكثير من الصناعات الأندلسية القديمة وساعدها على ذلك توافر المواد الأولية اللازمة للصناعات مثل المعادن والأخشاب والمنتجات الزراعية و الحيوانية. فيحدثنا الجغرافيون عن وجود الرصاص في برجة ، و الحديد الخسام في و ادى آش [2]. و الذهب و المرقشيتا [3] واللازود، و الفضة في لوشة [4]. ،و الياقوت الأحمر بناحية حصن " منت ميور " من أعمال مالقة ، و المرجان بساحل البيرة من أعمال المرية ، و التوتيا الطبية

بساحل البيرة بقرية تسمى بطرنة، و هي أزكى توتيا و أقواها في صبغ النحاس [5] و الملح بلوشة [6]و دلاية [7]. كذلك كان يوجد الرخام قرب المرية [8]، وباغة التي كان بها "مقاطع كثيرة للرخام موشاة في حمرة و صفرة " و كان بالمرية حصى " يحمل إلى البلاد كالدر في رونقه، وله ألوان عجيبة، ومن عاداتهم أن يضعوه في "كيزان الماء" [9]، وبجبال الحامة الجص [10].

---

(1) الإدريسي: صفة المغرب ص ٢٠٠، و الحميري : الروض المعطار ص ٤٤.

(2) ابن الخطيب : معيار الإختيار في مشاهدات ص ٨٨، المقري نفح الطيب جـ١ص١٤٣، ١٥٣.

(3) المرقشيتا أو المرقشيطة : حجر ذو خواص طبية يغلب على الظن أنه البزموت، و ذكر ابن سيناء أنه يوجد على أنواع مختلفة. انظر: المفردات في آخر كتاب "ضوابط دار السكة لعلى بن يوسف – مدريد ١٩٦٠، د.حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيا و الجغرافيين في الأندلس ص ٢٨٥ حاشية ١.

(4) المقري : نفح الطيب جـ١ ص ١٤٢.

(5) المقري : المصدر السابق جـ١ص١٣٨.

(6) ابن الخطيب : معيار الإختيار في مشاهدات ص ٩٤.

(7) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٢.

(8) ابن الخطيب : المصدر السابق ص٨٣، المقري : المصدر السابق جـ١ ص١٥٣.

(9) المقري : نفح الطيب جـ١ص ١٨٧.

(10) الإدريسي : صفة المغرب ص ٢٠١.

كما كانت توجد الأعشاب الطبية التي تدخل في صناعة الدواء و العقاقير الطبية[1] ، مثل الكحل في بسطة [2]، و المواد الأفاوية الهندية في جبل شلير [3].

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك أشجار التوت ودود القز – التي كانت تقوم عليهما صناعة الحرير [4] و القطن و الكتان [5].

وساعدت كثرة غابات البلوط والصنوبر على صناعة الأدوت المنزلية و السفن. كما كان توفر الزيتون عاملاً مهماً في تقدم صناعة إستخراج الزيت[6].

وقد إمتدح ابن خلدون الصناعة في غرناطة و ذكر أنها تجمعت فيها رواسب الحضارة السابقة وبقيت فيها آثار من هذه الحضارات فذكر: " أن رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعوا إليه عوائد أمصارها [7]

و من أهم الصناعات التي إزدهرت في مملكة غرناطة :

صناعة النسيج :

ورثت غرناطة عن الأندلس صناعة النسيج، وظلت مزدهرة بها حتى القرن الخامس عشر الميلادي. وانتلقت هذه الصناعات منها إلى الممالك الأسبانية المسيحية وإلى الدولة البيزنطية، وهناك أمثلة على ذلك مثل الأقمشة و الوسائد التي عثر عليها في تابوت دونيا ليونور Doña Leonor بنت ألفونسو الثامن في أراجون[8]. كذلك فإنه عندما قام ماركيز قادس بالإستيلاء على الحامة في ١٤٨٢/٨٨٧عثر القشتاليون بها على ثروات غير محدودة و ملابس من حرير رقيق متقن الصنع [9].

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص١٣، الإحاطة (عنان) جا ص١٠٣، ١٠٥، العمري : مسالك الإبصار نشر حسن حسني عبد الوهاب ص ٣٥.

(٢) الحميري : الروض المعطار ص ٤٤.

(٣) المقري : المصدر السابق ج١ ص١٨٦.

(٤) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٣.

(٥) الحميري : المصدر السابق ص ١٩٢، ابن الخطيب : معيار الإختيار ص ٨٣.

(٦) ناجي معروف : المدخل في الحضارة العربية. الطبعة الأولي، بغداد ١٩٦٠/١٣٧٩ ص ٨٠، صبحي الصالح : النظم الإسلامية نشأتها و تطورها بيروت ١٩٦٨ ص ٤٠٦.

(٧) ابن خلدون : المقدمة ص٤٠٢ (بيروت).

(٨) انظر : Aguado Bleye : Manual de Historia de España II p. 951

(٩) انظر : Leopoldo Torres Balbás: Ars Hispaniae t.4, p.198

كما كان سلاطين غرناطة يقدمون منسوجات مملكتهم كهدايا إلى ملوك الدول الأخرى، فمن بين الهدايا التى بعث بها السلطان محمد الرابع إلى ألفونسو الحادى عشر فى عام ١٣٣٣/٧٣٤ نجد نسيجاً من الحرير وخيوط الذهب كانت تنتجه مصانع غرناطة، ويحوز إعجاب ملوك أسبانيا المسيحية [١].

وتقدمت صناعة الحرير فى مملكة غرناطة تقدماً كبيراً لاسيما فى غرناطة العاصمة التى يمتدح ابن الخطيب حريرها ويذكر أنه لا يمكن مقارنته إلا بحرير العراق، الذى رغم تلك المقارنة كان الأخير يقل عنه " رقة ولدونة وعتاقة " [٢].

وكذلك فى مالقة [٣]، و المرية [٤]، وتذكر المصادر أن الأخيرة كانت " مصنعاً للحلل الموشية النفيسة "[٥] و " ثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة"[٦]. وأنه كان بها ثمانمائة نول لنسج الحرير، وألف نول للحلل النفيسة، والديباج الفاخر والإسقلاطون[٧]، والاصبهانى و الجرجانى، والستور المكللة، والثياب المعينة[٨]، والعتابى[٩] الفاخر وصنوف أنواع الحرير[١٠].

وكانت مالقة "حلل ديباجها البدائع ذات تطريز " [١١]و " الحلل الموشية التى تجاوز أثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتجة برسم الخلفاء فمن دونهم " [١٢].

---

(١) انظر : Crónica de D. Alfonso XI Cap CXXVII, p.258.

(٢) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٣ ، وكذلك : I. S. Allouche : La Vie économique et sociale á Grenade p. 9 .

(٣) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٤ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٩ .

(٤) الادريسي : صفة المغرب ص ١٩٧ ، ابن سعيد : المصدر السابق جـ٢ ص ١٩٣ ، ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٠٥ ، الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٤ ، المقرى : نفح الطيب : جـ١ ص ١٥٤ .

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ٤ ص ٢٠٧ .

(٦) ابن سعيد : بسط الارض فى الطول والعرض ص ٧٤ .

(٧) الاسقلاطون نسبة الى احدى بلاد الروم .

(٨) هى ما كانت تزدان بنقط صغيرة تشبه عيون الوحش أو تلك التى تزدان بزخرفة هندسية على هيئة العين . انظر : د. محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والاندلس ص ١٢٤ ح ٢ .

(٩) العتابى : نوع من الخمر ينسب إلى بغداد ، وهى أقمشة تغطى بها النساء رؤوسهن ، وقد عرف الايطاليون هذه الصناعة عن طريق الاندلسيين ، كما عرفها الفرنسيون ، وعرف هذا النسيج فى أوربا باسم Tapis وهو تحريف واضح عن كلمة عتابى . أنظر : د. السيد عبد العزيز سالم : الفنون والصناعات بالاندلس ، دائرة معارف الشعب العدد ٦٤ ص ١٩٠ - ١٩١ .

(١٠) الادريسي : صفة المغرب ص ١٩٧ ، الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٥٤ .

(١١) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٧٧ .

(١٢) المقرى : نفح الطيب جـ٤ ص ٢٠٦ .

وكانت المنسوجات الحريرية " ذات الوان مختلفة ، فكان منها نوع اختصت به المرية يسمى " الموشي المذهب "يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق اذا راؤا منه شيئاً [١]. وكان اصحاب اليسار في مملكة غرناطة يلبسون نوعاً من الحرير كانت تنتجه مدينتا غرناطة وبسطة يسمى " الملبد المختم " ويمتاز بالوانه العجيبة [٢]. أما مدينتا وادى آش ودلاية فكانتا تنتجان نوعاً من الحرير كانت تفضله أميرات غرناطة ونساء الطبقة الراقية بها ، وأقتبست المدن الايطالية التى اشتهرت بصناعة المنسوجات الحريرية فى العصور الوسطى ، عن الاندلسيين ، معظم فنونهم وطرقهم فى هذه الصناعة ، كما ان مدن ايطاليا وبصفة خاصة فلورنسا كانت تستورد كميات كبيرة من الحرير الخام من غرناطة حتى القرن الخامس عشر [٣] .

وجرى العرف فى غرناطة ان صاحب اشجار التوت كان يسلم بويضات الدود الى عامل يتولى رعايتها نظير ربع الحرير كمكافأة له [٤] .

وكان من الشائع أن يتم غزل الحرير فى الريف ، أما نسجه وتصريفه فكان يتم فى المراكز التجارية فى غرناطة ومالقة والمرية [٥] .كذلك اشتهرت غرناطة بنسج الكتان " الذي يربو جيده على كتان النيل ويكثر حتى يصل إلى اقاصي بلاد المسلمين"[٦].

وقد ابتدع النساج الغرناطى فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) طريقة جديدة استطاع بها ان يستخدم ألواناً عديدة ، وبرع فى ابراز الزخارف الهندسية الشهيرة عن طريق هذه الألوان التى يدل انسجامها على رقة ذوق عجيبة . واستخدمت فى زخرفتها مجموعات هندسية زخرفية غرناطية وتوريقات وزخرفة حيوانية وغيرها[٧].

---

(١) د. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الاندلس ص ٢١٥ . نقلا عن ابن سعيد .
(٢) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٨٧ .
(٣) انظر : Prescott : Op. cit., p. 170 .
(٤) انظر : José López Ortiz : Fatwas Granadinas de los siglos XIV y XV (Al Andalus, Vol VI, 1941 , .p . 113 .
(٥) انظر : Quesada : Op. cit ., p. 40 .
(٦) الحميرى : الروض المعطار ص ٢٤ .
(٧) انظر : Aleya Ibrahim El Anany : Tres Telas granadinas . مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثانى العددان ١-٢ ١٣٧٣ / ١٩٥٤ ص ١٤٩ - ١٥٩ .

صناعة الأبسطة والسجاد :

تقدمت صناعة الأبسطة والسجاد فى مملكة غرناطة تقدماً كبيراً ، ولم يكن استخدامها مقتصراً على تزيين الارض ، ولكنها كانت تستخدم أيضاً لتزيين الحوائط وفرش المساجد عند الصلاة ، وكانت غرناطة وبسطة أهم مدينتين تنتجان هذه الابسطة (١) . وكان هناك سجاد صلاة يسمى " الوطاء البسطى من الديباج الذى لا يعلم له نظير " (٢) . وليس لدينا غير سجادتين من القرن التاسع الهجرى (١٥م) محفوظتين بالمتحف الاثرى بغرناطة ، ومع ذلك يعترض البعض على أصلهما ، ويعتقد من عناصر هما الزخرفية انهما يرجعان الى اصل مصرى (٣) .

الصناعات الجلدية :

ورثت غرناطة تقدم قرطبة فى الصناعات الجلدية وازدهرت فيها ولاسيما فى المرية (٤) ، وفى مالقة التى كانت متخصصة فى انتاج الاغشية والحزم والمدورات (٥) وتزخر المتاحف بالمنتجات الجلدية التى كانت تنتجها المملكة ، ويحتفظ متحف السلاح الملكى بمدريد بدرقة مزدوجة من الجلد بيضاء من الخارج ، وتميل الى اللون الأصفر فى الداخل ، غنية بالزخارف العربية (٦) .

وكان الدباغون ينزلون اطراف المدينة على ضفاف الانهار اتقاء لرائحة صناعتهم(٧) .

---

(١) د. شبانة : يوسف الاول بن الاحمر ص ١٩١ .

(٢) الحميرى : الروض المعطار ص ٤٤ - ٤٥ .

(٣) د. جمال محرز : قطعتان من السجاد المملوكى بمتحف غرناطة الاثرى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مدريد جـ٢ ١٩٥٤ القسم العربى ص ١٧٤ - ١٩٢ ، وملخصاً بالاسبانية ص ١٦٩ .

(٤) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٥٤ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٩ .

(٦) انظر : Arfe : Op. cit. p, 256 .

(٧) بروفنسال : محاضرات في ادب الاندلس وتاريخها ص ٦٦ وكذلك Leopoldo Torres Balbás : Plazas , zocos y tiendas de las ciudades Hispanomusulmanas (Al Andalus Vol. XII, 1947, fasc 2, p 459 .

الأواني الفخارية وصناعة الخزف والزجاج :

يشير المؤرخون إلى شهرة الخزف الغرناطي وجودته . فالعمري يذكر ان أندرش كانت " تختص بالفخار لجودة تربتها ، فليس في الدنيا مثل فخارها للطبخ " (١) . وانه كان بمالقة " الفخار المذهب الذى لايوجد مثله في بلد " (٢) اما الرحالة المصرى عبد الباسط فيروى ان بغرناطة تراباً أحمر اللون تصنع منه "الكيزان" التى يشرب بها الماء وهى "كيزان" رقيقة غاية فى جودة الصناعة مبردة للماء بطبعها بل ولها منافع فيقال انها تنفع الاسهال الدموى " (٣) .

ويذكر ابن بطوطة ان " بمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ، ويجلب منها إلى اقاصى البلاد " (٤) .

كانت مالقة تنتج نوعاً من الأباريق ذات اللون الاخضر (٥) ، واطباقاً من الخزف ذات البريق المعدنى قوام زخارفها مناطق فيها رسوم نباتية متنوعة (٦) . وهناك كان يتم خلط الخزف بالرمل الذى يحتوى حديداً فيكسبه صلابة اكثر (٧) . وكان فخار مالقة يصدر الى كل حوض البحر المتوسط وخاصة المشرق (٨) .

وكان يصنع فى المرية ومالقة فخار مزجج مذهب (٩) . ويذكر ابن سعيد انه كان يصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف فى المشرق بالفسيفساء ، ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجى (١٠) يشبه المفضض ، وهو ذو الوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذى يعرفه أهل المشرق فى زخرفة بيوتهم (١١) .

(١) ابن سعيد : المغرب جـ١ ص ٢٤ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ٥ ص ٢٢١ ، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٤٥

(٢) القلقشندى : المصدر السابق جـ٥ ص ٢١٩ .

(٣) انظر : G. Levi Della Vida : Op. cit. p. 315 .

(٤) ابن بطوطة : الرحلة جـ٤ ص ٣٦٧ ، المقرى : المصدر السابق جـ١ ص ١٤٥ .

(٥) الازدى : تحفة المغترب ص ١٧٠ .

(٦) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٧) انظر : M. gómez Moreno : Loza dorada primitiva de Málaga (Al Andalus 1940 , Vol. V fasc 2, pp. 383 - 398 .

(٨) انظر : E. Kuhnel : Loza hispanoarabe excavada en Oriente (Al Anadalus Vol. II, 1942 , pp. 253 - 268 .

(٩) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٨٧ .

(١٠) جاء فى شعر على جدران قصر الحمراء :

فصنائع الزليج فى حيطانها والأرض مثل بدايع الديباج

انظر : M. Gaspar Remiro : Las inscripciones de la Alhambra (Revista del Centro de Estudios historicos de Granada ano 1, num 2 p. 97 .

(١١) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٨٧ - ١٨٨ .

كذلك كان بقسطيلية رخام لين ابيض تصنع منه " الأقداح والأطباق والاكواب والأسطال والحقاق ، وكل ما يخرط من الخشب يخرط منه " (١) .

وظهر خزف يتألف من تزجيج القطعة كلها بألوان بيضاء وصفراء وخضراء وبنفسجية بين الفواصل الجافة ، وقد نضج ذلك في غرناطة قرب القرن الثامن الهجرى (١٤م) (٢) .

وكانت بعض الأواني الفخارية تمثل شكل بعض الحيوانات كالزرافة والقرد ، كما كانت على البعض الاخر صور ملونة باللون الأخضر أو البنى أو الأزرق ، كذلك كانت هناك أباريق كبيرة (٣) وقدور لاستخراج الماء من الآبار ، وكانت دوارق المياة الفخارية متعددة الأشكال فمنها ما كان برقبة لها فتحة خاصة تسمح بنزول الماء ، ومنها نوع آخر لونه أخضر قاتم كان يوضع في طبق (٤) .

وكان الفخار في مملكة غرناطة يصنع في مكان يطلق عليه اسم " الدهليز"(٥) وكانت مصانع المرية تنتج بعض الاوانى الزجاجية (٦) .

صناعة العاج والتطعيم :

استخدم الصناع العاج في تزيين مقابض وأغماد السيوف والعصى . ويحتفظ متحف الآثار بغرناطة بقوس أتى به من البشرات تزينه نقوش من العاج ، واستخدام الفنان النصرى العاج بسخاء في تزيين الأثاث وقطع الأخشاب ، ومن ذلك منبر الحمراء المصنوع من الخشب المرصع بالعاج (٧) . كما تزين اثنتاعشر ضفيرة من

---

(١) ابن غالب ؛ فرحة الانفس ص ١٤ .

(٢) مانويل جوميث مورينو ؛ الفن الاسلامي في اسبانيا . ترجمة د. لطفى عبد البديع ود. السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٣٨٥ .

(٣) يقول ابن الخطيب :

تخال عند المزج ابريقنا   وكأسنا من فمه تقرب

ميتا من الماء ومن دونه   غزالة قد الهلت تشرب

(ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٣١٣) .

(٤) د. زكى محمد حسن ؛ فنون الاسلام ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٥) د. أحمد مختار العبادى : مقامة العيد لابى محمد عبد الله الازدى مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد - المجلد الثانى العددان ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ١٧١ .

(٦) المقرى ؛ نفح الطيب ؛ جـ١ ص ١٥٤ ، ١٨٧ .

(٧) انظر : Arfe : Op. cit . p. 470 .

العاج مصراعي أحد أبواب الحمراء معروضة اليوم في متحف غرناطة ، كذلك كان التطعيم بالعاج يستخدم في زخرفة العلب الصغيرة بأشكال الزهور أو الحيوانات أو الزخارف الخطية [١] .

الصناعات المعدنية :

اختصت مالقة بانتاج الآلات الحديدية كالسكاكين والمقصات [٢]. والمرية بانتاج الالات النحاسية الى جانب الحديدية [٣] .

ويوجد بمتحف مدريد الأثرى ثريا جئ بها من مسجد الحمراء ، الذى تروى المصادر انه كان به عدد منها مصنوع من الفضة [٤] . كذلك تزخر المتاحف الاسبانية بالعديد من قطع الحلى الذهبية المزخرفة بالحجارة الكريمة وقطع الزجاج[٥] . ونبغ الصانع النصرى فى اخراج سيوف رشيقة منها نماذج فى بعض المتاحف فى اسبانيا وفرنسا [٦] .

ومما يجدر التنويه به مبخرة أصلها من غرناطة اسطوانية الشكل تقوم على ثلاثة ارجل ، غطاؤها يكاد يكون مخروطى الشكل وبه تخريم يمثل اوراقاً مزدوجة فى دوائر ، ويعلوها طائر ذو منقار معقوف ، قفلها على شكل حيوان من ذوات الأربع[٧] .

الصناعات الغذائية :

من الصناعات الغذائية كان هناك طحن الحبوب باستخدام طواحين الماء (راحة) المقامة على شواطئ الأنهار ، وفى غرناطة العاصمة كان يوجد أكثر من مائة وثلاثين

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Hojas de puerta de una alacena en el Museo de la Alhambra (Al Andalus Vol. II, 1935 , pp. 436 - 442), José Ferrandis Torres : Muebles Hispanoarabes de Taracea (Al Andalus 1940 , Vol. V) pp. 459 - 465 .

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٩ .

(٣) الادريسى : صفة المغرب ص ١٩٧ ، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٥٤ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥٥٥ .

(٥) انظر الفصل الخاص بالحلى وادوات الزينة

(٦) انظر الفصل الخاص بالحياة الحربية .

(٧) مانويل جومث مورينو : المرجع السابق ص ٣٩٩ .

طاحـونة (١) . وصناعة عصر الزيتون (٢) . فى معاصر معدة ومزودة بالارحاء والتخوت وقدور النحاس (٣) . وان كانت المصادر العربية لم تترك لنا للأسف وصفاً لهذه العملية فى غرناطة ، الا أنه يمكن الاعتقاد بان الغرناطيين قد استعملوا معاصر ضخمة لعصر الزيتون كتلك التى رآها خيرونيمو مونزر عام ١٤٩٤ عند مدجنى أراجون ، حيث كان يتم هرس الزيتون بواسطة حجر طاحونة كبير تحركه دواب الحمل ، ثم يكوم بعد ذلك ، ويمرر على معصرة ، ويعالج بالماء المغلى لتطهيره ، وفى النهاية يجرى الزيت الى اناء موضوع تحت المعصرة (٤) .

ثم كانت هناك صناعة الزبيب (٥) وقد تركت لنا المصادر القشتالية وصفاً للطريقة التى كان يتم بها فرز العنب بعناية لتعريضه للشمس على أسطح المنازل (٦).

ومن الصناعات الغذائية فى مملكة غرناطة نذكر ايضاً صناعة تمليح السمك التى كانت مالقة تشتهر بها ، وكانت تتم قرب الساحل ، وقد اهتم بها الملكان الكاثوليكيان بعد سقوط المدينة فى ايديهم (٧). وصناعة السكر وخاصة فى متريل Motril وغرناطة باسلوب فنى تفصله لنا وثيقة اكتشفت حديثاً من ارشيف الحمراء (٨). وصناعة الخمر بمالقة التى كان يضرب بها المثل فى ذلك. وقد قيل لأحد الخلعاء وقد أشرف على الموت اسأل ربك المغفرة ، فرفع يديه وقال: " يارب أسألك

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ١٥ معيار الاختيار ص ٩٤ .، I. S. Allouche : Op. cit. p. 10, G. Levi Della Vida : Op. cit. p 312 .

(٢) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٨٤ ، ٩٤ .

(٣) انظر : Luis seco de Lucena : La Sultana Madre de Boobdil (Al Andalus Vol . XII, 1947 fasc 2, p. 383 .

(٤) انظر : Munzer : Viaje por Espana y Portugal p. 275 .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٨ ، الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٤٣ .

(٦) انظر : J. Caro Baroja : Los Moriscos del reino de Granada p. 91, n. 148

(٧) انظر : E. Bejarano Robles : El Repartimiento de Málaga p.39.

(٨) انظر : J. Martinez Ruiz : Notas sobre el refinado del azúcar de Cana entre los Moriscos granadinos, Revista de Dialectologia y tradiciones populares t. xx, 1964, Cuaderno 3°, p. 371-388

من جميع ما فى الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية "[1] .

صناعة الاسلحة :

كانت حياة غرناطة كلها حياة حرب وكفاح ، ولهذا تقدمت صناعة الأسلحة فى المملكة تقدماً كبيراً ، ويذكر ابن سعيد اهتمام أهل غرناطة بصناعة الأسلحة وآلات الحرب فيقول : " وأما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والمغافر فأكثرهم أهل الأندلس كانت مصروفة الى هذا الشأن " [2] .

كذلك تقدمت صناعة السفن فى البلاد الساحلية فى المملكة واقيمت بها دور الصناعة مثل مالقة والمنكب والمرية والجزيرة الخضراء [3] .

صناعات أخرى :

بالاضافة إلى ذلك اشتهرت غرناطة بصناعة البناء وجاوزت شهرة بنائيها الآفاق ، فنجد أن السلطان أبا حمو الاول وولده أبا تاشفين عندما اختطا قصور الملك فى تلسمان ، قاما باستدعاء الصناع والفعلة من الاندلس ، فبعث اليهما السلطان أبو الوليد بالمهرة من أهل صناعة البناء " فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله " [4] .

كذلك كانت تصنع الأوانى من سعف النخيل [5] ، وفى قيجاطة كان هناك جبل " يقطع به من الخشب الذى تخرط منه القصاع والمخابى والأطباق وغير ذلك " [6] ، كما كانت هناك صناعة السروج والأحذية والأثاث [7] . وصناعة التسفير (التجليد) التى ازدهرت فى الأندلس فى هذا العصر ، وتحولت الى فن جميل من زخرفة وتزويق

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ٤ ص ٢٠٦ .

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ١٨٨ وانظر الفصل الخاص بالحياة الحربية

(٣) ابن سعيد : بسط الارض ص ٧٤ ، الحميرى : الروض المعطار ص ٧٣ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٨ -٢١٩ ، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ٥٣ .

(٤) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ١٤٣ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى جـ٥ ص ٢١٩ .

(٦) الادريسى : صفة المغرب ص ٢٠٣ .

(٧) د. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ١٠٨ نقلا عن محمد بن ابى بكر الزهرى مخطوط " الجغرافيا " لوحة ٦٨ أ .

وتلوين وتذهيب ، ووضعت بعض الكتب التى تتحدث عن هذا الفن (١) . وصناعة الرسم بالذهب (٢) التى نبغ فيها عدد كبير (٣) .

ويفهم من النصوص ان اصحاب كل مهنة كان على رأسهم " صنديك " أو "أمين" وأنه كان يأتمر بأمر المحتسب . (٤) .

---

(١) انظر : بكر بن ابراهيم الاشبيلي : كتاب التيسير فى صناعة التسفير . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد المجلدان ٧-٨ ١٩٥٩ / ١٩٦٠ ص ١-٤٢ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٨٩ .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٨٩-٢٩٠ .

(٤) المقرى : نفح الطيب جـ٢ ص ٣٩٤ ، ليفى بروفنسال : محاضرات فى ادب الاندلس وتاريخها ص ٨٩ .

الباب الرابع

الحياة الفكرية فى مملكة غرناطة

طرق التدريس - المدرسة النصرية - العلاقات الثقافية بين غرناطة ودولة المماليك - العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس - العلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة الحفصية - العلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة الزيانية - العلاقات الثقافية بين غرناطة واسبانيا المسيحية - اهم العلوم في غرناطة ...

«الحياة الفكرية فى مملكة غرناطة»

اهتم أهل الأندلس بالعلم وأهله «وكان العالم عندهم معظما من الخاصة والعامة، يشار اليه، ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم فى جوار أو ابتياع حاجة»[1]. وبلغ من تقديرهم للعلم والعلماء والفقهاء ان صار مدلول كلمة فقيه عندهم مدلولا رفيعا، «حتى ان المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذين يريدون تنويهه بالفقيه»،[2]. من هؤلاء نذكر محمداً الفقيه (٦٧١-٧٠١هـ) ثانى سلاطين غرناطة[3]. فى الوقت الذى نجد فيه كلمة فقيه فى المشرق كان مدلولها الأدبى اقل وتطلق على طلبة العلم بصفة عامة [4].

ولقد امتدح ابن خلدون أهل الاندلس بأن لهم «من ذكاء العقول وخفة الأجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم» [5]. كذلك يذكر المقرى: «ان البلاغة لم تزل شمسها بالأندلس باهرة الأياة [6]، ظاهرة الآيات إلى ان استولى عليها العدو، وعطل من أهل الاسلام الرواح اليها والغدو، وفى أهلها بقية لسان ويراعة [7] وتصرف فى فنون الإجادة وبراعة» [8].

ولم تعرف غرناطة نظام المدارس الذى كان معروفا فى الشرق الاسلامى فى أول الأمر [9]. ومن المعروف أن أول مدرسة بمعناها التقليدى أنشئت بالأندلس كانت

---

(١) المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ٢٠٥ .

(٢) المقرى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٣) من الطريف ان هذا السلطان كان معاصرا للملك القشتالى الفونسو العاشر المعروف بالعالم او الحكيم El Sabio وليس ببعيد ان يكون اللقب الذى اتخذه السلطان الغرناطى مرادفا للقب العالم الذى اتخذه زميله الملك الاسبانى .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٦ ص ٢٢ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة : (بيروت) ص ٨٨ .

(٦) اياة الشمس : ضوؤها .

(٧) اليراعة : قصبة القلم ، والمراد هنا أنهم اهل فصاحة اذا تكلموا او كتبوا .

(٨) المقرى : ازهار الرياض جـ١ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٩) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٥ .

تلك المدرسة التى بناها أبو الحجاج يوسف الاول (٧٣٣-٧٥٥هـ / ١٣٣٣-١٣٥٤م) فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى، وهى المدرسة النصرية.

المدرسة النصرية :

وتسمى أيضا المدرسة اليوسفية أو مدرسة غرناطة أو المدرسة العلمية، انشئت على يد الحاجب رضوان عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م [١]. ويحتفظ المتحف الأثرى بغرناطة ببعض اللوحات من تلك المدرسة يظهر فى بعضها اسم المؤسس ، وسنة التشييد [٢]. وكانت هذه المدرسة «انوه مواضع التدريس بغرناطة» [٣]. هذا وقد أوقف لسان الدين بن الخطيب على هذه المدرسة نسخة من كتابه «الإحاطة فى أخبار غرناطة» لينتفع بها الطلبة فى عام ٨٢٩هـ [٤]. كذلك فان كتاب «ابى عبد الله بن الخطيب فى شرح كتاب الإشارات لابن الحسين بن سيناء فى المنطق والحكمة وهو السفر الأول كان محبسا على مدرسة غرناطة [٥]. كما كان «كتاب ابن معط وهو السفر الثانى من كافيته فى علم النحو بشرحها .... كانت من الكتب المحبسة على مدرسة غرناطة[٦]. كذلك اوقف عليها مؤسسها الحاجب رضوان - بأمر السلطان - الأوقاف الجليلة حتى غدت المدرسة «نسيجة وحدها، بهجة ورصدا وظرفا وفخامة» [٧].

وقد قام بالتدريس فى هذه المدرسة عدد من كبار علماء الأندلس والدول الأخرى، نذكر منهم ابن الفخار الخولانى (ت ٧٥٤هـ) الذى «قل فى الأندلس من لم

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥١٦ - ٥١٧ .

(٢) انظر : É. Lévi Provencal : Inscriptions Arabes D'Espagne p. 159.

(٣) التنبكتى : نيل الابتهاج ص ٥٣ .

(٤) المقرى : نفح الطيب جـ٩ ص ٣٠٨ - ٣١١ ، ازهار الرياض جـ١ ص ٥٥ .

(٥) انظر : Nemesio Morata: Un Catálogo de los Fondos Árabes primitivos de la Escorial (Al Andalus Vol. 2, 1944, fasc 1, p. 108.

(٦) انظر : Ibid. p. 105 .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥١٦-٥١٧، هذا وكان منقوشا فى احد جنبات المدرسة قصيدة من تأليف ابن الخطيب جاء فيها :

يأخذ عنه من الطلبة » [١]. ويحيى بن احمد بن هذيل التجيبي (ت ٧٥٣هـ) الذى قعد بالمدرسة بغرناطة يقرىء الأصول والفرائض والطب» [٢]. ومنصور الزواوى (كان حيا فى عام ١٣٥٦/٧٥٧) وكان يعتبر معجزة فى العلم، وقام بتدريس المواد الرياضية فى المدرسة الغرناطية[٣]. وكان يخصص لهؤلاء الاساتذة جراية نظير قيامهم بالتدريس » [٤].

والى جانب ذلك كان معظم الطلبة يتلقون العلم فى المساجد فى حلقات أو فى بيوت الأساتذة نظير دفع أجر مقابل ذلك [٥]. ويفهم من النصوص انه كان بغرناطة نوع من المكاتب لتحفيظ القرآن الكريم [٦]. كذلك كان هناك نوع من التعليم يشبه ما يسمى بالدروس الخاصة، وهى التى كانت تستخدم فى تعليم اولاد الملوك

ألا هكذا تبنى المدارس للعلم	وتبقى عهود المجد ثابتة الرسم
ويقصد وجه الله بالعمل الرضا	وتجنى ثمار العز من شجر العزم
تفاخر منى حضرة الملك كلما	تقدم خصم فى الفخار الى خصم
فأجدى اذا ضن الغمام من الحيا	واهدى اذا جن الظلام من النجم
فيا طاعنا للعلم يطلب رحلة	كفيت اعتراض البيد أو لجج أليم
ببابى حطوا الرحل لاتنو وجهه	فقد فزت فى حال الاقامة بالغنم
فكم من شهابى فى سمائى ثاقب	ومن هالة دارت على قمر تم
يفيضون من نور مبين الى هدى	ومن حكمة تجلو القلوب الى حكم
جزى الله عنى يوسف خير ماجزى	ملوك بين نصر عن الدين والعلم

(المقرى : نفح الطيب جـ٩ ص ١٨٦، ازهار الرياض جـ١ ص ٢٧٢)

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٩٢ .

(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر لوحات ٤٠٩- ٤١٢ .

(٣) انظر : Pons Boigues : Op. Cit., p 329 .

(٤) التنبكتى : نيل الابتهاج ص ٣٤٥ - ٣٤٧، ابن مريم : البستان فى ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن ابى شنب . الجزائر ١٩٠٨/١٣٢٦ ص ٢٩٢.

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٠٧-١١١، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ٢٠٥، الغبرينى : عنوان الدراية ص ٤٣-٤٤.

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٩٢، المقرى: المصدر السابق جـ٧ ص ٤، ازهار الرياض جـ١ ص ١٠٧، وقد جاء فى قصيدة للشاعر البقرن؛

ولا المكاتب بالصبيان آنسة	تتلو القرآن بأسحار وأوصال

(المقرى : ازهار الرياض جـ١ ص ١٠٧).

والوزراء وعليه القوم [١]. فيذكر ابن الخطيب انه قد استدعى سعيد بن محمد بن ابراهيم بن عاصم بن سعيد الغسانى إلى قصره لتأديب ولده [٢].

وكان الطلبة يتجهون إلى الأساتذة حيثما كانوا حيث يتابعون دراستهم على ايديهم[٣]. ونحن نجهل المدة التى كان يقضيها الطالب فى دراسته ثم يحصل فى النهاية على اجازة من معلمه، وتذكر المصادر أنه كان يمكن للطالب ان يحصل على اجازة من أساتذته مكاتبة دون لقاء [٤]. بل يروى ابن عبد الملك المراكشى ان احمد بن عبد الرحمن البلوى (ت ٦٥٧ هـ) قد ذكر له انه «ادخل على اخى وكبيرى ابو الحسن رحمه الله إلى منزل ابى وأنا فى المهد ابن اربعين يوما الراوية ابا القاسم بن بشكوال وأراه إياى واستجازه لى، فدعا لى بخير وكتب لى حينئذ الإجازة ووضعها بيده على صدرى وانصرف رحمه الله» [٥].

وكان للاستاذ ان يوقع على تلاميذه عقوبة الضرب إذا حدث ما يستوجب منهم ذلك، بالدرة او الشوكة او العود [٦]. وكان يجب الا يكون مؤدب الصبية «عزبا، ولا شابا، بل يكون شيخا خيرا، دينا، عفيفا، ورعا، قليل الكلام والشهوة إلى استماع مالا يعنيه، وان لا يحضر الجنائز البعيدة، ولا يكثر من البطالة، ولا يهمل الصبيان، ولا يزول عنهم الا لأخذ الغذاء او الوضوء» [٧]. وقام الأساتذه بحبس مؤلفاتهم على طلبتهم للانتفاع بها [٨]. ويفهم من النصوص انه كان للطلبة

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ١٦٤، المقرى : نفح الطيب جـ٦ ص ٣١٤.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ٣٧٩-٣٨٠.

(٣) ابن الزبير : صلة الصلة ص ٤٩، ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر الاول، القسم الاول ص ٣٩-٤٥، ابن حجر: الدرر السفر الايطاس ٨٤-٨٦، د. احمد مختار العبادي: مقدمة كتاب مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٥.

(٤) ابن عبد الملك: المصدر السابق ص ١١٨-١١٩، السفر السادس: ص ٢١٠ - ٢١٢، ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ١٧٦.

(٥) ابن عبد الملك : السفر الاول، القسم الثانى ص ٤٥٣-٤٦١ ترجمة رقم ٦٧٤.

(٦) الازدى : تحفة المغترب ص ١٥٢ .

(٧) ثلاث رسائل اندلسية فى اداب الحسبة ص ٢٥ .

(٨) المقرى : ازهار الرياض جـ١ ص ٥٨، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٤٩.

شيخ منهم يتولى امورهم [١]، وانه لم يكن هناك تخصص فى العلم كما هو الحال اليوم [٢].

وجعل اهل غرناطة القرآن اساسا فى التعليم واخذوا يدرسون بجانبه الشعر والترسل وقوانين اللغة العربية وتجويد الخط [٣] وصار حسن الخط من المميزات التى يجب ان تتوافر فى طلاب العلم والعلماء [٤].

ويذكر ابن خلدون نصا طريفا يثير الانتباه عن الطريقة التى كانت تتبع لتعليم الخط فى الأندلس فيقول: «وليس الشأن فى تعليم الخط بالأندلس والمغرب كذلك فى تعلم كل حرف بانفراده على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم، وإنما يتعلم بمحاكاة الخط فى كتابة الكلمات جملة، ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له إلى ان تحصل له الاجادة وتتمكن فى بنائه الملكة فيسمى مجيدا» [٥].

ويعقب الدكتور على عبد الواحد وافى على هذا بقوله «من هذا نتبين ان الطريقة الحديثة التى تتبع الان فى تعليم الهجاء، والتى يسميها علماء التربية «الجشتالت» او طريقة الكلمات والجمل، وهي التى تقضى بأن يبدأ فى الهجاء برسم الكلمات والجمل – كانت متبعة منذ عهد بعيد فى الأندلس وهى أمثل طريقة من الوجهة التربوية لمسايرتها للواقع من جهة، ولطبيعة العقل الإنسانى من جهة أخرى. فالواقع ان الكلمة هي التى لها مدلول فى ذهن الطفل، أما الحرف فلا مدلول له. والعقل الإنسانى ينتقل بطبيعته من إدراك الكل إلى إدراك اجزائه» [٦].

وانتشرت فى هذا العصر عادة اختصار أمهات الكتب، حتى يتمكن الناس

---

(١) الازدى : تحفة المغترب ص ٨١ .

(٢) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات : ١١٥، ٣٠٨-٣٠٩، ٣١٥-٣٢٤.

(٣) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٥٣٨.

(٤) انظر على سبيل المثال: ابن الخطيب (الاحاطة الاسكوريال) لوحة ٢٥.

(٥) ابن خلدون : المقدمة نشر د. وافى جـ٣ ص ٩٥٠.

(٦) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٣ ص - ٩٥٠-٩٥١ حاشية (١).

من قراءتها نظرا لانشغالهم بحياة الجهاد ضد الإسبان، وأمور المعيشة الصعبة، مما لم يكن يسمح بقراءة تلك الموسوعات [1]. وتبارى الغرناطيون فى هذا العصر فى امتلاك المكتبات الخاصة [2]. كما انتشرت بين العلماء عادة كتابة فهارس باسماء شيوخهم [3]. وظهرت المعاجم باسماء الكتب والتعريف بمؤلفيها مرتبة على حروف المعجم [4] ونبغت سيدات عديدات في ميدان الادب والتدريس ، يلقين الدروس، ويؤخذ عنهن العلم [5]، نذكر منهن ام السعد بنت عصام بن احمد الحميرية (ت بمالقة عام ٦٤٠هـ) وسيدة بنت عبد الغنى العبدرية [6].

العلاقات الثقافية بين غرناطة ودولة المماليك :

كانت مصر فى تلك الفترة التى ندرسها قد اخذت تتبوأ مركز الصدارة العلمية والسياسية فى العالم الاسلامى، اذ استطاعت دولتها المملوكية الفتية ان تنتصر على بقايا الاستعمار الاوربى الصليبى وتطرد فلوله من الشام. كذلك استطاعت ان تنتصر على المغول فى موقعة عين جالوت عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، وان تنقذ الشام ومصر بل والعالم كله من براثنهم بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية فى ايديهم عام ١٢٥٨/٦٥٦، وما تلا ذلك من انهيار المشرق الاسلامى أمام جحافلهم.

---

(١) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٠٠، الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٢١١، ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ١٤٤، ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) ابن الزبير: صلة الصلة ص ٥١-٥٢، ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٤٩-٥٦، الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٢٧٩، المقرى: نفح الطيب جـ٨ ص ١٩، الكتانى: فهرس الفهارس جـ١ ص ٢٢٤-٢٢٥، جـ٢ ص ١٨٩-١٩٠.

(٣) انظر على سبيل المثال : د. عبد العزيز الاهوانى : كتاب وبرامج العلماء فى الأندلس فى مجلة معهد المخطوطات العربية جـ١ الفصل الاول مايو ١٩٥٥ ص ٩١-١٢٠، نص برنامج ابن ابى الربيع، المرجع السابق جـ١ الفصل الثانى نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٥٢-٢٧١، الكتانى: فهرس الفهارس جـ١ ص ٢٢٤-٢٢٥، ٢٨٦، ٣٥٤، جـ٢ ص ١٨٩-١٩٠.

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٩١-٢٩٥، الكتانى: المرجع السابق جـ١ ص ١٠٦.

(٥) ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٦٦، راجع الفصل الخاص بالمرأة فى مملكة غرناطة .

(٦) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ص ٧٤٨-٧٤٩ وكذلك : R. Brunschvig: La Berberie Oriental sous les Hafsides t. II, p. 175, Mujtar Al Abbadi: Op. Cit., p. 146.

ومن ثم حلت القاهرة محل بغداد في زعامة العالم الاسلامي، فأحييت فيها عام ٦٦٠/١٢٦١، الخلافة العباسية المنهارة، على يد السلطان الظاهر بيبرس، وهاجر اليها العلماء والادباء وأهل الحرف والصناعات من جميع انحاء العالم الإسلامي، فازدهرت فيها الحياة العلمية والاقتصادية وعمل سلاطين المماليك على تشجيعها وازدهارها ببناء المساجد والمدارس والمارستانات والوكالات وبذل المنح والجرايات والمرتبات العالية لاجتذاب العلماء وطلبة العلم اليها من كل فج عميق. وقد ساعدهم في ذلك ميزانية ضخمة تزيد فيها الايرادات على المصروفات نتيجة لعوامل شتى اهمها: الرسوم التي كانت تفرض على التجارة المارة عبر الاراضي المصرية والشامية، بين الشرق والغرب.

واعتبر الكتاب المعاصرون - وخاصة في بلاد المغرب والاندلس - مدينة القاهرة المملوكية في هذا العصر، المدينة التي تفوق كل مدن العالم الاسلامي ، فيذكر ابن خلدون في مقدمته : «ونحن لهذا العصر نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ الآف السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم ... فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة ... فكثرت الأوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ... ونفقت بها أسواق العلم وزخرت بحارها » [١].

كذلك يصف ابن خلدون القاهرة عندما دخلها قائلا: رأيت حاضرة الدنيا وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الغرر من البشر، وايوان الاسلام، وكرسي الملك، تلوح القصور والأواوين في أوجه، وتزهو الخوانق والمدارس بأفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه، وقد مثل بشاطيء بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء يسقيهم النهل والعلل [٢] سيحة، ويجبى اليهم الثمرات والخيرات ثبجة.

---

(١) ابن خلدون : المقدمة (بيروت ١٩٠٠) ص ٤٣٤-٤٣٥ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p. 170

(٢) النهل، الشرب الاول، والعلل: الشرب الثاني. وكلاهما بفتح اوله وثانيه.

ومررت فى سكك المدينة تغص بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم، ومازلنا نتحدث بهذا البلد وبعد مداه فى العمران، واتساع الأحوال، وقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم فى الحديث عنه، سألت صاحبنا كبير الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقرى فقلت له كيف هذه القاهرة؟ فقال: من لم يرها لم يعرف عز الإسلام» (١).

كذلك يصف ابو القاسم البرجى القاهرة التى قام بزيارتها فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) قائلا: «أقول فى عبارة عنها على سبيل الاختصار، ان الذى يتخيله الإنسان فان مايراه دون الصورة التى تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس الا القاهرة فانها أوسع من كل ما يتخيل فيها» (٢)

أما غرناطة فقد دفع غلاء المعيشة فيها إلى انصراف اهلها عن تحصيل العلم لانشغالهم بأمور الحياة(٣). فلقد تضاعف سكان المملكة نتيجة للهجرات المتوالية اليها من المدن الاسلامية التى كانت تسقط فى يد الاسبان ، واصبحت الارض تضيق بهم على مارحبت، كذلك كان للطبيعة الجبلية لارض المملكة أثر كبير فى غلاء المعيشة. وقد اشار المؤرخ ابن خلدون فى مقدمته إلى هذا الغلاء عندما ذكر وهو يتحدث عن الاحوال فى الاندلس على عصره «انهم لما الجأهم النصارى إلى سيف البحر وبلاده المتوعرة الخبيثة الزراعة النكدة (٤) النبات، وملكوا عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا إلى علاج المزارع والفدن لاصلاح نباتها وفلحها، وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مؤونة، وصارت فى فلحهم نفقات لها خطر فاعتبروها فى سعرهم . ماختص قطر الأندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى إلى هذا المعمور بالاسلام مع سواحلها لأجل ذلك»(٥). كذلك أشار

(١) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٤٥٢، المقرى : نفح الطيب جـ٧ ص ١٧٧.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ص ٤٥٢، المقرى : المصدر السابق ص ١٧٧-١٧٨.

(٣) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٤٣٢ وكذلك Al Abbadi : Op. Cit., p. 170 .

(٤) نكد عيشه : اشتد وتعسر .

(٥) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٣٦٤ .

القاض أبو الحسن النباهى إلى غلاء المعيشة فى غرناطة اثناء ترجمته للقاض ابى البركات بن الحاج البلفيقى [١] .

أما مصر فانها كانت أكثر رخصا اذا ما قورنت بغرناطة، فيذكر العالم النحوى أبو حيان الغرناطى (ت بالقاهرة ١٣٤٤/٧٤٥) وكان قد هاجر إلى مصر وعاش بها فترة من الوقت - ان الحياة بها كانت رخيصة حتى انه «يكفى الفقير فى مصر أربعة أفلس: يشترى له بائتة بفلسين، ويفلس زبيبا ، ويفلس كوز ماء، ويشترى ثانى يوم ليمونا يأكل به الخبز » [٢].

كذلك لم يكن التعاليم فى غرناطة مجانيا ، بل كان على من يتعلم أن يدفع أجرا ، فى الوقت الذى كان الطلبة فى مصر تغدق عليهم الجرايات والمنح لمساعدتهم على التفرغ فى طلب العلم والنبوغ فيه »[٣].

اما المدارس ففى الوقت الذى لم يكن فيه فى غرناطة سوى مدرسة واحدة هى المدرسة النصرية، اقام سلاطين المماليك عددا من المدارس «لا يحيط احد بكثرتها »[٤]، واصبحت المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية وقوص تمثل فى عهدهم مراكز هامة للثقافة الرفيعة [٥]، تموج بالأساتذة والطلاب ، وتزخر بالمكتبات التى كانت تشتمل على كل انواع الكتب المشرقية والمغربية [٦] .

وكانت الرحلة إلى المشرق هى غاية الأمل لكل طالب علم فى غرناطة [٧]، بل يرجع ابن خلدون السر فى التفوق الثقافى لدى الغرناطيين عن المغاربة «بسبب رحلة

---

(١) النباهى : المرقبة العليا ص ١٦٤ ، راجع الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية فى مملكة غرناطة .

(٢) المقرى : نفح الطيب : جـ٣ ص ٣٩٧ وكذلك : Al Abbadi : p. 171.

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ٢٠٥.

(٤) ابن بطوطة: الرحلة جـ١ ص ٧٠.

(٥) محمد عبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى (تطوان ١٩٥٣) ص ٨٢-٩٩، عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى (القاهرة)١٩٤٧ ص ١٦٢ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p. 171

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٢٦ .

(٧) ابن خلدون: المقدمة (بيروت) ص ٥٤١.

علمائهم إلى تلقيه من أربابه في المشرق»[١].

لكل هذه العوامل رحل الكثير من الغرناطيين إلى مصر، وبلغ من كثرة عدد المسافرين من غرناطة ان سمى أحد أرباضها الخارجية باسم «حوز الوداع» [٢]، وهو المكان الذى اعتاد فيه الغرناطيون توديع أهلهم وأحبابهم قبل رحيلهم ، وليس بعيدا بالمرة أن يكون هذا المكان هو نفس المكان الذى يعرف حتى اليوم باسم Suspiro del Moro أى زفرة العربي وهو الذى ترجعه الرواية الاسبانية إلى عبد الله بن الاحمر آخر ملوك غرناطة حينما غادر بلاده وملكه ووقف يبكى فى هذا المكان لالقاء اخر نظرة على وطنه[٣].

وكان هؤلاء الطلبة والعلماء يتجهون إلى مصر بطريق البحر أو عن طريق شمال افريقية إلى الاسكندرية فالقاهرة، وكانت طرق المواصلات فى ذلك العصر مليئة بالمخاطر والمصاعب ، مثل هجمات قطاع الطرق وغرق السفن فى مياه البحر[٤]. مثال ذلك عندما أسر محمد بن عبد الرحمن التميمى الكرسوطى من أهل فاس نزيل مالقة ببحر الزقاق مع والده عام ١٢٢٥/٦٢٢[٥] . كما يحدثنا ابن الخطيب ان سفينة غرناطية كانت تقل جماعة من الطلبة والادباء وابناء السراة قد غرقت بمن فيها وماتوا جميعاً بأحواز القبطة من ساحل المرية أثناء توجهها إلى المشرق فى أواخر عام ١٣٣٨/٧٣٩[٦]. كذلك غرق محمد بن محمد بن عبد الله بن

---

(١) المقرى : أزهار الرياض جـ٣ ص ٢٦-٢٧.

(٢) اسماعيل بن الأحمر: نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان ص ٢٩٥، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص٢٣٠، وفى هذا يقول الشاعر المعاصر ابن جابر :

بحوز الوداع لنا موقف   اذاب الفؤاد لاجل الوداع
فما انا أنسى غداة النوى   وحادى الركائب للبين داع

(٣) د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢١٥ وكذلك :
Ahmad Mujtar Al Abbady: Op. Cit., p 172

(٤) الازدى : تحفة المغترب ص ٨٤ ، ٩٩ .

(٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٣٩ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٥ وكذلك :
Al Abbady: Op. Cit., p 173

مقاتل المالقى وكان أديبا بليغاً -هو وجماعة أثناء رحلتهم إلى المشرق فى عام ٧٥٨[١].

ومن العلماء الذين رحلوا إلى المشرق نذكر ابا الربيع سليمان الغرناطى (ت٦٣٤/١٢٣٦) الذى رحل إلى القاهرة وناب فى الحسبة هناك[٢]. وضياء الدين بن البيطار المالقى (ت ٦٤٦/١٢٤٨) الذى توجه إلى المشرق حيث دخل فى خدمة الملك الكامل بن العادل الأيوبى ثم الملك الصالح الذى عينه رئيسا على سائر العشابيين فى بلده[٣]. وأبا محمد بن سلمون (٦٦٩-٧٤١هـ) الذى رحل إلى المشرق حيث اجازه عدد كبير من علمائها. وعبد الله بن ابى احمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقى (٦٦٠/٧٣١هـ) الذى روى عن جلة من أهل المشرق وخاصة مصر من أمثال الإمام تقى الدين بن دقيق العيد[٤] والمؤرخ ابا الحسن بن سعيد المغربى (ت٦٨٥هـ) الذى يرجع أصله إلى قلعة يحصب بجوار غرناطة وكان "درة فى قومه، المصنف، الاديب ، الرحالة، الطرفة، الاخبارى، العجيب الشأن فى التجول فى الأقطار ، ومداخلة الأعيان للتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الفوائد المشرقية " [٥]، وقد قام ابن سعيد برحلة زار فيها دول الشمال الافريقى ومصر والشام وبلاد الفرس والتقى بكبار العلماء واخذ عنهم ، ووصف رحلته فى كتاب اسماه "النفحة البدرية فى الرحلة الملكية"[٦]. نذكر كذلك محمد بن عبد الله بن محمد بن لب (ت٧٠٥ هـ)

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ٨ ص ٣٤٢، ابن حجر: الدرر السفر الرابع ص ١٩٣ -١٩٤. ترجمة رقم ٥٢١ ، انظر امثلة اخرى من اخطار السفر فى : ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، السفر السادس ص ٣١٦ ترجمة رقم ٧١٨، ابن بطوطة: الرحلة جـ١ ص ٣٦٤، ابن حجر: الدرر السفر الثالث ص ١١١ ترجمة ٢٤٦، ابن مريم : البستان ص ١١٧-١٢٠، محمد بن شريفة: ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومى حياته واثاره (الرباط ١٩٦٦) ص ١١٤-١١٥، ١٤٩.

(٢) المقرى : نفح الطيب ؛ جـ٣ ص ٣٩٥ .

(٣) المقرى : المصدر السابق جـ٣ ص ٤٤٤-٤٤٥.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (السكوريال) لوحة ٢٢١-٢٢٢.

(٥) المقرى : نفح جـ٣ ص ٣٨ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٣٢٤-٣٢٦، المقرى : نفح الطيب جـ٣ ص ٣٨، د. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص ٢٢٢ وكذلك :

Pons Boigues : Op. Cit., p 306-308 .

الذى رحل إلى مصر وقام بتدريس اللغة العربية فى المدرسة الصالحية بالقاهرة[(١)]

ومن الشعراء الغرناطيين الذين رحلوا إلى مصر والمشرق نذكر الشاعر أبا عبد الله بن احمد (ابن جابر الهوارى) الضرير (ت ١٣٢٨/٧٨٠) وصديقه ابا جعفر بن احمد الرعينى الالبيرى (ت ١٣٧٧/٧٧٩) اللذين رحلا إلى المشرق ودرسا فى مصر والشام وعرفا باسم الأعمى والبصير. وقام ابن جابر بوضع القصائد وأملاها على زميله "فكان وظيفة الكفيف النظم، ووظيفة البصير الكتب"[(٢)] . ووضع "بديعية العميان" التى صاغها فى أسلوب يتضمن تورية بسور القرآن الكريم ومدحا للرسول عليه الصلاة والسلام[(٣)]. وقام زميله بشرحها[(٤)]. ومن مؤلفاته كذلك نذكر "شرح ألفية ابن مالك"[(٥)] (ترفى فى عام ١٢٧٤/٦٧٢). وقد احتفظ لنا المقرى فى نفحه بكثير من أشعار هذا الشاعر الضرير[(٦)]. كذلك وضع أبو جعفر الرعينى عددا من القصائد وان كانت لم تحقق شهرة قصائد رفيقة ابن جابر الأعمى[(٧)] .

نذكر كذلك الاخوين ابا عمرو محمداً وأبا اسحاق ابراهيم المعروف بابن الحاج النميرى[(٨)] . أما الاول فانه بعد ان رحل إلى المشرق واتصل بحكام وعلماء هذه البلاد ، عاد إلى غرناطة عام ١٣٥٩/٧٦٠ حيث كلفه محمد الخامس بالسفارة إلى سلاطين مصر وتونس[(٩)] . وتلقى ابراهيم (ولد عام ٧١٣هـ-١٣١٣)[(١٠)] دروسه

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٦ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٨-٩ ، المقرى: نفح الطيب جـ ١٠ ص ١٦٢، ابن القاضى : درة الحجال جـ١ ص ٢٩، ٢٦٨. Al Abbadi : Op. Cit., p 173-174 .

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ١٠ ص ١٨٢-١٨٧.

(٤) المقرى : المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٨٢ .

(٥) المقرى : المصدر السابق جـ ٣ ص ٤١٨، جـ ١٠ ص ١٦٢.

(٦) المقرى : المصدر السابق جـ٣ ص ٤١٨-٤٢٤، جـ ١٠ ص ٢٠٨-٢٢٧.

(٧) انظر قصائده فى نفح الطيب جـ ١٠ ص ٢٠٦-٢٠٧ ، ٢٢٧-٢٣٢.

(٨) انظر : Ahmad Mujtar Al Abbady : Op. Cit., p 174 n.9.

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٥٧ - ١٥٨ .

(١٠) المقرى : نفح الطيب جـ٩ ص٣١٦، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٤٤ وكذلك : Mykel: Hispano Arabic poetry, p 362 .

في المشرق كذلك وتأثر بثقافته بدرجة عالية ، حتى ان ابن الخطيب يصف شعره بانه "العذب الجامع بين جزالة المغاربة ورقة المشارقة"(١) . وبعد ان تجول في بلاد المشرق والمغرب الاسلامي عاد إلى غرناطة حيث دون أخبار رحلته، وعين قاضيا بقرب العاصمة (٢). وقد صحب ابراهيم في رحلته إلى المشرق رحالة غرناطي شهير هو أبو البقاء خالد البلوي الذي وضع كتابا وصف فيه أخبار رحلته إلى المشرق ومن اتصل بهم من علمائه اسماه "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"(٣) . وقد اتهمه ابن الخطيب بانه قد نقل هذا الكتاب من مؤلف مشرقي شهير هو "البرق الشامي" للعماد الاصبهاني (ت ق ٦هـ) (٤).

نذكر كذلك علي بن لسان الدين بن الخطيب الذي رحل إلى مصر وكتب على احاطة والده التي كان قد بعث بها إلى مصر وأوقفها على خانقاه(٥)سعيد السعداء ، تعليقات واضافات مفيدة " اما تكميلا لما اغفله ابوه واما أخباراً عما شاهده هو، أو راوية له عن المترجم به، أو جواباً عن أبيه ، فيما انتقد عليه "(٦) .

ومن النحويين الذين رحلوا إلى المشرق نذكر أبا حيان الغرناطي الذي رحل إلى مصر ولقي حظوة لدى سلاطينها من المماليك البحرية ، وعين مدرسا في مدارس القاهرة ، وقام بالقاء الدروس في مسجد الحاكم عام ٧٠٤ هـ(٧) . وأبا عبد الله بن

---

(١) المقري : نفح الطيب جـ٩ ص ٣١٦ ، وانظر نماذج من شعره ص ٣١٧-٣٢٧ .

(٢) المقري : نفح الطيب جـ٩ ص ٣١٥ وانظر ترجمته في ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ، ص ٣٥٠-٣٧١ .

(٣) المقري : نفح الطيب جـ٩ ص ٣١٩ وكذلك Al Abbadi : Op. Cit., p 175-176

(٤) المقري : ازهار الرياض : جـ١ ص ٣٠٩ حيث يقول :

خليلي ان يلف اجتماع بخالد ... فقولا له قولا ولن تعسدوا الحقا
سرقت العماد الاصبهاني برقه ... وكيف ترى في شاعر سرق البرقا

(٥) الخانقاه: بالقاف او الكاف ، مسكن المتصرفة المنقطعين للعبادة والأعمال الصالحة، وهذه الخانقاه كانت دارا للاستاذ قنبر أو عنبر أحد خدام القصر أيام الفاطميين، وكان يلقب بسعيد السعداء، وقد خصصها صلاح الدين الايوبي عام ٥٦٩ للفقراء الصوفية الأجانب، وجعل لها أوقافا، ولهذا عرفت ايضا بالخانقاه الصالحية انظر : المقريزي : الخطط جـ٤ ص ٢٧٣-٢٧٥ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 179

(٦) المقري : نفح الطيب جـ١٠ ص ١٦٢ .

(٧) ابو حيان : البحر المحيط (القاهرة ١٣٢٨) جـ١ ص ٣ .

لب المعروف بابن الصائغ (ت ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠) الذى اتصل بعلماء النحو فى المشرق وبصفة خاصة ابى حيان الغرناطى ، كما قام بتدريس اللغة العربية فى المدرسة الصالحية بالقاهرة[(١)].

ومن علماء السنة والفقه الذين كانت لهم رحلات إلى المشرق نذكر أبا القاسم ابن سلمون الكنانى (ت ١٣٦٦/٧٦٧) الذى بعد ان تجول فى المشرق عاد إلى غرناطة العاصمة حيث شغل منصب قاضى الجماعة ، وصنف كتابا عن التوثيق[(٢)].

ومن الصوفية نذكر أحمد بن عبد الله الأنصارى المالقى (ت ٦٥٢هـ) الذى رحل إلى مصر وعظم فيها صيته وشهر فضله وله شعر كثير فى الزهد والحكم[(٣)].

ومن الاطباء نذكر ابو تمام الشقورى (ت ١٣٤٠/٧٤١) الذى بعد ان درس الطب فى المشرق وعمل بمارستان القاهرة ، عاد إلى وطنه وذاعت شهرته فى الافاق[(٤)]. والطبيب محمد الانصارى القيجاطى (كان حيا عام ٧٥٠ هـ) الذى درس وأدى الفريضة فى المشرق ثم عاد إلى غرناطة فتصدر الأطباء هناك، وما لبث أن أتجه إلى المشرق مرة أخرى حيث "قدم امينا على احباس مسجد رسول الله بالمدينة وصدقاته " ويقال بانه خصى نفسه وسقطت بذلك لحيته [(٥)] .

هذا وقد أورد السخاوى فى الضوء اللامع اسماء لبعض الاندلسيين الذين اتوا إلى مصر وتلقوا العلم على يديه[(٦)] .

اما الغرناطيون الذين لم تسمح ظروفهم بالرحلة إلى المشرق للقاء هؤلاء العلماء. فأنهم سعوا للحصول على مؤلفاتهم عن طريق المراسلة ، وكذلك الحرص

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٦، ابن حجر: الدرر السفر الثالث ص ٤٨٤ ترجمة رقم ١٢٩٦ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 177 .

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٣٧٨-٣٧٩، النباهى: المرقبة العليا ص ١٦٧-١٦٨ .

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب ص ٤٦.

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٣٥٤ وكذلك :. Al Abbadi : Op. Cit., p 178

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ١٦٥ - ١٦٦ .

(٦) انظر على سبيل المثال جـ٢ ص ٢٤٤ ، جـ٣ ، ص ١٣١، ٢٧٣-٢٧٤ .

على لقاء العلماء المشارقة الذين كانوا يزورون العاصمة النصرية[١]. فيحدثنا ابن الخطيب كيف ان ابنه الآخر ابا محمد عبد الله الذى لم تتح له الفرصة للقيام برحلة إلى المشرق كأخيه على، سعى للحصول على كتب مختلفة من تأليف علماء من المشرق والمغرب قدر له ان يلقاهم فى غرناطة[٢]. كذلك يذكر ابو البركات بن الحاج البلفيقى عددا كبيرا من أسماء الأساتذة المشارقة عند حديثه عن الأساتذة الذين تلقى العلم على ايديهم[٣].

الى جانب ذلك كان هناك تبادل المؤلفات والكتب بين المشارقة والمغاربة وعلماء غرناطة . فابن الخطيب فى إحدى رسائله إلى صديقه ابن خلدون (فى عام ١٣٦٨/٧٦٩) يحدثنا كيف أن صوفياً مشرقياً يدعى أبا العباس أحمد بن ابى حجلة التلمسانى (ت ٧٧٦/ ١٣٧٥)[٤] ، اهدى السلطان محمداً الخامس كتابا عن الحب بعنوان "ديوان الصباح فى مشاريع العشاق وأخبارهم وأشعارهم "[٥].

كذلك فقد بعث ابن الخطيب بنسخة من كتابه الخاص بالحب الالهى "روضة التعريف بالحب الشريف"[٦] لتوقف على حانقاه سعيد السعداء بالقاهرة . كما أرسل كذلك نسخة من كتابه "الاحاطة" فى عام ٧٦٧/ ١٣٦٥ كى تحبس بنفس الخانقاه،

---

(١) انظر .: Ahmad Mujtar Al Abbady : Op. Cit., p 178

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٣١ .

(٣) ابن فرحون، الديباج المذهب ص ٢٩١ - ٢٩٥ وكذلك .: Al Abbadi : Op. Cit., p 179

(٤) ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٣٢٩ .

(٥) نشر فى مصر عام ١٣٠٢/١٨٨٤ انظر كذلك :

E. García Gómez: El Tawq de Ibn Hazrm y el Diwan al Sabába (Al Andalus Vol. VI (1941) Al Abbady: Op. Cit., p 179 .

(٦) نشره عبد القادر احمد عطا القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٨. هذا وكان بعض الاصحاب قد اشار على ابن الخطيب بوضع كتاب يعارض فيه كتاب ابن أبى حجلة ، فعارضه وجعل موضوعه هو محبة الله واسماه «روضة التعريف بالحب الشريف» «فجاء كتابا ادعى الأصحاب غرابته» وقد وجهه الى المشرق كما ذكرنا ليوقف على خانقاه سعيد السعداء فى القاهرة، وأنثال الناس عليه ، وهو فى لطافة الاغراض يتكلف اغراض المشارقة من ملحه» انظر (ابن خلدون: التعريف ص ١٢٠-١٢١) ومن الطريف ان ابى حجلة المذكور والذى عارض ابن الخطيب كتابه هو الذى كان يتولى نظارة خانقاه سعيد السعداء فى ذلك الوقت: انظر : المقرى: نفح الطيب جـ٨ ص ٢٨٥).

حتى يتسنى للطلبة الاستفادة منها[1] . وقد كان لابن الخطيب ممثل غرناطى فى مصر هو أبو عمر بن عبد الله[2]، وان كنا لا نستطيع القول انه كان يمثله فى اعماله الثقافية ام انه كان لابن الخطيب كذلك مصالح مالية فى مصر[3].

كذلك أرسل الشاعر الغرناطى أبو عبد الله بن زمرك بقصائد من وضعه إلى مصر يمتدح فيها السلطان برقوق (٧٨٤-٨٠١/١٣٨٢-١٣٩٨) ويذكر ابن خلدون الذى كان فى مصر وقت وصول هذه القصائد أنه كان لابد ان تنقل هذه الأشعار المكتوبة بالخط المغربى إلى خط مشرقى كى يتسنى قراءتها فى مصر[4] .

كذلك بعث ابن زمرك إلى صديقه ابن خلدون (فى عام ١٣٨٧/٧٨٩) اثناء تواجده فى مصر يطلب منه ارسال بعض المؤلفات المشرقية[5] .

العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس:

تفوقت غرناطة على فاس فى الميدان الثقافى تفوقا كبيرا، وقد أدرك هذا ابن خلدون ، وارجعه إلى عدم اهتمام علماء فاس بتلقين طلابهم النحو[6] . وأنه لم يكن لديهم عادة الرحلة إلى المشرق لتلقى العلم على يد أربابه هناك[7] . كما علله كذلك ببداوة المرينيين وبصفة خاصة فى بداية امرهم ولذا لم يكن لديهم ديوان للإنشاء الذى كان العلماء والأدباء يجدون فيه مجالا لا براز مواهبهم[8] .

ثم مالبث سلاطين فاس ان بدأوا يهتمون بالجانب الثقافى فى بلادهم فى القرن

---

(١) ابن خلدون : التعريف ص ١٢١ ، المقرى: نفح الطيب جـ٩ ص ٣١١ .

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ٩ ص ٣١١ .

(٣) انظر : Al Abbady : Op. Cit., p 180

(٤) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٤٥٩ - ٤٦٠، التعريف : ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٥) انظر ابن خلدون : التعريف ص ٢٧٣-٢٧٤ حيث توجد اسماء هذه المؤلفات وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 181 .

(٦) المقرى : ازهار الرياض جـ٣ ص ٢٧ .

(٧) المقرى : المصدر السابق جـ٣ ص ٢٦-٢٧ .

(٨) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٢٤٨ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 183

الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) فقاموا بتأسيس المدارس والمارستانات وبعثوا برجالهم إلى مملكة غرناطة ليبحثوا لهم عن أساتذة لتلك المدارس اوأطباء لمارستاناتهم[1] . وكان اثر الغرناطيين كبيرا على الحياة الثقافية فى فاس ويكفى الدلالة على ذلك انتقال الخط الاندلسى إلى المغرب[2] .

ومن الغرناطيين الذين عملوا فى فاس نذكر ابا المطرف احمد بن عميرة المخزومى (ولد فى Segura de la Sierra) (ت ٦٥٨/ ١٢٦٠) الذى ولى القضاء فى المغرب فى عدة اماكن منها مكناسة ومليانة[3] . وأبا على بن رشيق الثعلبى (ت٦٩٦هـ) الذى رحل إلى العدوة وشغل منصب القضاء فى سبتة فى عهد ابى القاسم العزفى[4] .

والشاعر ابا الحكم مالك بن المرحل (ت ٦٩٩ بفاس) الذى كتب للأمير أبى مالك بن السلطان يعقوب المنصور المرينى، وربما لوالده ايضا ثم للسلطان يوسف بن يعقوب[5] . وابن الحاج النميرى (ولد بغرناطة عام ٧١٣هـ) الذى اجبر على الخدمة عند ابى عنان فارس ثم عاد إلى غرناطة وتولى القضاء بالقرب من العاصمة[6] . وابراهيم بن يحيى...... ابن زكريا الاوسى المرسى نزيل غرناطة (ت ٧٥١ هـ) الذى

---

(١) د. احمد مختار العبادى: العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس فى القرن الثامن الهجرى، الكتاب الذهبى لجامعة القرويين بمناسبة ذكراها المائة بعد الالف ص ١٩٨ (فاس ١٩٦٠). وكذلك :
Al Abbady : Op. Cit., p 183 .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢١ (بيروت).

(٣) الزركلى : الاعلام جـ١ ص ١٥٢-١٥٣ .

(٤) ابن عبد الملك الانصارى السبتى : بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة فى الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب، مجلة تطوان العدد التاسع ١٩٦٤ تحقيق محمد بن تاويت ص١٧٥.

(٥) ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ٢٢١-٢٢٧، عبد الله كنون: مالك بن المرحل. تطوان، سلسلة ذكريات مشاهير الرجال عدد ٨ ، ص ٦.

(٦) المقرى: نفح الطيب جـ٩ ص٣١٥-٣١٦، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٤٤-٤٦ وكذلك :
E. Levi Provencal: Un Nouveau texte D'Histoire Merinide de Le Musnad D'Ibn Marzuk. Hesperis t. V. annee I Trimestre p 29.

ولى القضاء في بعض بلاد المغرب[١] . وأبا الحسن بن على بن الصباغ العقيلى الذى عمل كاتبا فى بلاط فاس من عام ٧٥٣-١٣٥٣/٧٥٨-١٣٥٧[٢]..وأبا عبد الله بن جزى (١٣٢١/٧٢٢-١٣٥٦/٧٥٧) الذى اشتغل بالكتابة للسلطان ابى عنان فارس، كما قام بتدوين رحلة ابن بطوطة فى ثلاثة شهور بناء على طلب السلطان مستعينا بمذكرات الرحالة الكبير[٣]. كما قام كذلك بوضع كتاب لم يتمه، فى تاريخ غرناطة، ذكر ابن الخطيب انه قرأ هذا الكتاب خلال سفارته إلى المغرب عام ١٣٥٤/٧٥٥ ، واتبع نفس نظامه فى كتابته لاحاطته[٤]. ثم اكد ذلك السلطان يوسف الثالث حفيد محمد الخامس[٥] .

نذكر كذلك ابا القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقى الذى أصبح "صاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب" (فى عهد أبى الحسن وأولاده أبى عنان وأبى سالم) وكانت له مراسلات عديدة مع معاصره ابن الخطيب[٦] . وأبا القاسم محمد بن يحيى البرجى (ت ١٣٨٤/٧٨٦) الذى شغل وظيفة قاضى العسكر فى فاس بالاضافة إلى قيامه بالسفارة لبنى مرين إلى مصر وقشتالة[٧] . ومظفر بن محمد بن محمد بن ابراهيم العذرى من اهل المرية الذى رحل إلى المغرب فولاه الخليفة ابو يوسف بن عبد الحق قضاء الجماعة بالعاصمة فاس وجعل له النظر على صاحب الشرطة وصاحب الحسبة ، وعلى يديه بنيت المدرسة القديمة بقبلة جامع القرويين ،

---

(١) ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٧٧ ترجمة رقم ٢٠٤.

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٣١٤-٣١٥، المقرى: نفح الطيب جـ٨ ص٣٦٤-٣٦٧.

(٣) ابن حجر: الدرر السفر الرابع ص ١٦٥-١٦٦ ترجمة رقم ٤٤٠، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ١٦٦ .

(٤) ابن الخطيب: الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ١٨٧ .

(٥) المقرى، نفح الطيب جـ٩ ص ٣١٢-٣١٤ وكذلك:. Al Abbadi : Op. Cit., p 184

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٣٣-٢٣٧، ابن الاحمر: مستودع العلامة ص٥١، المقرى : نفح الطيب جـ٨ ص ٢١٣-٢١٧ .

(٧) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٤٠٢، التعريف: ص ٦٤-٦٥، ابن الخطيب: الاحاطة جـ٢ (القاهرة) ص٢١٦، ابن الاحمر: مستودع العلامة ص ٥٦-٦٢، المقرى: نفح الطيب: جـ٨ ص١٧٨، ١٨٣-١٨٤، ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ١٩٧-١٩٨، احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٢٦٦-٢٦٧.

وهو اول من سن سنة انشاء المدارس بحضرة فاس[١] .

الى جانب هؤلاء كان هناك فريق من الاساتذة الغرناطيين الذين عملوا فى المدارس المرينية ، وكان عليهم ان يتحملوا "هوج طلبة البربر وسوء طريقتهم فى المناظرة والبحث"[٢] . نذكر منهم على بن ابراهيم الأنصارى المالقى ، الذى قام بتدريس اللغة العربية فى مدرسة سلا، ثم عاد إلى مالقة حيث عين قاضيا وأستاذا فى غرناطة خلال فترة حكم محمد الخامس الثانية [٣] .

كذلك كان هناك أساتذة من المتصوفة الغرناطيين الذين عملوا بالمغرب، نذكر منهم أبا العباس بن عاشر الاندلسى (ت ١٣٦٤/٧٦٥) الذى لقيه ابن الخطيب فى مقبرة سلا عام ١٣٦١/٧٦٣[٤]. وابن عباد الرندى تلميذ ابن عاشر ، الذى عمل خطيبا لمسجدالقرويين بفاس لمدة خمسة عشر عاما و "كان عند اهل فاس بمثابة الشافعى عند اهل مصر " وشرح تعاليم الشاذلية الصوفية فى شكل مبسط سهل الاسلوب كى يفهمها العامة، وقد توفى بفاس عام ١٣٩٠/٧٩٢ حيث اشترك السلطان ابو سالم المرينى وكبار رجال دولته فى جنازته[٥] .

وفى ميدان العلوم شارك الغرناطيون أيضا فى الحياة العلمية بفاس، حيث عمل الكثير من الأطباء الغرناطيين فى مارستاناتها منهم محمد بن القاسم القرشى المالقى الذى تولى النظر على مارستان فاس فى عام ١٣٥٣/٧٥٤[٦] وكذلك عالم النبات والجراح الغرناطى الشهير ابو عبد الله الشفرة[٧] الذى رحل إلى المغرب حيث

---

(١) ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٣٥ وكذلك :. Al Abbadi : Op. Cit., p 185

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣١٢ .

(٤) المقرى: نفح الطيب جـ٩ ص ١٩٥-١٩٨، ابن القاضى: درة الحجال جـ١ ص ٧٩، وجذوة الإقتباس ص ٧٨ .

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ٧ ص ٢٦١-٢٧١ وكذلك :. A. Mujtar Al Abbadi : Op. Cit., p 185

(٦) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٦٣، ابن حجر: الدرر السفر الرابع ص ١٤٣، ترجمة رقم ٣٧٩، ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ١٩١.

(٧) انظر الفصل الخاص بالعلوم فى مملكة غرناطة .

كتب كتابا بعنوان " الإستقصا والإبرام فى علاج الجراحات والأورام"[١].ثم عاد إلى غرناطة وتوفى عام ٧٦١/١٣٦٠[٢]، والطبيب غالب بن محمد اللخمى الشقورى الذى ولى الحسبة بمدينة فاس ومارس الطب فى بلاد المغرب وتوفى (عام ٧٤١هـ[٣].

كما قام السلطان المرينى يعقوب بن عبد الحق ببناء دار الصناعة بسلا على يد ابن الحاج المهندس الاندلسى (ت بفاس ٧١٤هـ/١٣١٤م) [٤] .

كذلك لعب السفراء والرسل الذين كان يبعث بهم سلاطين غرناطة إلى المغرب دورا مهما فى نشر الثقافة الغرناطية هناك ، فبحسب عادة العصر كان هؤلاء السفراء من العلماء واصحاب الثقافة الرفيعة ، وكان شائعا اشتراكهم فى حلقات السمر مع الأدباء والطلبة المغاربة .[٥]

من هؤلاء السفراء نذكر ابن الخطيب [٦]، وابن زمرك [٧]، وابا الحسن النباهى[٨]، وابا البركات بن الحاج البلفيقى[٩] .

كذلك كان كثير من المغاربة يتجهون إلى غرناطة للدراسة او التدريس او البحث عن عمل ، نذكر منهم: ابن عابد الفارسى الذى كان كاتبا لمحمد الاول بن الاحمر[١٠] وابا السراج المغيلى الفاسى الذى تصدر للاقراء والاسماع بغرناطة

---

(١) لازال مخطوطا فى مسجد القرويين بفاس ، انظر :. Al Abbady : Op. Cit., p 186, n. 4.

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٤٧ وكذلك :
H.P.J. Renaud: Un Chirurgien musculman du Royaume de Grenade. Muhammad As Safra. Hesperis XX (1935) fasc 1-2 pp 1-20y 1940 pp 97-98.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٤، ابن القاضى: جلوة الاقتباس ص ٣١٣.

(٤) محمد المنونى :نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمى العدد الثانى، السنة الاولى ربيع الاول – ذى الحجة ١٣٨٤/ مايو – اغسطس ١٩٦٤ ص ٢٢٢.

(٥) انظر : Al Abbady : Op. Cit., p 186 .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٦ .

(٧) المقرى : نفح الطيب جـ١٠ ص ١٤٠ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٣٦ ، المقرى: ازهار الرياض جـ١ ص ٢١١ ، جـ٢ ص٦، ٧ (حاشية١)

(٩) ابن خلدون: التعريف ص ٦١ ، النباهى: المرقبة العليا ص ١٦٥.

(١٠) احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٢٥٤، ابن القاضى: جلوة الاقتباس ص ١٤٤، محمد بن شريفة المرجع السابق ص ١١٥.

(ت٦٨٩ هـ بغرناطة)(١) ، وعلى ..... بن يحيى الغافقى من أهل سبتة (توفى بمالقة عام ٦٤٨ هـ) الذى رحل إلى المرية " اخذ عنه بها عالم كثير ثم توجه إلى مالقة فقصده "فيها جميع طلبتها إلا النادر فسمعوا عليه وقرءوا ما اقتضاه الوقت"(٢) . وابن رشيد الفهرى (من أهل سبتة توفى عام ٧٢١ هـ بفاس) الذى وفد على غرناطة أثناء وزارة ابن الحكيم اللخمى " فعقد مجالس للخاص والعام يقرىء بها فنونا من العلم " كما ولى الخطابة فى مسجد غرناطة الأعظم ، وقد وضع كتابا ضمنه أخبار رحلته أسماه " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين الكريميتين إلى مكة وطيبة "(٣) . وعبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك المراكشى، الذى رحل إلى غرناطة وتوفى عام ٧٢٣هـ قاضياً ببعض نواحيها(٤) . وابا بكر بن شبرين الذى عين كاتبا للدولة فى غرناطة فى عهد الوزير ابن الحكيم الرندى ثم تولى القضاء فى جهات متفرقة من المملكة وتوفى (عام ٧٤٧هـ)(٥) . والشريف الحسنى (ت ٧٦٠هـ) من اهل سبتة الذى تولى القضاء بمالقة ووضع كتاب " رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"(٦) . وعبد الله بن مرزوق (ت ١٣٧٩/٧٨١) الذى قام محمد الخامس بتعيينه خطيبا لمسجد الحمراء واستاذا بالمدرسة النصرية(٧). والفقيه ابا عبد الله المقرى (ت ١٣٥٨/٧٥٩) الذى بعد ان قام بسفارة إلى غرناطة، وقام بالقاء بعض الدروس فى المسجد الجامع بغرناطة(٨)، رفض العودة إلى المغرب،

---

(١) ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ٢٥٤ .

(٢) ابن الزبير : صلة الصلة ص ١٥١ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٣٢-١٣٥ ، ابن حجر: الدرر السفر الرابع ص ١١١، ١١٣ ترجمة رقم ٣٠٨، ابن فرحون: الديباج المذهب ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٥) عبد الله كنون : ابو بكر بن شبرين، سلسلة ذكريات مشاهير الرجال، تطوان العدد ١٧ ص ٧.

(٦) النباهى : المرقبة العليا ص ١٧١ ، ابن فرحون: الديباج ص ٢٩٠-٢٩١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٩٣.

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٢٠ - ١٣٠، ابن خلدون: التعريف : ص ٥١، المقرى: نفح الطيب جـ٧ ص ٣٠٩-٣١٤، احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٢٦٧-٢٧٠.

(٨) المقرى : نفح الطيب : جـ٧ ص ١٨٧ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 187 .

بعـد ان أحـتك بالمناخ الادبي هناك[١] . وأبا الحسن الانصاري السبتي (ت ٧٦٤-١٣٦٣) الذى شغل منصب المحتسب فى العاصمة النصرية، وقام بتلاوة القرآن فى مسجد الحمراء وحل محل ابن الخطيب فى بعض المهام[٢] . وعبد القادر بن سوار المحاربي الذى ألقى فى غرناطة عام ١٣٥٦/٧٥٧ بعض الدروس الأدبية، لقيت نجاحاً هائلا لدى طلبتها[٣] . وأبا عبد الله محمد الكرسوطي الذى كان "يفيض من حديث إلى فقه ومن أدب إلى حكاية ، ويتعدى ذلك إلى غرائب المنظومات مما يختص بنظمه أولو الشطارة من المغاربة، ويستظهر مطولات القصاص وطوامير الوعاظ ومساطير أهل الكدية فى أسوب وقاح يفصحه إعراب"[٤]

كذلك يذكر الرحالة ابن بطوطة انه عند زيارته لمدينة رندة ، كان قاضيها هو ابن عمه الفقيه ابا القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة[٥] .

العلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة الحفصية :

كان لغرناطة، كما رأينا ، اثر كبير على الحياة الثقافية فى بلاد المغرب الإسلامي في تلك الفترة التى ندرسها . وقد تحولت تونس تحت حكم الاسرة الحفصية إلى مركز ثقافي مهم وذلك بفضل العدد الهائل من الأندلسيين الذين استقروا هناك - بعد ان فقدوا أرضهم فى الأندلس على يد الاسبان - ولعبوا دورا مهماً فى الثقافة والمجتمع والفن التونسي[٦] .

---

(١) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) لوحات ٩٠-٩١، ابن خلدون : التعريف ص ٦٠-٦١، احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٢٤٩-٢٥٤.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٥٤-١٥٥. .

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق لوحات ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ١٣٠-١٣٢ وكذلك :. Al Abbadi : Op. Cit., p 187

(٥) ابن بطوطة : الرحلة جـ٤ ص ٣٦٣ .

(٦) العمرى: مسالك الأبصار ص ٢٧ ، المقرى : نفح الطيب جـ٤ ص ١٤٩ وكذلك :
Al Abbady : Op. Cit., p 182 .

بالاضافة إلى ذلك كانت تونس تقع في طريق الرحلة بين الاندلس والمشرق ، وكان الكثير من الطلبة والحجاج يبقون عند مرورهم بها بعض الوقت لتحصيل العلم على يد اساتذتها اوللاشتراك في الندوات العلمية [١] .

كما ان التونسيين ، وخاصة من كان يرجع منهم إلى أصل اندلسي، كانوا يحرصون كلما سنحت لهم الفرصة على العبور إلى الاندلس ، كي يكونوا على صلة بالعلماء والأساتذة في غرناطة، نذكر منهم المؤرخ ابن العشاب[٢]، ومحمداً العبدري[٣] ، والشريف محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني[٤] ، وابن خلدون[٥] .

وكانت بجاية على عهد الحفصيين العاصمة الثانية بعد تونس[٦] ، وقد اشتهرت بحصانتها ومنعتها ، وكان ميناؤها من أنشط موانى البحر المتوسط حيث كانت تقصده السفن التجارية من مختلف الجهات . وقد أصبحت هذه المدينة، بعد سقوط أكثر القواعد الأندلسية في يد الأسبان ، تموج بالمهاجرين الأندلسيين الذين توافدوا عليها ، وأصبحوا يكونون فيها العنصر الثاني للسكان بعد الإفريقيين[٧] . وقد كان لهؤلاء المهاجرين أكبر الأثر على الحياة فيها.

ولقد أحسن الحفصيون استقبال هؤلاء المهاجرين الأندلسيين، واستعانوا بهم في ادارة دولتهم التي كانت لاتزال في دور التكوين وفي أشد الحاجة إلى رجال من ذوي الخبرة في مختلف الميادين. ويعلل ابن خلدون هجرة الأندلسيين إلى الدولة

---

(١) المقري: أزهار الرياض جـ٣ ص ٣٢ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٦٦-٦٧ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٨٣-٨٤ .

(٤) ابن الخطيب : نفس المصدر لوحة ٨٢ ، المقري : نفح الطيب جـ٨ ص ١٧٤-١٧٧ .

(٥) ابن الخطيب: نفس المصدر لوحة ٢٤٩، المقري : نفس المصدر جـ٨ ص ٢٧٩-٢٨٦ .

(٦) العمري : مسالك الابصار (نشر حسن حسني عبد الوهاب) ص ٩ .

(٧) محمد بن شريفة : ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي ص ١٤٧ وكذلك :
R. Brunschvig: La Berberie Oriental sous Les Hafsides. t. 1, p. 383.

الحفصية أكثر من غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى باستفحال تلك الدولة . أما الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب . فيعلل ذلك ايضا بالعلاقة التى كانت موجودة من قبل بين الأندلسيين وبين أمراء الدولة الحفصية الذين سبق لبعضهم ان باشر الحكم فى الاندلس[١] .

واسهم هؤلاء المهاجرون فى الحياة فى تونس ، وكان لهم أثر كبير فى ازدهارها ، إذ أنهم أدخلوا فيها أساليب جديدة فى الزراعة ، وضربوا بقسط وافر فى تدعيم الحياة الادارية، فشاركوا فى مناصب القضاء والوزارة والحجابة والحركة العلمية[٢]

نذكر منهم ابا عبد الله محمد بن الحسين بن سعيد (من اقرباء ابن سعيد المغربى ومعاصر له) الذى رحل إلى تونس حيث " اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال المقلة على انسانها ، وقدمه فى مهماته تقديم الصعدة لسنانها[٣]، وأقام لنفسه مدينة حذاء حضرة تونس "[٤] . وأبا عثمان سعيد بن ابى الحسين (ينتمى إلى أسرة بنى سعيد اصحاب قلعة يحصب) الذى تولى وزارة المالية فى عهد المستنصر ، وأوائل عهد الواثق بالله[٥]. وأبا العباس احمد بن خالد من أهل مالقة (ت فى عشر الستين وستمائة) الذى جلس للإقراء ببجاية[٦]. وابراهيم بن الحاج النميرى (ولد عام ٧١٣هـ) الذى اشتغل بالكتابة فى تلك المدينة[٧] . كما رحل ابو زكريا يحيى

---

(١) د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) محمد بن شريفة : ابو المطرف بن عميرة المخزومى : ص ١٤١-١٥٤ وما بها من مصادر .

(٣) الصعدة - بالفتح - القناة المستوية التى لا تحتاج الى تثقيف.

(٤) المقرى: نفح الطيب جـ٣ ص ٨٥ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٥ .

(٦) الغبرينى: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ص ٤٣-٤٤ تحقيق محمد بن ابى شنب (الجزائر ١٣٢٨هـ).

(٧) ابن الخطيب: الاحاطة (جـ١ عنان) ص ٣٥ ، ٣٧٢، الكتيبة الكامنة ص ٢٦٠، ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٢٨-٢٩ ترجمة رقم ٦٩، احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٤٤-٤٦، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٨٧-٩٢، المقرى: نفح الطيب جـ٩ ص ٣١٥-٣١٦.

اللقنتي إلى بجاية واستوطنها وقرأ بها وأسمع (في عشر الثلاثين وسبعمائة)[1] .
كذلك تولى محمد بن يحيى الغساني البرجي (ت بعد ٧٨٦ هـ) كتابة الانشاء ببجاية[2] . كما عمل خالد بن عيسى بالكتابة في تونس برهة من الزمن [3]

وفي ميدان الطب نذكر احمد بن علي بن محمد بن عبد البر الغرناطي (ت ٧٥٠هـ) الذي "سكن تونس يداوي الناس بالطب"[4] . وأبا تمام غالب الشقوري الذي انتصب للعلاج ببجاية[5].

نذكر ايضا محمد بن محمد العراقي الوادي اشي الذي ترك وطنه عام ٧٥٦ ورحل إلى افريقية حيث تولى بعض اعمالها[6] .

ومن ناحية أخرى نجد أن بعض التونسيين كانوا يرحلون إلى غرناطة للدراسة أو التدريس أو البحث عن عمل من هؤلاء نذكر أبا الحكم مروان بن عمار بن يحيى من أهل بجباية الذي تولى القضاء في المرية[7] . والصوفي أبا عبد الله التميمي (ت ٧١٥ هـ) من أهل تونس الذي ورد إلى غرناطة " في جملة من تجار بلده وبيده مال كثير فصرفه كله في أعمال الخير وبنى مسجدا بغرناطة[8] " . كما استقدم الفقيه ثاني سلاطين بني الأحمر محمد بن ابراهيم بن محمد الأوسي (ت ٧١٥هـ) من بجاية ، " وكان عالما في الحساب والهندسة والطب فانتفع الناس به "[9]

---

(١) الغبريني : المصدر السابق ص ١٥٤-١٥٥.

(٢) ابن خلدون: العبر جـ٧ ص ٤٠٢ ، ابن الاحمر: مستودع العلامة ص ٥٦ ، ٦٢، احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٣) احمد بابا: نيل الابتهاج ص ١١٥ ، ابن القاضي: جذوة الاقتباس ص ١١٦-١٢١، الزركلي: الاعلام جـ٢ ص ٣٣٩ ، الحسن السائح: ابو البقاء البلوى ص ١٩١.

(٤) ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٢١٩ ترجمة رقم ٥٦٢ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٤ .

(٦) ابن حجر: الدرر السفر الرابع ص ٢٤٨ ترجمة رقم ٦٧٤ .

(٧) الغبريني : عنوان الدراية ص ١٩١ .

(٨) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٧٩ .

(٩) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٠٧ .

العلاقة الثقافية بين غرناطة فى عهد بنى الأحمر والدولة الزيانية:

(بنى عبد الواد أو بنى يغمراسن فى تلمسان)

عمل بنو الأحمر على تأييد بنى زيان بشتى الوسائل كى يظلوا شوكة فى جنب الدولة المرينية فيشغلونهم عنهم نظرا لتخوفهم منهم ، وكان من نتائج هذه السياسة تأثر تلمسان إلى حد كبير بالحضارة الأندلسية فى مختلف الميادين السياسية والحضارية والثقافية حتى صار لها طابع أندلسى نلمسه بوضوح فى مساجدها ومدارسها ومبانيها ، وساعد على تدعيم هذه الروابط أن معظم ثغور هذه الدولة الزيانية كانت عامرة بالجاليات الأندلسية من قديم ، بل ان بعضها كان من بنائهم ومن أهم تلك الثغور نذكر : هنين [١] التى تقابل المرية فى شرق الاندلس ، ووهران التى بناها الأندلسيون وتقع شرقى تلمسان بقليل ، ومستغانم التى تقابل دانية فى شرق الاندلس [٢] . بل كان هناك درب بتلمسان يقال له درب الأندلسيين[٣] . ولهذا كانت العلاقة بين البلدين محكمة وطيدة تبودلت فيها السفارات والهدايا والمراسلات بينهما[٤].

ومن الأندلسيين الذين رحلوا إلى تلمسان نذكر أبا بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الذى ورد تلمسان "فأحسن نزله ومأواه وأصبح صاحب القلم الأعلى"[٥]. كذلك فانه عندما اختط السلطان ابو حمو الأول وابنه أبو تاشفين قصور الملك تلمسان ، قاما باستدعاء الصناع والفعلة من الأندلس، فبعث اليهما

---

(١) هنين : بضم الهاء وفتح النون، كان موقعها الى شمال غرب تلمسان وفى مكانها الان مدينة بنى ساف Beni saf انظر : ابن خلدون: التعريف ص ٣٨.

(٢) القلقشندى: صبح الاعشى جـ٥ ص ١٥٠ ، د. احمد مختار العبادى: دراسات ص ١٩٩.

(٣) ابن مريم: البستان فى ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ص ١٣٥ .

(٤) يحيى بن خلدون: بغية الرواد جـ٢ ص ١٧٠-١٨١، ٢٨٠-٣٠٧ (الجزائر ١٩٠٣)، المقرى: ازهار الرياض جـ١ ص ٢٤٩-٢٦١، د. احمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ١٩٨ .

(٥) التنسى: نظم الدر والعقيان فى شرف بنى زيان فى : Geschichte und Geschichtaschreiber der Abd Al Wadiden (Algerien im 13-15. Jahrhundert) Mit einer Teiledition des Nazmad - Durr des Muhammad b. Abd al Galil at - Tanasi. Von Hars Kurio. Freiburg im Breisgau 1973, p. 16.

السلطان أبو الوليد اسماعيل " بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء في الأندلس فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيى على الناس بعدهم ان يأتوا بمثله"[١] .

وفي الأيام الأخيرة من حياة غرناطة الإسلامية هاجر كثير من أهلها إلى تلمسان نذكر منهم القاضي أبا عبد الله بن الأزرق الذي وضع عددا من المؤلفات من بينهما " كتاب روضة الأعلام، بمنزلة العربية من علوم الإسلام "[٢] والشاعر الفقيه ابا عبد الله بن محمد بن الحداد الوادي أشي ثم الغرناطي[٣] .

كذلك رحل بعض أهل تلمسان إلى غرناطة لتلقي العلم أو القائه أو البحث عن عمل في مملكة بني نصر، نذكر منهم : محمد بن عبيد الله بن داود بن خطاب (ت ٦٨٠ هـ) الذي رحل إلى غرناطة واستعمل في الكتابة السلطانية[٤] . ومحمد ابن أحمد بن محمد التلمساني (ت ٧٦٤ هـ) الذي ولي الحسبة في غرناطة ، وناب عن ابن الخطيب في بعض المهام[٥] . وابن خميس التلمساني (قدم غرناطة عام ٧٠٥) وقام باقراء العربية بها، وقد جمع أبو عبد الله بن محمد بن ابراهيم الحضرمي، شعره في جزء أسماه " الدر النفيس في شعر ابن خميس"[٦] . والشريف الحسني التلمساني ، الذي كان من اكبر علماء تلمسان (ت ٧٧١ هـ) ورحل إلى غرناطة حيث اخذ عنه هناك جماعة مثل القاضي ابو بكر بن عاصم[٧] . وبلغ من أهمية هذا الشريف العلمية ان ابن الخطيب كان " كلما ألف تأليفا بعث اليه وعرضه عليه وطلب منه ان يكتب عليه بخطه، وكان الشيخ الإمام المفتي ابو سعيد بن لب

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ١٤٣ .

(٢) المقري : ازهار الرياض جـ١ ص ٧١، جـ٣ ص ٣١٨ .

(٣) المقري : المصدر السابق جـ٣ ص ٣٠٢ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ٢ ص ٢٧٥ .

(٥) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٥٤-١٥٥، ابن حجر: الدرر جـ٣ ص ٣٦٦-٣٦٧ ترجمة ٩٦٧ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٦٧-٧٨، المقري: نفح الطيب: جـ٧ ص ٢٨٠ وما بعدها.

(٧) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٥٠ -١٥٤ ، ابن مريم : البستان ص ١١٧-١٢٠ .

شيخ علماء الاندلس وآخرهم كلما اشكلت عليه مسألة كتب اليه وطلب بيان ما اشكل مقرا له بالفضل[1] . ومنصور بن على الزواوى الذى قدم الأندلس عام ٧٥٣هـ" فتقدم مقرئا بالمدرسة تحت جراية نبيهة، وحلق للناس ..... وتصدر للافتاء[2] " .

العلاقات الثقافية بين غرناطة واسبانيا المسيحية :

كان من الطبيعى ازاء الصلات والعلاقات بين غرناطة وجيرانها من الممالك المسيحية ان يتقن عدد من الاسبان المسيحيين اللغة العربية ، وهؤلاء يطلق عليهم اسم " المستعربين" ومن الجانب الآخر نجد ان بعض المسلمين الأندلسيين قد أتقنوا لغة جيرانهم مثل اللغة القشتالية والأراجونية ، ونتج عن ذلك ان حدثت مجادلات ومناقشات فى موضوعات مختلفة مثل الدين والعلم بين علماء الاسلام والمسيحية ، فيروى ابن الخطيب ان العالم الغرناطى محمد الرقوطى (ت ٧٤٤/١٣٤٤) كان يعلم المسيحيين واليهود فى مدرسة مرسية فى عهد الملك الفونسو العاشر الملقب بالعالم أوالحكيم[3] . كذلك يروى أن محمد بن محمد بن لب الكنانى كان يطوف بارض النصارى يتكلم مع الاساقفة فيظهر عليهم[4]. وان العالم الغرناطى عبد الله بن سهل (ق١٣م)كانت له شهرة كبيرة فى العلوم الرياضية لدرجة ان المسيحيين من كل انحاء اسبانيا كانوا يقصدون منزله فى بياسة لمجادلتة والاستفادة من علمه[5].

هذا ومن المعروف ان قصر الحمراء كان يحتوى على ادارة خاصة لترجمة الرسائل الرسمية إلى ملوك الدول الاسبانية المجاورة [6].

---

(١) المقرى: نفح الطيب جـ٨ ص ١٣٦، ابن مريم : البستان ص١٦٤-١٨٤.

(٢) احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٣٤٥-٣٤٧، ابن مريم: البستان ص٢٩٢-٢٩٤ .

(٣) ابن الخطيب: الاحاطة .الاسكوريال) لوحة ٧-١٠، ابن حجر: الدرر السفر الثالث ص ٣٧٤-٣٧٥ ترجمة رقم ٩٩٢، المقرى: نفح الطيب جـ٥ ص ٢٦٦.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: لوحة ١٦١ .

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق ل ٢٢٢.

(٦) انظر ك د. احمد مختار العبادى مشاهدات ص ٩٩ ، ح٢ وكذلك ؛

Alarcon y Linares: Les Documentos Arabes diplomaticos p 411-415 .

علوم الدين فى مملكة غرناطة

كان المذهب السائد فى مملكة غرناطة هو مذهب الامام مالك وهو المذهب الذى غلب فى الأندلس منذ عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل فى أواخر القرن الثانى الهجرى [1]. وان كان هذا لا يعنى الاقتصار على هذا المذهب فيفهم من النصوص انه كانت هناك جماعة من الناس على المذهب الظاهرى المنسوب إلى أبى محمد على بن حزم الفقيه [2]. مثل أبى حيان الغرناطى [3]، واحمد بن محمد بن صابر القيسى [4] ومحمد بن على البياسى [5]، وعبد المهيمن بن محمد الاشجعى [6] (ت٦٩٧هـ) كما كان أبوجعفر بن بصلة (ت ٧٣٤هـ) على المذهب الحنبلى [7]. وكان أبو الحسن فضل (ت٦٩٩هـ) «غير منافر لمذهب الأشعرية» [8] بينما نرى أن فتح بن موسى بن حماد (من الجزيرة الخضراء) شافعى المذهب [9].

وكان للفقهاء منزلة عظيمة لدى أهل غرناطة ، «وللفقه رونق ووجاهة ، وكانت سمة الفقيه عندهم جليلة» [10] حتى لقد تسمى بعض السلاطين وكبار رجال الدولة باسم الفقيه ومثال ذلك - كما رأينا - محمد الفقيه ثانى سلاطين بنى نصر . ووضعت المؤلفات فى الفقه نذكر منها كتاب ابن الخطيب «الحلل المرقومة فى اللمع

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة ص ٢٧ ، الاحاطة (عنان) جـ١ ص١٤٠، ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٤٢٩، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ٢٠٦، د. احمد امين: ظهر الاسلام جـ٣ ج ٢٩، د. احمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والاندلسى ص ٣٢٤-٣٢٨.

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٧٧ ويقول اصحابه بتأويل ظاهر القرآن والحديث .

(٣) سعيد اعراب: ابو حيان الغرناطى، مجلة البحث العلمى، السنة الاولى، العدد الثالث جمادى الثانية - رمضان ١٣٨٤/ سبتمبر - يناير ١٩٦٤ ص٢٤٥.

(٤) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة ، السفر الاول، القسم الثانى ص ٤٣٧ - ٤٣٩ ترجمة رقم ٦٥٢.

(٥) المقرى: نفح الطيب جـ٢ ص ٢٦٥ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٧٧.

(٧) ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٩٠ ترجمة رقم ٢٣٦.

(٨) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٣٥٩ .

(٩) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ، السفر الخامس، القسم الثانى ص ٥٢٣ ترجمة رقم ١٠٢٥ .

(١٠) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص ٢٠٦ .

المنظومة» وهو عبارة عن ألف بيت في الفقه [١]، وقد وضع ابو سعيد فرج التغلبي الغرناطي (ت٧٨٢/١٣٨١) شرحا لهذه الألفية أسماه « الطرز المرسومة على الحلل المرقومة»[٢] وكتاب «أشرف المسالك إلى مذهب مالك» لعلي بن محمد بن علي القرشي القلصادي (ت٧٩١هـ).[٣] «والقوانين الفقهية ، في تلخيص مذهب المالكية» لابي القاسم بن جزي الكلبي [٤]. وارجوزة ابي بكر بن عاصم المسماة «مهيع الوصول في علم الأصول» أصول الفقه [٥].

وازدهر التصوف في غرناطة في هذا العصر نظرا لما كان ينتاب المجتمع الإسلامي في الأندلس من قلق على المستقبل وحسرة مريرة على ما كان يسقط من أراضي المسلمين في أيدي الإسبان ، فوجد الناس في التصوف تعزية وسلوة عن الحياة المحيطة بهم .

وآمن الناس بأهل التصوف إلى حد كبير حتى أن السلطان محمداً الأول بن الأحمر كان يتوجه إلى المتصوف أبي مروان اليحانسي في وادي آش حتى يطلب منه أن يعينه بدعواته المجابة خلال نزاعه وصراعه مع الأسبان [٦]. وفي الريف كان إذا وقع الوباء في مواشي السكان عمدوا إلى قبر أحد الأولياء فأخذوا ترابه وسقوا في الماء منه مواشيهم اعتقادا منهم في أنها ترفع عنها الوباء[٧].

ومن المتصوفين الذين ظهروا في تلك الفترة نذكر محمد بن ابراهيم بن محمد الأنصاري (ت٧٤٩هـ) الذي كان كثير الأتباع وكانت له طريقة محببة إلى أهل الثغور ، يقوم بالرحلة إلى حصونهم «فيتآلفون عليه تآلف النحل على أمرائها

---

(١) المقري : المصدر السابق جـ٩ ص ٣٠٤ .

(٢) توجد منه نسخة محفوظة بمكتبة الزاوية الحمراء بتطوان. انظر : محمد المنوني: مكتبة الزاوية الحمراء، صفحة من تاريخها، مجلة تطوان العدد ٩ ص ١٣٠ .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٠٩-٢١٠، المقري : نفح الطيب جـ٣ ص ٤٤٦، ابن مريم: البستان ص ١٤١-١٤٣ .

(٤) ابن حجر: الدرر السفر الثالث ص ٣٥٦ ترجمة رقم ٩٤٢، ابن فرحون: الديباج ص ٢٩٥-٢٩٦، المقري: نفح الطيب جـ٨ ص ٢٨-٢٩.

(٥) المقري: نفح الطيب جـ٦ ص ٢٢٤، والمهيع هو الطريق الواضح .

(٦) الازدي : تحفة المغترب ص ٦٨-٦٩ .

(٧) الازدي : نفس المصدر ص ١٠٣

ويعاسيبها معلنين بالذكر مهرولين يغشون مثواه بأقواتهم على حالها ويتنازعون فى التماس القرب منه ويباشرون العمل فى فلاحة كانت له" . ومحمد بن محمد البكرى المعروف بابن الحاج ، وكان متصوفا يلبس خرقة التصوف [1].

ومن أئمة المتصوفين نذكر أيضا أبا الحسن على بن عبد الله النميرى الششترى ، أصله من ششتر إحدى قرى وادى آش ، دخل غرناطة ونزل برابطة العقاب ، ودرس علوم المسلمين المعروفة من فقه وسنة ولغة ، كما درس المذهب المالكى والشافعى والأدب العربى والأندلسى والفلسفة ومذاهبها والتصوف ورجاله ومذاهبه وتتلمذ على يد المتصوف محيى الدين بن سراقة الشاطبى (ت ٦٦٢هـ/ ١٣٦٤م) وابن سبعين، وقد عرفه اقطاب الشاذلية مثل أبى الحسن الشاذلى (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وأبى العباس المرسى (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) وابن عطاءالله السكندرى (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩وضع الششترى كتبا كثيرة منها« العروة الوثقى فى بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده إلى وفاته » و «المقاليد الوجودية فى أسرار الصوفية» [2].

كما كتب فى التصوف زجلا بسيطا بلغة عامية وفى بساطة نادرة، وانتقل الششترى إلى دمياط، وكانت الحروب الصليبية على أشدها، فاتخذ له رباطا بها واشترك فى القتال مع رجاله ضد حملة لويس التاسع عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م، وتوفى بدمياط فى ١٧ صفر عام ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م [3]. معاصرا بذلك بعض أئمة المتصوفة المصريين الذين شاركوا فى هذا الجهاد أمثال الشيخ ابراهيم الدسوقى.

ومن المتصوفين كذلك غالب بن حسن بن غالب بن سيد بونة الخزاعى (٦٥٣

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ١٦٤-١٦٥ .

(٢)، (٣) ابن الخطيب : الإحاطة (الإسكوريال) لوحات ٢٤٢ - ٢٤٦، المقرى: نفح الطيب جـ٢ ص ٢٨٤ وما بعدها، د. سامى النشار: أبو الحسن الششترى، الصوفى الاندلسى الزجال وأثره فى العالم الاندلسى، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد، العدد الأول السنة الأولى ١٩٥٣ ص ١٢٩ وما بعدها.

- ٧٣٣هـ) الذى وضع مؤلفا فى تحريم سماع اليراعة Gaita المستخدمة فى الذكر[١]. وأبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكى المرسى الاندلسى (٦١٤هـ / ١٢١٨م - ٦٦٩ / ١٢٧٠م): من بيت كريم نابه الذكر، درس العربية بالأندلس ثم رحل إلى سبتة، وسكن بجاية، وانتحل التصوف حيث رأس جماعة تألف معظمها من الفقراء والسفارة وأصحاب العبادات، ومضوا يسرعون فى البلاد مشتملين بكساء من الصوف، حاملين متاعا غليظا ينامون عليه فى الطريق وكانوا يسمون «السبعينية». وقد ثارت حفيظة الفقهاء عليه وعلى مريديه بسبب الملابس التى كانوا يلبسونها والطريقة التى كانوا يعيشون عليها مجافين مألوف العرف وانكروا عليهم مذهبهم الذى كانوا عليه وطريقتهم فى الحياة وعقيدتهم [٢]، ولذا فقد اختلف الناس حول شخصيته فمنهم من يوقره ومنهم من يكفره، رحل ابن سبعين إلى المشرق حيث حج عدة مرات وشاع ذكره وعظم أتباعه وأشياعه وعم صيته [٣]، وقد وضع ابن سبعين كتبا عدة إستخدم فيها الألغاز والرمز بالحروف وله اصطلاحات ذات معان رمزية بعيدة عن المألوف. وقد وصلت أخبار علمه الواسع إلى مسامع كونت روما والبابا. وعندما عرضت للامبراطور فردريك الثانى النورمانى ملك صقلية بضع مسائل فلسفية، بعث يستفتى فيها علماء مصر والشام والعراق وآسيا الصغرى واليمن فلم يجد جوابا شافيا، فأرسل إلى ابن سبعين وعهد اليه بالإجابة عليها [٤].

ومحمد بن احمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن خفاجة السلمى (٦٦٨هـ - ٧٥٠هـ) الذى كانت له مكانة رفيعة، التقى بالمشرق بالشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله السكندرى ولازمه ودرس عليه كما لازم تاج الدين أبا الحسن الشاذلى

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة (الاسكوريال) لوحة , ٣٥٤

(٢) انخل جونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسى ص ٣٨٦ - ٣٨٧ ترجمة د. حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥٥) .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٨١ - ٢٨٣ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٩٥ وما بعدها.

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٨٤ ، الغبرينى : عنوان الدراية ص ١٣٩ ، بالنثيا: المرجع السابق ص ٣٨٧ .

المرسي، وكانت له طريقة في التوصف انتشرت في ذلك الوقت ووضع كتابا أسماه «الأنوار في المخاطبات» ضمنه جملة من كلام ابن عطاء الله السكندري وأبي الحسن المرسي [1].

ووضعت الكتب والمصنفات الخاصة بالتصوف نذكر منها كتاب «روضة التعريف بالحب الشريف» [2]. لابن الخطيب الذي عارض فيه ديوان الصبابة لابن أبي حجلة التلمساني [3]. وقد ذاعت شهرته وأصبح من أعظم الكتب الصوفية في القرن الثامن الهجري (١٤م) في الغرب الاسلامي كله، وحوكم ابن الخطيب بسبب هذا الكتاب وادعى عليه بعض أعدائه أن كتابه قد تضمن أشياء عدوها من الإلحاد فحكموا باعدامه [4]. كذلك كتب ابن الخطيب كتاب «استنزال اللطف الموجود في سر الوجود» في التصوف [5].

ووضع محمد بن عتيق التجيبي الشقوري كتابا أسماه «المسائل النورية إلى المقامات الصوفية» [6]. وصنف ابن عباد الرندي (ت ٧٩٢ / ١٣٧٠) كتابًا أسماه «غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية» شرح فيه حكم الصوفي المصري ابن عطاء الله السكندري (ت ٧٠٩ / ١٤٠٩) [7]. وكتب ابراهيم بن الحاج النميري كتابا عن طرق التصوف أسماه «اللباس والصحبة» [8]. ووضع عمر بن علي بن

---

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٦٦ .

(٢) نشر الأستاذ عبد القادر أحمد عطا هذا الكتاب محققا (القاهرة ١٣٨٧ / ١٩٦٨ ثم أعاد الاستاذ محمد الكتاني نشره في مجلدين عام ١٩٧٠ وألحق به عدة فهارس.

(٣) طبع ديوان ابن أبي حجلة المعروف بالصبابة في مصر عام ١٣٠٢ هـ .

(٤) ابن الخطيب ؛ روضة التعريف : ص ٢٨م، المقري نفح جـ ٩ ص ٣٠٦، أزهار الرياض جـ ١ ص ٢١٢ - ٢٢٤ .

(٥) توجد منه نسخة بالمكتبة العامه بتطوان تحت رقم ٣٥٣ .

(٦) ابن حجر : الدرر السفر الرابع ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ترجمة رقم ١١٤٧ .

(٧) أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني : ابن عباد الرندي، حياته ومؤلفاته، صحيفة المعهد المصري بمدريد المجلد السادس العددان ١ - ٢ ١٣٧٨ / ١٣٥٨ ص ٢٢١ - ٢٤٥ .

(٨) أحمد بابا نيل الابتهاج ص ٤٤ -و ٤٦، المقري؛ نفح الطيب جـ ٩ ص ٣١٥ - ٣١٦ ، الكتاني : فهرس الفهارس جـ ١ ص ٨٩ .

عتيق المعروف بالقرشي (ت ٧٤٤هـ) كتابا في التصوف أسماه «مطالع أنوار التحقيق والهداية» [١].

ولقد لعب هؤلاء المتصوفة دورا كبيرا في السياسة العامة للدولة وحركة الجهاد ضد نصارى الأندلس فنجد أن المتصوف أبا مروان اليحانسي يهاجم دعوة ابن هود وعامله على المرية عبد الله بن الرميمي، ويدافع عن دعوة ابن الأحمر [٢]. ويذكر ابن الخطيب عند حديثة عن المتصوف محمد بن عباد النفزي الرندي أنه كان «طوافا على البلاد زوارا للرباط مثابرا على المجاهدة» [٣] كذلك يروى أن عبد المنعم بن على بن عبد المنعم بن سدرا (كان حيا سنة ٦٦٣هـ) من الزهاد الصالحين كان «من أعظم الأسباب في جواز أهل المغرب لنصرة من بالأندلس في أول الدولة النصرية»[٤]. كذلك فإنه عند حصار المرية عام ٧٠٩هـ قام المتصوف محمد بن محمد البكرى بالخروج ليلحق بالسلطان طالبا النجدة فتيسر له ذلك [٥].

كما اسهم هؤلاء المتصوفه في تعمير المملكة فيروى ابن الخطيب أن محمد بن عبد الرحمن التميمي الحلفاوى كان «بيده مال كثير فصرفه كله في أعمال الخير وبنى مسجدا في غرناطة» [٦].

وليس معنى ذلك أن كل المتصوفة كانوا على هذا النهج، فنجد أنه قد حدث في عام (٦٦٦هـ) أن ادعى ابراهيم الفزارى النبوة بمالقة [٧].

وفي علم الحديث ظهر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد

---

(١) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٩٥ .

(٢) الازدى : تحفة المغترب ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٧٢ - ١٧٤ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٦٥ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ل ١٧٩ .

(٧) الازدى : تحفة المغترب ص ٨١ .

ابن الفخار الجذامي يكنى أبا بكر الاركشي، ألف نحو الثلاثين مؤلفا في فنون مختلفة منها كتاب: «الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم «وتوفي عام ٧٢٣هـ [١]. كذلك كان أحمد بن ابراهيم بن الزبير (ولد عام ٦٢٧هـ) «حافظا للحديث مميزاً لصحيحه من سقيمه ، ذاكراً لرجاله وتواريخهم»[٢]. ووضع محمد بن جزى الكلبي (ت ٧٤١هـ) «الأنوار السنية في الألفاظ السنية من الاحاديث النبوية» [٣]. وقد قام أبو الحسن القلصادي (ت ٨٩١هـ) بوضع شرح له[٤]. كما وضع أبو جعفر النفزي (ت ٧٣٨هـ) «أربعين حديثا عن أربعين امرأة من الصحابة [٥].

وفي علم التفسير نبغ محمد بن عبد المولى الرعيني (٦٨٠ - ٧٥٠هـ) [٦]. وابن الزبير (٧٨٠هـ) الذي وضع «ملاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل» و «البرهان في ترتيب سور القرآن» [٧]. كما وضع أبو بكر بن منظور القيسي (ت ٧٥٠هـ) «خواص سور القرآن» [٨]، وفي رأى اخر «كتاب البرهان والدليل، في خواص سور التنزيل» [٩]. وصنف أبو حيان الغرناطي (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤) «البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم» ، «واتحاف الأريب بما في القرآن من

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١١٥ .

(٢) ابن حجر : الدرر السفر الأول ص ٨٤ - ٨٦ ترجمة رقم ٢٣٢ .

(٣) الكتاني : فهرس الفهارس والاثبات جـ ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٠٩ - ٢١٠، ابن مريم: البستان ص ١٤١ - ١٤٣، الكتاني: المرجع السابق جـ ٢ ص ٣١٤ .

(٥) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٤٢ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٩٢ .

(٧) ابن حجر: الدور السفر الأول ص ٨٤ - ٨٦ ، ابن فرحون : الديباج ص ٤٢ ، الزركلي : الاعلام جـ ص ٨٣ - ٨٤ .

(٨) ابن حجر : المصدر السابق السفر الرابع ص ٣٧ .

(٩) النباهي : المرقبة العليا ص ١٥٤ .

الغـريب» [1]. ووضع أبو بكر بن الفخار الجذامى (ت ٧٢٣هـ) «تحبير نظم الجمان فى تفسير أم القرآن» [2].

علـوم اللـغـة والأدب فـى غـرناطـة

الـشـعـر:

«كان الشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم حظ ووظائف، والمجيدون منهم ينشدون فى مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم»[3].وقد نبغ الغرناطيون فى قرض الشعر وبتصفح كتب التراجم الخاصة بهذا العصر يسترعى الانتباه أننا لانجد شاعرا متخصصا انقطع للشعر دون سواه من الفنون المختلفة الأخرى، فابن الخطيب وابن الأحمر وابن زمرك كلهم كانوا شعراء وكتاباً فى وقت واحد وشهرتهم كشعراء تساوى شهرتهم ككتاب ونثريين بل ونجد بعضهم كابن الخطيب وابن الأحمر اشتهروا بالكتابة فى التاريخ أكثر من شهرتهما بالشعر، فهؤلاء الأدباء لم يتخذوا قول الشعر حرفة ومهنة يتكسبون بها، بل يرون الشعر من الملح التى يجمل أن يتحلى بها كل أديب سواء كانت له موهبة الشعر أو لم تكن وانما يتكلفها تكلفا، ويحشر نفسه فى زمرة الشعراء حشرا، مما أدى إلى قلة الجيد منه وابتذاله، كأن قول الشعر أصبح من مكملات ثقافة الأديب والفقيه والطبيب والمؤرخ،فهذا ابن خلدون يأخذ نفسه ويكرهها على قول الشعر مرغمة،ويقول«ثم أخذت نفسى بالشعر فانثال على منه بحور

---

(١) طبع البحر المحيط بمصر عام ١٣٢٨ هـ أما اتحاف الأريب فتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٩٠٣، وقد طبع فى حماة عام ١٣٤٥ / ١٩٣٦, أنظر عنه :

المقرى : نفح الطيب جـ ٣ ص ٣٠٦، سعيد أعراب : أبو حيان الغرناطى، مجلة البحث العلمى، السنة الأولى، العدد الثالث، جمادى الثانية، رمضان ١٣٨٤ / سبتمبر - يناير ١٩٦٤ ص ٢٤١ - ٢٤٧، د. خديجة الحديثى: أبو حيان النحوى (بغداد ١٩٦٦) ص ١٥٥، ١٨٩، ٢٣٨ .

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٠٣ - ٣٠٥ .

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٧ .

توسطت بين الإجادة والقصور»[1]. ويقول ابن الخطيب أن ابن مرزوق لما أتم شرح كتاب الشفاء للقاضي عياض طلب من علماء المغرب والأندلس أن ينظموا شعرا في ذلك«فطما البحر من الشعر بين مجيد ومقصر،فقلت اسعافا لغرضه[2]...»ولم يكن هذا يعني أن تكون كل هذه الأشعار جيدة بالضرورة، ويبدو أن هذا الأمر هو الذي أوحى إلى الشاعر أبي البركات بن الحاج بوضع كتابه «شعر من لا شعر له»[3].

وكان للشعر عندهم أغراض متعددة منها: المديح [4] ، والغزل، فهم يتغنون بمباهج الحب الموصول، ويصفون آلام الهوى الغائب، ويصورون بألطف الألوان هناء لقاء رقيق، ويبكون في لهجة مشوبة آلام الفراق [5]. ولقد ورث أهل غرناطة ملكة الشعر نظرا لأنسابهم العربية، وكان لما حبا الله به الأندلس من جمال الطبيعة أثر كبير في تحريك مشاعرهم، فمضوا يمتدحون غاباتها وأنهارها وحقولها وحدائقها[6]. ودفعهم هذا الجمال إلي تأمل ضياء الشمس البهيج وصفاء الليالي الساجية تنيرها النجوم. وكانوا - إذا أشرقت نفوسهم بنور الإلهام - تداعت إلى أذهانهم من جديد ذكريات المواطن الأولى التي أقبل منها قومهم، حيث كان اسلافهم يضربون في الفيافي والقفار تحت شمس لافحة ، فكانت تصدر عن نفوسهم بين الحين والحين نفثات فياضة بعصبية جنسية غريبة، كانت تنبعث من أفواهم عنيفة كأنها أعاصير الصحراء - وكان لهم - إلى جانب ذلك - شعر ديني زهدي عامر بالتقى العميق والشوق إلى الله. وكانوا تارة يدعون ملوكهم وشعوبهم إلى الجهاد في سبيل الله بعبارات تتوقد حمية، وأحيانا أخر يرثون الذين استشهدوا، ويتحسرون على المدائن

---

(١) ابن خلدون : التعريف ص ٧٢ .

(٢) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام، قصيدة رقم ١٤٠ .

(٣) المقري : نفح الطيب جـ ٨ ص ١٩٧ وكذلك

Al Abbadi : Op. Cit., p 189 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٠٧ .

(٥) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٧ .

(٦) المقري : نفح الطيب جـ ٤ ص ١٥٠ – ١٥١ .

التى استغلبها العدو، والمساجد التى حولها النصارى إلى كنائس، ويبكون بالدمع السخين مصير أسراهم التعساء الذين كانوا يعانون آلام الأسر فى بلاد النصارى العاتية [١].

وكان أولئك الشعراء يتغنون بما كان لأمرائهم من أريحية وجاه ويطنبون فى وصف بهاء قصورهم ورواء حدائق تلك القصور وكانوا يصحبون أولئك الأمراء إلى ميادين القتال، ويصفون طعان الأسنة، والحراب المخضبة بالدماء، والخيل التى تسبق الريح فى عدوها، ويتوارد فى أشعارهم كذلك ذكر الكؤوس المترعة بالخمر تدور على السمار [٢]، والنزهات الليلية فى زوارق تتهادى على صفحات الماء على ضوء المشاعل، ويصفون فى هذه الأشعار تعاقب فصول السنة، فصلا بعد فصل، وما يطرأ على الطبيعة أثناء ذلك من تطور، فيصفون الورد والربيع وفضله والروض وطيبه[٣]. ويذكرون نوافير الماء ذات الخرير العذب، وغصون الشجر يصافحها النسيم فيميل بعضها على بعض، وقطرات الندى المتألقة على الأزهار، وأشعة القمر المنعكسة على الأمواج. وأبدع أولئك الشعراء قصائد صوروا فيها الطرف التى كانت تضفى على قصور السادة جوا من الترف المصقول: كتماثيل البرونز، والعنبر، وأوانى الزهر الفاخرة، والحمامات ونوافير الماء المرمرية، والغزلان[٤]. كذلك كان هناك شعر النبويات والسلطانيات والإخوانيات والألغاز[٥].

كما كان الشعراء يقرضون الشعر للحصول على العطايا والهبات والمنح[٦].

---

(١) بالنثيا : المرجع السابق ص ٤٧ – ٤٨ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٠٧ – ٢١٢ وكذلك : بالنثيا: المرجع السابق ص ٤٧ – ٤٨ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٣٣٠ – ٣٣١ .

(٤) المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ١١ – ١٢ حيث أورد قصيدة من شعر ابن هذيل (ت ٧٥٣هـ) فى وصف غزالة من نحاس ترمى الماء على بركة، بالنثيا: المرجع السابق ص ٤٧ – ٤٨ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٣١٥ – ٣٢٤ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٤٩ .

ومن بين الشعراء العظماء في هذا العصر أبو الطيب صالح بن شريف الرندى (٦٠١ - ٦٨٤) كان شاعرا أديبا ولد برندة Ronda وعاصر الأحداث التى مهدت لقيام مملكة غرناطة وكان كثير التردد عليها وتنسب اليه القصيدة النونية الشهيرة فى رثاء الأندلس، كما أنه وضع كتابا أسماه «الوافى فى نظم القوافى» وكانت له مشاركة فى الحساب والفرائض وكان محمد الأول بن الأحمر يقربه ويطرب لشعره[١].

نذكر كذلك أبا عبد الله محمد بن على بن ابراهيم بن القاسم ويعرف بابن مرج الكحل، كان شاعراً مفلقاً رقيق الغزل والشعر الوصفى، توفى بجزيرة شقر سنة ٦٨٤هـ[٢]، والشاعر أبا الحسن الرعينى (على بن محمد بن على بن هيضم) أصله من أشبيلية، وأصبح شاعراً للموحدين ثم لابن هود ثم للغالب بالله بن الأحمر أول ملوك بنى نصر، وتوفى عام ٦٦٦هـ[٣]. ومن الشعراء أيضا ملك بن عبد الرحمن ابن على بن فرج ويكنى أبا الحكم ويعرف بابن المرجل، اشتهر شعره بين المغنين والمؤذنين والخاصة والعامة وبطائفة البطالين[٤]. ووضع كتابا اسماه «سلك المنخل» (ت عام ٦٩٩هـ)[٥].

كذلك الشاعر محمد بن على بن هانئ (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) الذى وضع كتبا كثيرة منها : «الغرة الطالعة فى شعراء المائة السابعة»[٦]. والشاعر أبو بكر بن الحكيم (٦٦٥ - ٧٥٠هـ / ١٢٦٦ - ١٣٤٩) الذى ألف ديوانًا شعريًا يسمى «بشارة القلوب» تضمن أخبارا أدبية وصوفية[٧].

ومن بين كبار الشعراء فى غرناطة يقابلنا كذلك يحيى بن أحمد بن هذيل (ت

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٠٧ - ٢١٢ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ١٢ - ١٤ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٣٢٨ .

(٤) أهل البطالة هم أهل الظرف الذين يعملون على اضحاك الناس أنظر : Dozy : p 96

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ١٨٩ - ١٩٦ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٢٢١ - ٢٢٧ .

(٦) انظر : Pons Boigues : Op. Cit., p 319

(٧) انظر : Ibid. p 326 .

٧٥٣هـ) الذى وضع ديوانًا أسماه «السلمانيات والعرفيات»[١]. ولسان الدين بن الخطيب (٧١٣ - ٧٧٦ / ١٣١٣ - ١٣٧٤) الذى يمكن أن نلحظ الطابع الدينى والتصوف فى قصائده التى تتميز بالمحسنات اللفظية، وإذا أستثنينا قصائده المكشوفة[٢]. ، يمكن أن نؤكد أنه «الشاعر الفقيه»، وقد امتدحه ابن خلدون ووصفه بأنه «إمام النظم والنثر فى الملة المحمدية من غير مدافع»[٣].

وقد عالج ابن الخطيب كل موضوعات المدرسة العربية التقليدية وجمع أكثر قصائده فى ديوان أطلق عليه اسم «ديوان الصيب[٤]والجهام[٥] والماضى[٦] والكهام[٧]. » كما وضع ابن الخطيب كتاب «الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة» وقسمه إلى أربع طبقات: الخطباء والصوفية، المقرئين والمدرسين، الكتاب والشعراء، القضاة، ثم ترجم لثلاثة ومائة منهم[٨]. وكتاب السحر والشعر: ويذكر ابن الخطيب أنه لما رأى ولده عبد الله قد ترعرع وشب اغتنم هذه الفرصة واختار له أبياتا من الشعر تشتمل على الوصف والمدح والحكم والزهد والأمثال، لشعراء من المشرق والمغرب من مختلف العصور والبلدان[٩]. كما قام بجمع شعر صديقه أحمد بن صفوان (ت ٧٦٣هـ) فى ديوان اسماه «الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة»[١٠].

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٤٠٩ - ٤١٢ .

(٢) انظرها فى المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٢٨٠ - ٢٨٤ .

(٣) المقرى : ازهار الرياض جـ٢ ص ٢١٨، نفح الطيب : جـ ٩ ص ٢٣٠ وكذلك
Ai Abbadi :Op. Cit., p 189 .

(٤) الصيب : السحاب ذو المطر.

(٥) الجهام : السحاب الذى لا ماء فيه.

(٦) الماضى : النافذ.

(٧) الكهام : الكليل البطئ. هذا وقد حقق هذا الديوان ونشره د. محمد الشريف قاهر (الجزائر ١٩٧٣) .

(٨) حقق هذا الديوان ونشره الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٦٣) .

(٩) نشره وترجمه إلى الاسبانية : José Manuel Continente Ferrer
فى رسالته للدكتوراه من جامعة Complutense بمدريد عام ١٩٧٣ .

(١٠) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ ١ ص ٢٢٩ - ٢٤٠، الكتيبة الكامنة ص ٢١٦ - ٢٢٣ ترجمة رقم ٢٧٧، المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

يقابلنا كذلك ابن زمرك (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣) تلميذ ابن الخطيب وخليفته في الوزارة وعدوه بعد ذلك. وتزين قصائده كل أبهاء الحمراء وجنباتها[١] وشعره «مترام إلى هدف الاجادة خفاجي [٢]. النزعة كلف بالمعاني البديعية، والألفاظ الثقلية، غزير المادة[٣]». وقد وضع الأمير الشاعر اسماعيل بن الأحمر حفيد محمد الخامس كتابا ضمنه شعر ابن زمرك اسماه «البقية والمدرك من شعرابن زمرك»[٤].

من كبار الشعراء يقابلنا كذلك أبو جعفر أحمد بن خاتمة الانصاري الاليري (كان حيا في عام ٧٧٠ / ١٣٦٩)، وقد جمع قصائده في ديوان يتناول موضوعات شعرية مختلفة مثل مدح الله والرسول، والنسيب، والملح، والحكم، والموشحات،[٥]. كذلك وضع هذا الشاعر مجموعة من الشعر على نمط التورية جمعها تلميذه أبو جعفر بن زرقلة في عام ٧٦١ / ١٣٦٠ بعنوان «كتاب فائق التحلية في فائق التورية»[٦].

نذكر كذلك الشاعر القاضي محمد الشريف الغرناطي الحسني [٧](ت ٧٦٠ / ١٣٥٨)، الذي ولد في سبتة وقضى جانباً كبيرا من عمره في غرناطة ووضع ديوانا أسماه «جهد المقل». كما قام بوضع شروح لبعض الموضوعات الشعرية مثل القصيدة المقصورة التي وضعها الشاعر أبو الحسن حازم القرطاجني (٦٠٨ / ١٢١١

---

(١) انظر : E. García Gómez : Cinco poetas musulmanes p 259,

(٢) نسبة إلى ابن خفاجة شاعر الطبيعة الاندلسي.

(٣) المقري : نفح الطيب جـ ١٠ ص ٦ .

(٤) المقري : أزهار الرياض جـ ٢ ص ١١ .

(٥) نشرت هذا الديوان Soledad Gibert في رسالتها للدكتوراه ثم نشره الدكتور محمد رضوان الداية (دمشق ١٩٧٢).

(٦) مخطوط الاسكوريال رقم ٤١٩ وأنظر Soledad Gibert : Un tratado de Ibn Jatima, (Al Andalus XVIII, 1953 fasc I, p 2)

(٧) عنه انظر : ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٢٩ – ١٣٣ ، النباهي : المرقبة العليا ص ١٧١ – ١٧٧، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٩٠ – ٢٩١ ، المقري : دفع الطيب: جـ ٧ ص ١١٦ – ١٢٠ وكذلك:
Mujtar Al Abbadi : Op. Cit.

- ٦٨٤ / ١٢٨٥) وقدمها إلى سلطان تونس المنتصر بالله الحفصي، وقد أطلق على هذا الشرح «رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة» [١]. والقاضي أبا بكر محمد بن عبيد الله بن منظور القيسي (ت ٧٥٠هـ) الذي وضع كتابا أسماه «نفحات النسوك، وعيون التبر المسبوك، في أشعار الخلفاء والوزراء والملوك» [٢]. وأبا البركات بن الحاج البلفيقي (ت ٧٧٣ / ١٣٧١ - ١٣٧٢) الذي جمعت أشعاره في ديوان «العذب والأجاج من شعر أبي البركات بن الحاج» وهو مفقود اليوم. [٣].

يقابلنا كذلك الأمير النصري اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الذي قضى الجزء الأكبر من حياته في فاس (ت ٨٠٧ / ١٤٠٤)، وقد وضع كتابا أسماه «نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان» ضمنه أشعارا كتبها بعض رجال الأسر الحاكمة في المغرب: الموحدون، الحفصيون، الزيانيون، والمرينيون، وكذلك أشعار بني الأحمر ووزرائهم وكتابهم في القرن الثامن الهجري [٤]. وله كذلك «فريد العصر في شعر بني نصر» [٥].

وفي القرن التاسع الهجري (١٥م) وضع السلطان يوسف الثاني ديوانا من الشعر ضمنه قصائد على النمط التقليدي [٦]. ومن شعراء هذا القرن نذكر أبا عبد الله محمد بن ابراهيم الشران الغرناطي، الذي كان كاتبا للدولة النصرية حوالي عام ٨٣٧ / ١٤٣٣ وكتب أرجوزة وقصيدة لابيه في علم الفرائض [٧]. وأبا يحيى بن

---

(١) نشر في القاهرة في مجلدين في عام ١٣٤٤ / ١٩٥٢ انظر:

Al Abbady : Op. Cit., p 192 . n 2.

(٢) النباهي : المرقبة العليا ص ١٥٤ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) جـ ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ ، النباهي : المرقبة العليا ص ١٦٤ - ١٦٧، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٩١ - ٢٩٥، المقري: نفح جـ ٧ ص ٣٩١ - ٤٠٨ .

(٤) نشره محمد رضوان الداية (بيروت ١٩٦٧) .

(٥) ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٨ .

(٦) نشره عبد الله كنون (القاهرة ١٩٦٥ (الطبعة الثانية) انظر كذلك: عبد الله كنون الحسني: ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث بصحيفة المعهد المصري بمدريد، العدد الأول السنة الأولى ص ٣٣ - ٣٩ .

(٧) المقري : أزهار الرياض جـ ١ ص ١٣٣ .

عاصم الذى عرف باسم ابن الخطيب الثانى وقد وضع عددا من القصائد [١]. كذلك وضع أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي المشهور بالدقون (ت ٩٢١هـ) قصيدة اسماها «الموعظة الغراء بأخذ الحمراء» يبكى فيها الاندلس وغرناطة[٢].

وأخيرا نذكر الشاعر عبد الكريم القيسى الذى يعتبره المؤرخون آخر شعراء غرناطة الاسلامية، وقد أدرك محنة سقوطها، ورثاها بقصائد يملؤها الحزن على ما ضاع[٣].

ولما كثر الشعر فى الاندلس «وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية، أستحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح ينظمونه أسماطاً أسماطاً وأغصانًا أغصانًا، يكثرون من أعاريضها المختلفة، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحدا ويلتزمون عدد قوافى تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهى عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل فى القصائد وتجاروا فى ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس جملة الخاصة والعامة لسهولة تناوله وقرب طريقه»[٤].

وتقدم فن الموشحات والزجل فى غرناطة تقدما كبيرا، وكان يمارسه العلماء، ورجال النحو فى أوقات فراغهم[٥]. نذكر منهم لسان الدين بن الخطيب مؤلف الموشحة الشهيرة التى خصصها للسلطان محمد الخامس ومطلعها:

---

(١) المقرى : أزهار الرياض جـ ١ ص ١٧٩ - ١٨٦ ، نفح جـ ٦ ص ٣٢٢ - ٣٢٥ .

(٢) المقرى : أزهار الرياض جـ ١ ص ١٠٤ - ١٠٨ .

(٣) د. محمود مكى : عبد الكريم بن محمد القيسى الغرناطى آخر شعراء الاندلس، مجلة العربى أكتوبر ١٩٦٧ ص ٥٣ - ٦١ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٥٨٣ - ٥٨٤، المقرى نفح الطيب جـ ٩ ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٥) انظر : Dr. A.M. Al Abbady : Op. Cit., p 193 .

جادك الغيث إذا الغيث همى　　　　　يازمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلمًا　　　　　فى الكرى أو خلسة المختلس[1].

هذا وقد كتب ابن الخطيب كتابا اسماه «جيش التوشيح» ضمنه مائة وخمسًا وستين موشحة لستة عشر وشاحا من أعلام الوشاحين [2]، ثم قام عبد العزيز بن محمد القشتالى (٩٥٢ - ١٠٣٢ هـ) بوضع ذيل لهذا الكتاب اسماه «مدد الجيش»[3].

كما وضع ابن زمرك عدداً من الموشحات أشهرها «الصبوحيات»[4]. وتلك التي عارض بها موشحة الشاعر ابن سهل[5]، وثالثة خصصها لحفل ختان ثلاثة من أحفاد محمد الخامس[6]. وخصص الشاعر ابن خاتمة جزءاً في آخر ديوانه ضمنه بعض موشحاته[7].

أما الزجل فانه كان يكتب باللهجة العامية ، وحقق انتشاراً كبيراً بين الشعب الغرناطي ، وكانوا يصيغونه علي شكل أغنية مستخدمين أوزان الشعر القديم ، ولكن بلهجة عامية .[8]

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ص ٥٨٦ ، المقرى : المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٢٥ .

(٢) حققه ونشره هلال ناجي (ترنس ١٩٦٧) .

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ ٩ ص ٢٧٧ .

(٤) المقرى : نفس المصدر جـ ١٠ ص ١١٠ وما بعدها.

(٥) المقرى : نفس المصدر جـ ١٠ ص ١٠٨ وما بعدها.

(٦) انظر : E. García Gómez : Cinco poetas musulmanes p 221 .

(٧) انظر الديوان ص ١٤٣ - ١٧٨ وكذلك Soledad Gibert, Op. Cit.

(٨) المقري : جـ٩ ص ٢٢٨ وكذلك : J. Ribera : Música de las Cantigas p 71, Mujtar Al Abbay : Op. cit. p. 194 .

ومن مؤلفي الزجل نذكر ابن الخطيب الذي كان يقلد في بعض أزجاله المتصرف ابي الحسن الششتري (ت٦٦٨/ ١٢٧٠) [١] كما كان محمد بن عبد العظيم (من أهل وادي آش) ومعاصر لابن الخطيب " إماماً في هذه الطريقة " (٢) كذلك كان لأبي عبد الله العقيلي اليد الطولي في الموشحات [٣] .

فن المقامة :

المقامه فن مشرقي انتقل الي المغرب والأندلس واستمر الأندلسيون في مزاولة كتابة هذا النوع من الأدب حتي سقوط مملكة غرناطة . والمقامة فضلا عن طرافتها كقطعة أدبية ، لها قيمتها التاريخية من حيث كونها صورة للمجتمع الغرناطي الذي كتبت فيه ، والذي لا نعرف عنه الا الشئ القليل لندرة المراجع التي تناولت الحديث عنه [٤] .

وتقدم فن المقامة في غرناطة في ظل الدولة النصرية تقدماً كبيراً ، وظهر الكثير من كتاب المقامات مثل ابن الخطيب الذي وضع مقامة " خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف " [٥] ، التي يصف فيها جولة تفتيشية صحب فيها سلطانه أبا الحجاج يوسف الاول . ٧٣٣-٧٥٥/١٣٣٣-١٣٥٤) في مدن المملكة ويروي ترحيب الشعب بالموكب الملكي . ويلاحظ علي هذه المقامة المغالاة في استخدام المحسنات اللفظية .

هناك مقامة أخري لابن الخطيب هي " مفاخرة مالقة وسلاً " [٦] حيث يضع

(١) المقرى : ازهار الرياض جـ٢ ص ٢١٨ .

(٢) المقرى : المصدر السابق جـ٢ ص ٢١٨ .

(٣) المقرى : نفح الطيب : جـ٦ ص ٣٠٢ - ٣٠٧ .

(٤) د. أحمد مختار العبادي : مقامة العيد لابي محمد عبد الله الازدي ، صورة من صور الحياة الشعبية في غرناطة . صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد المجلد الثاني العددان ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ١٥٩ - ١٧٣ .

(٥) نشرها : Muller في كتابه Beitrage zer Geschichte der Westlichen Araber (Munchen 1866).

ثم اعاد الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي نشرها في كتابه مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والاندلس (الاسكندرية ١٩٥٨) ص ٢٥ - ٥٣ .

(٦) نشرها مولر في كتابه السالف الذكر ص ١-١٣ ثم أعاد الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي نشرها في مشاهدات ص ٥٧-٦٦ وترجمها الاستاذ جارثيا جومث بعنوان :

E. García Gómez : El parangon entre Málaga y Salé (Al Andalus Vol . II, 1934 pp. 183-196 .

المدينة الاندلسية فى مرتبة ارفع من الناحية الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية عن زميلتها المغربية . و " مقامة " معيار الاختبار فى ذكر المعاهد والديار " حيث يعطينا ابن الخطيب وصفاً لاهم مدن المغرب الاقصى وأربع وثلاثين مدينة غرناطية قام بزيارتها (١) . كما وضع ابن الخطيب كذلك " مقامة السياسة " (٢) .

كذلك وضع ابو الحسن النباهى المقامة " النخيلية " وهى عبارة عن مجادلة بين نخلة وكرمة ، وأن كانت هذه المقامة أقل من مقامات ابن الخطيب من حيث استخدام المحسنات اللفظية الا أنها تظهر معرفة المؤلف لكثيرمن التعريفات والمصطلحات الفنية النباتية (٣) .

كما وضع الفقيه عمر المالقي عدة مقامات منها مقامة فى أمر الوباء (فى عام ٨٤٤/ ١٤٤٠) ، "وتسريح النصال ، إلى مقاتل الفصال " ويقول المقرى انها كانت " عند العامة محفوظة وعند الخاصة مرفوضة " (٤) .

أخيراً نذكر الشاعر الغرناطى الأديب أبا محمد عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله ابن ابراهيم بن عبد الله الأزدى المعروف بن بابن المرابع (ت٧٥٠/ ١٣٥٠) وهو من أهالى مدينة بلش مالقة ، وقد كان الأزدى صديقاً لابن الخطيب الذى أفرد له فى احاطته ترجمة طويلة كما أورد كذلك مقامه ساسانية كتبها ابن المرابع إلى حاكم مالقة أبى سعيد فرج بن نصر ، يستجديه أضحية بمناسبة العيد (٥) .

---

(١) نشر فرانشيسكو سيمونيت الجزء الخاص بغرناطة في كتابه
Descripcion del Reion de Granada (Madrid 1860) .
ونشر موللر في كتابه المذكور الجزء الخاص بالمغرب ص ٧٤ - ٩٩ ، هذا وقد أعاد الأستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادي نشرها في مشاهدات ص ٦٩ - ١١٥ .

(٢) أوردها المقري في نفح الطيب جـ٩ ١٣٤ - ١٤٩ .

(٣) نشرها موللر في كتابه السالف الذكر ص ١٣٩ - ١٦٠ .

(٤) ابن الخطيب : ازهار الرياض جـ١ ص ١١٦ - ١٢٥ ، نفح الطيب : جـ٦ ص ٣٤٥ .

(٥) انظر : د. أحمد مختار العبادي : مقامة العيد لابي محمد عبد الله الازدي ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد المجلد الثاني العددان ١-٢ ، ١٣٧٣ / ١٩٥٤ ص ١٥٩ - ١٧٣ .

النحـــــو :

كان : النحو عندهم في نهاية من علو الطبقة ، حتي انهم في هذا العصر كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لايزداد مع هرم الزمان الا جدة ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه ، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو - بحيث لا تخفي عليه الدقائق - فليس عندهم بمستحق للتمييز ، ولا سالم من الازدراء " [1] .

ومن النحويين في هذا العصر نذكر سهل بن مالك الأسدي صاحب الألفية المعروفة باسمه (ت٦٣٩هـ) [2] . وأباحيان الغرناطي (٦٥٤ - ٧٤٥) الذي تلقي علومه في فرناطة ومالقة ، ولقب بشيخ النحاة أو إمام النحاة لعلمه الغزير في هذا الباب الي جانب التفسير والحديث والفروع وغيرها من العلوم الإسلامية وقد استقر أبو حيان في القاهرة بعد جولة قام بها في العالم الاسلامي [3] . ووضع عـــدداً من المؤلفات في النحو نذكر منها " كتاب الاسفار ، في الملخص من كتاب الصفار " شرحاً لكتاب سيبويه ، وكتاب " التجريد لاحكام سيبويه " [4]، وتحفة الندس في نحاة الأندلس " جمع فيه تراجم لنحاة الأندلس وكان مصنفاً ضخماً يقع في ستين مجلداً ولكنه للاسف لم يصل الينا [5] .

نذكر كذلك أحمد بن الحسين بن علي الزيات الكلاعي من بلش مالقة (ت٧٢٨هـ) الذي صنف كتاباً في النحو أسماه " وصف نفائس اللآلي ووصف عرائس المعالي في النحو " [6] وابراهيم بن موسي ...... اللخمي الغرناطي الذي وضع كتاب " شرح علي الخلاصة في النحو " [7] .

(١) المقري : نفح الطيب جـ١ ص ٢٠٦ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٣٦٧ - ٣٧٤ .

(٣) المقري : نفح الطيب جـ٣ ص ٢٨٩، وما بعدها ، د. أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ٣ ص ٩٤ - ٩٥، بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٨٧ - ١٨٨ ، د. خديجة الحديثي : ابو حيان النحوي (بغداد ١٩٦٦)
Pons Boigues : Op. cit. pp. 323-326 .

(٤) المقري : نفح جـ٣ ص ٢٨٩ وما بعدها .

(٥) المقري : نفح جـ٣ ص ٣٠٧ ، الدرر السفر الرابع ص ٣٠٥ ، د. خديجة الحديثي : المرجع السابق ص ٢٥١ .

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٤٣ - ٤٤ .

(٧) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٤٦ - ٥٠

العلوم الاجتماعية

علم التاريخ والمؤرخون :

كان للأحداث الجسام التي صاحبت قيام مملكة غرناطة ، وواكبتها طوال حياتها أثرها الكبير علي تطور علم التاريخ بالأندلس في هذا العصر . فالصراع الدائم المستمر بين مسلمي الأندلس والإسبان ، والذي أدي إلي فقدان كل الأراضي الأندلسية تقريباً ، جعل مدوني التاريخ يتأملون مسيرة تلك الأحداث ويجهدون أنفسهم في البحث عن أسبابها وسوابقها . فتحول علم التاريخ من مجرد ذكر للأحداث وتسلسلها إلي نوع من التاريخ الفلسفي والإجتماعي تدرس فيه الأحداث متصلة دون انقطاع . فعلي سبيل المثال نجد أن ابن خلدون في مقدمته يبحث في الأسباب المختلفة التي تقوم عليها الدول والتي تؤدي إلي سقوطها ، وهي بهذا يمكن اعتبارها أول فلسفة دونت للتاريخ [١] .

ثم نجد ان ابن الخطيب في مقدمته للإحاطة [٢] ، واللمحة البدرية [٣] يعبر عن هذا المفهوم فيقوم بتفسير الأحداث التاريخية بالرجوع الي أسباب جغرافية واقتصادية واجتماعية ، ويقوم باستخدام الآثار عندما - علي سبيل المثال - ينقل في كتبه نقوش شواهد القبور واللوحات الحجرية [٤] .

ومع أن كثيراً من الكتب التاريخية الغرناطية تعتبر مفقودة اليوم ، إلا أنه يمكن أن نلاحظ أن معظم موضوعات تلك الكتب كانت تصويراً حياً لما شاهده المؤلف أو انعكاساً صادقاً لما يحسه نحو وطنه [٥] . فابن الخطيب في رسالة له بعنوان

---

(١) انظر : Mujtar Al Abbady : Op. cit. p. 196-197 .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٨٧-٩٦ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩ - ١١ .

(٤) انظر علي سبيل المثال : ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ٣٦-٣٧ ، ٥٥-٥٦ ، ٦٣-٦٤ وكذلك : Lévi Provencal : Inscripcions arabes d''Espagne pp. 144-145, Lafuente Alcántara :Inscripciones arabes de Granada pp. 207-240 .

(٥) انظر : M. Al Abbady : Op. cit ., p. 197 .

(٦) انظر الرسالة في مشاهدات ص ٥٧-٦٦ .

"مفاخرة مالقة وسلا " [٦] ، يضع المدينة الأندلسية في مركز أكثر ارتفاعاً في كل أوجه المقارنة، مما يفهم منه روح الكبرياء لدي الشعب الأندلسي حتي ولو أغفل واجب المجاملة والشكر [١] .

ثم نجد ابن الخطيب في مقدمة احاطته يذكر أن الدافع الرئيسي وراء كتابة هذا العمل العظيم هو واجبه نحو وطنه مثلما فعل مؤرخون آخرون في فاس أو بغداد أو دمشق وغيرهم [٢] . كذلك فقد راودت غرناطيين آخرين فكرة كتابة تاريخ لبلدهم مثل ابن جزي ، وابن اسحاق النميري ، وابي القاسم الغافقي [٣] .كذلك قام ابن خاتمة الانصاري الالميري بوضع كتاب عن تاريخ مدينته ، ذكره ابن الخطيب في احاطته بعنوان " مزية المرية علي غيرها من البلاد الأندلسية " وقد قرأ المقري هذا الكتاب واستفاد منه كثيراً [٤] . كما قام أبو البركات بن الحاج البلفيقي الألميري بوضع كتاب عن المرية وبجانة [٥] ، ولكنه للاسف لم يصل الينا كاملا [٦] .

وصنف ابو بكر بن خميس (ت٦٣٦/١٢٣٨) تاريخاً للجزيرة الخضراء ، وذيلا لتاريخ مالقة لابن عسكر [٧] المسمي " مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار وتقييد مالهم من المناقب والآثار " [٨] . كما وضع محمد بن محمد بن ادريس من أهل اصطبونة كتابا عن

(١) انظر : E. García Gómez : El paragon entre Málaga y Salé Al Andalus II 1934 fasc. I p. 184 ,
M. Al Abbadi : Op. cit. p. 197-198 .

(٢) ابن الخطيب الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٩٠-٩١ .

(٣) ابن الخطيب :الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٨٥ ، ابن حجر : الدرر السفر الرابع ص ١٦٥-١٦٦ ترجمة رقم ٤٤٠ ، المقري : نفح الطيب جـ٩ ص ٣١٣-٣١٤ .

(٤) المقري : ازهار الرياض جـ٢ ص ٢٥٢-٢٥٥ ، ٣٠٣، جـ٣ ص ٨-١١ ، نفح الطيب : جـ٧ ص ٣٩٥ وكذلك Al Abbadi : Op. cit. p. 198 .

(٥) تذكر بعض المواجع انها كانت بربجة انظر : Pons Biogues : Op. cit. p. 333

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٩٣ . وأنظر قائمة مؤلفاته في :
Soledad Gibert : Abu L-Barakat al Balafiqi, qadi historiadar y poeta, Al Andalus, Vol. XXVIII, 1963 , fasc 2, pp. 422-424 .

(٧) انظر : Pone Boigues : Op. cit., p. 331 - 332, J. Valvé Bermejo : Una fuente importante de la historia de Al Andalus ; La " Historia " de Ibn Askar, Al Andalus Vol. XXXI, 1966, fasc 1-2 pp 237-265 .

(٨)ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ، السفر السادس ، ص ٤٤٩ - ٤٥٣ ترجمة ١٢١٨ .

بلده أسماه " الدرر المكنونة فى محاسن اصطبونة " [١] ويفهم من الاحاطة أن القاضى ابا الحسن النباهى أكمل كتابا فى تاريخ مالقة لمؤلف مجهول اسماه " ذيل على تاريخ مالقة " [٢] .

وإلى جانب هذه المؤلفات التاريخية ذات الطابع المحلى ، وضعت بغرناطة كتبٌ فى التاريخ الاسلامي والأندلسى بصفة عامة ، ومملكة غرناطة بصفة خاصة نذكر منها كتاب ابن سعيد المغربى (ولد عام ٦١٠/١٢١٣) " المغرب فى حلى المغرب " [٣] و " المشرق فى حلى المشرق " و "الطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد "[٤] والعيون الدعج فى حلى بنى طغج " [٥] ، والقدح المعلى فى التاريخ المحلى " الذى اختصره ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل [٦] . كما كتب احمد بن عبد الحق ابن محمد بن عبد الحق الجدلى المالقى كتابا فى تاريخ غرناطة (٦٧٨ - ٧٢٥هـ) [٧] ، ووضع المؤرخ ابن القرا (أبو بكر عتيق بن أحمد بن يحيى الغساني) (٦٣٥-٦٩٠) كتابا عن تاريخ ملوك غرناطة أسماه " نزهة الأبصار فى نسب الأنصار " [٨] ، ووضع ابن السراج (ت.٧٣٠هـ) كتابا أسماه " السر المذاع فى تفضيل غرناطة على كثير من البقاع " [٩] .

نذكر كذلك كتاب ابن الخطيب " رقم الحلل فى نظم الدول " الذى يتناول

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٠٩ ، ابن فرحون : الديباج ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٢ .

(٣) نشره د. شوقي ضيف (القاهرة ١٩٦٤) .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق (عنان) جـ١ ص ٢٢٢ ، ابن فرحون : الديباج ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٥) نشره د. زكي حسن ، د. سيدة كاشف ، د. شوقي ضيف (القاهرة ١٩٥٣) .

(٦) حققه ونشره ابراهيم الابياري (القاهرة ١٩٥٩) .

(٧) ابن القاضي : درة الحجال جـ٢ ص ٢٧ .

(٨) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ، السفر الخامس القسم الأول ص ١١٦-١١٧ ترجمة ٢٢٦ وكذلك : Pons Biogues : Op. cit., p. 313 .

(٩) انظر : Pons Biogues : Ibid, p. 319 .

الحديث عن الاسلام ودوله باسلوب شعري [1] . ولابن الخطيب ايضاً كتاب اكثر اتساعاً بعنوان " أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام " [2] وهو عبارة عن تاريخ عام للاسلام وقد اضاف اليه فصلا عن ملوك اسبانيا المسيحية في قشتالة والبرتغال وأراجون وكتاب " الاحاطة في أخبار غرناطة " [3]، وهو عبارة عن موسوعة لتاريخ غرناطة وجغرافيتها واقتصادياتها ورجالها منذ الفتح الاسلامي حتي عصر ابن الخطيب مرتبة حسب حروف المعجم ، وقد قام الاديب محمد بن ابراهيم البشتكي (ت عام ٨٣٠ هـ) باختصاره واسماه " مركز الاحاطة بأدباء غرناطة " [4] .

كما وضع ابن الخطيب ايضاً كتاباً عن تاريخ الاسرة النصرية واسماه " اللمحة البدرية في الدولة النصرية " [5] . وكتاب " طرفة العصر في دولة بني نصر " [6] وهو كتاب مفقود كان يتضمن اخبار هذه الاسرة علي غرار كتاب اللمحة البدرية [7].

نذكر ايضاً القاضي أبا الحسن النباهي (ت بعد عام ٧٧٤هـ / ١٣٩١ م) الذي وضع كتابا بعنوان " نزهة البصائر والأبصار " [8] ، يعرض فيه لتاريخ بني نصر في غرناطة في روايات شيقة . وابن الزبير (ولد عام ٦٢٨) الذي صنف كتابا اسماه " الاعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام " [9] وكتاب "صلة الصلة

---

(١) طبع في تونس عام ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ .

(٢) نشر بروفنسال القسم الخاص بالاندلس في الرباط عام ١٩٣٤ ثم في بيروت عام ١٩٥٦ كما قام الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكتاني بنشر القسم الخاص بالمغرب وصقلية (الدار البيضاء ١٩٦٤) .

(٣) طبع منه جزءان بالقاهرة عام ١٣١٩ / ١٩٠٢ ثم قام الاستاذ محمد عبد الله عنان بنشر المجلد الاول عام ١٩٥٥ ، والثاني عام ١٩٧٤ ، والثالث ١٩٧٥ ، والرابع ١٩٧٧ .

(٤) المقري : نفح الطيب جـ٩ ص ٣٠٨ .

(٥) هو كتاب مختصر فيه نكت وعيون يبدأ بتاريخ الدولة النصرية منذ نشأتها وينتهي بآخر محرم عام ٧٦٥ هـ وقد نشره محب الدين الخطيب القاهرة (١٣٤٧ هـ) وترجمه الي الاسبانية El Padre José María Casiaro .

(٦) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، المقري : ازهار جـ١ ص ١٩٠ ، نفح الطيب جـ٩ ص ٣٠٢ .

(٧) محمد التطواني : ابن الخطيب من خلال كتبه (تطوان) جـ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٨) مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٥٣.

(٩) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة السفر الاول - القسم الاول ص ٣٩ - ٤٥ ترجمة رقم ٣١ ، ابن حجر : الدرر السفر الاول ص ٨٤-٨٦ ترجمة رقم ٢٣٢ .

البشكوالية " [1]. وقد وضع ابن الخطيب كتاب " عائد الصلة" الذى وصل به كتاب استاذه ابن الزبير فى سفرين ، وهذا الكتاب مفقود اليوم ، وواضح من عنوانه انه واحد من سلسلة كتب الصلات فى تراجم أعلام الأندلس ، التى بدأها ابن الفرضى وسار فيها ابن بشكوال وابن الأبار وابن الزبير وابن عبد الملك المراكشى ، ويبدو أن ابن الخطيب سار فى هذا الكتاب على هذا النحو ، اذ يذكر فى احاطته " وعائد الصلة فى سفرين وصلت به صلة الأستاذ ابى جعفر بن الزبير " [2] .

كما وضع الامير اسماعيل بن يوسف بن الاحمر (ت ١٤٠٧/٨١٠) عدة كتب فى تاريخ دول المغرب الاسلامى نذكر منها " روضة النسرين فى اخبار بنى عبد الواد وبنى مرين " [3] .

من المصنفات التاريخية فى غرناطة فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) نذكر كتاب "الجمان فى أخبار الزمان" للشطيبى ، الذى يعود أصله الى شاطبة ، وهو عبارة عن اختصار لكتاب آخر بنفس الإسم كتبه شهاب الدين أحمد الفاسى ، وينقسم الى أقسام ثلاث : الأول يتحدث عن الخليقة منذ بدء العالم إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، والثانى يتناول حياته عليه الصلاة والسلام وسيرته ، أما الثالث فيبحث فى تاريخ الأسر الاسلامية الحاكمة فى المشرق والمغرب حتى عام ١٤٤١/٨٤٥ [4] .

كما وضع ابن عاصم القيسى الغرناطى الأندلسى ذيلا لاحاطة ابن الخطيب أسماه "الروض الأريض ، فى تراجم ذوى السيوف والأقلام والقريض"[5] . و"جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله وقضي" وصف فيه الأيام الأخيرة لمملكة غرناطة الاسلامية ، وشرح فيه سياسة الاسبان فى الوقيعة بين حكام الأندلس ومحذراً للمسلمين من تلك السياسة [6] .

---

(١) نشرة ليفي بروفنسال ، الرباط ١٩٣٨ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٢٤ .

(٣) طبعت بالقصر الملكي بالرباط عام ١٩٦٢ .

(٤) انظر : Pons Boigues : Op. cit., p. 262 .

(٥) انظر المقرى : نفح الطيب جـ ٨ ص ٢٥٥ .

(٦) المقري : ازهار الرياض جـ١ ص ٥٠ ، ٥٣ - ١٤٥ .

الجغرافيا والرحلات في مملكة غرناطة

اعتاد الغرناطيون الذين كانوا يسافرون الي المشرق والمغرب ان يكتبوا انطباعاتهم عن رحلاتهم ويضمنونها لمحات وتقارير عن مشاهير الشخصيات الذين سمحت لهم الظروف بالالتقاء بهم والتعرف عليهم . فعلي سبيل المثال نجد ابن خلدون يكتب لنفسه ترجمة متضمنة تقارير عن رحلاته الي المشرق والمغرب [1] . كما ان ابن الخطيب اثناء فترة نفيه مع سلطانه في المغرب لم يقبع في مدينة فاس وانما حرص علي زيارة البلاد المغربية لمشاهدة اثارها ولقاء العلماء والصالحين بها[2]. وسجل كل ما رأته عيناه وما سمعته أذناه خلال هذه الرحلات فاعطانا بذلك مادة خصبة يرجع اليها الفضل الأول في كل ما نعرفه عن حضارة المغرب الاسلامي في تلك الفترة[3]. ويحتفظ لنا ابن الخطيب بمعلومات وافية عن المدن التي زارها.

من الرحالة في هذا العصر نذكر ابن رشيد السبتي (ولد عام ١٢٥٩/٦٥٧) الذي بعد ان قام بدراسة الحديث والنحو قرر التوجه الي المشرق لاداء فريضة الحج عام ١٢٨٤/٦٨٣ وليواصل دراساته علي يد علماء هذه البلاد . وفي المرية التقي بالوزير ابن الحكيم الرندي ، وجمعت بينهما صداقة قوية وطافا معاً في افريقية ومصر والشام والحجاز لمدة سنوات ثلاث ، عاد بعدها الي سبتة ، ثم اتجه الي غرناطة بدعوة من ابن الحكيم في عام ١٢٩٢/٦٩٢ - ١٢٩٣ حيث عمل اماماً وخطيباً للمسجد الجامع بها ، وبعد مقتل ابن الحكيم في شوال عام ٧٠٨ هـ / مارس ١٣٠٩ ، رحل ابن رشيد الي الدولة المرينية ، حيث عهد اليه بامامة الصلاة في المسجد القديم بمراكش ، ووضع كتابا عن رحلته اسماه "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة الي مكة وطيبة"[4].وقد توفي في عام١٣٢١/٧٢١[5].

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٣٧٩ - ٤٦٤ ، التعريف : نشر محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ١٩٥١) .

(٢) المقري : نفح الطيب جـ٧ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٣) د. أحمد مختار العبادي : انظر مقدمة كتاب مشاهدات لسان الدين بن الخطيب .

(٤) توجد منه بعض قطع مخطوطة بمكتبة الاسكوريال ارقام ، ١٦٨٠ ، ١٧٣٥ ، ١٧٣٦ ، ١٧٣٧ ، ١٧٣٩ . أنظر Hartwing Derenbourg : Les manuscrits arabes el l'Eacurial t. III

(٥) منه انظر : ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٣٢ - ١٣٥ ، ابن حجر : الدرر س ٤ ص ١١١ - ١١٣ ترجمة رقم ٣٠٨ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٣١٠ - ٣١١ ، المقري : ازهار الرياض جـ٢ ص ٣٤٧-٣٥٥ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس : ص ١٨٠ - ١٨٣ .

كذلك قام ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ) برحلات الي المشرق والمغرب زار خلالها كثيراً من المدن والعواصم مثل القاهرة ودمشق والموصل وبغداد والبصرة وأرجان ، وحج ثم عاد وألف كتابا عن رحلته أسماه " النفحة المسكية في الرحلة المكية " [١] .

كما تضافرت اسرة بني سعيد وآخرهم أبو الحسن علي بن موسي علي وضع كتاب " المغرب في حلي المغرب " [٢] الذي تضمن أوصافاً جغرافية لبلاد المشرق والمغرب ، وصنف ابن سعيد ايضاً كتاباً جغرافياً بعنوان "كتاب بسط الأرض في الطول والعرض "[٣] .

هناك أيضاً رحلة خالد البلوي " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق "[٤] التي يميزها الاسلوب المفرط في استخدام القطع الشعرية ، وهي عبارة عن أخبار رحلته الي الاراضي المقدسة . ولد البلوي في قنتورية CANTORIA ، علي نهر المنصورة في ولاية المرية ، ثم رحل هذا القاضي من غرناطة عام ١٣٣٦/٧٣٧م وجال في تلمسان وبجاية والجزائر قبل ان يتجه الي تونس فالاسكندرية ثم القاهرة فالقدس فمكة ، ثم وصل الي طرابلس ، ولم يعد الي تونس الا في عام ١٣٣٩/٧٤٠ . وقد اتهمه ابن الخطيب بانه قد سرق كتاب البرق الشامي للعماد الاصبهاني[٥] .

كذلك وضع ابن الحاج النميري (ولد بغرناطة عام ٧١٣) كتابا اسماه "فيض العباب واجالة قداح الآداب في الحركة الي قسنطينة والزاب " ضمنه اخبار رحلته في تلك البلاد " [٦] .

---

(١) المقري : نفح الطيب جـ ٣ ص ٤٠ .

(٢) نشرة د/ شوقي ضيف القاهرة ١٩٦٤ .

(٣) نشره خوان فرنيط (تطوان ١٩٥٨ (ثم اعاد نشره اسماعيل العربي (بيروت ١٩٧٠) بعنوان كتاب الجغرافيا .

(٤) نشره الاستاذ الحسن السائح في جزءين في المحمدية بالمغرب . .

(٥) عنه انظر : ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٥٠٨-٥١٠ ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ١١٥ ، المقري : نفح الطيب جـ٣ ص ٢٨٥-٢٨٧ ، الحسن السائح : ابو البقاء البلوي ، مجلة البحث العلمي الرباط - العدد الاول ، السنة الاولي ص ١٩١ ، ١٩٥ ، الزركلي : الاعلام جـ٢ ص ٣٣٩ وكذلك :

PONS BOIGUES : OP. CIT., 330-331 .

(٦)ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ٨٧ ، ٩٢ الزركلي : الاعلام جـ١ ص ٤٢-٤٣ ، الكتاني : فهرس الفهارس والاثبات جـ١ ص ٩٨ .

وقد ترك لنا ابن الخطيب معلومات وافية عن رحلته الي المغرب في كتابه "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب"[1] . التي كتبها بين عامي ١٣٥٩/٧٦٠ ، ١٣٦٢/٧٦٣ ، واعطانا باسلوبه المميز وصفاً لجبل هنتاتة (أعلي اطلس الاوسط) حيث توفي السلطان المريني ابا الحسن ، واغمات حيث زار الآثار والمساجد والمدراس والمقابر والتقي بكبار الشخصيات ، ولم يفته زيارة قبر المعتمد بن عباد ، بعد ذلك يمر الوزير الغرناطي بارض دكالة وأزمور ثم يعود أدراجه الي سلا حيث أقام في رباط قريب من المقبرة المرينية ، ويذكران الهدف من رحلته كان " لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار " [2] .

كذلك تضمنت مقامات ابن الخطيب التي تحدثنا عنها من قبل : خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف ، ومعيار الإختبار في ذكر المعاهد والديار ، ومفاخرة مالقة وسلا ، معلومات جغرافية قيمة عن المغرب والاندلس .

العلوم العقلية في مملكة غرناطة

كان لهجرة الكثير من علماء غرناطة الي الخارج وانشغال من بقي منهم بمشاكل الحياة ومشاغلها اثره في عدم ازدهار هذه العلوم ، بل نجد انهم كانوا يهاجمون من يعمل بها [3] .

ولكن علي الرغم من ذلك فقد نبغ في غرناطة نفر غير قليل من المشتغلين بالرياضيات والفلك والكيمياء والنبات والطب وغيرها ، نظراً لضرورات التوقيت وعمليات البناء والتشييد التي أغرم بها سلاطين غرناطة غراماً كبيراً . وعرف الغرناطيون الساعة الرملية وكانوا يطلقون عليها اسم " المنكانة" [4] .

---

(١) نشره الاستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادي : القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) المقري : نفح الطيب جـ٩ ص ١٩٨ .

(٣) ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٣٢٢ .

(٤) يقول ابن الخطيب في وصف المنكانة :

تأمل الرمل في المنكان منطلقا ... يجري وقدره عمراً منك منتهيا

والله لو كان رادي الرمل ينجده ... ما طال طائلة الا وقد ذهبا

(ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٣١٠ ، المقري : نفح الطيب جـ ٩ ص ٢٠٧ .

ومن علماء الرياضيات نذكر أحمد بن محمد التجيبي (ت٧٠٣هـ) الذي كان له "مشاركة في العدد والتكسير " [١] وابن الحاج المهندس (ت ٧١٤هـ) الذي كان عارفا بالهندسة [٢]. وأبا الحسن علي بن محمد القرشي البسطي القلصادي (ت٨٩١هـ) ومن مؤلفاته " كشف الجلباب عن علم الحساب " و "قانون الحساب" و "شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة و "رسالة في الجبر" [٣].

ونبغ الغرناطيون في دراسة الكيمياء ولعل أكبر دليل علي هذا الأمر معرفتهم لمدفع البارود [٤] ، وتوصلهم الي معرفة بعض العمليات الكيماوية مثل التقطير والتصعيد والتخمير والتكليس والتحليل [٥] .

كما تقدم علم الفلك في غرناطة تقدماً كبيراً وظهر العلماء والمؤلفات الخاصة بهذا العلم ، فكان أحمد بن حسن بن باصة الأسلمي (ت٧٠٩هـ)نسيج وحده ...... معرفة بالهيئة ، واحكاماً للآلة الفلكية" [٦] ووضع أبو بكر بن عبد الملك القضاعة (ت٧٠٧هـ) كتاباً في "ترحل الشمس ومعرفة الأوقات" [٧] . كما قام أبو يحيي بن رضوان الوادي آشي (ت١٣٥٦/٧٥٧) بوضع "منظوم في علم النجوم ورسالة في الاسترلاب" [٨] .

وسار التنجيم الي جانب دراسة الفلك والنجوم ، فيحدثنا ابن الخطيب عن فلكي يدعي أبا جعفر أحمد الانصاري (ت بعد ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢) كان قد أوضح

---

(١) ابن القاضي : درة الحجال جـ١ ص ٦٥ .

(٢) ابن حجر : الدرر السفر الرابع ٦٩ ترجمة ٢٠٣ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ١٨٠ .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٠٩-٢١٠ ، المقري : نفح الطيب جـ٣ ص ٤٤٦ .
ابن مريم : البستان ص ١٤١ - ١٤٣ ، الزركلي : الاعلام جـ٥ ص ١٦٣ .

(٤) انظر الفصل الخاص بالحياة الحربية في مملكة غرناطة .

(٥) المقري : نفح الطيب جـ ٨ ص ٣٠٥ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٢١١ .
، ابن حجر : الدرر س١ ص١١٩ ترجمة ٣٣٠ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٠٩ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة)جـ٢ ص ١٠١ وكذلك :
Pons Boigues : Op. cit., p. 329, Abbady : Op. cit,m p. 203 .

للسلطان أبي سعيد البرميخو اليوم الذي سيقوم فيه بالثورة ضد السلطان الشرعي محمد الخامس ، وقد كتب هذا المنجم بعد ذلك إلي محمد الخامس في منفاه بفاس يبشره بعودته الي العرش ومؤكداً له أنه هو نفسه قد قاسي الكثير من السلطان المغتصب ، وقد تحققت نبوءته واستعاد محمد الخامس عرشه مرة أخري ، حيث قام بانزال عقوبة الضرب بالسوط علي هذا الفلكي وأبعده الي تونس ، نظراً لاتهامه بالتعاون مع البرميخو (1) .

كذلك وضع ابن الحكيم اللخمي (ت ٧٥٠ هـ) كتابا اسماه " بشارة القلوب بما تخبر به الرؤيا من العيون " (2) .

ويروي لنا ابن خلدون كيف ان الفلكي ابن زرزر الطبيب الخاص لمحمد الخامس ثم لبدرو الاول ملك قشتالة قد تنبأ في عام ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ ، بظهور الزعيم المغولي تيمور لنك (ت ٨٠٧ / ١٤٠٥) (3) .

بل اننا نلاحظ ان ابن الخطيب نفسه كان من المهتمين بدراسة الفلك (4) .

وكانت الفلسفة والمنطق من الدراسات غير المرغوب فيها في الأندلس (5) . ولذلك نجد أن عدد الفلاسفة في غرناطة لم يكن كثيراً نذكر منهم علي بن محمد بن علي القرشي البسطي المعروف بالقلصادي الذي شرح كتاب "ايساغوجي" في المنطق(6) كذلك كان عبد الحق بن سبعين (ت ٦٦٩/ ١٢٧٠) من الفلاسفة الذين نادوا بوحدة الوجود (7). كما وضع القاضي ابو بكر محمد بن عبد الله بن منظور القيسي (ت ٧٥٠ هـ) كتابا اسماه " السحم الواقفة ، والظلال الوارفة ، في الرد علي ما تضمنه المظنون من اعتقادات الفلاسفة (8) .

---

(1) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان)جـ١ ص ٢١٢ - ٢١٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنة السفر الاول ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ترجمة رقم ٧٨٠ .

(2) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة)جـ٢ ص ٢٠٢ .

(3) ابن خلدون : التعريف ص ٣٧١ وكذلك : Abbadi : Op. cit., p. 204 .

(4) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٣١ - ١٣٧ .

(5) المقري : نفح الطيب جـ١ ص ٢٠٥ .

(6) ابن مريم : البستان ص ١٤١ - ١٤٣ .

(7) الزركلي : الاعلام جـ٤ ص ٥١ .

(8) النباهي : المرقبة العليا ص ١٥٤ .

واهتم الغرناطيون بدراسة النبات وظهر العلماء الذين قاموا بوضع الكثير من المؤلفات في هذا الموضوع ، نذكر منهم أبا محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقي (ت بدمشق ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) الذي كان إمام النباتيين وعلماء الأعشاب ، جاب المغرب لدراسة النبات وصار رئيس العشابين في مصر حيث ألف موسوعة في هذا الشأن بعنوان "الجامع في الأدوية المفردات" جمع فيهما كل ما سمع من تصانيف الأدوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الإدريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم [١] .

وابن السراج (ت ٧٣٠ بغرناطة) الذي كان " له علم بالعشب وتمييز اعيان النبات " [٢] .

وعالم النبات والطبيب الجراح محمد بن فرج القربلياني الملقب بالشفرة (من Crevillante في مقاطعة القنت Alicante) (ت ٧٦١/ ١٣٦٠) . الذي كانت لديه حديقة نباتية في وادي آش خصصها لتجميع ودراسة النباتات النادرة والعجيبة " ارتاد المنابت وسرح بالجبال لاحضارها " [٣]. ويذكر ابن الخطيب أن هذا العالم قد وضع كتابا في النبات، وأن كان لم يصل الينا للاسف[٤].

الطب في مملكة غرناطة :

تقدم علم الطب في مملكة غرناطة سواء من ناحية طرق العلاج أو عمل الدواء[٥] ، ويفهم من النصوص انه كان للاطباء شيخ يتولي تصريف امورهم ، كما

---

(١) المقري : نفح الطيب جـ٣ ص ٤٤٤ ، جـ١ ص ٣٤٨ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٤٠ - ١٤١ وكذلك : Pons Boigues : Op. cit., p. 319 .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٤٧ .

(٤) انظر : J. Renaud : Un chirugien Musulman du royaume de Grenade : Muhammad As safra ; Hespéris 1940 pp. 97-98 .
Al Abbadi : Op. cit., p. 186 .

(٥) يروي ابن الخطيب في احاطته (لوحة ١٥٢) أن الطبيب محمد بن محمد بن ميمون الخزوجي (ت عام ٧٠٧ هـ) كانت له خمر مخبأة في كرم كان له بالمرية ، فسرقها جماعة من اللصوص فعمد الي جرة وملأها بخمر أخري وجعل فيها شيئاً من العقاقير المسهلات وأشاع أن الخمر العتيقة التي كانت له لم تسرق وانما هي باقية بموضع كذا فعمد إليها أولئك اللصوص وأخذوا في تناولها فعادت إليهم بالاستطلاق القبيح المهلك فقصدوا اليه وعرضوا عليه ما أصابهم فاشترط عليهم أن يردوا له ثمن ما أخذوه ثم يبدأ في علاجهم فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره وسلموه له فشرع في هذا العلاج حتي تم شفاؤهم . (راجع ابن الخطيب : الاحاطة لوحة ١٥٢ وكذلك : Al Abbadi : Op. cit. p. 155 - 156 .

كان هناك طبيب خاص بالدار السلطانية [1]، وكان الطبيب يقوم بعمله في محل خاص[2]. ولم يتخصص أطباء غرناطة كغيرهم من الأطباء في العصور الوسطى في الطب فقط ، ولكنهم الى جانب ذلك كانوا يدرسون النبات والحيوان والفلك والعلوم الطبيعية ، كما كانوا يقومون كذلك بمهمة الصيادلة حيث يقوم الطبيب بعمل التراكيب الطبية [3] . ونبغ العديد من الأطباء في ميادين الادب وضربوا بسهم وافر في الشعر وفنونه نذكر منهم ابن الخطيب [4] وابن خاتمة ، وابا القاسم بن سودة الذى كان ينظم الشعر [5] ، ومحمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسى (ت٧١٧هـ) الذى كان يجمع بين الطب والادب [6] .

وتوارثت بعض العائلات مهنة الطب نذكر منها اسرة غرناطية شهيرة هى الأسرة الشقورية(نسبة الى شقورة)[7]. وقد نبغ من أبناء هذه الاسرة عدد من الأطباء في العصر النصرى ، نذكر منهم : أبا تمام غالب اللخمى الشقورى(ت في موقعة طريف ٧٤١/ ١٣٤٠) الذى " حذق العلاج على طريقة المشارقة وأطرف بكثير من أخبارهم " [8]. وأبا عبد الله اللخمى الشقورى الذى كان طبيباً لمحمد الخامس ونال

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص ٢١٣ .

(٢) يقول ابن الخطيب :

رأيت بمخدومي انتفاخا فرابني ـــ وبادرت دكان الطبيب كما وجب

(ديوان الصيب والجهام ص ٢٩٨)

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٨٩ ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٣٣ .

(٤) يقول ابن الخطيب :

الطب والشعر والكتابة ـــ سماتنا في بني النجابة

(المقري : نفح الطيب جـ ٦ ص ٣١٩ ، ازهار الرياض جـ١ ص ١٨٧)

(٥) ابن حجر : الدرر س٤ ص ٢٠٠ ترجمة رقم ٥٤٢ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٤٤ - ١٤٥ ومن شعره يخاطب السلطان على ألسنة الاطباء الذين كانوا يعملون بخدمته وهم أبو الاصبغ بن سعادة وأبو تمام غالب الشقوري .

قد جمعنا بباكم سطر علم ـــ لبلوغ المنى ونيل الارادة

ومن أسمائنا لكم حسن فال ـــ غالب ثم سالم وسعادة

(٧) انظر : Ency . of Islam : Art Segura by Lévi provencal , Mujtar Al Abbadi : Op. cit., p. 205 .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٤ .

شهرة كبيرة " لكثرة حيطته ولطف علاجه ونجاح تجـربته وتـدينه " [1] (كان حيا في عـام ١٣٦٩/٧٧١م) [2] . وقد وضع هذا الطبيب عدداً من المؤلفات نذكر منها رسالة بعنوان " مجربات" حول أمراض الرجال ، من الرأس الي القدم [3] ، وكتاب " تحفة المتوسل وراحة المتأمل " [4] ، وينقسم الكتاب إلي أقسام ثلاثة : الأول يتناول علاج أمراض المعدة ، والثاني يتحدث عن كل أنواع مرض الاسهال ، بينما يضع القسم الثالث نظاما للعجائز . ويذكر المؤلف أنه قام بوضع هذا الكتاب بدافع من مرض الشريف الغرناطي (ت ١٣٥٨/٧٦٠) .

نذكر ايضاً الطبيب محمد بن فرج القريلياني السالف الذكر في علم النبات (ت ١٣٦٠/٧٦١) الذي كان والده أول استاذ له ، وقد تخصص هذا الطبيب في دراسة الجراحة وحقق في ذلك نجاحاً هائلاً . لهذا كان يعرف ايضاً باسم "الشفرة" التي تعني مبضع الجراح Bisturé . وقد وضع كتابا بعنوان "الاستقصا والابرام في علاج الجراحات والاورام" [5] . ويتكون من فصول ثلاث : الأول يتحدث عن علاج الالتهابات والاورام ، والثاني يتناول كسور العظام وعلاجها ، بينما الثالث عن بعض التراكيب المبسطة لعلاج الجروح .

من الأطباء في هذا العصر أيضاً الطبيب محمد بن ابراهيم بن عبد الله الأنصاري ويعرف بابن السراج (٦٥٤ - ٧٣٠ هـ) الذي باشر الطب في الدار السلطانية ويؤثر عنه أنه كان " يؤثر ذوي الحاجة ويخف الي زيارتهم ويعينهم علي

(١) ابن الخطيب :المصدر السابق لوحات ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) ابن خلدون : التعريف ص ١٣٠ .

(٣) توجد منه ثلاث نسخ مخطوطة في الرباط انظر : J. Renaud : Un m´decin du royaume de Grenade : Muhammad Assquri, Hespéris1946 1-2 trim, p. 34. n. 16, Al Abbadi : Op. cit. p. 205 .

(٤) انظر : J. Renaud : Op. cit. pp 31 - 64 ., Al Abbadi OP. cit. p. 205 - 206 .

(٥) مخطوط مسجد القرويين بفاس :

J. Renaud : Un Chirugien musulman du royaume de Grenade , Muhammad Assafra , Hespéris XX 1935 , fasc 1-2pp. 1-2, 1940 pp. 97-98 Al abbadi : Op. cit. pp 186 & 206 .

معالجة عللهم "ويروي أنه لما توفي السلطان محمد الفقيه وهو يصلي المغرب توجه اليه ابن السراج وسأل عن آخر طعام تناوله فأخبر انه كعك كان قد وصله من ولي العهد مما دفعه الي اتهامه بدس السم له ، فسجنه الأمير مدة طويلة [1] . والطبيب ابن الفرا (كان حيا عام ٦٨٥ هـ) الذي نظم أرجوزة بعنوان "نظم الحلي في شرح ارجوزة ابي علي" (يقصد أرجوزة أبي علي بن سينا في الطب) [2] ، والطبيب عيسي بن سعادة الأموي (ت٧٢٨هـ) الذي وضع كتاباً أسماه "كتاب القفل والمفتاح في علاج الجسوم والارواح "تضمن كثيراً من العلم الطبي وما يتصل به [3] . ، والطبيب يحيي بن هذيل (ت٧٥٣هـ) الذي كان طبيباً خاصا للسلطان، ووضع عدداً من المؤلفات الطبية نذكر منها "التذكرة في الطب" و "الاختيار والاعتبار في الطب"[4] والطبيب ابن المهنا تلميذ ابن الخطيب الذي شرح الفية ابن سينا شرحا جميلاً نقل منه لسان الدين كثيرا واعتمد عليه، ونال شهرة واسعة في بلاد المغرب[5] .

كذلك برزت بعض السيدات في مجال الطب نذكر منهن أم الحسين ابنة الطبيب اللوشي ابي جعفر احمد الطنجالي (ت ١٣٤٩/٧٥٠) وكانت طبيبة وأديبة[6] .

ويفهم من النصوص أن بعض اليهود كانوا يمارسون مهنة الطب في مملكة غرناطة [7] .

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) ابن الخطيب :المصدر السابق لوحة ٣٠٠ ، ابن عبد الملك : الذيل والتكملة السفر الخامس ، القسم الأول ص ١١٦ - ١١٧ ، ترجمة رقم ٢٢٦ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٢ .

(٤) ابن الخطيب :المصدر السابق لوحات ٤٠٩ - ٤١٢ .

(٥) المقري : نفح الطيب جـ١٠ ص ١٤٢ .

(٦) ابن حجر : الدرر السفر الاول ص ١٨٣ - ١٨٤ رقم ٤٧٣ .

(٧) المقري : ازهار الرياض جـ٣ ص ١٩٧ حيث يقول ابن جزي :

ورب طبيب اتى متطببا ... ليأخذ ثارات اليهود من الناس
أن جس نبض المرء أودي بنفسه ... سريعاً ألم تسمع بفتكة جساس

كما قام أطباء مملكة غرناطة النصرية بوضع الكثير من الرسائل المهمة حول الطاعون الأسود الذي سري في كل العالم تقريباً في الفترة ما بين عامي ١٣٤٧/٧٤٨ ، ١٣٤٩/٧٥٠ . نذكر من هؤلاء الأديب والمؤرخ والطبيب الشهير أبا جعفر بن خاتمة الألميري ، الذي وضع كتابا أسماه "تسهيل غرض القاصد في تسهيل المرض الوافد " [١] ورسالة ابن الخطيب " مقنعة السائل عن المرض الهائل " [٢] ، وقد أعطانا كلاهما دراسة وافية عن هذا المرض من ناحية ظهوره وأعراضه وانتشاره والوقاية منه " [٣] ، وابن مشتمل الأسلمي (ت٧٦٤هـ) من أهل المرية الذي وضع كتابا في الوباء أسماه " اصلاح النية في المسألة الطاعونية " [٤] .

وقد وضع ابن الخطيب عدداً من المصنفات في الطب بلغ العشرة [٥] منها :

١-ع مل من طب لمن حب [٦]: وقد ذكر أنه قد أهداه للسلطان أبي سالم المريني[٧]. وتحدث في مقدمته بعد مدح السلطان ، انه لم يجد لخدمته أفضل من الطب «الذي تكون الوسيلة منه أول ذريعة لحفظ صحته. وهذا الغرض هو ما هو أصل الدين والدنيا ، وحفظ السجايا البرة، والشيم العليا». هذا وقد وضع ابن الخطيب هذا الكتاب في فاس عام ٧٦١هـ في فترة نفيه هناك، وينقسم الي قسمين : يتناول الأول

---

(١) مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥ وقد نشر في ارشيف F. Gesch . de Mediz, XIX p 38 .
أنظر كــــذلك : M.M. Antuna : Abenjatima de Almería y su tratado de La peste, en Religion y Cultura , Oct. 1928, pp. 68 - 90 .

(٢) مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥ وقد نشر مع ترجمة المانية للعالم الألماني مولر في اكاديمية العلوم البافارية . أنظر :
Bayerische Akademie der Wisenschaft 1963

(٣) انظر : M. Al Abbady : Op. cit., p. 206 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٧ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٣٣ وكذلك : L. Leclerc : Histoire de la Medecine arabes , II, p 286, Pons Boigues : Op. Cit., p. 346 , Al Abbady : Op. cit , p. 207 .

(٦) المقري : ازهار الرياض جـ١ ص ١٩٠ .

(٧) طبع النص العربي لهذا الكتاب مع بيان المصطلحات ومعجم بالأسماء الطبية بمعرفة María Concepcion Vazquez de Benito. Salamanca 1972.

أمراض جسم الانسان والثاني الأمراض الخاصة [1].

٢- المعلومة حول علاج السموم [2].

٣- المسائل الطبية [3].

٤- الاصول في حفظ الصحة في الفصول [4].

٥- الرجز في عمل الترياق [5].

٦- اليوسفي في الطب الذي الفه لأبي الحجاج يوسف الاول[6].

٧- رسالة تكوين الجنين [7] .

٨- رجز في الطب ويتكون من الف وتسعمائة بيت عن جميع الأمراض وأعراضها والوقاية منها وعلاجها . [8]

٩- رجز في الأغذية [9]

---

(١) انظر : J. Renaud: Deux ouvrages perdus de Ibn al Jatib, Hesperis 1946, XXXIII, p. 222, Al Abbadi: Op. Cit. p 207- n. 2.

(٢) المقري : نفع الطيب : جـ٩ ص ٣٠٤، هذا وترجد نسخة من هذا المخطوط بمسجد القرويين بفاس. انظر : د. احمد مختار العبادي : مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في المغرب في :

Hespéris 1959, 3-4, trimestres p 247-249 .

(٣) المقري : المصدر السابق جـ٩ ص ٣٠٦ .

(٤) توجد نسخة ببرلين رقم ٦٤٠١ ، واخري بالخزانة الملكية بالرباط رقم ٧٩٧٠ انظر :

Al Abbadi ; Op. Cit. p 207- n. 5.

(٥) المقري : ازهار الرياض جـ١ ص ١٨٨ .

(٦) المقري : المصدر السابق جـ١ ص ١٨٨ ، نفح الطيب جـ٩ ص ٣٠٤ .

(٧) المقري : ازهار الرياض جـ١ ص ١٨٨ ، نفح الطيب جـ٩ ص ٣٠٦ .

(٨) المقري : ازهار الرياض جـ١ ص ١٨٨ توجد منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامه بالرباط تحت رقم ٣٢٣ .

(٩) المقري : ازهار الرياض جـ١ ص ١٨٩ .

١٠- البيطرة والبيزرة عن الخيل [(١)] .

ومن دراسة المصنفات الطبية في العصر النصري نجد أن الأطباء هناك قد نجحوا في التوصل الي كثير من طرق العلاج من ذلك استعمال الماء المثلج ضد النزيف، والكي بالنار للجروح الفاسدة، والكي ضد نزلات الزكام، واستعمال ماء الحامة وسييرا البيرة للآلام الروماتزمية، كما نجحوا في علاج الماء الأزرق بالعين وذلك باستخراجها او تقليلها، كما اوصوا بتغيير الهواء للمريض بالحمي، وقضاء فترة نقاهة في حدائق حدرة للمرضي بالسل. وكانوا يقومون بربط الأطراف الأربع عند وجود نزيف حاد او اسهال شديد، كما قاموا بدراسة البول، وعرفوا تقدير النبض، وكانت لديهم معرفة واسعة عن الجذام والشلل النصفي وضيق المريء والالتهاب الموضعي والجدري وقاموا بعمل العدسات، وأجروا العمليات الجراحية بنجاح كبير بواسطة الآت حادة كاستخراج السهام، وعلاج الجروح والفتق، وحصوة الكلي والمثانة، بعد تخدير المريض. واعادة العظام المكسورة الي سابق وضعها [(٢)]. كذلك كانوا يقومون بالعلاج «بالرقي والعزايم» لذوي الأمراض النفسية[(٣)]، والتبخير لتنقية الهواء [(٤)]. وأدرك الأطباء أهمية عزل المريض درءا لانتشار العدوي [(٥)]، وأكدوا

---

(١) المقري : ازهار الرياض جـ١ ص ١٨٩ .

(٢) ابـــن الخطيـــب : عمل من طب لمن حب (مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد رقم ٢١١) لوحات ٣١ -٤٥ وكذلك

Antonio gonzalez part: Alturas de las Ciencias medicas en El Reino Al Andalus (Discurso de recepcion en la Real Academia de Medicina (Bareelona 1906), Fidel Fernandez : La medicina en el reino moro de Granada (El Sol, Madrid, 30 de Octubre de 1932), Al Abbady: Op. Cit., p 208.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) جـ١ ص٢١٢ ، ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٣٠٦-٣٠٧. ترجمة رقم ٧٨٠ .

(٤) ابن الخطيب : عمل من طب لمن حب لوحة ٤٧ .

(٥) ابن الخطيب : مقنعة السائل (مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥) لوحة ٤٢.

علي خطورة انتقال المرض عن طريق الملابس والأواني الملوثة[١]، كما أوصي الطبيب محمد الشقوري بغسل الملابس الملوثة نتيجة للاتصال بالمرض في الماء البارد [٢]، ونصح بعدم التردد علي الحمامات العامة في زمن الوباء[٣] .

واقيم في غرناطة «المارستان» في عهد محمد الخامس في الفترة ما بين ٧٦٨/٧٦٧ ، ١٣٦٧/١٣٦٥ [٤]، وكان عبارة عن مبني مستطيل من طابقين له فناء رئيسي به بركة كبيرة تزينها نافورات الماء الذي يتدفق من أسدين من الرخام يقفان علي أرجلهما الخلفية، ويحيط بهذا الفناء اروقة من طابقين، مستندة علي اعمدة من الآجر التي تنتشر الصحون خلفها [٥] .

وهكذا نري انه علي الرغم من الظروف السياسية والاقتصادية البالغة القسوة التي كانت تحيط بمملكة غرناطة، ووقوعها في وسط اعداء يحيطون بها من كل جانب، ويتربصون بها الدوائر .... علي الرغم من كل هذا فقد اهتم ملوك بني نصر في غرناطة بالآداب والعلوم والفنون ، وعادت الي الأذهان ذكري عصر الخلافة في قرطبة، وصارت غرناطة في عصرهم مركز إشعاع ثقافي في المغرب والاندلس ، وأخذت تنير بأضوائها الساطعة وحضارتها المزدهرة كل ما حولها، وأصبحت غرناطة في المغرب الاسلامي مثل القاهرة في المشرق ، تجذب الطلاب من كل فج عميق ،

---

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٤٠ ، ٤٣

(٢) محمد الشقوري : نصيحة (مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥) لوحة ١٠٨.

(٣) محمد الشقوري : المصدر السابق لوحة ١٠٧ .

(٤) انظر :

E. Lafuente Alcantara: Inscripciones arabes de Granada pp 172-175.

(٥) انظر مزيداً من التفصيلات في :

Leopoldo Torres Balbás : El Maristan de Granada Al Andalus IX, 1944 fasc 2, pp 481-498 .

حتى لقد خلبت لب الشاعر فتغنى :

غرناطـــة ما لهـا نظـــير ما مصر ، ما الشام ، ما العراق

ماهي الا العروس تجـلي وتلـك جمـلة الصـــداق [1]

---

(١) المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر المخطوطة

ابن الخطيب : لسان الدين بن محمد عبد الله (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)
- الاحاطة فى أخبار غرناطة مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣
- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب مخطوط الإسكوريال رقم ١٨٢٥ .
- مقنعة السائل عن المرض الهائل مخطوط الإسكوريال رقم ١٧٨٥ .

الشقوري : محمد (كان حيا عام ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)
- نصيحة (رسالة فى الطب) مخطوط الإسكوريال رقم ١٧٨٥ .

النباهي : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقى (ت أواخر القرن الثامن الهجرى) .
- نزهة البصائر والأبصار مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٥٣

النميري : ابن الحاج النميرى (ولد عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣م) .
- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب.
مخطوط مصور عن الخزانة الملكية بالرباط - معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية رقم ١٦٦ .

النويري السكندري : محمد بن القاسم السكندرى المالقى (ألفه عام ٧٧٥هـ).
- كتاب الإلمام بما جرت به الأحكام المقضية فى واقعة الإسكندرية، فى سنة سبع وستين وسبعمائة، وعودها إلى حالتها المرضية . مخطوطة مصورة بمكتبة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عن نسخة دار الكتب المصرية .

ثانيا : المصادر العربية القديمة

ابـن الأبـار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م)

- كتاب التكملة لكتاب الصلة مدريد ١٨٨٧ م

- الحلة السيراء تحقيق د. حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣ .

ابن الأحمر : أبو الوليد (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م)

- كتاب مستودع العلامة ومستبدع العلامة تحقيق محمد التركى التونسى ومحمد بن تاويت تطوان ١٣٨٤ / ١٩٦٤ .

- روضة النسرين طبعة القصر الملكى الرباط ١٩٦٢

- نثير الجمان فى نظم فحول الزمان . تحقيق محمد رضوان الداية بيروت ١٩٦٧ .

الإدريسى : أبو عبد الله محمد الشريف السبتى (ت حوالى ٥٤٨ هـ / ١١٥٤م)

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق تحقيق دوزى ودى خوية ليدن ١٨٩٤ م

الأزدي: أحمد بن ابراهيم بن يحيى الأزدى الفشتالى (ت ٦٦٧هـ / ٦٨ - ١٢٦٩م)

تحفة المغترب ببلاد المغرب، لمن له من الإخوان، فى كرامات الشيخ أبى مروان.

تحقيق ونشر: فرناندو دى لاجرانخا مدريد ١٩٧٤ .

ابـن بـشـكـوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك : (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٣م).

- كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم مدريد ١٨٨٢ م.

البغدادي :صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى (ت ٧٣٩هـ).

- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - ٣ أجزاء تحقيق وتعليق على محمد البجاوى القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٤ .

ابن بطوطة :أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨م).

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - نشر وترجمة ديفريمرى وسانجنيتى . باريس ١٩٢٢ .

أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م).

البكرى : - المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب .

نشر دى سلان الجزائر ١٩١١ .

التجانى :أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧م)

- رحلة التجانى قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب

تونس ١٣٧٨ / ١٩٥٨ .

التمبكتى : أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر المعروف بأحمد بابا (ت ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٧م) .

- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج .

بهامش كتاب الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب لابن فرحون الطبعة الأولى القاهرة ١٣٥١ هـ.

ابن جبير :محمد بن أحمد الأندلسى (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧م)

- رحلة ابن جبير

تحقيق د. حسين نصار.

الجواليقى :أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (٤٦٥ - ٥٤٠هـ)

- المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم تحقيق أحمد محمد شاكر القاهرة ١٩٦٩ .

ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم تحقيق أحمد محمد شاكر القاهرة ١٩٦٩ .

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد (ت ٨٥٢هـ)
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .
أربعة أسفار حيدر أباد الدكن ١٣٤٨ هـ

الحميرى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى (ت فى أواخر ق ٩ الهجري)
ـ صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار فى خبر الأقطار .
نشر ليفي بروفنسال (القاهرة ١٩٣٨)

أبو حيان الغرناطى : محمد بن يوسف بن علي (ت ٧٤٥هـ)
ـ البحر المحيط القاهرة ١٣٢٨ .(ت ٧٧٠هـ) .

ابن خاتمة الأنصارى : ـ ديوان ابن خاتمة الأنصارى ـ حققه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية دمشق ١٣٩٢ / ١٩٧٢ م .

الخشنى : ـ أبو عبد الله محمد بن حارث (ت ٣٦١ هـ)
ـ قضاة قرطبة مجموعة تراثنا القاهرة ١٩٦٦ .

ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)
ـ نفاضة الجراب فى علالة الإغتراب .
تحقيق د. أحمد مختار العبادى القاهرة ١٩٦٧ .
ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام .
أ . ـ الجزء الخاص بتاريخ الأندلس نشره ليفى بروفنسال (بيروت ١٩٥٦).
ب. الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية نشره الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى والأستاذ ابراهيم الكتانى. (الدار البيضاء ١٩٦٤) .

- كناسة الدكان بعد انتقال السكان .

نشر د. محمد كمال شبانة القاهرة ١٩٦٦ .

- الاحاطة فى أخبار غرناطة

أ. جزءان القاهرة ١٣١٩هـ .

ب. نشرة الأستاذ عبد الله عنان الجزء الأول عام ١٩٥٥ والثاني ١٩٧٤ والثالث ١٩٧٥ والثالث عام ١٩٧٧ .

- رقم الحلل فى نظم الدول تونس ١٣١٧ هـ .

- ديوان الصيب والجهام والماضى والكهام .

دراسة وتحقيق د. محمد الشريف قاهر الجزائر ١٩٧٣ .

- اللمحة البدرية فى الدولة النصرية .

صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٤٧ هـ .

- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة .

نشر د. احسان عباس - بيروت ١٩٦٣ .

- جيش التوشيح . حققه وقدم له هلال ناجى

تونس ١٩٦٧ .

- روضة التعريف بالحب الشريف :

تحقيق عبد القادر أحمد عطا القاهرة ١٣٨٧ / ١٩٦٨ .

- كتاب عمل من طب لمن حسب طبع النص العربى مع بيان المصطلحات ومعجم الأسماء الطبية

Maria Concepcion Vazquez de Benito (Salamance 1972 .)

- كتاب السحر والشعر .

نشره وترجمه إلى الإسبانية

Jose Manuel Continente Ferrer Madrid 1973

ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م)
- كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . (٧ أجزاء القاهرة ١٢٨٤ هـ)
- المقدمة (بيروت ١٩٠٠) ، ونشرها د. علي عبد الواحد في أربعة أجزاء .
- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً تحقيق محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ١٩٥١) .

ابن خلدون : ـ أبو زكريا يحيى (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨م)
ـ بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. نشر ألفرد بل الجزائر ١٩٠٣ .

ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان نشر محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٥٠) .

ابن الزبير : أبو جعفر أحمد
ـ صلة الصلة تحقيق ليفي بروفنسال الرباط ١٩٣٨ .

ابن أبي زرع : أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا عام ٧٢٦ هـ) .
ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس .
فاس ١٣٠٥ هـ .

السبتي : محمد بن القاسم بن محمد بن عبد الملك الأنصاري السبتي
ـ بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب. تحقيق محمد بن تاويت. مجلة تطوان العدد التاسع ١٩٦٤ ص ١٧٣ ـ ١٩٣ .

السخاوي : ـ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن
ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع القاهرة ١٣٥٣ هـ .
ابن سعيد المغربي : أبو الحسن علي (٦١٠ ـ ٦٨٥هـ) .
ـ المغرب في حلي المغرب جزءان نشر د. شوقي ضيف القاهرة ١٩٦٤ .
ـ اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى ـ اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل .
تحقيق ابراهيم الإبياري القاهرة ١٩٥٩ .
ـ رايات المبرزين وغايات المميزين .
تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي .
القاهرة ١٣٩٣ / ١٩٧٣ .
ـ عنوان المرقصات والمطربات ١٢٨٦ هـ
ـ كتاب بسط الأرض في الطول والعرض
تحقيق خوان فرنيط خينيس تطوان ١٩٥٨ .
السلاوي : أحمد بن خالد الناصري (١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م)
ـ الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .
أربعة أجزاء في مجلدين القاهرة ١٨٩٤ .
الإشبيلي : أبو بكر بن ابراهيم
ـ كتاب التيسير في صناعة التسفير.
تحقيق عبد الله كنون .
صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد المجلدان السابع والثامن ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ص ١ ـ ٤٢ .
الشيزري : ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة .
تحقيق د. الباز العريني القاهرة ١٣٦٥ / ١٩٤٦ .
الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)
ـ الوافي بالوفيات استانبول ١٩٣١ .

ابـن عـــــــــذارى : أبو العـبـاس أحـمـد بن مـحـمـا (كـان حـيـا عـام ٧١٢هـ / ١٣١٢م)
- البيان المغرب فى إختصار ملوك الأندلس والمغرب .
الجزء الثالث. تحقيق امبروسى هويسى ميراندة ومحمد بن تاويت الطنجى ومحمد ابراهيم الكتانى .
تطوان ١٩٦٠ .
الـعـــــــــذرى : أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨هـ / ٩٨٨م)
- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك .
نشر د. عبد العزيز الاهوانى مدريد ١٩٦٥ .
الـعـــــمـــــرى : شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م)
- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار .
الجزء الخاص بوصف افريقية والمغرب والأندلس. نشر حسن حسنى عبد الوهاب .
ابن غالب الغرناطي: محمد بن أيوب
- نص أندلسى جديد من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس.
تحقيق د. لطفى عبد البديع القاهرة ١٩٥٦ .
الغـــبـــــرينى : أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت ٧١٤ هـ)
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية.
تحقيق محمد بن أبى شنب.
الطبعة الأولى . الجزائر ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م .
ابن فـــرحـــون : برهان الدين ابراهيم بن علي
- كتاب الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب - الطبعة

الأولى القاهرة ١٣٥١ هـ .
- تبصرة الحكام جزءان .
ابن القاضي : أحمد بن محمد بن أحمد (١٢٠٥ هـ / ١٦١٦م)
- جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس - طبعة حجرية (فاس ١٣٠٥هـ)
- درة الحجال فى غرة أسماء الرجال .
نشرعلوش جزءان رباط الفتح ١٩٣٤ .
القلقشندى : أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م)
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا
١٤ جزءا القاهرة مجموعة تراثنا
ابن الكردبوس : أبى مروان عبد الملك بن الكردبوس (كان حيا فى أواخر ق ٦هـ) .
- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط .
نشر د. أحمد مختار العبادى مدريد ١٩٧١ .
الماوردى : أبو الحسن على بن محمد البصرى (ت ٤٥٠ هـ / ٩٥٨م)
- الأحكام السلطانية القاهرة ١٢٩٨ هـ .
أبو المحاسن : جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ / ١٢٥٤م)
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٦) .
المراكشى : عبد الواحد (ت ٦٤٧ هـ)
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد سعيد العريان (القاهرة ١٩٦٣) .
المراكشى : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشى :
- الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة .
. السفر الأول نشر محمد بن شريفة بيروت

. السفر الرابع نشر احسان عباس بيروت ١٩٦٤ .
. السفر الخامس نشر احسان عباس بيروت ١٩٦٥ .
. السفر السادس نشر احسان عباس بيروت ١٩٧٣ .

ابن مرزوق : . المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن
دراسة وتحقيق مارية خيسوس بيجيرا .
الجزائر ١٩٧٥ .

ابن مريم : أبو عبد الله بن محمد بن محمد التلمساني
. البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان
تحقيق محمد بن أبى شنب الجزائر ١٣٢٦ / ١٩٠٨ .

المقرى : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م)
. أزهار الرياض في أخبار القاضى عياض
ثلاثة أجزاء تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبى . القاهرة.
. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.
عشرة أجزاء نشر محمد محى الدين عبد الحميد.

المقريزى : تقى الدين أبو العباس أحمد (ت ٨٤٥ / ١٤٤١) .
. السلوك لمعرفة دول الملوك. نشر محمد مصطفى زيادة.
القاهرة ١٩٣٦ .
. المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار جزءان.
(بولاق ١٢٧٠ هـ)

ابن المؤقت : محمد بن محمد بن عبد الله المدعو بابن المؤقت.
. السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية .
جزءان (فاس ١٣٣٥هـ)

مؤلف مجهول : . نبذة العصر فى أخبار ملوك بنى نصر أو تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب .

تحقيق ألفريد البستاني وترجمة كارلوس كيروس ـ العرائش ١٩٤٠ .

ـ الجمانة في إزالة الرطانة .

بحث في لغة التخاطب في الأندلس وتونس لبعض علماء القرن التاسع الهجرى.

تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب القاهرة ١٩٥٣ .

ـ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية .

تحقيق محمد بن أبى شنب الجزائر ١٩٢٠ .

ـ كتاب مشاهير أعيان فاس فى القديم .

تحقيق عبد القادر زمامة . مجلة البحث العلمى . الرباط شوال / ربيع الثانى ٨٤ / ١٣٨٥ ـ السنة الثانية ـ العدد الرابع والخامس ص ٧٨ ـ ١٠٤ .

ـ الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية .

نشر علوش الرباط ١٩٣٦ .

ـ كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين .

تحقيق امبروزيو أويشى مراندا مدريد ١٩٦٥ .

النباهى : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقى (ت فى أواخر القرن الثامن)

ـ كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا المعروف بتاريخ قضاة الاندلس .

تحقيق ليفى بروفنسال القاهرة ١٩٤٨ .

النويرى : شهاب الدين (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م)

ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب نشر دار الكتب المصرية /

ابن هذيل : أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن هذيل (ق ٨هـ) .

ـ حلية الفرسان وشعار الشجعان .

تحقيق محمد عبد الغنى حسن

القاهرة ١٩٥١ .
- تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس .
نشره وترجمه إلى الفرنسية لويس مارسيه بعنوان
Orenement des Ames et la Devise de Habitants d'El Andalus (Paris 1939)
أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني .
الونشريشي : - أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر.
نشر د. حسين مؤنس - صحيفة المعهد المصري للدراسات الأسلامية بمدريد - المجلد الخامس العددان ١ - ٢ .
١٣٧٧ / ١٩٥٧ ص ١٢٩ - ١٩١ .
شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)
ياقوت الحموي : - معجم البلدان القاهرة ١٩٠٦ .
أبو الحسن علي
ابن يوسف الحكيم : - الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة .
تحقيق د. حسين مؤنس مدريد ١٩٦٠ .

ثالثا : المراجع العربية والأوربية المعربة

الأهـــوانـــى : (د. عبد العزيز)
- سفارة سياسة من غرناطة إلى القاهرة سنة ٨٤٤هـ - مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة - المجلد السادس عشر مايو ١٩٥٤ .
- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة - مجلة معهد المخطوطات، المجلد الثالث، القاهرة ١٩٥٧ .
- كتاب «برامج العلماء فى الأندلس» - مجلة معهد المخطوطات العربية جـ ١ الفصل الأول مايو ١٩٥٥ .

احسان هندى :
- الحياة العسكرية عند العرب دمشق ١٩٦٤ .

أحمد أمين :
- ظهر الإسلام القاهرة ١٩٥٣ .

أشباخ (يوسف) :
- تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان (القاهرة ١٩٤١) .

بالنثيا : (أنخل جونثالث):
- تاريخ الفكر الأندلسى . ترجمة : د. حسين مؤنس . القاهرة ١٩٥٥

بحر : (محمد عبد المجيد):
- اليهود فى الأندلس القاهرة ١٩٧٠ .

بروفنسال : (ليفي)سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها. ألقاها عامى ١٩٤٧ - ٤٨، ترجمها إلى العربية د. محمد عبد

الهادى شغيرة وراجعها الأستاذ عبد الحميد العبادى .
مطبوعات جامعة الاسكندرية عام ١٩٥١ .
- ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب
القاهرة ١٩٥٥

بلباس (ليوبولد وترريس):
- الأبنية الإسبانية الإسلامية . مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد. العدد الأول - السنة الأولى ١٩٥٣ ترجمة علية ابراهيم العنانى .

يلبع (د. محمد توفيق):
- غرناطة وقصر الحمراء (مستخرج من المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس عشر ١٩٦٩)

بنعبد الله (عبد العزيز):
- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب.
مجلة تطوان العدد الخامس ١٩٦٠ (تطوان)
- البحرية المغربية والقرصنة .
مجلة تطوان العددان الثالث والرابع ١٩٥٨ - ١٩٥٩ .

بن تاويت (محمد):
- من زوايا التاريخ المغربى .
- مجلة تطوان العدد السابع ١٩٦٢ .

التطوانى : (محمد):
ابن الخطيب من خلال كتبه (تطوان بدون تاريخ)

التفتازانى: (د. أبو الوفا الغنيمى)
- ابن عباد الرندى، حياته وآثاره .
صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد المجلد السادس العدد ١ - ٢ ١٣٧٨ / ١٩٥٨ .

جـــــــــــــومـث
(أميليوجارثيا) : ـ الشعر الأندلسي ـ بحث فى تطوره وخصائصه. ترجمة د.
حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٦ .
ـ مع شعراء الأندلس والمتنبى، ترجمة الطاهر أحمد مكى .
القاهرة ١٣٩٤ / ١٩٧٤ .
جـــومث مـــورينو : الفن الاسلامى فى أسبانيا . ترجمة د. لطفى عبد البديع
ود. السيد عبد العزيز سالم . القاهرة ١٩٦٨
حـــبـــيب زيات : معجم المراكب والسفن فى الإسلام بيروت ١٩٥٠

حـسن ابراهيم حـسن
وآخـــــــــــرون: النظم الإسلامية القاهرة ١٩٤٩ .

حسن أحمد محمود :(الدكتور)
ـ قيام دولة المرابطين (القاهرة ١٩٥٧)
حـسن حسنى عـبـد
الوهاب : شهيرات التونسيات تونس ١٣٥٣ هـ
الحـــسن الســـائح : البلوى ـ الرحالة الأندلسى المجهول.
مجلة دعوة الحق ـ العدد السادس السنة السابعة ـ مارس
١٩٦٤ / ذو القعدة ١٣٨٣ .
ـ أبو القاء البلوى :
مجلة البحث العلمى، الرباط العدد الأول السنة الأولى
١٩٦٤
الحموى: (محمد ياسين)
ـ تاريخ الأسطول العربى دمشق ١٩٤٥
خديجة الحديثى: (الدكتورة)
ـ أبو حيان النحوى بغداد ١٩٦٦

خليـان سـان باليـرو:
ـ التجارة الأندلسية فى القرن الخامس عشر
محاضرة فى بلنسية فى ١٦ / ١٢ / ١٩٦٥ .
خوسى ماريا مياس بييكروسا:
علم الفلاحة عند المؤلفين العرب ـ تعريب عبد اللطيف الخطيب
تطوان ١٩٥٧ .
الدباغ: (محمد بن عبد العزيز)
ـ ابن جزى كاتب رحلة ابن بطوطة .
مجلة دعوة الحق. العدد العاشر. السنة الخامسة صفر ١٣٨٢
/ يوليو ١٩٦٢ .
ديفـــــز:
ـ أوربا فى العصور الوسطى . ترجمة د. عبد الحميد حمدى
محمود
زامــبــاور:
ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامي
أخرجه الدكتور زكى محمد حسن وحسن أحمد محمود القاهرة
١٩٥١
الــزركــلــى: (خير الدين)
ـ كتاب الأعلام الطبعة الثانية .
زكى محمد حسن: (دكتور)
ـ فنون الإسلام القاهرة ١٩٤٨ .
ـ الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى القاهرة ١٩٤٥
زيــــدان: (جورجى)
ـ تاريخ التمدن الاسلامى . مراجعة د. حسين مؤنس
سالم: (د. السيد عبد العزيز)
ـ المساجد والقصور بالأندلس. سلسلة أقرأ

العدد ١٩٠ (١٩٥٨)

ـ المغرب الكبير (١٩٦٦)

ـ التاريخ والمؤرخون العرب (١٩٦٧)

ـ تاريخ المرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس (بيروت ١٩٦٩)

ـ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس (بيروت ١٩٦٢)

ـ مدينة مرسية ـ محاضرة ألقيت بجمعية الآثار بالاسكندرية عام ١٩٦٧ (مطبوعات جمعية الاثار) .

ـ بعض المصطلحات للعمارة الاندلسية المغربية .

صحيفة المعهد المصرى بمدريد المجلد الخامس العددان ١ - ٢ ١٣٧٧ / ١٩٥٧ .

ـ العمارة الاسلامية فى الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن ١٩٧٧ .

د. سعد زغلول:

ـ المغرب العربي. (الاسكندرية ١٩٦٥)

ـ الاستبصار فى عجائب الأمصار لمؤلف مجهول (نشر جامعة الاسكندرية)

ـ علوم العرب القديمة، دراسة منهجية لبعض النماذج، مجلة عالم الفكر المجلد الثامن ١٩٧٧ .

د. سعيد عاشور:

ـ أوربا فى العصور الوسطى. القاهرة ١٩٦١

سعيد أعراب:

ـ أبو حيان الغرناطى. مجلة البحث العلمى الرباط السنة الأولى العدد الثالث ١٣٨٤ / ١٩٦٤ .

سـيكودى لوثينا لويس:
- وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى مدريد ١٣٨٠ / ١٩٦١ .
- الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية - صحيفة المعهد المصرى بمدريد المجلد السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠
- وثائق عربية غرناطية لم تنشر.
صحيفة المعهد المصرى بمدريد - المجلد الرابع العددان ١ - ٢ ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

شـالميـتـا (بدرو):
- الحسبة الأندلسية كما ترى من خلال المراسيم الملكية الاسبانية. محاضرة فى بلنسية عام ١٩٦٥ .

شبانة (د. محمد كمال)
- يوسف الأول بن الأحمر القاهرة ١٩٦٩ .
- السياسة الخارجية لمملكة غرناطة النصرية فى منتصف ق ٨ هـ مجلة البحث العلمى العدد ١١ ، ١٢ السنة الرابعة ١٣٨٧ / ١٩٦٧ .
- الحالة الاقتصادية بالأندلس خلال ق ٨ هـ / ١٤م - مجلة البحث العلمى العدد الثامن - السنة الثانية ١٣٨٦ / ١٩٦٦

ابن شـريفـة (محـمـد):
أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومى، حياته وآثاره الرباط ١٩٦٦ .

شكيب أرسـلان: (ت ١٣٦٦ / ١٩٤٦)
- الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية.

الشيال : (د. جمال الدين)
- أعلام الإسكندرية فى العصر الاسلامى.

صـــــبـــــحي الصــــــالح :
- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها (بيروت ١٩٦٨)
عبادة : (عبد الفتاح عبادة) :
- سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام .
العبادي : (د. أحمد مختار) :
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس(الاسكندرية١٩٦٨)
- الأعياد في مملكة غرناطة . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الخامس عشر ١٩٧٠ .
- نظام الخلافة في المغرب الإسلامي في العصور الوسطي ، كتاب فلاسفة الإسلام في المغرب العربي(تطوان ١٩٦٢).
- حياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس - مجلة البينة (يناير ١٩٦٣) .
- - في التاريخ العباسي والأندلسي (بيروت ١٩٧١) .
- البحرية في المغرب والأندلس بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور/ السيد عبد الغزيز سالم (بيروت ١٩٦٩) .
- العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس في القرن الثامن الهجري ، الكتاب الذهبي لجامعة فاس بمناسبة ذكراها المائة بعد الألف .
- فترة مضطربة من تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان . صحيفة المعهد المصري بمدريد المجلد السابع والثامن ١٩٥٩/١٩٦٠ .
- النزعات الاقتصادية في حياة لسان الدين بن الخطيب . مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ .
- مقامة العيد (لأبي محمد عبد الله الأزدي ت٠ ٧٥ هـ/ ١٣٥٠م) صورة من صور الحياة الشعبية فى غرناطة ، صحيفة المعهد المصري بمدريد العدد ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس - (مجموعة من رسائله) .
نشر وتحقيق الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي .
- بحث في الأسلحة النارية في المغرب والأندلس تعليقاً علي كتاب :
David Ayalon : Gunpowder fire arms in the Mamluk Kingdom. (London 1956) .

- في مجلة Hesperis , 1959 , 3-4 trimestres .
- من التراث العربي الأسباني نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الإسبانية التي تأثرت بها . مجلة عالم الفكر - العدد الثامن ١٩٧٧ .
- سياسة ابن الخطيب المغربية مجلة البينة مايو ١٩٦٢ .

العبادي : (الأستاذ عبد الحميد)

- المجمل في تاريخ الأندلس القاهرة ١٩٥٨ .

عباس : (د. احسان) :
- اخبار الغناء والمغنين في الأندلس .
مجلة الأبحاث السنة ١٦ الجزء الأول - اذار ١٩٦٣ .

د . عبد الرحمن زكي :

- غرناطة وآثارها الفاتنة المكتبة الثقافية رقم ٢٧٦ .
- النقوش الزخرفية والكتابات علي السيوف الإسلامية .
صحيفة المعهد المصري بمدريد المجلد الخامس العددان ١-٢ ١٩٥٧ .

عبد القادر زمامة :

- أبو البقاء الرندي - مجلة دعوة الحق العدد الثاني السنة الرابعة ١٩٦٣ .
- لسان الدين بن الخطيب . مجلة دعوة الحق السنة السابعة العدد السادس مارس ١٩٦٤ .
- المؤرخ الأديب أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر
صحيفة المعهد المصري بمدريد العدد ١٨ ١٩٧٤/١٩٧٥ .

عبود (محمد بن عبد السلام):

- تاريخ المغرب (تطوان ١٩٧٥)

عنان : (محمد عبد الله)

- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين - القاهرة ١٩٦٦ الطبعة الثالثة .
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القاهرة ١٩٦٤)
- رواية مصرية عن المغرب والأندلس في آواخر القرن التاسع الهجري صحيفة المعهد المصري بمدريد-المجلد ١٥/ ١٩٧٠
- من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي : كتاب العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع . صحيفة المعهد المصري بمدريد المجلد ١٦/١٩٧١ .
- جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية الأندلسية . مجلة تطوان العددان ٣-٤ ١٩٥٨/١٩٥٩ .
- وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري . صحيفة المعهد المصري بمدريد - المجلد الثاني ١٩٥٤/١٣٧٣ .
- تراجم شرقية وأندلسية (القاهرة ١٩٤٧) .

غنيمة (محمد عبد
الرحمن) :- تاريخ الجامعات الإسلامية الكبري (تطوان ١٩٥٣)

عيسي (أحمد) :- معجم الأطباء (القاهرة ١٣٦١/١٩٤٢)

القاسي : (محمد) :- الأعلام الجغرافية الأندلسية مجلة البينة العدد الثالث السنة الأولي ١٩٦٢ .

فارمر : (هـ - ج) :- تاريخ الموسيقي العربية ترجمة د. حسين نصار - مجموعة الألف كتاب رقم ٧ .

قشطيليو (محمد) :- نظرة علي تاريخ " الموريسكوس " مجلة تطوان العدد الأول ١٩٥٦ .

الكتاني : (محمد بن
عبد الحي بن عبد
الكبير بن محمد
الحسني الإدريسي) :- كتاب فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات جزءان فاس ١٣٤٦) .

كنون : (عبد الله) :- مالك بن المرحل - ذكريات مشاهير رجال المغرب . تطوان رقم ٨ .
- أبو بكر بن شبرين . ذكريات مشاهير رجال المغرب . تطوان رقم ١٧ .
- أبو البقاء الرندي . صحيفة المعهد المصري بمدريد العدد الأول . السنة الأولي ١٩٥٣ .
- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث . صحيفة المعهد المصري

العدد الأول ١٣٧٨/١٩٥٨ .

ماريانو أريباس بالاو :- بنومرين في الاتفاقات المبرمة بين أراجون وغرناطة . مجلة تطوان العدد التاسع ١٩٦٤ .

محرز : (د. جمال محمد) :- مصحف مذهب من العصر الغرناطي بخزانة كتب الفقيه السيد محمد بن دواد بتطوان . صحيفة المعهد المصري بمدريد العدد الثالث المجلد الأول ١٣٧٤/١٩٥٥ .
- الرسوم الجدارية الإسلامية في البرطل بالحمراء مدريد١٩٥١ .
- قطعتان من السجاد المملوكي بمتحف غرناطة الأثري . صحيفة المعهد المصري بمدريد المجلد الثاني العدد ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ .

المراكشي : (العباس بن ابراهيم) :- الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام الرباط ١٩٧٤ .

مرزوق : (د. محمد عبد العزيز) :- بين الآثار الإسلامية في العالم
- قصر الحراء المكتبة الثقافية ٩١ .
- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس (بيروت .

محمد المنوني :- المولد النبوي الشريف في المغرب المريني . مجلة دعوة الحق العدد الأول - السنة الثانية عشر نوفمبر ١٩٦٨ .

- وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني - مقتبس من " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " لابن فضل الله العمري . مجلة البحث العلمي الرباط - السنة الأولي - العدد الأول ١٣٨٣/١٩٦٤ .
- مكتبة الزاوية الحمراء . صفحة من تاريخها . مجلة تطوان العدد التاسع ١٩٦٤ .
- نظم الدولة المرينية - مجلة البحث العلمي الرباط السنة الأولي العددان ١-٢ : ١٣٨٤/١٩٦٤ .

مؤنس :(د. حسين) :
- تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس مدريد ١٩٦٧ .
- شيوخ العصر في الأندلس(المكتبة الثقافية رقم ١٤٦) .
- فجر الاندلس (القاهرة ١٩٥٩) .

ناجي معروف :
- المدخل في الحضارة العربية . بغداد ١٣٧٩/ ١٩٦٠ .

النشار (د. علي سامي) :
- أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي وأثره في العالم الإسلامي . صحيفة المعهد المصري بمدريد العدد الأول السنة الأولي ١٩٥٣ .

الوثائق :
- مجموعة دوريات تصدرها مديرية الوثائق الملكية بالرباط الرباط ١٣٩٦/١٩٧٦ .

رابعا : المصادر والمراجع الأجنبية

Abbadi : Dr. A. Mujtar:

- Algunos aspectos de las relaciones historicas hispano-Egipcias, Boletin de la embajada de Egipto en Madrid, 23 Julio 1952-1953.
- Las fiestas profanas y religiosas en El Reino de Granada (M.E.A.H.) 1965-1966 fasc. 1 pp 89-96.
- El Reino de Granada en la época de Muhammad V (Madrid 1973).

Abraham Newman :

- The Jews in Spain, Their social, political and cultural life during the Middle ages (Philadelphia 1948).

Aguado Bleye "Pedro":

- Manual de Historia de Espana (Madrid 1947).

Alarcòn y Linares :

- Los deocumentos àrabes diplomaticos de Archivo de la Corona de Aragòn. (Madrid-Granada 1940).

Aleya Ibrahim El Enany :

- Tres Telas Granadinas. Instituto de Estudios Islamicos 1954. pp 149-159.

Allouche, I.S. :

- La relation du Siege d'Almeria en 709, dans Hespéris (1933) t. XVI, pp 122-138.
- Une Texte relatif aux Premiers Canons. Hespéris tome XXXII 1945 pp 81-84.

- La Vie economique et social a Grenade. Melanges d'Historie et d'Archeologie de L'Occident Musulman t. II 1954.

Amador de los Rios; José :

- Memoria Historica - Critica sobre las treguas Celebradas en 1439 entre los reyes de Castilla y de la Real Academia de la Historia. t. IX (Mardrid 1879).
- Trofeos militares de la Reconquista (Madrid 1893).
- Historia social, politica y religiosa de los judios de Espana y Portugal, 3 tomos (Madrid 1876).
- Notas acerca de la battalla de Lucena y la prisiòn de Boabdil en 1483; (Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos III, Vol XVI 1907.

Andrea Navagero :

- Viaje a Espana Del Magnifico Senor Andres Navagero (1524-1526) Trad. José Maria Alonso Gamo (Valencia 1951).

Antonio Alamgro Cardenas :

- Inscripciones Arabes de Granada y Apuntos Arquelogicos sobre su Madraza. (Granada 1879).

Antonio Gonzalez Part :

- Alturas de la Ciencias medicas en El Reino Al Andalus (Discurso de recepcion en la Real Academia de Medicina (Barcelona 1906).

Antonio Prieto y Vives :

- Las Monedas de Boabdil (Al Andalus Vol. III 1935 fasc. I pp 130-132.
- Numismatica Granadina Bol. Ac. Hist. 1932.
- Monedas de las dinastias arabigo - espanolas (Madrid 1893).

Arcipreste de, Juan Ruiz :

- Libro de buen amor (Buenos Aires 1952).

Arie, Rachel :

- Quelques Remarques sur Le Costume de Muslmans d'Espagne au temps de Nasrides (Arabica 1965, t. XII fasc 3.)
- Le Costume de Musulmans de Castille au XIII^e siecle d'apres les Miniatures du libro del Ajedrez. (Melanges de la Casa de Velazquez t. II 1966 (Paris).
- L'Espagne Musulmane au Temps de Nasrides (1232-1492) Paris 1973.
- Acerca del traje Musulman en Espana desde la Caida de Granada hasta la expulsion de los Moriocos (Revista del Instituto de Estudios Islamicos en Madrid. Vol. XIII, 1965-1966).

Arribas Palau, (M.) :

- Musulmanes de Valencia apresados Cerca de Ibiza en 1413. (Tetwn 1953).
- Una relamacion de y usuf III de Granada a Fernando I de Aragon (M.E.A.H.) 1961, Vol. IX, fasc I, pp 76-84.
- Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragon (Tetuan 1956).

Ashtore, E. :

- Prix et salaires dans l'Espagne musulmane aux X^e et XI^e siecles, dans Annales, Juillet-Aout 1965.

Asin Placios, Miguel :

- Huellas de Islam (Madrid 1941).
- Contribuction a la toponimia arabe de Espana (Madrid - Granada 1944).

Babelon, E. :

- Guide illustre du Cabinet de Médailles et antiques de la Bibliotheque Nationale (Paris 1900).

Ballesteros Beretta (A.) :

- Sevilla en le siglo XIII (Madrid 1913).
- Joyeros mores de Alfonso el Sabio (Al Andalus Vol VII, 1942, fasc 2 pp 475-477).
- Historia de Espana y su inflencia en la Historia Universal t. III (Barcelona-Buenos Aires 1948).

Bejarano Robles :

- El Repartimiento de Malaga (Al Andalus, Vol. XXXI, 1966, fasc. I y 2 pp 1-46).
- Fundacion de la hacienda munciple de Malaga por los Reyes catolicos (Malaga 1951).

Benavides, A:

- Memorias sobre la guerra del reino de Granada y los tratos y conciertos que precedieron a la capitulaciones de la cuidad (Madrid 1845).

Bermis Madrazo, C. :

- Modas Moriscas en la sociedad Cristiana espanola del siglo XV y principios de XVI en (B.R.A.H.) t. CXLIV 1959 pp 199-226.

Bermudez Pareja; Jesus :

- Los restos de la Casa arabe de la placeta de Villamena en Granada. (Al Andalus Vol. XII fasc I, 1947).

Bernard and Ellen M. Whishaw :

- Arabic Spain : Sidelights on her history and art. (London 1912).

Bleda (Fray Jaime):

- Cronica de los Moros (Valencia 1618).

Bosch Vilà, Jacinto :

- Los Banu Simak de Màlaga y Granada. Una familia de Cadies. (M.E.A.H.) Vol. XI, 1962, fasc I.

Brunchvig, Robert :

- La Berberie oriental sous les Hafsides : des Origines a la fin du XV siecle. 2 tomes (Paris 1940-1947).

Calvo Y., C. M. del Rivero :

- Catalogo sumario del Museo Arqueologico Nacional, Guia del Salon de Numismatica (Madrid 1926).

Canellas, Angel :

- Aragon y la Empresa de Estrecho el siglo XIV (Estudios de edad media de la Corona de Aragon. Seccion de Zaragoza. Vol. II (Zarageza 1946).

Capmany y Monpalau, A:

- Memorias historicas sobre la marina, Comercio y artes de la antigua Ciudad de Barcelona, 4 Vol., (Madrid 1777-1792), reed. por C. Battle y Gallart, 3 Vol. (Barcelona 1963).
- Antiguos tratodos de paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y differentes principe infieles de Asia y Africa, desde el siglo hasta el XV (Madrid 1786).

Carmen Villanueva, Ma :

- Rabitas Granadinas (M.E.A.H.) 1954.
- Casas, mezquitas y tiendas de las habices de las iglesias de Granada (Madrid 1966).
- La farmacia arabe y su ambiente historico. (M.E.A.H.) Vol. VII 1958, fasc I.
- Fuentes toponimicas granadinas, los libros de Bienes Habices (Al Andalus Vol XIX fasc II 1954).
- Habices de las Mezquitas de la ciudad de Granada y sus Alquerias. ed. Introduction e Indices. (Madrid 1961).

Caro Baroja, J. :

- Los Mriscos del reino de Granada. Ensayo de historia social, Madrid 1957.

Carreres Zacares, S. :

- Valencia y Algonso y Magnanimo (Anales del Centro de Cultura Valenciana) t. XIV, 1946.

Castrillo :

- Una Carta granadina en el Monesterio de Guadalupe (Al. Andalus Vol. XXVI, 1961) fasc. 2 pp 389-396.

Castro Americo :

- Espana en su historia Cristiana, Moros y Judios (Buenos Aires 1948).

Castro Ma del Rivero:

- La Moneda Arabigo Espanola (Madrid 1933).
- Catalogue of Oriental Coins in The British Museum (London 1876).

Chalmeta, Pedro :

- El senor del Zoco en Espana (Madrid 1973).

Colecion de Crònicas espanolas ed. J. Mata Carriazo (1940-1946).

Colin, g.s.: Un nouvea traite grandia d'hippologie, Islamica 1934 pp. 332-337.

Consejo Economico - Social : Bases para el estudio de la economia de Reino Nazari (Granada 1972).

Corominas (J.) :

- Diccionario Critico etimologico de la lengua Castilliana, Vol. I, (Berne, 1954).

Cossio, J. :

- Cautivos de Moros en el siglo XIII. (Al Andalus Vol VII, 1942, PP. 49-112).

Creasy :

- Las battallas decisivas en la historia del mundo 1940.

Crònicas de los Reyes de Castilla desde Alfonos X hasta los Reyes Catòlicos, en Biblioteca de Autores espanoles, ed. Rosell, Madrid 1953 3 tomos.

Cuantas de Ionzalo de Baeza :

- Tesorero de Isabel la Catolica, t.I (1477-1791) Madrid 1951, ed. A. de la Torre.

Cuartero, Miguel :

- El Salado, Revista "Ejecrcito" nùm 13, Febrero 1941.

D. de la Rada y Delgado :

- Catalogo de Monedas arabigo - espanola en el Museo aequeologico nacional (Madrid 1892).

Dario Cabanelas, B. F. M. :

- Un Francisco Heterodoxo en la Granada Nasri : Fray Alfonos dé Mella . (Al Andalus Vol. XV fasc I 1950).

Diccionario de la Lengua Espanola, Real Academia Espasnola Decima Quinta edicion (Madrid 1925).

Diccionario de Historia de Espana desde sus Orignes hasta el fin del siglo reinado de Alfono XIII (Madrid 1952).

Dozy; R. :

- Supplément aux dictionnaires arabes. 2 temes. deuxiéme edition (Paris 1927).
- Dictionnaire détaillé des noms des Vetements Chez les Arabes. (Amesterdam 1845).

Dozy et Engelmann (W.H.):

- Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de L'arabe (Amesterdam 1869).

Ebro K. Neuvonen :

- Los Arabismos del Espanol en le siglo XIII (Helsinki 1911).

Eguilaz y Yanguas (Lepoldo de) :

- Glosario etimologico de las palabras espanoles de origen oriental (Granada 1880).
- The Encyclopaedia Britannica. Encyclopaedia of Islam.

Fablé, A. M. :

- Viajes por Espana de Jorge de ringhen, de Baron Leon de Rosmithal de Blatna, de Franciaco Guicciardini y de Andres Navagero (Madrid 1877).

Farmer, H.G.:

- The sources of Arabian Music. (Leyde 1965).

Felipe Torroba B. de Quiros :

- Los Judios espanoles (Madrid 1967).

Fernando de la Granja :

- Fiestas Cristianas en Al Andalus (Al Andalus XXXIV (1969) fasc I.).

Férotin, M. : Historia de l'Abbaye de Silods (Paris 1897).

Ferrandis Torres :

- Espadas Granadinas de la Ginete (Archivo espanol de Arte n° 57 pp 142-166 (Madrid 1943).

Fidel Ferrandez :

- La medicina en le reino moro de Granada (El Sol, Madrid, 30 de Octubre de 1932).

Francisco Codera y Zaidin :

- Titulos y nombres propios en las monedas Arabigo Espanolas. (Madrid 1878).
- Tratado de numismatica arabigo - espanola (Madrid 1879).

Francisco Fernsandes y Gonzalez :

- Estado social y politico de los Mudejares de Castilla. (Madrid 1866).
- Espadas hispano-arabe, en Museo espanol de Antigüedades. t.v.

Gachard :

- Voyages de Souverains de pays - Bas dans collection de chronique belges publiées par Gachard (Bruxelles 1876, t.1).

Gamir Sandoval, A.:

- Las fortificaciones Costeras del Reino de Granada. Al occidente de la Ciudad de Màlaga, hasta el Campo de Gibraltar. (M.E.A.H.) Vol IX 1960 fasc I.
- Reliquias de las defensas fronterizas de Granada y Castilla en los siglos XIV y XV (M. E. A. A. H.) Vol V 1956 .
- "Las Fardas" para la Costa granadina (siglo XVI) en Homenaje de la Universidad de Granada a Carlos V (1958).

García Còmez, Emilio :

- Cinco poetas musulmanes (Madrid 1959).
- El Elogio de Islam Espanol (Madrid 1943).
- El libro de la Banderas de las Compeones, de Ibn Said Al Magribi (Madrid 1942).
- La etimalogia de A lixares (Al Andalus, 11, 1934).
- El paragon entre Maqlaga y salé (Al Andalus 1934 fasc 1).

Gaspar Remiro : M.

- Correspondencia diplomatica entro Granada y Fez (Siglo XIV) (Revista del Centro de estudios historicos de Granada y su Reino). ano II núm 3 - núm 4
  ano III nù 2 - ano 4 núm 1 1914.
  ano IX núm 3 - ano V 1 y 2 - 3 (Granada 1916.).
- Las inscriplones de la Alhambra ano 1, núm 1 Granada 1911.
- Documentos para la historia de Reino Granadino ano II núm 1 (Granada 1912).
- Documentos arabes de la Corte Nazari de Granada (Madrid 1911).

Gazulla, F.D. :

- La redencion de Cautivos entre los musulmanes en (B.R.A.B.L.) de Barcelona t. XIII (Barcelona 1927-1928).

Giménez Soler . (A.) :

- Expedicion de Jaime II a la Ciudad de Almeria, (B.R.A.B.L.B.) 1903-4.
- La expedicion a Granada de los Infantes don Juan y don Pedro en 1319 (Revista de Archivos, Bibliotecas y Museous.) (Madrid 1905).
- La Corona de Aragòn y Granada (B.R.A.B.L.) de Barcelona 1905-1906, 1907-1908. IV (Barcelona 1908).

Gòmez Moreno (M.) :

- La Loza dorada primitiva de Màlaga (Al Andalus Vol V 1940, fasc 2.).
- El Cementaro Real de los Nazaries en Mondujar (Al Andalus Vol VII 1942 fasc 2 pp 269-281).
- El Bastòn de Cardenal Cisneros (Al Andalus Vol V 1940 fasc I pp 192-195).
- Guia de Granada (Granada 1892).
- Granada en el siglo XIII, Cuadernos de la Alhambra n.2 (Granada 1966) pp. 26-33.

Gonzalez Palencia (Angel) :

- Documentos àrabes del Cenete Siglos XII-XV (Al Andalus Vol V 1940 fasc 2 pp 301-382).

Guillén Robles (F.) :

- Màlaga Musulmana 2° ed (Màlaga 1957).

Guerrero Lovillo (J.) :

- Miniatura gòtica - Castellanas, siglos XIII y XIV (Madrid 1959) .

Hars Kurlo :

- Geschichte und Geschicht - scschreiber der Abd al Wadiden (Algerien im 13-15.
  Jahrhundert) Mit einer Teiledition des Nazm ad - Durr des Muhammad b- Abd al - Galil at - Tanasi (Freiburgim Breisgan 1973).

Heers (J.) :

- Génes au XV[e] siecle, Paris 1962 .
- Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes en Occident au XV[e] siécle dans la Moyen Age (Bruxells 1957) .

Henry Edward Watts :

- Spain : Being a summary of spanish history from the Moorish Conquest to the fall of Granada (London 1893).

Hoenerbach (W.) :

- Loja en la época Nasri (M.E. A.H.) 1954.
- Spanisch - Islamische Urkunden aus der Zeit Nasriden Und Moriscos (Berkeley - los Angeles 1965).

Hulci Miranda, Ambrosio :

- Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasiones Africanas (Almoravides, Almohadas y Benimerines).

Idris, H.R., Les Zirides d'espagne (Al Andalus Vol. XXXI (1964) fas. 1).

Isabel, A. Cienfuegos :

- La Hacienda de los Nasries Granadinos (M.E.A.H.) Vol. VIII 1959, fasc I.
- Sobre la economia en la Reino Nasri Granadino (M.E.A.H.) Vol VII 1959, fasc I.

Isidoro de las Cagigas :

- Los Mudejares
  T. 1 Madrid 1948.
  T. 2 Madrid 1949.

Janer, F. :

- Condicion de los Moriscos de Espana (Madrid 1857).
- De las joyas arabes de oro que se conservan en el Museo Arqueologico - Nacional, en Museo espanol de Antigüedades. t. IV. The Jewish Encyclopedia.

José Ferrandis Torres :

- Muebles Hispanoarabes de Taracera. (Al Andalus Vol. V 1940 fasc 2 pp. 459-465.)

José Lopez Ortiz :

- Fatwas Granadinas De Los Siglos XIV y XV (Al Andalus Vol. VI 1941 fasc I pp. 73-127.).

José y Manuel Oliver Hurtado :

- Granada y sus monumentos arabes (Malaga 1875).

José Maria Casciaro :

- El Visirato en El Reino Nazari de Granada. (Instituto Nocional De Estudios Juridicos (Madrid 1947).

José Maria Sanz Artibucilla :

- Los banos moros de Tarragona (Al Andalus Vol. IX, 1944) PP. 218-226).

José Vazquez Ruis :

- Un Calendario Anònimo Granadino Del Siglo XV.

Juan Manuel :

- El Conde Lucanor. ed E. Julia (Madrid 1933).

Juan De Mata Carrlazo :

- Un Alcalde Entre los Cristianos y los Moros, En la Frontera De Granada. (Al Andalus Vol. XIII 1948 fasc. I.).

Kuhnel, E. :

- Loza hispanoarabe excavada en Oriente (Al Andalus Vol. II, 1942, pp 233-263).

Ladero Quesada, Miguel Angel :

- Granada, historia de un pais islamico. (Madrid 1969).
- La Repoblacion del reino de Granadà anterior al ano 1500, (Hispania n° 110, 1968).

Lafuene y Alcàntra, "Emilio" :

- Inscripiciones àrabes de Granada (Madrid 1859).

Lafuente y Alcàntra "Miguel" :

- Historia de Granada 4 tomos (Granada 1846).
- El libro del viajero en Granada (Granada 1843).

Laviox, H. :

- Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliotheque National (Paris 1891).

Leon Africano, Juan : (Al-Hasan Ben Muh. Al Wazzan Al Fasi)

- Descripcion de Africa y de las Cosas notablos que en ella se encuentran. (Instituto General Franco 1952).

Lerchundi y Simonet :

- La Creslomatia aràbigo espenola (Granada 1881).

Levi Della Vida, G. :

- Il Regno Di Granata nel 1465-66 nei ricordi di un viaggiatore Egiziano (Al Andalus Vol. I fasc 2 1933).

Lopez de Ayala Pedro :

- Crònica de los reyes de Castilla (Madrid 1779).

Lucien Leclerc :

- Historie de la Medecina arabe . 2 tomes (New York).

Manzono Martos, R. :

- Darabenaz, una alqueria mazari en la vega de Granda. (Al Andalus Vol. XXVI, 1961 fasc. 1 pp. 201-218).
- De nuevo sobre Darabenaz (Al Andalus vol XXVI, 1961, fasc. 2 pp. 448-449).

El Bano Termal de Alhama de Granada (Al Andalus Vol. XXIII 1958 fasc. 1).

Maria Jesus Rubiera Mata :

- El Medio Literario En El Emirato Nazari De Granada Durante La Primera Mitad Del Siglo XIV. (Ibn Al-Gayyab y Su Epoca). (Madrid 1973).

- El-Du-L-Wizaratayn Ibn Al-Hakim De Ronda (Al Andalus XXXIV 1969 fasc I.)

Mariana; P. :

- Historia Granada de Espana (Madrid 1948).

Marcais, Georges :

- Manuel D'Art Musulman L'Achitecture Tunisie, Algerie. 2 Tomes (Paris 1927).

Màrmol Carvajal (Luis del) :

- Historia de la rebeliòn y Castigo de los Moriscos del reino de Granada 2ᵉ ed, Madrid 1798. 2 Vol.

Martinez Lumbreras :

- Institucinones Politicas Del Reino Moro De Granada : El Visirato. Revista Del Centro de Estudios historicos De Granada y Su Reino pp. 77-92 ano I nùm 2 Granada 1911.

Martinez Montavez, Pedro :

- Islam y Cristianidad En La Economia Mediteranea De La Baja Edad Media (Moscu 1970).

Martinez Ruiz (J.) :

- Notas sobre el refinado del azùcar de Cana entre los Moriscos granadinos, Revista de Dialectologia y tradiciones populares. t. XX, 1964, Cuaderno 3°.
- La indumentaria de los Moriscos segùn Pérez de Hita y los documetos de la Alhambra (cuadernos de la Alhambra, 3, Granada 1967, pp. 55-124.

Mayer, (L.A.):

- Bibliography of Moslem Numìsmaticas, Oriental translation fund, New series, Vol. XXV, Royal Asiatic Society, 1950.

Melchor Antuna "Martinez":

- Conquista de Quesada y Alcaudete por Muhammad II de Granada (Religion y Cultura 1932).
- Una Version Arabe Compendiada De La "Estoria De Espana" De Alfonso El Sabio. (Al Andalus Vol I 1933 fasc 1 pp. 105-128.
- Abenjatima de Almeria y su tratado de la Peste, en Religion y cultural, Oct. 1928 pp. 68-90.

Molina Fajardo, E.:

- Caza en el recinto de la Alhambra, (Cudernos de la Alhambra 3, 1967).

Müller, Marcus Joseph :

- Beitrage Zur Ceschichte Der Westilchen Araber. Munchen 1866.
- Die letzten Zeiten Von Granada. Munchen 1863 .

Mùnzer (Jerònimo) :

- Viaje por Espana y Portugal (B.R.A.H.) 1924 t. LXXXIV.

Navagero, Andrea :

- Viaje a Espana del Magnifico Senor Andres Navagero (1524-1526) trad. José Maria Alonso Gamo (Valencia 1951).

Nemesio Morata :

- Un Catalogo De Los Fondos Arabes Primitivos De La Escurial. (Al Andalus Vol. 2 1944 fasc. I).

Nevill Barnour :

- Al Andalus En las Crònicas Ingelesas De los Siglos Doce y Trece.

Nykl, A. R. :

- Inscripciones Arabes De La Alhambra y Del Generalife. (Al Andalus Vol. IV 1936 fasc 1, pp. 174-194.)
- Hispano - Arabic Poetry. (Baltimore 1946).

Ocana Jimenez, Manuel :

- Tablas de Converision de Datas Islamicas a Cristianas y Viceversa. (Madrid 1948).
- Repertorio de Inscripciones arabes de Almeria (Madrid 1946).

Oliver Asin, Jaime :

- El vulgar Corcu De Quercus En Espana Musulmana. (Al Andalus Vol. XXIV 1959 fasc. I.).
- Origen arabe de Rebato y sus homonimos (Madrid 1928).

Pedro Longas :

- Vida Religiosa de Los Moriscos. (Madrid 1915).

Pérez de Hita, Gines :

- Guerras Civiles de Granada, publicada por Paula Blanchard - Demouge. 2 t. (Madrid 1913-1915).

Petri Hispani :

De lingua Arabica Libri Duo. (Gottingae 1883).

Pons Boigues, Fransico :

- Los Historiadores y Geografas Arabigo - Espanoles. (Amsterdam, 1972).

Prescott, William H :

- History Of The Reign Of Ferdinand and Isabella The Catholic, Of Spain. In Three Volumes. London.

Prieto y Vives (Antonio) :

- La Formacion del Reino de Granada (Madrid 1927).
- De Como debio nacir el rieno de Granada.

Primera Cronica General. Estoria de Espana que mando Componer Alfonso el Sabio y se Continuaba bajo Continuaba bajo Sancho IV, en 1289. publ. por Ramon Menendez Pidal. (Madrid 1906.)

Provencal, E. Levi:

- Un Nouveau Texte D'Histoire Merinide Le Musnad D'Ibn Marzuh. Hespéris T. V (1925) 1[er] Trimestre pp. 1-82.
- Inscriptions Arabes D'Espagne. (Leyde - Paris 1931.)
- Le Voyage D'Ibn Battuta Dans le Royaume De Granada 1350. (Melanges William Marcais. Paris 1950.)
- Un "Zayal" Hispanique sur L'Expedition Aragononaise De 1309 Contre Almeria. (Al Andalus Vol. VI 1941 fasc 2 pp. 377-399.)
- La descripcion d'Espagne d'Ahmad al Razi (Al Andalus Vol. XVIII 1953).
- L'espagne musulman au X[me] siécle, Intitutions et vie social (Paris 1932).
- Glossaire du traite de Hisba d'Ibn Abdoun, Journal Asiatique, 1934.

Rafaela Castrillo :

- Salobrena, Prisiòn Real De La Dinastia Nasri. (Al Andalus Vol. XXVIII fasc II 1963. pp. 463-472).

Ramos Los Certelas, J. :

- El Cautiverio en la Corona de Aragon durante los siglos XIII, XIV, XV. (Saragossa 1915).

Renaud, H. P. J. :

- Un Médecin Du Royaume De Grenada Muhammad As Saquri. Hesperis 1946 Tome XXXII 1er - 2e Trimestres pp. 31-64.
- Un Chirurgien musulman du Royaue de Grenade. Muhammad As safra. Hesperis XX (1955) fasc 1-2 pp 1-20, 1940 pp 97-98.
- Deux Ouvrages Perdus d'Ibn al Hatib. Hespéris 1949 Tome XXXIII 3e (4e Trimestres pp 213-225.

Riano, J. :

- La Alhambra (Revista de Espana XCVII, (Madrid 1884 pp. 189-190).

Revilla Vielva; R. :

- Catalogo de las antigüdades que se conservan en el patio arabe del Museo Arquològico Nacional (Madrid 1932).

Ribera, Julian :

- La Ensinanza Entre los Musulanes Espanoles. (Zaragoza 1893).
- Historia de la Musica arabe medieval y su influencia en la espanola (Madrid 1927).
- Manuscritos Arabes y Aljamiados De La Biblioteca De La Junta. (Madrid 1912).

- La Musica de las Cantigas. Estudio sobre su origen y naturaleza (Madrid 1932).

Robert Ricard :

- Espagnol et Portugais "Marlota", Recherches sur le vocabulaire hispanomauresque, (Bulletin Hispanique. t. 111, 1951).

Sanchez Albornoz, Claudio :

- La Espana Musulmana. (Buenos Aires 1960.) Segunda edicion.

Sanchez Cantòn, F. J. :

- Viajeros Espanoles En Orientes. (R. del Instituto Egipcio V.4 (1-2) 1956 PP. 19 y sig.).

Seco De Lucena Paredes, Luis :

- Una Rectificacion a la Historia de los Ultimos Nasries. (Al Andalus Vol. XVII fasc 1 1952.)
- El Barrio del Cenete, las alcazabas y las Mezquitas de Granada (cuadernos de la Alhambra vol 2 1966, pp. 43-51).
- El-Hayib Ridwan, La Madraza De Granada y las Murallas Del Albayzin. (Al Andalus Vol XXI 1956 fasc II.)
- Notas De Toponimia Granadina. (Al Andalus Vol XVII fasc I 1952). De Toponima Granadina (Al Andalus Vol XVI, 1951).
- La Granada Nazari Del Siglo XV. (Granada 1975.)
- Un Nuevo Texto En Arabe Dialectal Granadino. (Al Andalus Vol XX fasc I 1955).

- Notas Para El Estudio Del Derecho Hispanomusulman. (Miscelana De Estudios Arabs y Hebraicos 1956.)
- El Titulo Profesion de un Medico Del Siglo XV. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos 1954.)
- El Musulman Ahmad Ulaylas, Espia De los Católicos En la Corte Granadina. (Miscelanea De Eastudios Arabes y Hebraicos Vol. IX 1960 fasc I.)
- Cortesanos Nasries Del Siglo XV. (Miscelana De Estudios Arabes y Hebraicos. Vol VII 1958 fasc I.)
- Nuevas Rectificaciones A la Historia De los Nasries. (Al Andalus Vol XX fasc II 1955.)
- La Familia De Muhammad X El Cojo De Granada. (Al Andalus Vol XI 1946 fasc. II.)
- Actas Notariales Arabigogranadinos. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos V 1953.)
- De Toponimia Granadina Sobre El Viaje De Ibn Battuta Al Reino De Granada. (Al Andalus Vol XVI fasc 1 1951.)
- Las Campanas De Castilla Contra Granada en El ano 1431. (R. del Intituto Egipcio, Madrid (V, 4 (1-2) 1956 PP 79-120.
- Panorama Politica Del Islam Granadino El Siglo XV°. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos. Vol IX 1960 fasc I.)
- Mas Rectificaciones A la Historia De los Ultimos Nasries. (Al Andalus Vol XXIV 1959 fasc II.)

- Las Puertas De La Cerca De Granada En El Siglo XIV. (Al Andalus Vol VII 1942 fasc 2, pp 438-458.)
- Notas Para El Estudio De Granada Bajo La Dominacion Musulmana. (Granada M.E.A.H. Vol I 1952 pp 27-49.)
- Documentos Arabes Granadinos I Documentos del Olegio de Ninos Nobles. (Al Andalus Vol. VIII 1943 fasc 2 pp 415-429.)
- Documentos Arabigo Granadinos II.
  Documentos de las comendadoras de Santiago (1er group). (Al Andalus Vol IX 1944 fasc I pp. 121-140.)
- La Sultana Madre De Boabdil. (Al Andalus Vol XII 1947 fasc II.)
- La Alhambra. (Granada 1920.)
- El Ejercito y la Marina de los Nazaries, (Cuadernos de la Alhambra n. 7 (Granada 1965).
- Notas Para El Estudio Del Derecho Hispanomusculman. Dos Fatwas De Ibn Manzur. (Muscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos T. V 1956.)
- Los Banu Asim Intelectuales y Politicos Granadinos Del Siglo XV. (Muscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos 1953.)
- La Escuela De Juristas Granadinos En El Siglo XV (Miscelanea De Estudio Arabes y Hebraicos Vol VII 1959 fasc I.).

Scott, S.P.:

- History of the Mooish Empire in Europe. 3 vols. (Philadelphia & London 1904).

Simonet : " Francisco Javier"

- Descripicion Del Reino De Granada Bajo la Dominacion de los Naseritas. (Madrid 1860.)
- Discripcion Del Reino De Granada. Sacada De los Autores Arabigos. (Granada 1872.)
- Glosario de Voces Ibericas y Latinas Usadas Entre Los Mozarabes Precedido de un Estudio Sobre El Dialecto Hispano Mozarabe. (Asterdam 1967.)
- Historia de los Mozarabes De Espana. (Madrid 1897-1903.)

Soledad Gibert :

- Un Tratadito De Ibn Jatima. (Al Andalus Vol XVIII fasc I 1953.)
- Abu - L - Barakat Al-Balafiqi, Cadi, Historiador y Poetsa. (Al Andalus Vol XXVIII fasc I 1963, pp 381-424.)

Suarez Fernandez (L.) :

- Juan II y la frontera de Granada. (Valladolid 1954.)

Torres Balbàs, Leopoldo :

- Damasco y Granada. (Al Andalus Vol VI 1941 fasc 2, pp., 461-469.)
- Mozarabias y Juderias De las Cuidades Hispano-musulmanas. (Al Andalus Vol XIX fasc I 1954.)
- Las Mazmorras De la Alhambra. (Al Andalus Vol IX 1944 fasc I.)
- El Maristan De Granada. (Al Andalus Vol IX fasc II 1944.)
- La Alhambra de Granada antes del siglo XIII (Al Andalus Vol. V, 1940).

- El Puénte Del Cadi y La Puerta De Los Panderos En Granada. (Al Andalus Vol II fasc 2 p. 357 1934.)
- La Puerta de Bibirambla de Granada. (Al Andalus Vol IV 1936 fasc I pp. 195-198.)
- Plazas, Zocos y Tiendas De las Cuiudades Hispano-musulmanas. (Al Andalus Vol XII fasc II 1947.)
- Alcaicerias. (Al Andalus Vol XIV 1949 fasc II.)
- Estructura De las Ciudades Hispanousulamas. La Medina, los Arrabales y los Barrios. (Al Andalus Vol XVIII fasc I 1963.)
- Las Alhondigas Hispanomusulmans y El Corral Del Carbon De Granada. (Al Andalus Vol. XI fasc II 1964.)
- Ars Hispaniae. Historia Universal Del Arte Hispanico Vol. IV. Arte Almohade - Arte Nazari - Arte Mudejor. (Madrid 1949.)
- Hojas de Puerta de una Alhacena en el Museo de la Alhambra de Granada. (Al Andalus Vol III 1935 fasc pp. 438-442.)
- Atarazanas Hispanomusulmanas . (Al Andalus Vol XI 1946 fasc I.)
- Rabitas Hispanomusulmans. (Al Andalus Vol XIII fasc II 1948.)
- La Mezquita Mayor De Granada. (Al Andalus Vol X 1945 fasc II.)
- La Mezquita Real De la Alhambre y El Bano Frontero. (Al Andalus Vol. X 1945 fasc I.)
- Cementarios Hispanomusulmanes. (Al Andalus VOL. XXII 1957 fasc I.)
- La Alhambra y el Generlife (Madrid 1953).

El Cementario Real de los Nazaries en Mondujar. (Al Andalus 1942, Vol. VII, fasc 11, pp 269-281).

Aspectos De Las Cuidades Hispanoomusulmanas. Instituto de Estudios Islamicos, (Madrid 1954, Vol. 2.)

Los Baraseros De La Alhambra. (Al Andalus Vol II 1934 fasc 2 p. 389.)

Plantas De Casas Arabes En La Alhambra. (Al Andalus Vol. II 1934 fasc 2 p. 381.)

La Acropolis Musulmana De Ronda. (Al Andalus Vol. IX 1944 fasc 2 p. 454.)

Gibraltar, llave y Guarda de Espana. (Al Andalus Vol. VII 1942 fasc I pp. 168-216.)

Con Motivo Unos Planos Del Generalife De Granada. (Al Andalus Vol. IV 1936-1939 fasc 2. pp. 436-445.)

Antequera Islamica (Al Andalus Vol XVI (1951) fasc 2 p. 437.)

La Musrara. (Al Andalus Vol XXIV 1959 fasc II.)

Restos de Una Casa arabe en Granada. (Al Andalus Vol X, 1945 fasc I pp 170-177.)

Animales de Juguetes (Al Andalus Vol. XXI, fasc 2 1956 pp. 373-375.)

Esquema Demografico De la Cuidad De Granada. (Al Andalus Vol XXI fasc I 1956.)

Ajimeces. (Al Andalus Vol XII, 1947, fasc I, pp 415-427.)

Musalla, y "Sari A" En las Cuidades Hispanomusulmanas. (Al Andalus Vol XIII fasc I 1948.)

Las Casas del Partal de la Alhambra de Granada (Al Andalus Vol XIV 1949 pp 180-197.)

Algunos Aspectos De la Casa Hispanomusulmana: Almacerias, Algorfas y Saledizos. (Al Andalus Vol. XV fasc I 1950)

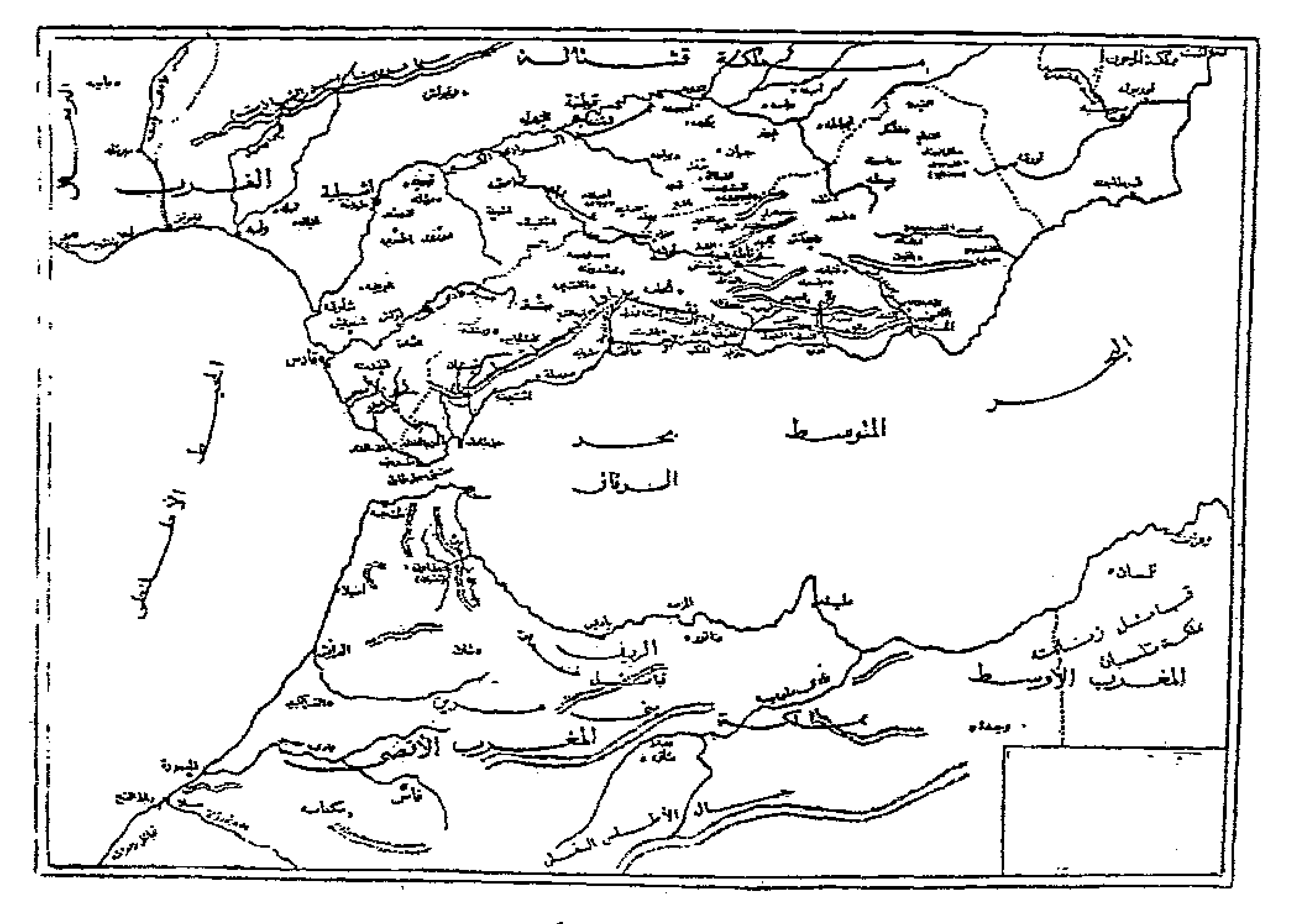
Los Banos publicos en los fueros municipales espanoles (Al Andalus Vol XI 1949 fasc 2, pp. 443-445.)

Trend, J. B. :

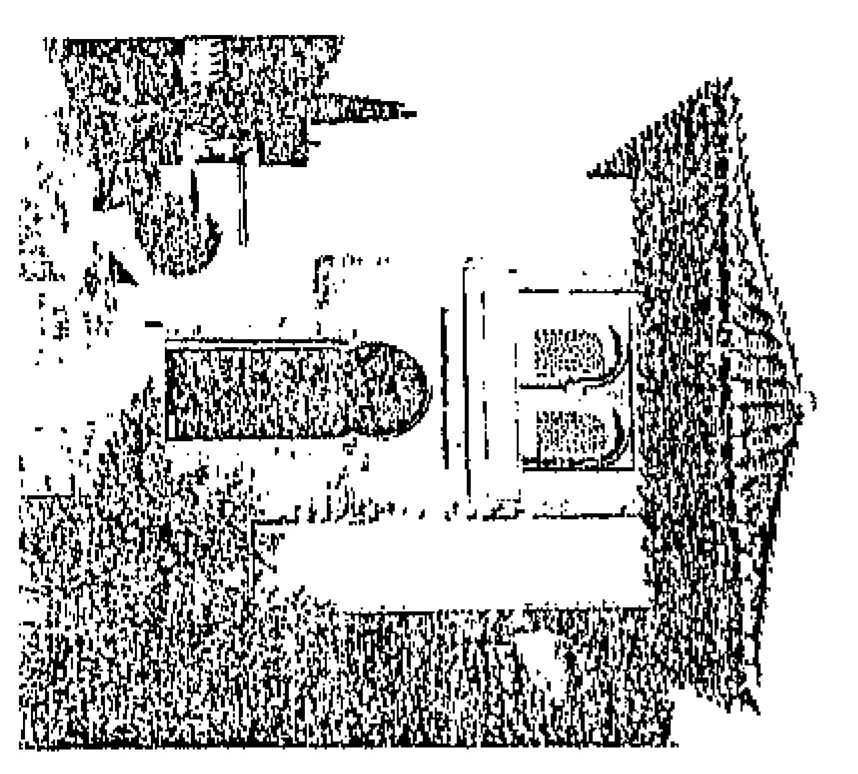
- The Civilization Of Spain. (London 1944.)

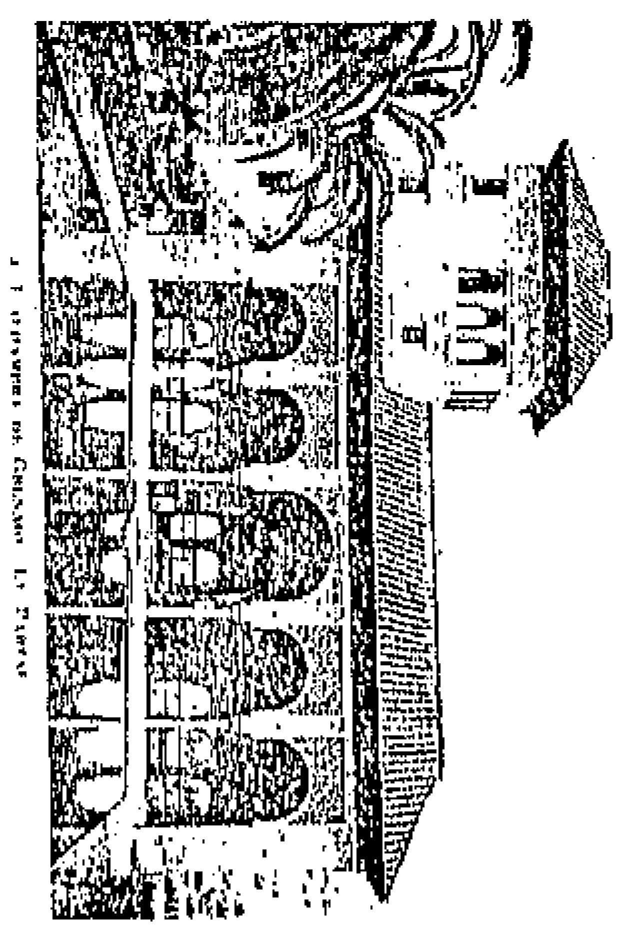
Zurita, Geronimo :

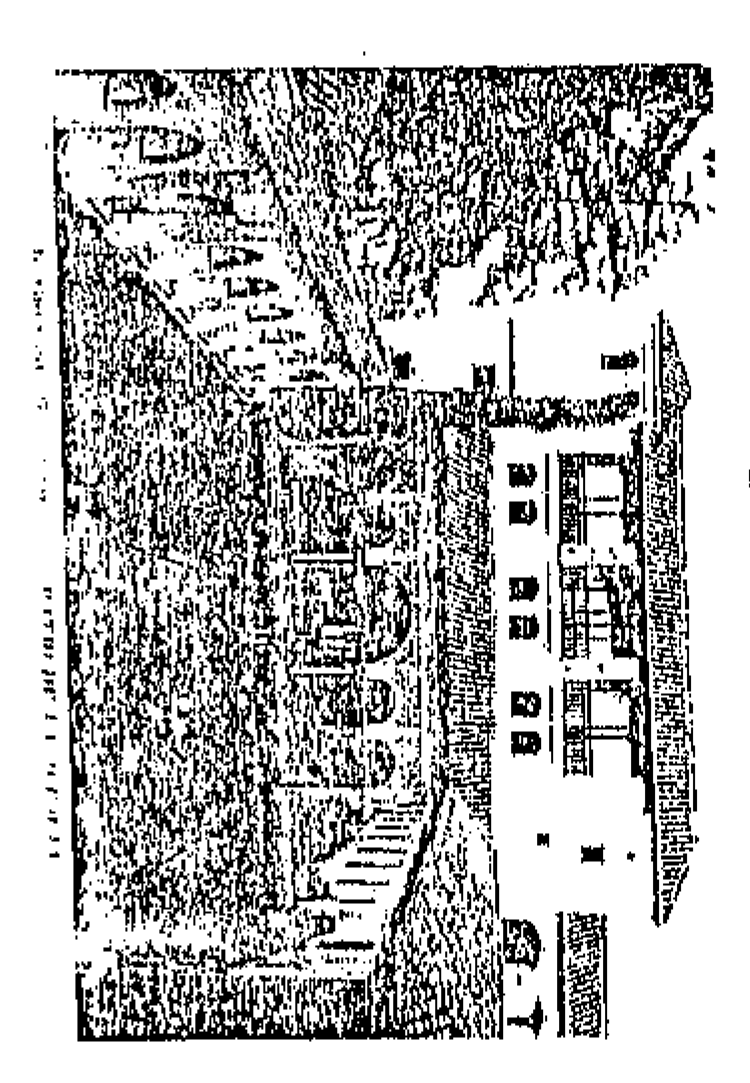
- Los anales de la Corona de Aragòn (Zaragoza 1688).

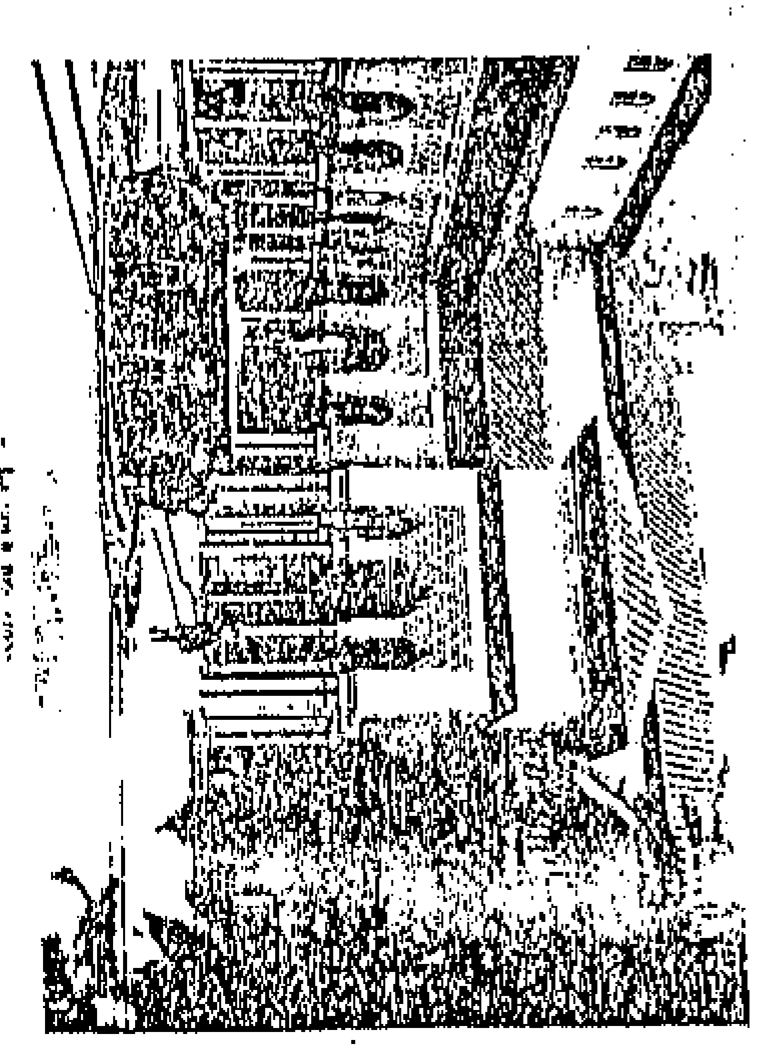


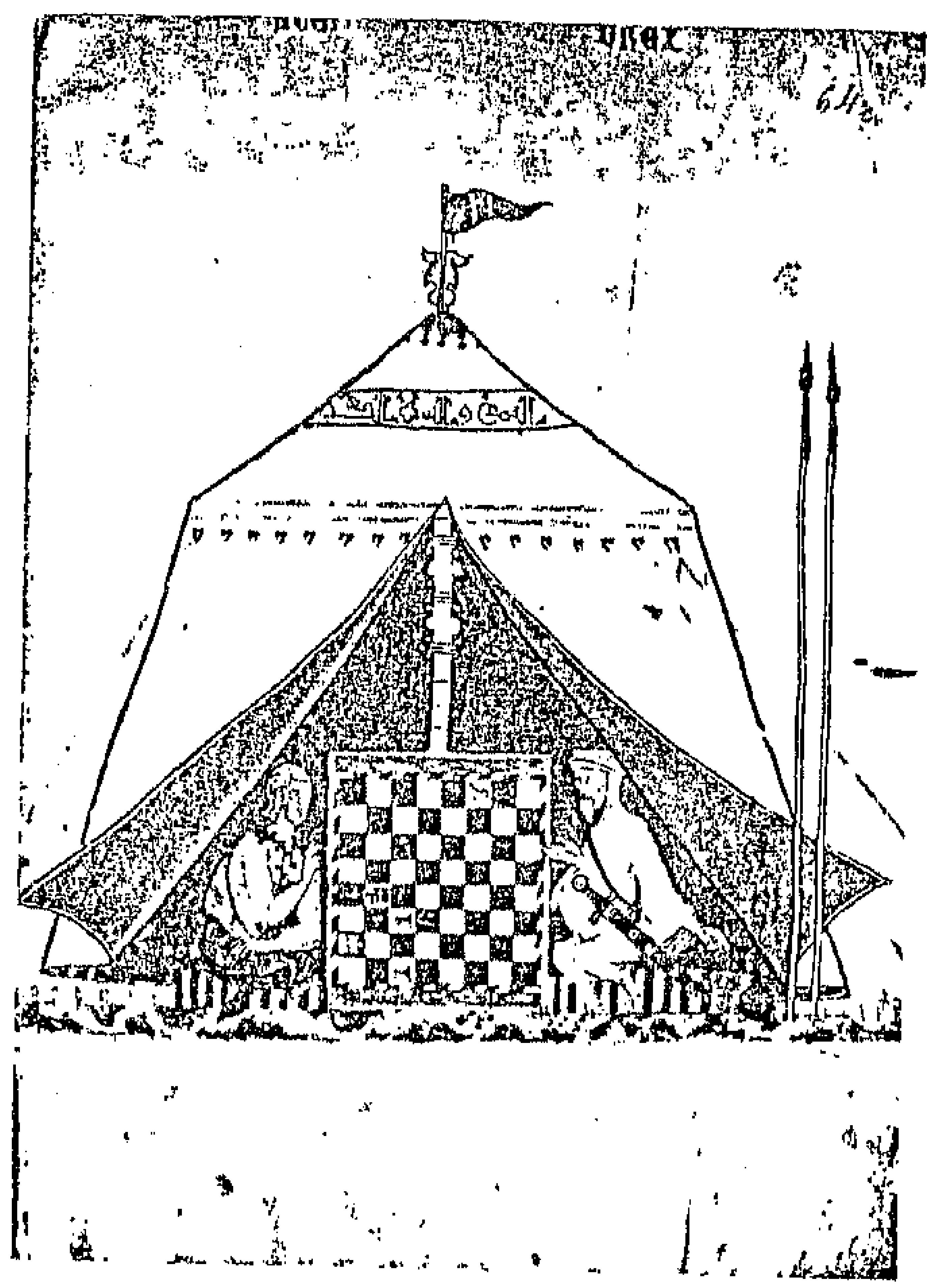
الأندلس في عهد سلاطين بني الأحمر





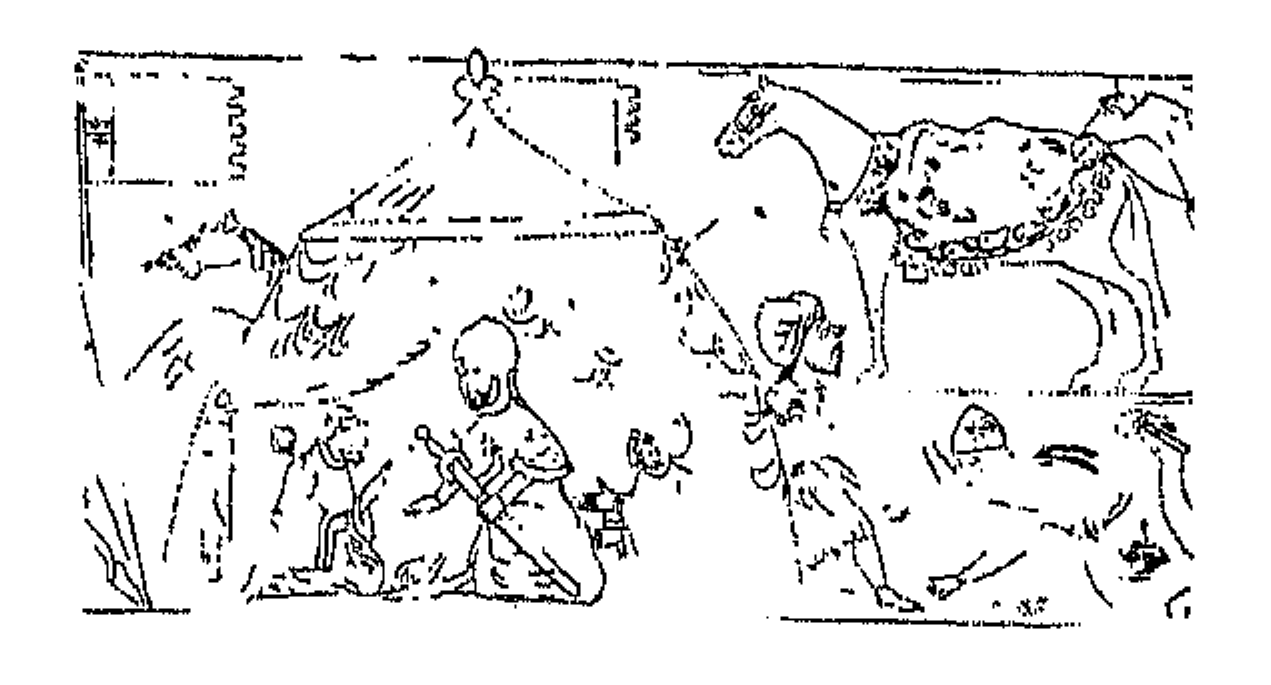






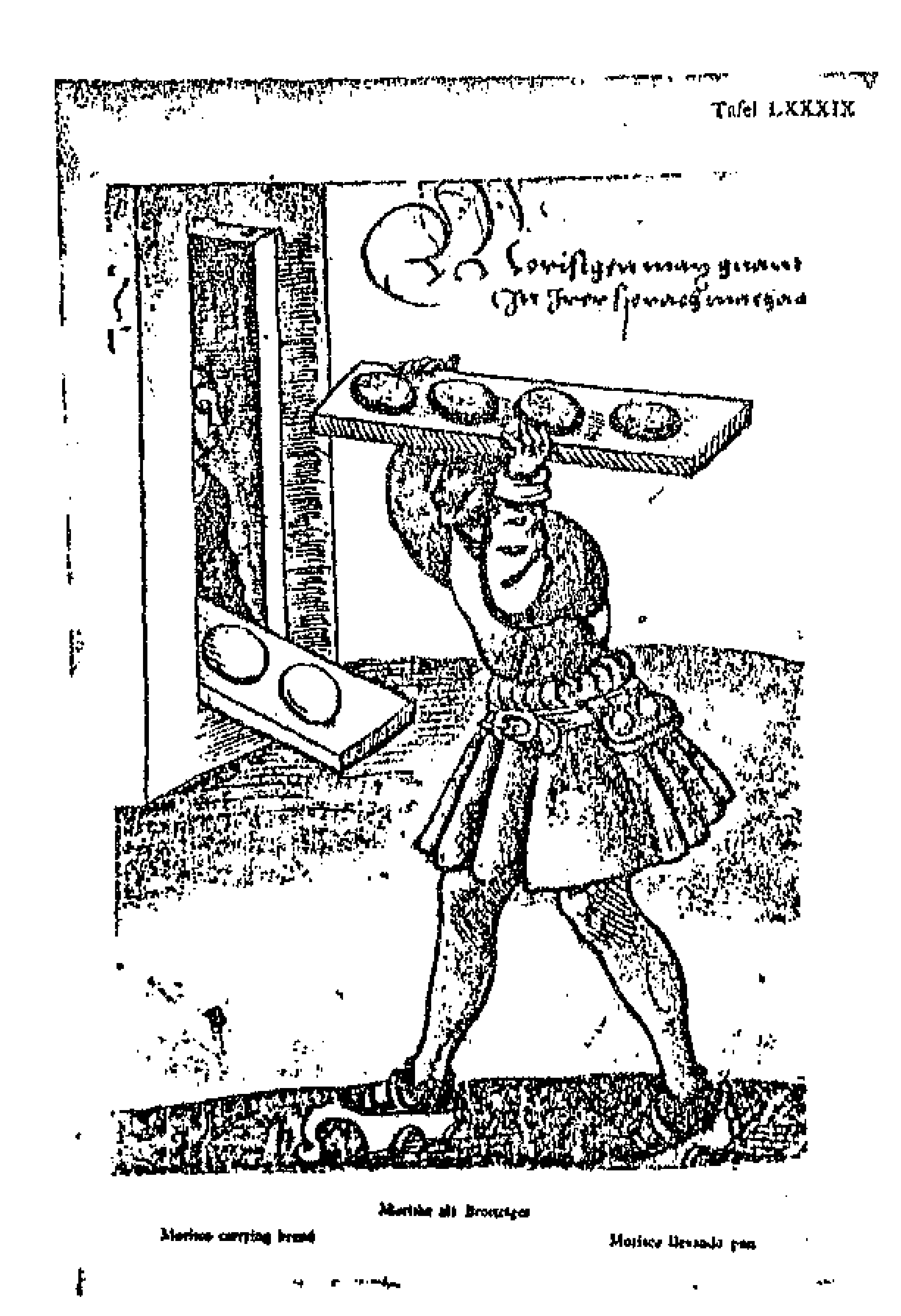
Miniature du *Libro del Ajedrez* (Bibliothèque du Monastère de l'Escurial.) Fol. 64 recto.

رسم من كتاب الشطرنج





تفصيلات من قصر البرطل بالحمراء ويظهر فيها بعض ملابس أهل غرناطة



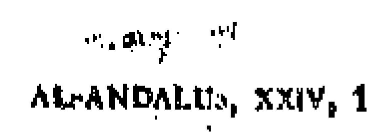
Moriske als Brotträger

Morisco carrying bread

Morisco llevando pan

Lámina V: Morisco llevando pan, según Weiditz (Foto Manuel CASAMAR)

موريسكي يحمل خبزاً (عن فيدتز)

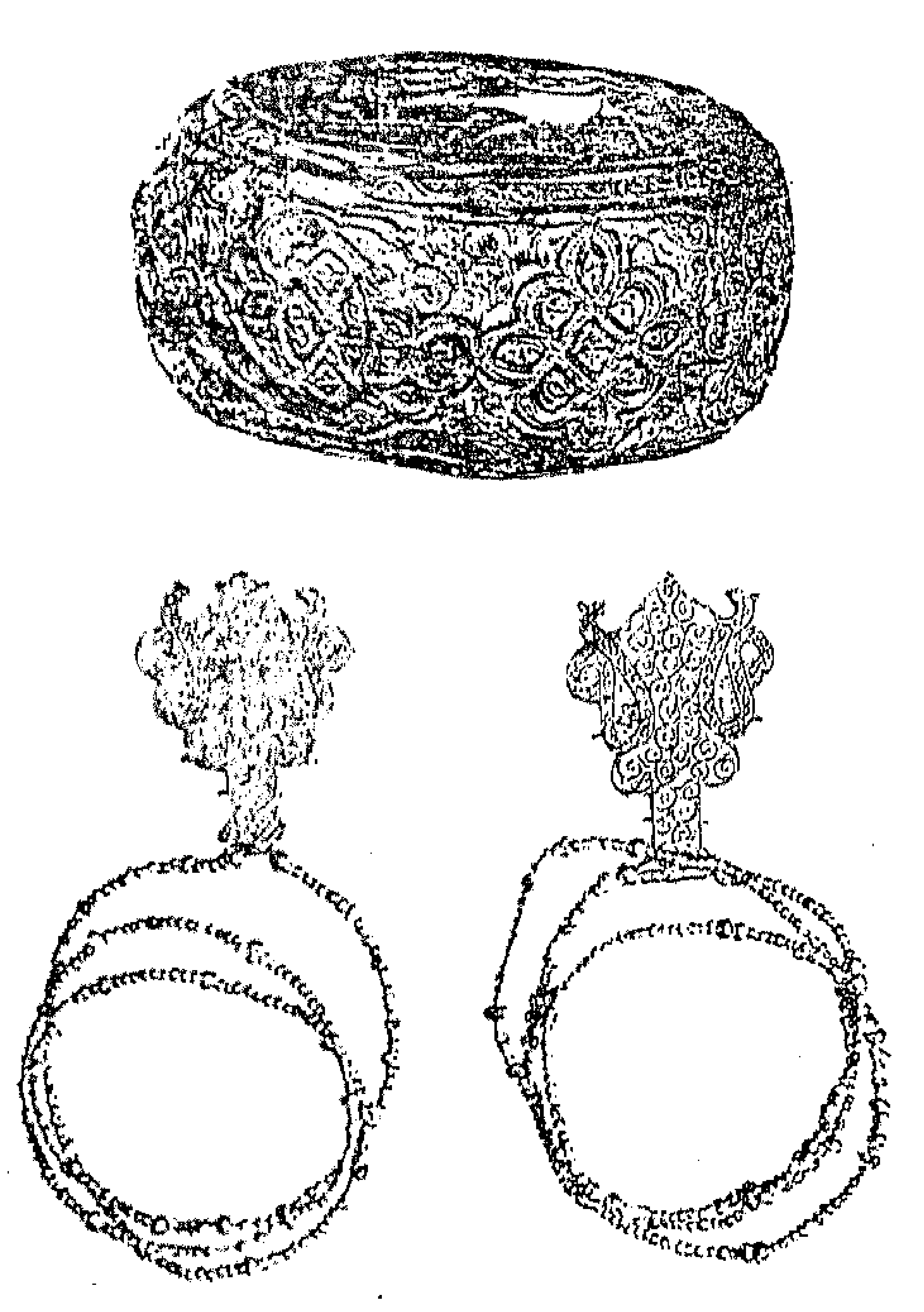



P
Q
موريسكيات غرناطيات بملابس الخروج



LÁMINA IV: Mujer morisca barriendo su casa, según Weiditz (Foto Manuel CASAMAR)

امرأة موريسكية تقوم بكنس منزلها عن فيدلز

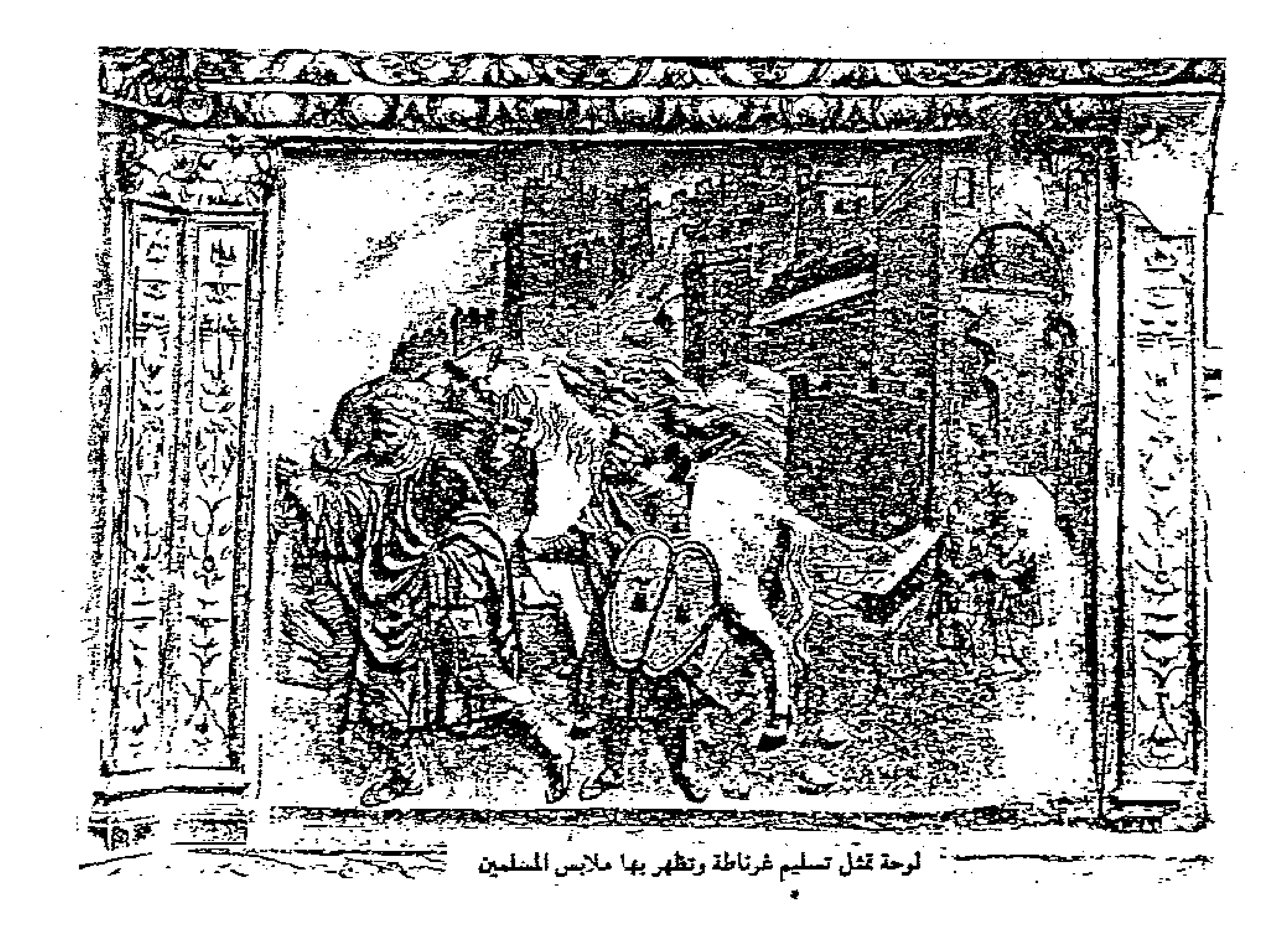


حلى من العصر النصرى



a-b. Détails de la voûte centrale de la salle du Tribunal
Grenade, Alhambra

تفصيلات من القبة الرئيسية لصالة التريبونال بالحمراء

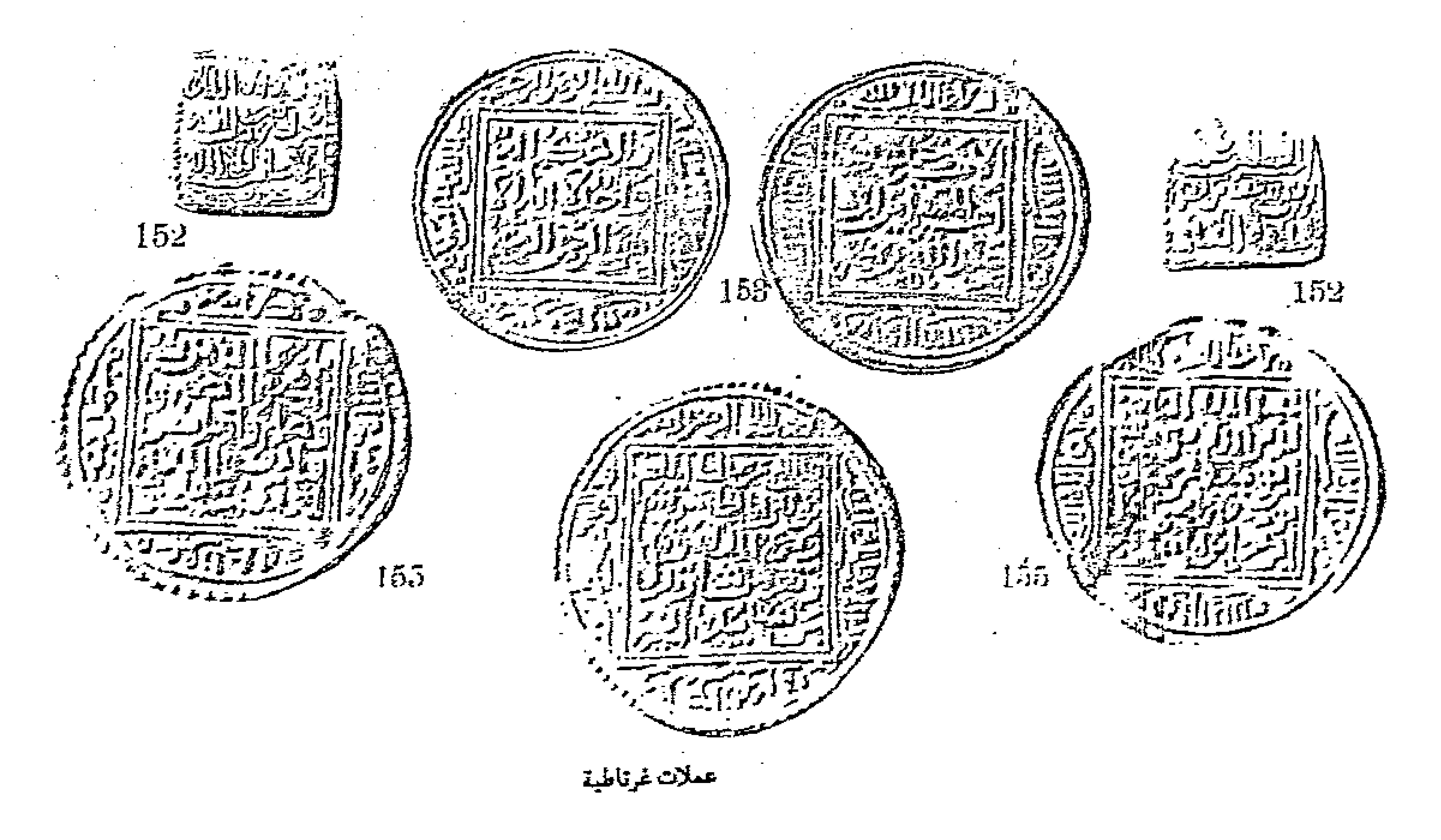


لوحة تمثل تسليم غرناطة وتظهر بها ملابس المسلمين

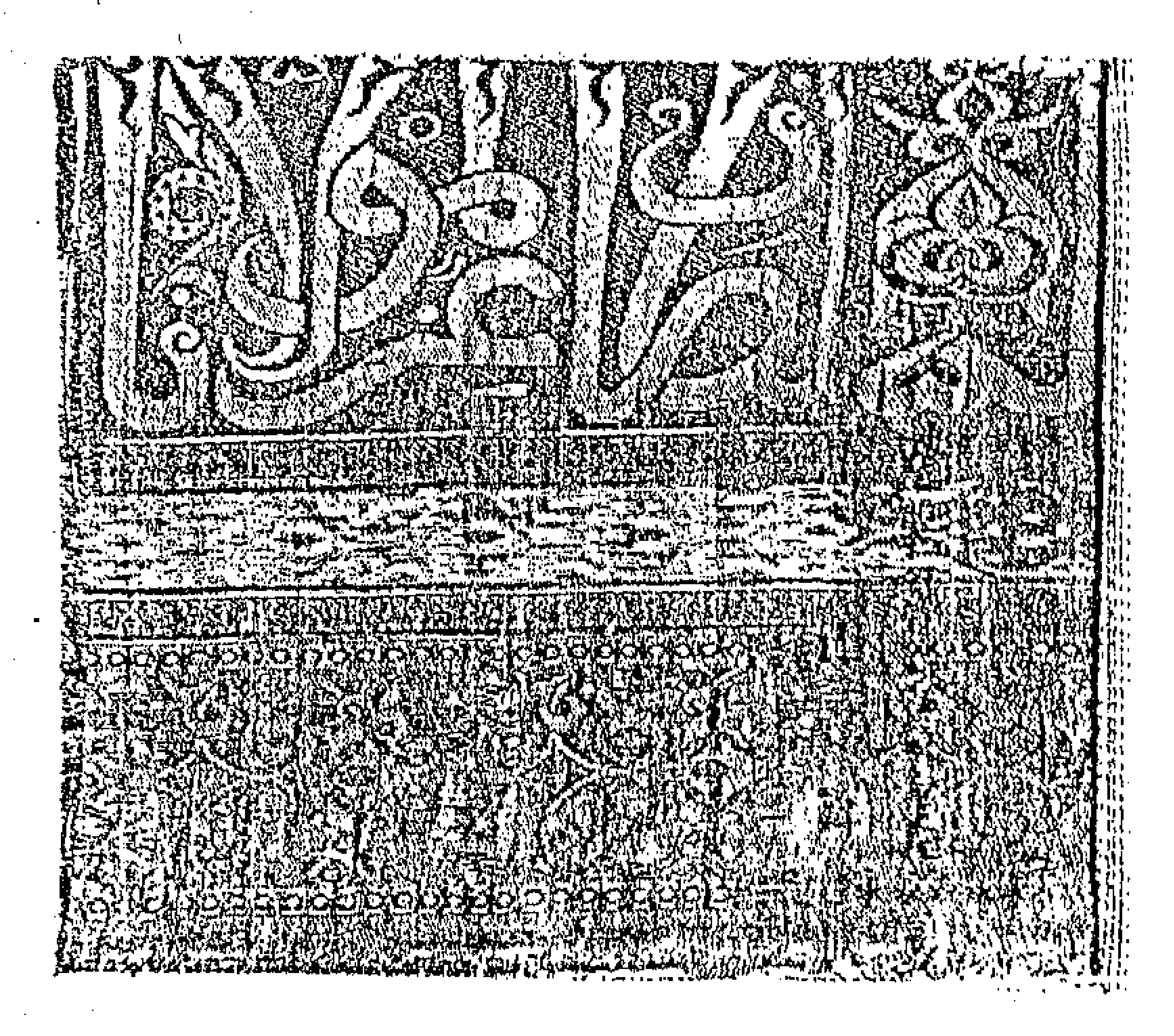


LÁMINA VI: Danza morisca, según Weiditz (Foto Manuel CASAMAR)

رقصة موريسكية عن فيلدز



عملات غرناطية



قطعة من النسيج الغرناطي من القرن الرابع عشر "متحف لاثارو جرانادينو مدريد"

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الأول
غرناطة : أرضها وشعبها

الباب الثانى

نظم الحكم والإدارة فى مملكة غرناطة

الباب الثالث

الحياة الاقتصادية فى مملكة غرناطة

الباب الرابع

الحياة الفكرية فى مملكة غرناطة



صاحبها ومديرها . محمد بسيوني
خلف ١٦١ ش فرنسا ☎ ٤٨٠٩٠٠٥ الاسكندرية



